الجزء الثالث

الدّيوان الكبير
لابنِ العَرَبيّ الحاتِمِيّ

من
مخطوط
أصليّ نادر
ينشر لأوّل مرّة

تحقيق ودراسة وتعليق
عبد الإله بن عرفة

دار الآداب



لقد صاحبتُ الشَّيخ الأكبر منذ نحو ثلاثين سنةً، وتماهيتُ معه في مواجيده وأحواله، ولاحظتُ القُصور الذي اصاب تراثه الشِّعريَّ، فبدأتُ أشتغل بشعره بعد أن حصلتُ على نُسخة مخطوطة من ديوان «المعارف الإلهيَّة». وتنقَّلتُ في كلّ البلاد التي زارها أو عاش فيها، في المغرب أو المشرق، مُتتبِّعًا ذكراه. كنت أعمل في صمت وأتتبَّع المخطوطات الأكبريَّة، منقِّبًا وباحثًا وباذلًا الغاليَ والنَّفيسَ في سبيل تحصيلها من معارفي، أو مباشرةً من مكتبات إسطنبول ومكَّةَ وباريس ولندن وبرلين والرّباط وتونس والقاهرة ودمشق... وغيرها، حتَّى جمعتُ منها حصيلةً هائلةً تزيد على 50 مخطوطًا، منها ما هو أصليّ بخطّ المؤلِّف، ومنها ما كُتب في زمانه أو بعده. وسيجد القارئ متعة كبيرة في قراءة هذه الأشعار النَّفيسة في معناها ومبناها، كما سيفتح هذا العمل آفاقًا جديدة للبحث وتعميق معرفتنا بتراث ابن العربي.

الديوان الكبير

لابن العربي الحاتمي

عبد الإله ابن عرفة

الديوان الكبير
لابن العربي الحاتمي

الجزء الثالث

تحقيق ودراسة وتعليق

عبد الإله ابن عرفة

دار الآداب - بيروت

الديوان الكبير لابن العربي الحاتمي
الجزء الثالث

عبد الإله ابن عرفة/كاتب مغربيّ

الطبعة الأولى عام 2021

ISBN 978-9953-89-704-2

دار الآداب للنشر والتوزيع
ساقية الجنزير ـ بناية بيهم
بيروت ـ لبنان
هاتف: 861633 (01) - 861632 (03)
فاكس: 009611861633
e-mail: rana@daraladab.com
info@daraladab.com



Daraladab



@Daraladab



daraladab.com

إهداء

إلى روح الشيخ الأكبر، قدَّس الله سرّه.

وكأنّي شعرت أن هذه الأبيات التي نظمها الشيخ موجهة لي:

قُلْ «لعبدِ الإله»[1] أنتَ قَسيمي أَسْعَدَ اللَّه من يُحِبُّ سَعِيدا

إنْ أمُتْ في هواهُ لَستُ أُبالِي فَحَيَاتِي في أن أمُوتَ شَهِيدا

يا ابنَ أمّي وَيَا شُقَيِّقَ نفسي أنت نفسي وقد بقيتُ وحيدا

محيي الدين ابن العربي

مخطوط ديوان المعارف الإلهيَّة

---

(1) قالها في مخاطبة صاحبه عبد الله بدر الحبشي، لكنَّ الأرواحَ المتَوَلِّهَة إنسانٌ واحِدٌ خارج عن شرط التَّقييد، ولسانُ العُشّاق يَغْرِفُ بطاسات الكناية والاستعارة من بحر أنظام خزائن الجُود. القسيم: من المصطلحات التي ازدهرت في العهد السلجوقي حتى كان سلاطينهم يفاخرون بهذا اللَّقب «قسيم أمير المؤمنين الخليفة العباسي». والقسيم عند ابن العربي هو الرفيق والصاحب في معرفة الحقّ.

الصلاة العرفانية

اللهم صَلِّ على المختصر الشريف،

ما اتصل الحرف بالحرف والمعنى بالمعنى بسر لطيف،

اللهم صلِّ على الإنسان الكامل، الأول بالقصد والآخِر بالفعل،

الظاهر بالحرف والباطن بالمعنى،

اللهم صل على بحر المعاني وصورة الأواني، وعرفان صراط المثاني،

اللهم صل على قبلة الوجود، ما اتصلت برحمة اللّـه في كل عابد ومعبود،

اللهم صل على إنسان عين الوجود، المسبح بمحامد كل حامد ومحمود،

اللهم صل على إنسان عين الشهود، الظاهر في كل شاهد ومشهود،

اللهم صل على المختوم بنقطة الأزل، المرفوع بحركة التكوين، المسموع بحرف الإيجاد، المكمول بكلمة التمام، في كل نفَس ولمحة وحين،

وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

عبد الإله الشريف ابن عرفة

دراسة الدِّيوان

تقديم

يتواصل إخراجُ الديوان الكبير لابن العربي الحاتمي، وتحقيقُه تحقيقًا علميًا رصينًا يليق بصاحبه وبمكانته في الآداب الإنسانيَّة العالميَّة. وهي مهمَّة تجنَّدنا لها خدمة لهذا التراث العظيم، رغم كلّ الصعوبات التي واجهتنا، والتَّحديَّات التي اعترضتنا، تصحبنا في ذلك بركة لمسناها في كلِّ محطَّة من محطَّات هذا العمل، تجعل المرء يستيقن بأنَّه بعينِ العناية مَلحوظ، وأنَّ الإقدام على إخراج هذا الديوان العظيم يُكسبه شرف النسبة لأهل الاستنارة عبر التاريخ.

لقد عُنِيتُ بالأدب عامَّة والأندلسي منه خاصَّة منذ أن كنت في مرحلة التحصيل، وكان حُبِّي للشيخ الأكبر يصاحبني في مختلف مراحل حياتي، فخصَّصت أوَّل رواية أكتبها له هي رواية «جبل قاف» التي لقيت نجاحًا كبيرًا، وقدَّمتُ من خلالها سيرةً أدبيَّة موثَّقة في وقت لم تكن المعلومات متوفرة عن حياة الشيخ ولا كافية، إلى جانب ما تميَّزت به هذه الرواية من أبعاد عرفانيَّة وجماليَّة وتخييليَّة لم تكن مألوفة في الكتابة الروائيَّة الأدبيَّة. وقد قادني هذا الاشتغال بتراث الشيخ الأكبر إلى أن أسَّست لمشروع روائي أطلقت عليه اسم «**الرواية العرفانيَّة**»، صدرت منه روايات عديدة عن قامات فكريَّة وروحيَّة طبعت

التاريخ العربيّ الإسلاميّ خاصّة، والإنسانيّ عامّة. فكتبت عن الششتري وابن سبعين وأترابهم؛ وعن أبي حامد الغزالي ومُجَايِلِيه؛ وعن ابن حزم ومعاصريه؛ وعن ابن الخطيب وابن خلدون وخصومهم؛ وعن السلطان عبد الحميد ومن كان من خاصته من الأعلام مثل الشيخ ظافر المدني وجمال الدين الأفغاني والأمير عبد القادر؛ وعن الجنيد والسري السقطي والمحاسبي والحلاج وأضرابهم من صوفية بغداد؛ وعن «ربّة الدار العلية، خناثة» والسلطان مولاي إسماعيل؛ وعن مولاي إدريس الأكبر ومولاي إدريس الأزهر وآبائهم من آل البيت الأطهار؛ وعن الحكيم الترمذي والفارابي والمتنبي والمعري وابن العربي الحاتمي...

وفي الواقع لم أبتعد يومًا ما في كتاباتي هذه عن الشيخ الأكبر، فقد كان شعره هو الذي أستفتح به كلّ عمل من أعمالي الروائيّة المخصَّص لإحدى الفواتح النورانيّة الأربع عشرة. وهأنذا أعود مع تحقيق الدِّيوان الكبير إلى هذا الحُب الأوَّل متمثِّلًا في ذلك بقول أبي تمام:

نَقِّل فؤادَكَ حيث شئتَ مِنَ الهوى	مـا الـحُبُّ إلا لـلحبيـب الأول
كم منزلٍ في الأرض يَأْلَفُهُ الفتـى	وحـنـيـنُه أبـدًا لأوَّلِ مـنـزلِ

كما اشتغلت بتحقيق كتاب «الشهاب» لأبي أحمد جعفر ابن سيدبونة الخزاعي الأندلسي (524 ـ 624 هـ)، وهو أحد شيوخ ابن العربي الحاتمي. ثم رجعتُ إلى هذا الحبِّ الأوَّل لأشتغل بهذا التراث الشعريّ الباذخ الغميس الذي لم يكتب له أن يرى النور منذ وفاة صاحبه، وبقي حبيسَ المكتبات موقوفًا على قلَّةٍ من المحظوظين جعلوه مِنَ المضْنُونِ به على غير أهله. ولم تكن الشروط العلميّة والرُّوحيّة لإخراج ذلك التراث قد تهيَّأت، فبقي مجهولًا لدى كلِّ مَنْ كتب عن الشيخ الأكبر. وقد سبق للباحثين الذين اطَّلعوا على تحقيقنا لمجلدين من هذا الدِّيوان النفيس أن تلقَّوْا هذا التراث الشعريّ بحفاوة النُّسّاك المعتكفين في محاريب المعرفة، ووقفوا على مدى ما بُذل في إخراجهما من

جهد وعناية. وتلقَّيت التهنئة والشكر والتَّنويه من ذوي النباهة والشأن[1] ممَّن يقدِّرون العلم حقَّ قدره ويعرفون للناس أقدارهم. وهي محفزات تنفح الإنسان بريح رَخاء سَخَاء لبذل مزيد من الجهد قصد إخراج ما بقي من هذا التراث الشعريّ. وسيجد القارئ المستوفز لطلب المعالي في هذه الأعلاق الشعريَّة السَّنِيَّة ما يثلج الصدر ويَشفي الغليل، ويُنوِّرُ العقل، ويُسْرِج فتيلة الجَنان، ويَنْفَحُ الرُّوحَ بِنسماتٍ مِنْ عَرْفِ الحبيب ومملكة الفرح.

الجزء الثالث المحقَّق:

هذه النسخة من مجموعة «ولي الدين رقم 1681» المحفوظة في إستانبول، وهي الجزء الثالث من الدِّيوان الكبير لابن العربي الحاتمي، وتضم 238 ورقة. النسخة جيِّدة، وناسخها من أهل العلم، ولا شكَّ أنَّه أحد أصحاب الشيخ الذي سمعوا منه ولازموه. يبتدئ هذا الجزء بقصائد من روي الدال ثم الذال حتى الورقة (20). وبعد ذلك يأتي بقصائد من حروف مختلفة لينتقل إلى روي الراء ابتداء من الورقة (40) إلى الورقة (115). ثمَّ يأتي بقصائد مختلفة الروي ليعود إلى روي الراء ابتداء من الورقة (125)، ثمَّ حرف الزاي... وآخر قصيدة يختم بها من روي النون. نُسِخَ هذا الجزء في 25 جمادى الأولى سنة 640 للهجرة[2]، وكان ممن تملَّك هذه النسخة، شمس الدين الفَنَارِي[3]، حسب ما هو مُدَوَّنٌ في ورقة الغلاف المذهبة:

---

(1) أذكر على سبيل التَّمثيل لا الحصر، الدكتور عباس الجراري، عميد الأدب المغربيّ؛ والدكتور أحمد شوقي بنبين مدير الخزانة الملكيَّة في الرباط، المبرز في علم التَّحقيق والمخطوطات؛ والشاعر والناقد الحداثي محمد بنيس؛ والدكتور صلاح جرار المتخصِّص في الأدب الأندلسي، وزير الثقافة الأسبق في الأردن؛ والسَّفير الدكتور محمود إيرول كيليتش، مدير متحف الآثار الإسلاميَّة في إستانبول سابقًا، الأستاذ المتخصِّص في الدِّراسات الأكبريَّة؛ والناقد الأدبيّ والثقافيّ السعودي الدكتور عبد اللّه الغذامي؛ والشيخ محمود الأنصاري المجاور في المدينة المنورة الذي كان نِعْم المعين في الحصول على عدد من المخطوطات؛ والشاعر سعيد الصقلاوي رئيس الجمعيَّة العُمانيَّة للكتاب والأدباء...

(2) 20 -12- 1242م.

(3) الفناري : (751 ـ 834 هـ/ 1350 ـ 1431 م) محمد بن حمزة بن محمد شمس الدين الفناري الرومي، عالم بالمنطق والأصول. ولي القضاء في بروسة، وارتفع قدره عند السلطان بايزيد خان. كان قد عمي ثم ردّ اللّه له بصره. كان يقرئ فُصوصَ الحِكَم لابن العربي.

«من الكتب التي وقفها المرحوم مولانا شمس الملة والدين الفَنَارِي، تغمَّده اللّـه بغفرانه وأسكنه فرادس جِنانه». عنوان النسخة «الجزء الثالث في الحقيقة للشيخ **محيي الدين ابن العربي**[1]». أمَّا آخر ورقة في هذا الجزء، فقد كتب عليها «تم الجزء الثالث من الدِّيوان بمنة اللّـه وحمده وفضله، وذلك بتاريخ الخامس والعشرين من جمادى الأولى من سنة أربعين وست مئة هجريَّة. والحمد للّـه حق حمده، والصلاةُ الدائمة على خير خلقِه محمد النَّبي الأمي وآلِه الطاهرين وصحبِه، وسلامُه». تاريخ النسخ تمَّ بعد أقلّ من سنتين على وفاة ابن العربي الحاتمي. كتب هذا الجزء الثالث بخط النسخ، وضُبِطَتْ كلماته جزئيًا بالشَّكل.

إنَّ القصائد الواردة في مخطوطة ولي الدين قبل الورقة (115)، غير مذكورة في مخطوطة خليلي (الجزء الرابع الذي حقَّقناه)، إضافة إلى بعض القصائد الأخرى. هناك إذن تداخل بين مخطوطة ولي الدين، ومخطوطة خليلي من الدِّيوان. وهناك احتمالان:

- فإمَّا أن يكون القصد من مسمَّى «الجزء الثالث» تحديدًا يقتصر على القصائد غير المذكورة في مخطوط خليلي، أي من بداية مخطوط ولي الدين إلى الورقة (115)، وهو المسمَّى «جزء في الحقيقة» حسب تسمية الغلاف. وباقي القصائد التي ألحقت بهذا الجزء تنتمي إلى الجزء الرابع.

---

(1) قد بيَّنا في تحقيقنا للجزء الرَّابع ثمَّ المجلَّدة السابعة أنَّ اسم المؤلِّف هو «ابن العربي» بالتعريف، وأوردنا الأدلة الدامغة على ذلك بتصوير توقيع المؤلِّف في كتبه المخطوطة بخط يده. ونبَّهنا أنَّ إيراد **الاسم الصَّحيح للمؤلِّف هو من ضوابط علم التحقيق**، وأنَّ إطلاق «ابن عربي» على اسم المؤلِّف تحريف وخطأ متأخِّر عن زمان الشيخ بكثير، ظهر أوَّلًا في البلاد غير الناطقة بالعربيَّة، مثلما يخطئون حين يقولون «جئت إلى المكة، وذهبت إلى مدينة» يريدون مكة المكرَّمة، والمدينة المنوَّرة. ثمَّ عمَّت البلوى بهذا التَّحريف في وقتنا مع انتشار طباعة أعمال الشيخ، لكنَّ الخطأ يبقى خطأً حتى ولو أطبقت الدنيا كلّها على تداوله. وقد بيَّنا أنَّ طائفة النابتة المتطرِّفة التي تُعادي الشيخ الأكبر تتعمَّد فيما تنشره، تنكير اسمه فيقولون «وقد زعم **ابن عربي - النكرة**» (بهذه الوقاحة وقلَّة الأدب). وعليه، فإنَّنا نُهيب بمحبي الشيخ وطالبي الحقيقة وعامَّة المثقَّفين ودور النشر التي تطبع كتب الشَّيخ أن يَؤُوبُوا إلى الحقّ والعلم، ويخالفوا صنيع النابتة فيما تُصِرُّ عليه، وأن يحرصوا على إيراد اسم «**ابن العربي الحاتمي**» صحيحًا وفقَ ما ارتضاه لنفسه، لأنَّ الاسم مِلْكٌ لصاحبه، وحقٌّ من حقوق الإنسان، ولا يجوز التَّشَوُّر عليه والإصرار على تحريفه سواء في حياته أو بعد مماته، مصداقًا للحديث النبويّ الشريف «حرمة المؤمن ميِّتًا كحرمته حيًّا». وحسبنا أنَّنا نبَّهنا على ذلك وحذَّرنا منه غير ما مرَّة.

- أمّا الاحتمال الثاني، فهو أن يكون الجزء الرابع (مخطوط خليلي) قد تضمّن قسمًا كبيرًا من قصائد الجزء الثالث (ولي الدين) في مجلد واحد.
ونحن نرجح الاحتمال الأوّل.

ويبدو أنّ ناسخ مخطوطة ولي الدين قد تجوّز على سبيل التغليب، حين سمّى كلّ الكتاب بـ «الجزء الثالث من الدّيوان». ولا شكّ أنّ هذا الناسخ قد جمع في نفس المخطوط من الجزء الثالث أشعارًا تنتمي إلى الجزء الرابع. وقد حرصنا على الاحتفاظ في هذا التّحقيق بأشعار الجزء الثالث فقط، وباقي الأشعار المشتركة مع الجزء الرابع الأصليّ[1] بخط المؤلّف قد سبق وأن حقّقناها، فلا فائدة من تكرار نشرها هنا.

إنّ هذا الجزء الثالث بلا شكّ نسخة كتبت بخطّ أحد المقرّبين من الشّيخ الأكبر، الذين تتلمذوا عليه وصاحبوه. كما أنّ من بين من تملّك هذه النسخة، كما ذكرنا، شمس الدين الفناري، وهو من أبرز العلماء الأكبريّين في وقته في بلاد الروم. لذا فهي نسخة جيّدة ونفيسة وذات قيمة كبيرة، ويوجد فيها أشعار لابن العربي لا توجد في غيرها من النسخ التي بين أيدينا. وقد استعَنّا في تحقيق هذا الجزء بباقي النسخ من شعر المؤلّف، ولاسيّما ديوان المعارف الإلهيّة، ومخطوط جامعة إستانبول 1438، ومخطوط جامعة إستانبول A889، وديوان الزينبيّات، وغيرها. وقد نبّهنا على ذلك في الحواشي.

---

(1) وجدنا في مجموع (آغا أفتاناجان، مكتبة السليمانية رقم 8) بعض الورقات المبعثرة (عددها 8) قصائد مأخوذة من أصل بخطّ الشيخ كتب في طرتها «من ديوان الشيخ الأكبر ﷺ من خطّه الشريف في القدس الشريف». وفي ورقة أخرى تأكيد لما سبق «هذه القصائد من ديوان الشيخ الأكبر ﷺ من خطّه الشريف». وبعد المقابلة مع الأصول الذي بين يديْنا تبيّن لنا أنّ كثيرًا من هذه القصائد موجودة في الجزء الرابع بخطّ الشيخ، لكنّ بعضها الآخر موجود في الفتوحات المكيّة وديوان المعارف الإلهيّة والجزء الثالث. وأهمّ ما نستنتجه من هذه الورقات أنّ الديوان الكبير كاملًا كان موجودًا في القدس الشريف وقت نسخ هذه الورقات. فهل كان الدّيوان الكبير محفوظًا في هذه المدينة بشكل دائم، أو أنّ مالكًا للدّيوان قد حلّ في هذه المدينة ومعه الديوان المذكور، فقام أحد النساخ بنسخ تلك الورقات على عجل؟ سؤال لا يمكننا الجواب عنه بدقّة.

العنوان الذي نجده على أوّل ورقة في هذا الجزء هو «الجزء الثالث في الحقيقة للشّيخ محيي الدين ابن العربي».

لا ندري هل هذا العنوان هو من وضع المؤلّف، أو أنّه من وضع الناسخ، لكنّه يوجّهنا إلى أنّ موضوع الجزء يتعلّق بالحقيقة. وتُقابِلُ الحقيقةُ الشريعةَ في اصطلاح القوم. كما تُقابل الحقيقةُ المجازَ في اصطلاح أهل اللُّغة. وقد تكلّم الشّيخ الأكبر عن الحقيقة في غير ما موضع من كتبه، ومن ذلك كلامه في الباب الثامن من الفتوحات المكّيّة عن «أرض الحقيقة». بل لقد عَنْوَنَ بعض كُتُبه[1] بهذا الاسم. وفي اصطلاح الشّيخ، فإنّ العالَم الواقعيّ المحسوس عالم مجازي، بينما عالم الخيال الخلّاق هو عالم الحقيقة. وما يميّز أرض الحقيقة هو قدرتها اللّامتناهية على التّحوّل في الصور[2]. وقد تحدّث في هذا الدّيوان عدّة مرّات عن الحقيقة في القصائد (136، 229، 310، 336). يقول مثلًا عن «حقيقة الوجود» في القصيدة رقم 336 :

لما رأيـتُ وجـودًا لستُ أعْـرِفُـهُ ... على **الحقيقة** لكن لستُ أُنْكِرُهُ

سَـأَلْتُ عَنْهُ فقالوا إنَّ ذا عَجَبٌ ... مِنْ سائِلٍ لم يَـزَلْ بِالوَهْمِ يَحْصُرُهُ

في كُلِّ وَقْـتٍ مع الأنفاس وَهْـوَ لَهُ ... عَـقْـلٌ يُـجَـرِّدُهُ عَـمَّـا يُـصَـوِّرُه

وهـو الـمقرُّ لـه بـالـشَّـرْعِ إنّ له ... مَجْلًى وبالكشف يَجْلُوهُ وَيُبْصِرُه

مع الشُّهُودِ مع الإيمان تُبْصِرُهُ ... أعْـمـى وَمَـا ثَـمَّ إنسـانٌ يُبَصِّره

وإنــه مـسـلم لـلـشّـرع مـتّـبِـعُ ... وذا يُـهَـوِّدُه وذا يُـنَـصِّـرُه

ويقول عن أهل الحقيقة في القصيدة رقم (235) :

بنفسيَ أحـبـابٌ تواصوا بكلِّ ما ... تواصى به **أهـلُ الحقيقَةِ** والسِّرِ

تَوَاصَوْا بذكر اللّه في كُـلِّ لَحْظَةٍ ... وأَفْنَاهُمُ المذكورُ عن حَضْرَةِ الذِّكْرِ

فَكَما فَـنَـوْا عن كُـلِّ ما هُـوَ كائنٌ ... ولم يَأْنَسُوا شيئًا سوى ليلةِ القَدْرِ[3]

---

(1) مثل كتاب «الحقيقة الإلهيّة»، وكتاب «حقيقة الحقائق»، وكتاب «حقائق الأسماء الحسنى».

(2) استعمل الشّيخ في هذا الجزء الثالث لفظة «الصور» ومشتقاتها بشكل كبير ومُلفت للنظر، حيث كرّرها 165 مرّة، بل إنّه خصّص قصيدة كاملة (246) كلّ قوافيها تنتهي بهذه الكلمة.

(3) هناك رواية مختلفة لآخر البيت «سوى الواحد البر» بدل «سوى ليلة القدر» في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 61أ).

تـبـدَّلَ جَـمْـعُ الـقَـوْمِ وِتْـرًا مُقَدَّسًا فصار خِطابُ الوتر يأتي إلى الوتر[1]

أغلب القصائد التي وردت في هذا الجزء غير منشورة من قبل، لكنَّ بعضها قد سبق نشره[2] في ترجمان الأشواق أو المجلَّدة السّابعة التي حقَّقناها، أو في الجزء الرابع؛ وأيضًا في طبعة بولاق. إنَّ هذا التكرار واحد من المشاكل في فهرسة شعر الشَّيخ التي تجعلنا نتساءل عن الأسباب التي دفعت المؤلِّف لِتَكرار بعض القصائد في أجزاء مختلفة من الدِّيوان الكبير. ولعلَّ السُّؤال الذي يثور في ذهن القارئ الآن هو: ما سرّ ترتيب هذا الدِّيوان؟

هذا سؤال عريض قد أجبنا عنه جزئيًا في ثنايا حديثنا عن تداخل الدِّيوان الكبير وديوان المعارف الإلهيّة، وأيضًا له علاقة بتكرار القصائد في عدَّة أجزاء من الدِّيوان. وفي اعتقادي أنَّ السَّببَ الرَّئيسَ لهذا التَّكرار هو أنَّ الشَّيخ كان يُرَتِّب الأشعار والقصائد وِفْقَ الموضوعات والقضايا التي يتطرَّقُ إليها، وبعضها كانت له علاقة بأبواب مختلفة من المعارف، فنجدها في هذا الباب ثمَّ في ذلك الباب، وهكذا.

أمَّا فيما يخصّ المسوِّغات التي دفعتنا إلى إعادة نشر تلك القصائد المشتركة مع طبعة بولاق مثلًا، فلأنَّ تلك الطبعة غير محقَّقة، كما أنَّها اعتمدت على مخطوط يبدو وكأنَّه منتخبات شعريَّة من أجزاء مختلفة من مجموع الدِّيوان، فقد وجدنا في تلك الطبعة أشعارًا منها في المجلَّدة السَّابعة التي فيها أقسام من الجزء الأوَّل والثاني من الدِّيوان. كما وجدنا أشعارًا منها في الجزء الثالث والرابع، ممَّا يدعونا إلى اعتبار فرضيَّة **أنَّ أصلَ نسخة بولاق قد يكون نسخة مختصرة من الدِّيوان الكبير**.

وجوابًا عن سبب إعادة نشر بعض الأشعار الواردة في طبعة بولاق، فإنَّه يرجع إلى الأسباب التالية:

---

(1) هناك رواية مختلفة قليلًا للشطر الثاني في ديوان المعارف الإلهيَّة هي «فصار خطاب الوتر يسري على الوتر».

(2) مجموع هذه القصائد يزيد قليلًا على 100 قصيدة: 54 في المجلَّدة السابعة التي حقَّقناها؛ و38 في طبعة بولاق؛ و12 في ترجمان الأشواق؛ و4 في الجزء الرابع الذي حقَّقناه، فالذي نشر قبل تحقيقنا للدِّيوان الكبير هو 50 قصيدة فقط.

أوّلًا، إنّنا التزمنا بنشر الدّيوان الكبير وفق القسمة الّتي تركها صاحبُها ممّا خطّه بيده، وأيضًا فيما وصلنا من المخطوطات الأصليّة.

ثانيًا، إنّ الأشعار المنشورة في طبعة بولاق قد شابتها أخطاء كثيرة وتحريفات[1]، وإعادةُ نشرها محقّقةً ضرورةٌ مُلِحّة لا غِنى عنها. وسيلاحظ القارئ مَوَاطِنَ الاختلاف بين تلك النشرة السّابقة ونشرتنا.

ثالثًا، هناك زيادات أو حذف في الأشعار المشتركة بين تحقيقنا وتلك النشرة. وندعو القارئ إلى الوقوف على تلك الفروق في الهوامش العديدة التي وضعناها.

أمّا فيما يخصّ القصائد المشتركة مع ديوان ترجمان الأشواق، والجزء الرابع المحقَّق، والمجلّدة السّابعة المحقَّقة، فقد حرصنا على إبقائها في هذا الجزء مراعاة للترتيب العامّ للدّيوان إلى أربعة أجزاء. كما أنّ بينها بعض الفروق التي نبّهنا عليها في الحواشي. وقد سبق ونبّهنا أيضًا إلى أنّ الشّيخ لا يكرّر على الحقيقة تلك الأشعار، وإن ظهر أنّه يفعل ذلك، لكنّه على الحقيقة يرى أنّ الأنفاس تتجدّد وتتنزل بصور مختلفة. ويشبه هذا الأمر تكرار بعض القصص الوارد في القرآن الكريم (قصّة موسى، وإبراهيم وعيسى عليهم السلام)، فهناك دومًا إفادات جديدة. إن تنزل تلك الأشعار من عوالم الرُّوح مرورًا بالخاطر ووصولًا إلى الأسماع يتبع مسارات مختلفة ومتنوّعة، ويثمر معارف متجدّدة. والدَّليل القاطع على ذلك هو أنّنا نجد الشيخ يرتّب للقصيدة نفسها[2] أو الأشعار أكثر من ترجمة في القسمة الثلاثيّة

---

(1) ومن أمثلة ذلك، نجد أنّ كلمة «القبح» في القصيدة رقم (250) تتحوّل إلى «القبج» في النشرات السّابقة للدّيوان. كما أنّ إحدى الطبعات تسترسل في شرح تلك الكلمة الخاطئة أصلًا «بأنّه نوع من الحجل» (انظر طبعة دار صادر). وفي البيت (11) من القصيدة رقم (205) جاء في طبعة بولاق وطبعة صادر «في طيباته» بدل «في ظنّنا به»، وهو الصّحيح. وفي البيت (3) من القصيدة (266) خطأ في طبعة بولاق (ص.317) وطبعة صادر (ص.196): «قال ابن حِبّان»، بينما الصحيح «جابر بن حيّان»...، ومثل هذه الأخطاء كثيرة.

(2) انظر مثلًا القصائد رقم (97)، و(114)، و(115)، و(117)، و(346) في هذا الجزء الثالث التي ترجم لها بترجمة مختلفة في ديوان المعارف الإلهيّة، وفي ديوان الزينبيّات. وكذلك القصيدة رقم (23) في الجزء الرابع الذي حقّقناه، ومطلعها «سميت بالخنساء من أجل الخَنَسْ... بذاك صحّ الفضلُ للظّبْي وبَسْ»، فإنّه يقول عنها ديوان الزينبيّات «والرُّوح توحيد والرُّوح تجريد» (و.353)؛ بينما ترجم لها في ديوان المعارف الإلهيّة بقوله «والرُّوح خنساء تكلّف، والخاطر إخنًا تلّفَ» (و. 215). وهذا دليل على أنّ موارد الرُّوح والخاطر والسماع مختلفة تمام الاختلاف.

حسب الرَّوح، والخاطر، والسماع. فلو كان يَعُدُّها مكرَّرة لحافظ على نفس الترجمة للقسمة نفسها التي أوردها أوَّلًا. إنَّ الشَّيخ يَعُدُّ الشعرَ العرفاني مُتواصِل التنزل مُتَجَدِّده، وأنَّ لحظةَ تنزُّلِه هي لحظةُ فهمه. فإذا تنزَّلت الأبيات نفسُها في وقت آخر وحالٍ آخر أنتجت معرفة جديدة يقتضيها المحلُّ والمقام والسياق. وهذا فَهْمٌ تَقْصُر الشعريَّة السَّائدة اليوم عن إدراكه. وهو يفسح أبوابًا غير مطروقة في نظريتي الأداء والتلقي، وما يستتبعها من تردُّدِ حمل الدلالات على الألفاظ بين القائل والمستمع، ومَنْ في حُكْمِهما. وقد تحدَّث فقهاء الأصول في مباحثهم اللُّغويَّة عند تعريفهم للغة بقولهم «الاستعمال من صفات المتكلِّم، والحَمْل من صفات السامع، والوضع قبلهما». ويمكن قياسًا على هذا التعريف أن نفهم أنَّ الشاعر العرفاني يُنشِئُ القول الشعري أداءً، فيتلقاه السامع ويحمل عليه دلالات معيَّنة، لكن ينبغي عليهما معًا أن يحترما الوضع اللُّغويّ بموجب قانون الثبات الدلالي الذي لا يسمح بتحميل القول ما لا يحتمل من المعاني، سواء كان ذلك في الأداء أو عند الحمل. لكن هذا الأمر يجب أن يُكيَّف بشكل معيَّن في إطار اللُّغات التي لها وضع خاصّ ومرتبة متميِّزة، وأعني بذلك اللُّغات التي هي وعاء للوحي الذي جاء به الأنبياء، ثمَّ استمرَّت وعاءً للعلوم الوهبية لورثتهم من العارفين. وهذه خصيصة تميِّزها عن باقي اللُّغات الأخرى، فلا يُقاس عليها، مهما جنح بعض اللُّغويِّين المعاصرين في تنميط خصائص اللُّغات ووظائفها، وتَجاهُلِ وضع اللُّغات المقدَّسة في خارطة النظريَّة اللُّغويَّة العامَّة. إنَّ تلك النظريات نشأت غالبًا في سياقات مفصولة عن الوحي واللُّغات المقدَّسة، فغابت عنها تلك الوظائف العليا. ولهذا لا ينبغي مجاراة أصحابها فيما لا يملكون أو لا يعرفون، إمَّا جمودًا أو تقليدًا أو تعصُّبًا للغاتهم وانغلاقًا ذاتيًا على مركزيَّتهم ومعروفهم، بل ينبغي أن يعرف المشتغل باللُّغة المقدَّسة[1] طبيعة لغته وفرادتها وخصائصها وعبقريَّتها.

---

(1) لما نشأت اللسانيَّات في القرن التاسع عشر في أوروبا كانت الجمعيَّات العلميَّة اللسانيَّة تمنع على اللسانيِّين البحث في أصول اللُّغات، وتعتبره موضوعًا غير علميّ؛ أمَّا اليوم فقد تغيَّر الوضع تمامًا، وتطوَّرت الأبحاث والنظريَّات في أصول اللُّغات، وصار جزءا كبيرًا من مباحث علوم اللسانيَّات في علاقة مع علوم أخرى. وبالقياس، فإنَّ المباحث اللسانيَّة في اللُّغات المقدَّسة ينبغي أن تفترع لها مسارات جديدة في البحث العلميّ تأخذ في الاعتبار فرادتها وخصوصيَّتها وطبيعتها المختلفة.

وارتباطًا بهذه القضيَّة، فإنَّنا نلاحظ أنَّ الشَّيخ قد وظَّف في كتبه وأشعاره كلّ العلوم والمعارف التي وصلت إليه في عصره لخدمة مبحث الوجود الذي هو محور مذهبه. وهنا تثور مسألة حول مصادر معارف الشَّيخ. فكثير من الباحثين يرون أنَّ الشَّيخ استمدَّ من معارف وعلوم عصره وصاغها من جديد، وأنكروا أن يكون استمداده نتاج تجربة روحيَّة سامية مستمدَّة من حضرة القرآن. وهذا الموقف المنكر للمعرفة الذوقيَّة وعلوم الوهب لا يخصّ الولاية فقط وإنَّما يتعدَّاها إلى النبوَّة ذاتها. وأصحابه يرون أنَّ طريق المعرفة الوحيد هو طريق النظر العقليّ أو الحسّ. وقد ترك لنا الشَّيخ نص الحوار الذي جرى بينه وبين ابن رشد حول هذه المسألة[1]، وكيف أنَّ أبا الوليد أقرَّ بوجود طريق الوهب الأقدس، وأنَّه قد تحقَّق من ذلك في حالة الفتى ابن العربي الذي حصّل هذا العلم الوهبي من غير تعلم ولا مدارسة مع أستاذ ولا مطالعة في كتاب، وحمد اللّـه أنَّه في زمان رأى فيه واحدًا من أرباب هذا العلم الذي دخل خلوته جاهلًا وخرج منها عالمًا. وهي شهادة من أحد كبار أذكياء العالم، المقدَّمين في علوم النَّظَر والفلسفة والشريعة تدلّ على التَّجرد والإنصاف من الكبار، وعدم انغلاقهم في وثوقيَّات النفس وحظوظها، وابتعادهم عن التعصُّب لمذاهبهم ومقتضيات علومهم.

إنَّ علوم الوهب ليست ما يُمكن أن نسمِّيه «وجدانيَّات الهَشَاشَة والرقَّة والانكسار»، أو عواطف مُلْتَاعَة ومشاعر جيَّاشة، وأحاسيس نفسيَّة، كما قد يحلو لبعض أصحاب النظر أن يُصوِّروا التجارب الرُّوحيَّة والمعارف الذوقيَّة، بل هي معارف كلِّيَّة وعلوم دقيقة تستوعب كلّ إدراكات الإنسان، بما فيها الإدراك الحسيّ والإدراك العقليّ النظريّ، لكنَّها حصيلةُ تخلّق تلك الإدراكات حتى يَقْوَى المحَلّ على حمل ما يأتيه من علوم ومعارف من وراء طور العقل. ثمَّ إنَّ العقول العالية تقبل مثل هذه المعارف، وتعلم علمًا يقينيًا أنَّ العقل لا يستقلُّ بإدراك كُلّ معرفة، ولا يَقْوَى على إدراكها من حيث هو عَقْل، لكنَّه يُدركها بنوع من الإدراك السامي من حيث ما هو قابِل. إنَّ المعرفة النظريَّة الفكريَّة تتأتَّى من أوائل العقل ومن الحواس، والمعرفة الذوقيَّة تَعُمّ كلّ هذه الإدراكات وغيرها، فتجري على اللّسان

(1) انظر الباب 15 من الفتوحات المكيَّة.

ويسمعها السَّمع ويُبصرها البصر. كما تُظلِّل العقل، وتَحُطُّ بطِباق النَّفس، وتنزل على أَفْلاج[1] القلب، وتُرَفْرِفُ بأجنحة الرُّوح، وتستَقِرُّ في حُشاشَة السِّر. وهي في كل طِباقٍ تنصبغ بالكلّ وترتبط مع الكلّ بخيوط رفيعة من العلائق وشبكة من الدلالات. وبعبارة جامعة، إنَّها معرفة وجوديَّة.

ملاحظات شكليَّة:

قمت بضبط[2] كلمات الديوان لأنَّ الضبط مسألة لا غِنَى عنها في تحقيق أمهات كتب التراث وخصوصًا الدواوين الشعريَّة، ويتأكَّد هذا الأمر أكثر بالنِّسبة للشعر العرفاني عامَّة، وشعر الشَّيخ الأكبر خاصَّة الذي يتطلَّب إنصاتًا بأذن القلب وإدراكًا بعين الرُّوح لكلِّ الخَلَجَات والوَلَجات، فَحَرَكَةٌ واحدة غير صحيحة تفسد المعنى وتكسر الوزن، وتسبّب في تحريف النص وتشويهه[3]. وهذا مجهود شاقٌّ ومُكَلِّف، ويتطلَّب الإتقان والدقَّة لإخراج النصّ في حالة من الكمال والتوثيق العلميّ. ولا يُقَدِّرُ أهمِّيَّةَ الضَّبْط وصعوبَتَه إلَّا من يُحْسِنُه ويُدرك ما قد يطرأ على النصوص من تحريف وتشويه في حال الخطأ، لكنَّ فائدَتَه أعظمُ بالنِّسبة للقرَّاء حتى يتمكَّنوا من تذوُّقِ هذا الشعر وفهمه على الوجه الصَّحيح، وتحقيق التراكم المعرفيّ

---

(1) الأفلاج: نظام بديع للري وتوزيع المياه في شبه الجزيرة العربيَّة، وقد استعملنا الكلمة هنا مجازًا للدلالة على ماء القلب.

(2) أريد أن أنبِّه القرَّاء إلى أنَّ بعض الكلمات في الأجزاء التي نشرتها من الدِّيوان الكبير قد ضبطت ضبطًا مختلفًا عن الضَّبط الأصليّ الذي قمت به في نسختي الرقميَّة، لكونها تتحوَّل بشكل آليّ عند المعالجة والتَّصفيف إلى ضبط خاطئ بسبب اختلاف التطبيقات والبرمجيَّات المعلوماتيَّة التي تستعملها دار النشر، كأن تأتي الشَّدَّة مثلًا فوق بعض الأحرف مع أنِّي لم أضبطها على تلك الصورة (انظر مثال فعل «نظم» و«نقط»...، فإنَّ الظاء والطاء تنقلب فجأةً مشدَّدة (كما حصل في الجزء الرابع والمجلَّدة السَّابعة من الدِّيوان الكبير المحققين)، فألتمس العذر في مثل هذه الأخطاء الخارجة عن إرادتي رغم ما بذلته من عناء وجهد في ضبط النصوص، لكنَّها تبقى حالات معدودة.

(3) وقد مثلنا في تحقيقنا للجزء الرابع ببيت شعري وقع فيه تحريف شنيع في بعض المخطوطات، ونقلت ذلك طبعة بولاق وكلّ الطبعات المنشورة، هو: «فاحمدوا اللّٰه **إنِّي لنبي**... لم يكن مثله نبيّ يقينًا»، بينما الصواب الذي كتبه الشَّيخ بخطّ يده كما في مخطوط خليلي الأصليّ، هو «فاحمدوا اللّٰه **أنَّكم لنبي**... لم يكن مثله نبيّ يقينًا».

الصَّحيح بعيدًا عن سوء الفهم والتأويل الفاسد، اللذان سبَّبا كثيرًا من الطُّوَام، وشغْبا على الناس في تَبَيُّنِ الحقيقة، وأبعدا الأجيال الصاعدة عن تراث أُمَّتها العظيم بسبب استغلاق الوصول إليه. ونحتسب الجهد المبذول في تقريب هذا التراث العظيم بالتَّحقيق والدراسة والضبط والشرح والتَّعليق في الهوامش خدمةً للعلم الشريف، ونُصرةً لبيانيَّة اللُّغة العربيَّة وعرفانيَّتها وعبقريَّتها بين لغات الأمم الأخرى.

من الملاحظات التي أنبّه عليها بخصوص هذه النسخة المحقَّقة من مخطوط ولي الدين رقم 1681، المتعلّق بالجزء الثالث أنَّ الناسخ:

- لا يترك فراغًا بين أشطر القصائد الشعريَّة.
- لا يلتزم بتكرار عبارة «وقال أيضًا»، لكنَّه يترك فراغًا بين القصائد يصلح أن تحشر فيه العبارة المذكورة.
- أحيانًا يكتب عبارة «وقال أيضًا» باللَّون الأحمر.
- يرسم أحيانًا بعض الأشكال في أماكن الفراغ في القصيدة، بين الكلمات أو حتى بين الكلمة نفسها بعد الحروف المنفصلة كالواو والراء والدال.
- يكتب عادة ثلاث نقط على بعض الحروف الجافَّة مثل حرف السِّين في كلمات: السرّ، الستر، يمسي. وهذه قد تربك القارئ، فيخطئ في قراءة الكلمة ظنًّا منه أنَّ «السر» هي «الشر»، أو «يمسي» هي «يمشي»، فينبغي الاحتراز من ذلك، وهو ما تنبهنا إليه وحرصنا على عدم الوقوع فيه.
- يكتب كلمة «كل ما» دومًا هكذا «كلما».

كما نقرّر الملاحظات التالية:

- لاحظنا أنَّ الشيخ يعتمد التَّرتيب الهجائيّ المغربيّ للحروف كما في القصيدة رقم (266). وهو ترتيب يختلف عن الترتيب الهجائيّ المشرقيّ في بعض الحروف، ولذلك دلالات في البناء العرفاني العددي لمذهب الشَّيخ.
- هناك بتر في الأوراق في أماكن قليلة (الورقة 17 مثلًا).

- بسمل في ثلاثة مواضع: في أوّل قصيدة في الجزء (1)، وقبل القصيدة (82)، وقبل القصيدة (120). ثم سيبسمل[1] بعد ذلك ابتداء من قصيدة «إن الكمال محال...» التي تأتي بعد آخر قصيدة (356) في هذا الجزء الثالث كما نبّهنا عليه. كما أنَّ القصيدة (357) هي أوّل قصيدة في الجزء الرابع المحقَّق. وقد ذكرنا أنَّ كلّ القصائد التي وردت بعد القصيدة (356) إلى نهاية مخطوط ولي الدين (1681) قد وردت كلّها في الجزء الرابع. وقد اعتبرنا أنَّ مكانها الطبيعيّ في الجزء الرابع حسب ما قام به المؤلّف في النُّسخة التي كتبها بخطّ يده المتعلّقة بهذا الجزء الرابع الذي حقّقناه.

لاحظنا بخصوص القصائد الغزليّة، وبعض القصائد الأخرى التي ترد فيها أسماء أشخاص بعينهم، أنَّ نسخة ديوان المعارف الإلهيّة تكني عن تلك الأسماء بعبارات مختلفة. مثلا اسم «مهبلند» وصيغه المختلفة، يتحوّل إلى «عين ذاتي»[2] «نور عيني»[3]، «على من علمتم»[4]، «ما كنت وحدي»[5]. وكذلك الشأن في «غزلتي» تتحوّل إلى «حياتي»[6]. وكذلك اسم «شرف»[7]... ولا شكَّ أنَّ الشّيخ أراد تجنُّب حصر دلالات ما يرمي إليه في أعيان المذكورين وأشخاصهم، كما حصل مع ديوان «ترجمان الأشواق» الذي تعرض فيه للانتقاد من بعض الفقهاء حين صرَّح بحبِّه لمحبوبته «نظام»، فاضطرَّ إلى وضع شرح للدِّيوان أسماه «ذخائر

---

(1) سيتوافق الجزء الثالث مع الجزء الرّابع في البسملة في أربعة مواضع من خمسة ابتداء من القصيدة رقم (1) في هذا الجزء «إنَّ الكمال...»، ثمَّ القصيدة رقم (27) و(59) و(100)، بينما عري ما قبل القصيدة «خلع الشوق» عن البسملة خلافًا للجزء الرابع، وهي القصيدة رقم (182) في التّرتيب. ولعلّه أن يكون سهوًا من ناسخ الجزء الثالث. إنَّ هذا التوافق في مواضع البسملة دليل على أنَّ أصل الجزء الثالث في القصائد المشتركة هو الجزء الرابع (مخطوط خليلي) الذي بخطّ المؤلّف.

(2) انظر القصيدة رقم 6، و67.

(3) انظر القصيدة رقم 68.

(4) انظر القصيدة رقم 69.

(5) انظر القصيدة رقم 70.

(6) انظر القصائد رقم 62، 63، 64، 65.

(7) انظر القصيدة رقم 71.

الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق» بيّن فيه المقاصد الإلهيّة والمعارف الرُّوحيّة خلف صور تلك الأكوان.

عدد قصائد الجزء الثالث وأبياته:

عدد قصائد هذا الجزء الثالث ثلاث مئة وست وخمسون قصيدة (356)، أطولها القصيدة رقم (270) التي يبلغ عدد أبياتها واحدًا وعشرين ومئة (121)، بينما أصغر قطعة من المفارد فيها بيت واحد (134). وهناك قِطَع من بيتين فما فوق.

إنّ عدد أبيات الجزء الرابع الذي سبق أن حقّقناه، يبلغ (6224) بيتًا، ويبلغ عدد أبيات المجلّدة السّابعة التي حقّقناها أيضًا (3791) بيتًا، بينما يبلغ عدد أبيات هذا الجزء الثالث المحقّق (3441) بيتًا، فيكون مجموع ما حقّقناه لحدّ الساعة بين الجزء الرابع، والمجلّدة السّابعة، والجزء الثالث (13.456) بيتًا. وهي ثروة شعريّة كبيرة كانت مجهولة في أغلبها لدى الباحثين والقرّاء. كما أنّ الجزء الضئيل المعروف منها لم يكن محققًا، وَشَابَتْه أخطاء كثيرة، وأحيانًا تحوّلت إلى تحريفات شنيعة.

البحور المستعملة:

استخدم المؤلّف في هذه الجزء الثالث، ثلاثة عشر (13) بحرًا من بحور الشعر العربيّ المعروفة هي: الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والرجز والهزج والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمجتث والمتقارب. واستعمال هذه البحور متفاوت من حيث الأهمّيّة والكم، فأغلب قصائد الدّيوان هي من البسيط في حدود النصف، حتى إنّه ليمكننا أن نقول بأنّ الدّيوان من بحر البسيط، ويليه في الاستعمال بحر الطويل في حدود خُمسِ قصائد الديوان.

ولم يستعمل في هذا الجزء ثلاثة بحور هي: المضارع والمقتضب والمتدارك. وقد استعملَ البحور التي اختارها لقصائده إمّا تامّة أو مجزوءة، مثل استعماله لمجزوء المديد، ومجزوء الخفيف، ومجزوء الرمل، ومجزوء الوافر، ومجزوء الرجز. وقد تأكّد لدينا الملاحظة نفسها التي نبّهنا عليها في تحقيقنا للجزء الرابع والمجلّدة السّابعة من طغيان استعماله لبحر البسيط، ممّا يتكرّر أيضًا في هذا الجزء الثالث. واستعمله تامًا، ومجزوءًا، ومُخَلّعًا، ومشطورًا. ومخلع البسيط هو نوع من المجزوء.

وقد كنّا تساءلنا وقتئذ عن السّبب الذي جعل الشّيخ الأكبر يُكْثِرُ من استعمال بحر البسيط في قصائده. وأجبنا بأنّ ابن العربي لا يتعمّل قول الشعر ولا يتصنّع فيه، وإنّما يقوله عفو الخاطر كما يأتيه إلهامًا أو منامًا. وقد قال في مقدّمة ديوان المعارف الإلهيّة «وإنّي أذكر في هذا الكتاب الذي سمّيته: ديوان المعارف الإلهيّة، واللّطائف الرّوحانيّة، بعضَ ما أجرى اللّه على لساني من الأبيات المرْتجلات، والقصائد الحاوية على الجواهر العلويّة والفرائد ما لم أستعمل فيه الرّويّة، بل ظهر عن الواردات الربّانيّة، والنّفثات الرّوحيّة»[1].

أمّا السّبب الثاني، فله علاقة بأوّلِ ما فُتِحَ به عليه في نظم الشعر. يقول في مقدّمة مخطوط برلين من ديوان المرتجلات ثمّ وجدت في نفسي قوّة النظم فقلت:

مَنْ لِلْكَئِيب، ومَنْ لِلْهَائِم الدَّنِف ... أموتُ عِشْقًا فَيَا لَهْفِي ويا أَسَفِي

ويضيف «وهذا أوّل بيت نَظَمَهُ الجَنَانُ وَفَاهَ به اللّسان». وهو من بحر البسيط. ونعتقد أنّ سبب إكثار الشّيخ من بحر البسيط مَرَدُّهُ إلى هذه المبشرة الأولى بحيث إنّه بقي وَفِيًّا لهذا البحر لأنّه رأى أنّه أوفق في التّعبير عن مواجيده الرّوحيّة، ويذكّره بالباب الذي حصل له منه الفتح في العبارة الشعريّة.

وهناك سبب آخر من باب الحقائق، وهو أنّ حقيقة البسيط ترمز إلى حقيقة أهل الأسرار من أهل المغرب، ولهم الإحاطة. يقول في أحد الأبيات التي يوردها في الباب التاسع والخمسين وخمس مئة (559) من الفتوحات المكّيّة:

إنّ البسيطَ إلى البسيطِ بَسِيطُ ... فَهُوَ المُحَاطُ ولو تراه يحيطُ[2]

ويؤكّد ذلك في الباب الخامس (5) من الفتوحات المكّيّة بقوله: «فالشطر الموجود في الخطّ هو المشرق، والشطر المجموع في النقطة هو المغرب، وهو مطلع وجود الأسرار، فالمشرق وهو الظاهر المركب ينقسم، والمغرب وهو الباطن

(1) انظر تحقيقنا لمقدّمة ديوان المعارف الإلهيّة، ضمن الكتاب التذكاري لابن العربي، دار نينوى، دمشق 2018.

(2) البيت من بحر البسيط. ويوظّف هنا اسم «البسيط» (الأولى) في دلالتها على المخلوق في مقابل اسم «البسيط» (الثانية) الذي هو من الأسماء الحسنى في دلالتها على الخالق.

البسيط لا ينقسم وفيه أقول: أمّا من اعتقد خلافه، فما وقف على حقيقة، ولا وَجَدَ قَطُّ مُوجِدَه». وهو يَعُدُّ نفسه من أهل الأسرار، أي أهل المغرب، وكتب رسالة «الانتصار لأهل المغرب» في هذا المعنى.

وهذا لا يعني أنّه لم يهتم بباقي البحور، أو أنّ القصائد التي يتلقاها إلهامًا أو منامًا لا تأتي إلّا على بحر البسيط، بل إنَّ الشّيخ نظم في كلّ البحور، وكان دائمًا يستقصي في كلّ ما يكتب من أجل استيفاء جميع المراتب حقّها في أدقّ تفاصيلها، مثل القوافي التي نظمها على كلّ حروف العربيّة. وإنّ القصائد المعشرات خير دليل على ذلك حيث خصّص لكلّ حرف من حروف العربيّة قصيدة من عشرة أبيات.

وفي الجدول أدناه توضيح لعدد قصائد البحور المستعملة في الجزء الثالث:

البحور المستعملة في الديوان	عدد القصائد	المجموع الكلي لقطع الديوان
البسيط	152	
الطويل	71	
السريع	22	
الرمل	15	
الوافر	13	
الخفيف	18	
الكامل	23	
المديد	11	
الرجز	12	
المجتث	10	
الهزج	1	
المنسرح	1	
المتقارب	7	
		356

غريب اللُّغة والألفاظ الأعجميَّة:

استعمل الشيخ بعض الألفاظ من غريب اللُّغة في الدِّيوان، مثل: الدعص (66)، الكسعي (107)، المجعمص (151). كما أورد مفردات عدَّة من الغريب في القصيدة رقم (220) عن أصناف المياه، مثل: الشبم، القعقاع، النشج، والنضج، النجر، النغبة.

ومن الألفاظ الأعجميَّة الواردة في هذا الجزء: الإزدهاق (49)، وهي حيَّة تعيش ألف سنة كما تزعم أسمار العرب والفرس.

روي القوافي المستعملة:

استعمل ابن العربي في هذا الدِّيوان روي القافية من أربعة عشر (14) من الحروف التالية: الدال، الذال، الراء، الشين، العين، الفاء، القاف، الكاف، اللَّام، الميم، النون، الهاء، الواو، الياء.

أمَّا الحروف التي لم يستعملها فعددها (14)، وهي: الألف والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والزاي والسِّين والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والواو. وأوَّل قصيدة تفتتح هذا الدِّيوان من حرف الدال، وآخر قصيدة فيه من حرف الراء. وهناك تفاوت كبير بين عدد القصائد المخصَّصة لكلِّ حرف. فيأتي في المقدَّمة حروف: الراء (239) قصيدة، والدال (75) قصيدة، ويحظيان بحصَّة الأسد في هذا الجزء، حتى ليمكننا أن نقول بأنَّ الدِّيوان خاصّ بحرفي الرَّاء والدَّال فقط، كما يوضِّحه الجدول:

حروف الروي المستعملة في القوافي	عدد القصائد
د	75
ذ	15
ر	240
ش	1

ع	2
ف	2
ق	2
ك	2
ل	5
م	1
ن	3
ه	6
و	1
ي	1

الأعلام والمذاهب والفرق:

عَرَّفْتُ بكثير من الأعلام المذكورة في الديوان متى ما كان ضروريًا. فقد ذكر ابن العربي في هذا الديوان، أسماء بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مثل: محمد (20، 52، 270، 272، 293، 296)؛ أو أحمد (270، 271، 273، 282)؛ وموسى الكليم (29، 199، 205، 206، 270)؛ وعيسى (38، 49، 51، 270)؛ والخليل إبراهيم (212، 269)؛ وآدم (44، 48، 207، 276، 296)؛ ونوح (223)؛ وإدريس (132، 304)؛ ويونس (212)؛ ويوسف (126)، وإسماعيل (325)؛ وإسحاق (325)، والخضر (29، 232، 343، 344).

وذكر أو أشار إلى بعض الصحابة والتابعين وقرابة النبيّ، من بينهم: أبو بكر الصديق (229، 270، 321)، والفاروق عمر بن الخطاب (270، 321)؛ وبلال بن رباح (270)؛ وشاعر الرسول حسان ابن ثابت (271)؛ وعم الرسول أبو طالب (270)؛ وسعد ابن عبادة (4، 271)؛ وسعيد بن المسيب (4)؛ وعطاء بن يسار (4)؛ وقتادة بن دعامة (4)؛ والفضيل بن عياض (4).

وذكر من أسماء أصحاب المذاهب والعلماء: الإمام أبا حنيفة النعمان (138)؛ والإمام مالك (138)؛ والإمام أحمد بن حنبل (138)؛ والإمام جعفر الصادق (266). وذكر من المحدثين، الترمذي (95، 116). ومن الفقهاء أبا بكر ابن العربي المعافري.

وذكر من أهل الحكمة والعلوم القديمة جابر بن حيان (266)؛

وذكر أو أشار إلى أسماء بعض معاصريه ممَّن حصلت بينه وبينهم أمور: ابن منير 172؛ ابن السليم (172)؛ محمد إسفنديار (263)؛ ابن مهاجر (174)؛

كما ذكر بعض مشايخ الصوفيَّة: الجنيد (270)؛ الحلاج (266)؛ أبو أحمد جعفر ابن سيدبونة (4، 230)؛ وأبو بكر ابن عمار (231)؛ عبد العزيز المهدوي (227، 233)؛ ابن جعدون الحناوي 270)؛ أبو محمد الموروري (228)؛ أبو العباس الرفاس (224)؛ وبدر الحبشي (229)؛

كما ذكر أسماء بعض الأماكن مثل: مكَّة (212، 234، 270، 273)؛ طيبة (334)؛ فاس (122، 224، 270)؛ مصر (60، 124، 190، 192، 229)؛ الشام (190، 192، 270، 304)؛ دمشق (122، 273)؛ جِلَّق (60)؛ بلدة قيرقيسيا في الشام (60) إشبيلية (4)؛ بلدة مَوْرُور في الأندلس (228)؛ تونس (227، 233، 270).

وذكر «القوم»، أي الصوفيَّة (48، 92، 156، 235، 270، 287، 288، 344).

وأشار إلى أسماء أعلام مؤنثة، مثل: مَهبلند. وقد ذكرها في العديد من قصائد هذا الدِّيوان. وزينب (54، 57، 58، 59، 60، من 346 إلى 352). واستعمل حروفها في مفتتح كلِّ بيت من القصيدة رقم (54). كما أنَّه صحَّف الباءَ في اسم «زينب» تاءً في البيت السَّابع من القصيدة (138) حين قال: «فيا زِينَتَ الدنيا بتصحيف تائِهَا» حتى نتفطن إلى أنَّه يقصد «زينب»، ويكتب «زينت» بتاء مبسوطة بدل الباء، وليس بتاء مربوطة حتى لا تختلط مع كلمة «زينة».

إنَّ اسم «زينب» يشير إلى «زين الباء» وهي كناية عن تجلِّي الوجود، لذا يبوئ الشيخ اسم «زينب» مكانة رفيعة في أشعاره مقارنة باسم «ليلى» الذي نجده يحتلّ

منزلة الصدارة عند غيره من الشُّعراء العرفانيِّين أمثال ابن الفارض والشُشتري والحراق.

وذكر اسم امرأة تعرف بالخنساء (66، 69، 71، 100، 101، 112، 117، 118، 119). وذكر «أخت ابن العماد»، (54، 59).

كما استعمل اسم «شرف»: (13، 71،74)؛ واسم «شيريِ» (348)، وهي أوّل مرّة نصادف مثل هذا الاسم في شعر ابن العربي، ولعلَّه أن يكون اسمًا مُرخَّمًا، أي «شيرين». كما استعمل اسمًا أعجميًا آخر هو «أبسليم» (96)؛ واستعمل كنية أم أحمد (36)، وكنية أم عيسى (38)؛ والصحابية أم معبد (36)، وآسية امرأة فرعون (38)؛ وفاطم (319)؛ والست (39، 71، 73، 119، 324)؛ وستُّ الكُلّ، وستُّ الحُسْن (319)؛ وهند (35، 66، 70)؛ ولبنى (322)؛ وسمر (322، 280)؛ وليلى (97، 119)؛ وسلمى (47، 97)؛ وصفية (33، 34)، ويطلق عليها في القصيدة رقم (317) لقب «سِتّ الحِسان». كما يلقبها بألقاب أخرى «سِتّ الصَّفَاء، صفوة الدين» (انظر القصائد من 91 إلى 99 في الجزء الرابع).

إنَّ حضور هذه الأسماء في شعر ابن العربي يدل على المكانة المركزيّة التي تحظى بها المرأة عند الشيخ من حيث إنَّها مجلًى من مجالي التجلّيات والمعارف الإلهيّة.

المعاجم اللُّغويَّة:

معجم المحبّة طاَغٍ في الاستعمال في هذه المجلَّدة أيضًا كما هو شأن الجزء الرابع والمجلَّدة السَّابعة المحققين. يفتتح الشَّيخ الجزء الثالث بأوَّل قصيدة ينصح فيها بتقييد الأوصاف وعدم إطلاقها في جناب اللَّـه حتى تتميَّز المراتب، فالرب رب، والعبد عبد. فهو هنا يتحدَّث من باب الفرق لا من باب الجمع. ثمَّ في القصيدة الثانية يؤكِّد هذا المعنى حينما يرى هذا الوجود في النَّفْس وفي الآفاق، فيحار في هذه المعية. وفي القصيدة الثالثة يتحدث عن التَّوحيد ويلزَمُ الفقْرَ إلى مولاه الإله الغنيّ ليصل بنا في القصيدة رقم (4) حيث يعلن عن أهمّيَّة طريق المحبَّة، ويسند حديثًا بهذا الخصوص في قصيدة يقول فيها:

حَـدَّثَ الـشَّـيْـخُ أَبُـونَـا ... عَـنْ أَبِـيـهِ عَـنْ قَـتَـادَةْ
عَـنْ عَـطَـاءِ بْـنِ يَـسَـارٍ ... عَـنْ سَـعِـيـدٍ عَـنْ عُـبَـادَةْ
إِنَّ مَـنْ مَـاتَ مُـحِـبًّـا ... فَـلَـهُ أَجْـرُ الـشَّـهَـادَةْ
ثُـمَّ قَـدْ جَـاءَ بِـأُخْـرَى ... مِـثْـلِ هـذا وَزِيَـادَةْ
عَـنْ فُـضَـيْـلِ بْـنِ عِـيَـاضٍ ... وهْـوَ مِـنْ أَهْـلِ الـعِـبَـاده[1]
إِنَّ مَـنْ مَـاتَ خَـلِـيًّـا ... كَـانَـتِ الـنَّـارُ مِـهَـادَةْ

وقد أخبرنا الشَّيخ بأنَّه قال هذه القصيدة في إشبيلية، فهي قصيدة مبكرة. ونحن نعلم أنَّه انتقل مع أسرته من مرسية إلى إشبيليَّة عام 568 للهجرة، واستوطنها إلى أن غادر الأندلس والمغرب إلى المشرق سنة 597. ونرجِّح أنَّ «الشيخ أبونا» المذكور في أوَّل القصيدة هو «ابن سيدبونة»[2] الشَّيخ الأوحدي، أبو أحمد جعفر ابن سيدبونه الخزاعي الأندلسي (524 ـ 624)، الذي كان مستقرًّا في شرق الأندلس. وقد كان من آخر من التقاهم الشَّيخ قبل مغادرته إلى المشرق. فهي قصيدة قيلت على الأرجح بين سنوات 590 و597. والغالب أنَّه أسقط رجال السند النازل واكتفى بالسند العالي لضرورة الشعر وطول ذلك.

ومن القصائد الغزليَّة العرفانيَّة البديعة في هذا الجزء، القصيدة رقم (66) التي استعمل فيها صورًا بلاغيَّة مركبة في وصف المحبوبة، وهي تقطر رقَّةً وجمالًا:

فـي الـرِّيـقِ مـنـكِ ثـلاثٌ ... خـمـرٌ ومِـسْـكٌ وشَـهْـدُ
كـمـا لـشـخـصـكِ أيـضًـا ... ثـلاثـةٌ هُـنَّ سَـرْدُ
شـمـسٌ وغـصـنٌ ودِعْـصٌ[3] ... وجـهٌ ورِدْفٌ وقَـدُّ

---

(1) كتبت في الأصل «العياده»، لكنَّنا نرجح «العباده» التي عرف بها الفضيل بن عياض. في نسخة شهيد علي باشا رقم 1177 (و. 43) بخطِّ الشَّيخ، «وهو من أهل الزّهاده»، وكذلك مخطوط جامعة إستانبول رقم 1438 (و. 78)، وديوان الزينبيَّات (و. 253). أمَّا في نسخة جينيل (و. 277)، فلدينا رواية ثالثة هي: «وهو من أهل الزياده».

(2) قد يكون أصل اسم «ابن سيدبونة» تحريفًا من عامَّة أهل الأندلس من أصول قشتاليَّة لكلمة «الشيخ أبونا».

(3) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة. وفي هذه الصورة البلاغيَّة روعة لأنَّه شبَّه إشراق وجهها بضياء الشمس، وقوام قدِّها بالغصن، ولينَ أردافها بقطعة الرمل المستديرة الناعمة. كما شبَّه في البيت الأوَّل ريقها بأنَّه مُركَّب من ثلاثة أشياء، فهو مُسكر كالخمر، وطيِّب الرائحة كالمسك، وحلو المذاق كالشهد. وقد ناب ريقها وقوامها عنها فَوْفَيا.

ولنا أن نطرح السؤال عن ماهية الحبّ، ونحن نتعرّض لمعجم المحبّة عند المؤلّف. وجواب الشّيخ هو أنّ الحبّ لا يُحَدّ، لكنّه يُعْرَفُ بآثاره ولوازمه ونتائجه، ويتجلّى في كلّ شيء؛ فالمحبّ الحقيقيّ يبصر محبوبه في صور الأكوان أو المحبوبات، ويسمعه في الأشجار والأزهار والأحجار والأقمار. وعند الشّيخ أنّ **الحقّ من حيث حقيقته وهويّته لا يُشهد ولا يُرى، وإنّما الذي يُشهد ويُرى هو تجلّيه في صور الممكنات**. ولا يراه الرّائي إلّا من حيث استعدادُه؛ والاستعداد منه ما هو ذاتي، وبه تكون الرؤية؛ ومنه ما هو عَرَضي بما اكتسبه من العلم باللّـه. ويحصل التفاضل في التّجلّي بين الرّائِينَ بحسب نوع الاستعداد وقوّته عندهم.

هذا التّجلّي يتقيّد بما يقوم بالرائي من الإدراكات العقليّة والحسّيّة والفكريّة. ويؤكّد هذه الحقيقة في القصيدة رقم (250). كما يؤكّد أنّ هذه الأكوان ما هي إلّا تجلّيات للحقّ كما في القصيدة (251) حتى ولو ظهرت في صورة قد تبدو منكرة لنا أو غير مألوفة.

التجلي في صور المعتقدات:

لقد كان استعمال كلمة «صورة» و«صور» طاغيًا في هذا الدّيوان، وهي تأخذ معان كثيرة، ويستعملها بكثرة كما في القصيدة (246). والشّيخ يَعُدُّ كلّ ما في الوجود المعلوم مرموزًا في الحروف.

وكما أنّ نَفَسَ الرحمن يُبْرِز صُوَرَ الممكنات من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فكذلك الإنسان يُبْرِزُ صُوَرَ الحروف حسب مخارجها المختلفة بنَفَسِه البارز من صدره إلى شفتيه.

وممّا يتعلّق بمعنى «الصورة» عند الشّيخ الأكبر، الأبيات الشهيرة:

لقدْ صارَ قلبي قابلاً كُـلَّ صورة	فـمَـرْعًـى لـغِـزْلَانٍ وديـرٌ لـرُهْـبانِ
وبَـيْـتٌ لأوثـانٍ وكـعـبـةُ طـائـفٍ	وألـواحُ تـوراةٍ ومُصحفُ قـرآنِ

أديـنُ بدينِ الحبّ أنّـى توجّهتْ رَكَـائِبُـهُ فالدينُ[1] ديني وإيماني

وهي الأبيات التي تردّدها الألسن اليوم في كثير من المحافل والمكتوبات، دون إدراك لمعانيها عند الشّيخ حيث يحمّلونها ما لا تحتمل من التأويلات البعيدة، وهي عنده لا تعني تكافؤ الأديان أو تمييع المعتقدات باصطناع نسبيّة صوريّة زائفة، فالحقّ واحد وإن تعددت أوجهه؛ وإنّما يقصد الشّيخ أنّ هناك ثلاثة أنواع من التجلّيّات: تجلّيّات في الأفعال، وتجلّيّات في صورة المعتقدات، وتجلّيّات في صور المعقولات. إنّ صورَ التجلّيّات جسورٌ يُعْبَرُ منها إلى أمور لا يَصِحُّ أن تُشْهَدَ أو تُعْلَم.

فالدين واحد وصور المعتقدات وتجلّيّاتها متعدّدة. أو لنقل بلغة العصر، إنّ الدينَ واحد، وصُوَرَ التَّدَيُّن متعدّدة، فهو لا يقول في هذه الأبيات الشهيرة أنّه يساوي بين الأديان لأنّ الدين على الحقيقة واحد، ولا يصح أن نتصوّر أنّ الشيء يساوي نفسه، وإنّما المُراد من قوله إنّ الناس يتديّنون بأنواع من التّديُّن، ويعتقدون اعتقادات كثيرة. والشّيخ يقول بأنّ جميع هذه الاعتقادات فيها نسبة من الحقّ، ولهذا يقبل قلبُه صورَها، أي أنّه يقبل صورة الحقّ التي في كلّ معتقد منها، لا أنّه يقبل كلّ ذلك المعتقد حتى بما فيه من باطل؛ فشتّان ما بين ما يرمي الشّيخ إلى معناه، وبين ما يحمّله أصحاب الأهواء لهذا القول من المعاني البعيدة التي تريد إضفاء نسبيّة ساذجة على الحقّ، لا معنى لها في الحقائق الإلهيّة ولا وجود، لأنّ الحقّ مُطلق عن كلّ قيد.

---

(1) استعمل ابن العربي في الجزء الرّابع الأصليّ من الدّيوان الكبير الذي حقّقناه، عبارة «فالدين ديني»، بينما استعمل مخطوط مكتبة الحرم المكّي الشريف رقم 2313 عبارة «فالحب ديني» (الورقة 66)، إلّا أنّ الناسخ يقول في آخر ورقة بأنّ هذه النسخة قوبلت على نسخة سقيمة. ورواية «فالحبّ ديني» هي التي جاءت في النسخ المطبوعة من ديوان ترجمان الأشواق. لكنّ المخطوطات الأخرى التي تفحصناها تورد رواية «فالدين ديني»، مثل مخطوط رشيد أفندي 1282 (الورقة 4)، ومخطوط الحميديّة 1140 (17)، وديوان المعارف الإلهيّة (62)، والمعنى في النهاية هو «فدين الحبّ ديني». وقد استعمل ابن العربي عبارة «أدين بدين زينب» في القطعة رقم (502) من الجزء الرابع. كما استعمل عبارة «أدين بدين عيني» في قطعة أوردها في ديوان المعارف الإلهيّة (ورقة 231).

ولكي نُقرِّب المعنى المُراد للشَّيخ الأكبر من هذه الأبيات، نقول بأنَّ صور المعتقدات والتجلِّيات تترادف على قلب العارف، فلا يَعْلَقُ به منها إلَّا ما كان له صفة الإطلاق والحقِّية فيقبلها، ويطرح ما دونها ممَّا ليس له تلك الصفة، وذلك هو معنى الحديث «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»، فالقلب دائم التقلُّب في تلك التجلِّيات. إن في الصورة أثرًا من المصور، وذلك الأثر هو بصمة الحقّ فيها. إنَّ قلب العارف له وجهة إلى كلّ جهة فيأخذ من كلّ واحدة منها ما لها من الحقّ، ويترك ما ليس كذلك. فهذا معنى دقيق شريف لطيف في غاية الخفاء والاستيعاب والهيمنة، مُبايِنٌ للفهم السطحيّ التلفيقيّ الساذج الذي تُوَظَّفُ فيه تلك الأبيات من قِبَلِ ذوي الأهواء، ومَنْ في حُكْمِهِم من الجُهّال والمقلِّدة.

وممَّا يُمكن أن نورده في هذا المقام ما ذكره عبد الغني النابلسي في كتاب «الوجود الحقّ والخطاب الصدق»، قصَّة الجارية السَّوداء التي سألها النبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام: أين اللّـه؟ فقالت: إنَّ اللّـه في السماء، فشهد لها النبيّ بالإيمان وقال «مؤمنة ورب الكعبة»، علمًا بأنَّ الحقّ غير متحيّز لكنَّ مَبْلَغَ عِلْمِ تلك الجارية لا يمكنه أن يُدرك أكثر ممَّا قالت عن شأن الألوهيَّة.

وممَّا أورده النابلسي[1] قوله «وقد بلغنا أنَّ عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام مر برجل ساجد وهو يقول في سجوده: يا رب لو علمت أين حمارك الذي تركبه لعملت له بردعة ورصَّعتها بالجواهر. فحرَّكه عيسى عليه السَّلام، وقال: ويحك، وهل للّـه تعالى حمار؟ وأنكر عليه ذلك. فأوحى اللّـه تعالى إليه: «يا عيسى، دع البرادعي، فإنَّه مجَّدني بقدر وُسْعِهِ وَطَاقَتِه، وقد جازيته على تعظيمه لي على قدر معرفته».

«ولم يجازه اللّـه تعالى إلَّا لأنَّه سبحانه يعلم أنَّه تجلَّى عليه بما تصوَّره ذلك البرادعي في عقله من الصورة المقتضية لأن يكون له حمار يركبه. فلمَّا خاطبه البرادعي وهو متجلٍّ عليه في تلك الصورة التي لا مناسبة بينها وبينه أصلًا، إذ هو سبحانه منزَّه عن الصور كلِّها، جازاه على قدر تعظيمه على قدر معرفته. وكلّ عباد اللّـه تعالى كذلك، من أنبياء وأولياء وغيرهم. فإنَّ صور التجلِّيات كلِّها على قلوب

(1) ص. 80.

العباد متساوية في أنّها صور حادثة. وإنّما الفرق بين الخواص والعوام بإنكار شيء من صور التجلّي وعدم إنكار ذلك».

ثمّ يورد النابلسي أبيات الشّيخ الأكبر «لقد صار قلبي...»...

ويضيف[1] «وإنما كان عيسى عليه السلام حين أنكر على البرادعي قوله ذلك مأمورًا ببيان أحكام الظاهر... وإلّا فإنّ عيسى عارف بالتجلّيات الإلهيّة على كلّ حال».

والقضية الثانية المرتبطة بهذه الأبيات هي مسألة دين الحب، فقد أنكر بعض المترسمة أن يكون الدين هو الحب، ولم يستحضروا في ذلك الدّليل من النصّ، ولا الدّليل من الوجود؛ إذ لا يخلو الأمر عن أحد منهما. أمّا النصوص فواضحة كقوله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون اللّـه فاتبعوني يحببكم اللّـه ورسوله﴾. ودين الحب هو اتّباع المحبوب فيما أمر ونهى. فقد أراد الشارع أن يبيّن أنّ حقيقة الدين وجوهره هو الحبّ؛ وليس جزءًا منه فقط كما قد يتوهم البعض. أمّا دليل الوجود، فلعلّنا نورده في صورة استفهام استنكاري:

- كيف تعبده وأنت لا تحبّه؟ أو كيف تعبده وأنت لا تعرفُ حبّه؟

- كيف تقصده وأنت لا تحبّه؟

- كيف تعيش فيه وبه، وأنت لا تحبّه؟

وهذا الحب يزيد ويتقوّى في كلّ مرتبة من مراتب الدين الثلاث: إسلام، إيمان، إحسان؛ وإن شئت قلت:

- **كيف تعبد المعبود بحق وأنت لا تحبّه بحقّ؟**

- **كيف تقصد المقصود بحق وأنت لا تحبّه بحقّ؟**

- **كيف تعيش في الموجود الحقّ وأنت لا تحبّه بحقّ؟**

فالحبّ على الحقيقة هو حديث عن جوهر الدين الذي يجعل المُحبّ يخرج عن أنانيّته الضيّقة وينفسح إلى رحابة الوجود الواسع. لا يُمكن للإنسان المؤمن أن يبني علاقته بربّه أو مع الناس أو مع جميع الموجودات، أو مع الحياة

---

(1) ص. 81.

بصفة عامّة إلّا بالحبّ. فبدون استشعار الحبّ للمحبوب لا يكون إيمان، وقد قال عليه الصلاة والسلام «أوثق عرى الإيمان الحب في اللّـه...». فَدُونَ الإنسان عُرًى كثيرة، لكنَّ أوثَقَها عُروةُ الحبّ.

وارتباطًا بهذه المسألة هناك قضية أخرى تثير التشويش وسوء الفهم لدى كثيرين، وهي قضية وحدة الوجود التي تنسب إلى الشَّيخ الأكبر.

ولبيان معنى ذلك، ينبغي أوّلًا أن نقول بأنَّ هذه العبارة لم ترد إطلاقًا بهذا اللّفظ عند ابن العربي في مكتوباته سواء في كتاب الفتوحات المكّيّة أو الفصوص، وهما من أهمّ كتبه التي بسط فيها مذهبه الوجوديّ؛ لكنّنا نجد عبارة قريبة من هذا، استعملها في ورد ليلة الجمعة من «**أوراد اليوم واللّيلة**» التي رتّبها حين يقول: «أَسْأَلُكَ بالسّرّ الذي جمعتَ به بين المتقابلات أن تجمعَ عليّ مُتَفَرّقَ أمري جمعًا يُشْهِدُنِي وَحْدَةَ وجودِكَ وَاكْسِنِي حُلَّةَ جمالك وتوّجْني بتاج جلالك..».

كما يقول في كتاب المعرفة (المسألة 165) «**اعلم أنَّ حقيقة الوجود واحدة**»، ويقول في موضع آخر (المسألة 274) «**اعلم أنّك إذا علمت وحدة الحقيقة الوجوديّة..**».

هذه هي المواضع الثلاثة التي وجدناها في مكتوبات الشَّيخ تشاكل عبارة «وحدة الوجود».

فما هو مذهب الشَّيخ بالنظر إلى هذه القضية؟

إنَّ مطلبَ العارفِ تحقيقُ الوجود والتَّعرُّفُ عليه حيثما وجده ﴿فأينَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّـهِ﴾، وليس من طريقٍ لذلك غير صُوَرِ التجلّيات. فحينما يتوجّه المصلّي صوب القبلة، فهو يُقبِل على صورة تنزُّل الحقّ في تلك الجهة لا معتقدًا أنّها هو، أو أنّه هي، بل ينبغي أن يلزم الأدب في استقبال القبلة، وعَدَمَ حَصْرِ وَجْهِ الحق في القبلة، بل هي من جُمْلَةِ أَيْنِيّاتِ تَوَلّي العباد وتوجُّههم، وهي صُوَرُ اعتقاداتهم، والكُلُّ مأجور في توجُّهه للجهة التي تجلّى له الحقّ فيها، مثلما تجلّى الحقّ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الشجرة والجبل.

يقول[1] ابن العربي في هذا المعنى شعرًا (كامل):

عَقَدَ الخلائقُ في الإله عقائدًا ... وأنا اعتقدتُ جميعَ ما اعتقدوهُ

لَمَّا بدا في صُورِهِمْ مُتَحَوِّلا ... قالوا بما شَهِدُوا وما جَحَدُوهُ

والوجود على الحقيقة عند الشَّيخ هو اللّـه تعالى، ولا يعني هذا أو يستتبع، أنَّ الموجودات، سواء كانت حسيَّة أو عقليَّة، هي الحقّ تعالى؛ وإنَّما القصد، أنَّ الموجودات قائمة باللّـه تعالى لأنَّه هو الحيّ القيوم، وأنَّ السماوات والأرض قائمة بأمره. والوجود ظاهر وباطن، فالظاهر تراه البصائر والأبصار ولا تعلمه، والباطن تعرفه العقول من غير أن تراه. فهو الظاهر بذاته، الباطن بأسمائه وصفاته. وكما يقول الشَّيخ في ورد يوم الأحد **«إذا كشفَ فلا غَيْرٌ؛ وإذا سترَ فَكُلٌ غَيْرٌ»** بمعنى أنَّه إذا تجلَّى بصورة من الصُّور على قلب عبد من عباده، لا ينبغي أن يكون له شبهة أو شَكٌّ في أنَّ المتجلِّي هو الحقّ سبحانه وتعالى. كما أنَّه إذا استتر الحقّ في صور الأكوان فكانت حجبًا له لا مظاهر لتجلِّيه لم يكن العلم به علمًا صحيحًا.

ووحدة الوجود لا تعني وحدة الموجودات، فالوجود واحد قديم والموجودات كثيرة حادثة.

فما هو الفرق بين الوجود والموجود؟

الوجود كما قلنا واحد لا يختلف ولا ينقسم ولا يتعدَّد، والموجودات كثيرة مختلفة. فالوجود هو الأصل والموجودات صادرة عنه قائمة به، وهو الذي يصرِّفها كيف يشاء. والموجود هو شيء له الوجود لا أنَّه عينُ الوجود. ووحدة الوجود لا تفيد قطعًا وحدةَ الموجود، فمن ها هنا يقع الخلط وسوء الفهم لكثيرين فيحملون وحدة الوجود على وحدة الموجود، لأنَّ الوجود واحد لا يتعدَّد كما قلنا، والموجود ليس واحدًا، بل تعتريه الكثرة.

---

(1) انظر المخطوط رقم 1387 (و.194)، وقال في ترجمة هذه القصيدة كلامًا طويلًا، منه قوله «...لأنّي رأيت كلَّ صاحب عقد ربَطَ على عَقْدِهِ، وراعَى ما سِواهُ باطلا، فقلت هذه الأبيات أنبه بهذا أصحاب الدعاوي والغفلات... فمن كان محبوبه الحقّ تعالى، وصدق في حُبِّه، وكانت معرفته من الوجه الذي يصحُّ الكمال فيها رآه في كلّ معتقد، لأنَّ الحقّ أجَلُّ وأوسعُ أنْ يُقيِّدَه عقدٌ ما إذ كانت رحمته سبحانه وتعالى «وسعت كلّ شيء»، فكيف يكون هو، فكل اعتقاد يقبله لاتساعه. ودليله ما ذكره مسلم في الصحيح من كتاب الإيمان من التبدُّل والتحوُّل في الصور عند التجلّي، فافهم واعلم ذلك».

ولا يمكن الاعتراض على الشّيخ بالقول بأنّ «اللّـه هو الوجود» إطلاقُ اسم لم يَرِدْ ضمن الأسماء الإلهيّة التي هي توقيفيّة، فالجواب عن هذا الاعتراض أنّ هذه عبارة للتفهيم يَفْهَمُ منها كلّ أحد أنّها تنطبق على الأمر الواحد الذي كلّ شيء قائم به ومفتقر إليه، فالموجودات كلّها قائمة بالوجود مفتقرة إليه. وهذا الوجود يطلق عليه «اللّـه» أو «الحقّ»، أو ما سوى ذلك. وإذا صح هذا فلا مبرّر لاستدعاء نقاش المسألة من جهة كون الأسماء توقيفيّة أو غير توقيفيّة.

ثمّ إنّ هذا الوجود القديم ليس صفة للحقّ بل هو عين الذات الإلهيّة، فلو قلنا إنّه صفة لاقتضى ذلك معنى التركيب وهو محال. والموجودات لا تتّصف بالوجود بل هي قائمة به مُفْتَقِرةٌ إليه مُقَدَّرة في أحوالها وإمكانها. كما أنّ الوجود واحد مطلق عن كلّ التقادير والصور والقيود، لكنّه تجلّى بها لأنّه خلقها على مقتضى علمه وقدرته. ونحن لا نشاهد ولا نعلم سوى هذه القيود بالحسّ وبالعقل. ويقابل الوجودَ العدمُ، ولا يقوم الوجودُ بالعدم، والأشياء قبل اتّصافها بصفة الوجودِ عدمٌ، كما أنّها لا تقوم هي بوجودها، إذ لو صَحَّ ذلك لاستغنت عن القيام بالوجود القديم. وبناء عليه، فليس هناك وجود حادث أصلًا، وإنّما هناك وجود قديم وحده القَيُّوم على كلّ الموجودات. إنّ مجموع ما في العالم إمّا أعراض أو أجسام أو أرواح، وكلّها قائمة بأمر اللّـه، والأعراض صور محسوسة أو معقولة أو موهومة وهي لا بقاء لها، فَوَقْتُ وجودِها مقترنٌ بوقت عدَمِها، وهي متوهَّمَةُ البقاء بالتَّجَدُّد، ولهذا قال عن صور الاعتقادات «لقد صار قلبي قابلًا كلّ صورة».

إنّ أذواقَ العارفين لا يتحصّل فيها غيرُ هذا الوجود الحقّ الواحد القديم الذي لا يتبدّل أزلًا وأبدًا، وهو يظهر بالمعقولات والمحسوسات ويتجلّى بها، وهو لم يزل على إطلاقه مطلقًا حتى عن قيد الإطلاق بلا تعيُّن ولا تقييد. أمّا الأشياء المعقولة والمحسوسة فهي على عدمها الأصليّ لا تنفكُّ عنه. كما أنّها مترتِّبَةٌ بالوجود الحقّ وظاهرة به ومستترة به. ولا ينضبط بهذا الظهور أو الاستتار لدى العارفين أيّ صورة أو معنى. وكلّما انضبط ذلك في إدراكاتهم نَفَوْهُ عنه ونزّهوه عن تلك الصور والمعاني. إنّ الأشياء موجودة بوجود اللّـه لا بوجودٍ آخَرَ غير هذا الوجود القديم، فهو القَيُّوم على جميع الموجودات، والخالق لها المقدِّر لها بقدرته وإرادته على مقتضى علمه.

فالوجود ظاهر بالأشياء، وهي ظاهرة بوجود اللّـه. فإذا كان اللّـه تعالى ظاهرًا بالوجود بطنت الموجودات كلُّها وفنيت في وجوده، وإذا كانت الأشياء ظاهرة بالوجود بطن الحقّ واحتجب بصور الموجودات، فهو الظاهر ـ الباطن.

وبناء على ما تقدَّم، فإنَّ قول القائل بأنَّ «الوجود الحقّ هو اللّـه» معناه أنَّ «اللّـه تعالى هو الموجودات» مغالطة كبيرة وتزييف للحقيقة، فحاشا للّـه أن يكون هذا هو المعنى المُراد من أقوال العارفين، وإنَّما تسرَّبَتْ هذه المغالطة وسوء الفهم من عدم التَّمييز بين الوجود والموجود. إنَّ افتقار الموجودات إلى الوجود مانع من أن يكون الوجودُ صفةً للحوادث، فينبغي التَّحَرُّزُ في فهم مذهب الشَّيخ الأكبر وكبار العارفين.

ومن التُّهم الباطلة التي يربطونها بمذهب وحدة الوجود تهمة الحلول حين يزعمون «بأنَّ الوجودَ الذي به كلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ هو اللّـه تعالى، قولٌ بحلول اللّـه تعالى في الأشياء، واتِّحاده بها»، ويُشنِّعون على العارفين في ذلك، وهذا من التَّلبيس والجهل بمعاني الكلام. فقيام الموجودات بالوجود معناه أنَّه ليس لهذه الموجودات وجودٌ بغيره سبحانه، وتكون الأشياءُ قائمةً به في إمكانها. **أمَّا الحلول فمعناه أن يكون وجودان يَحُلُّ أحدهما في الآخر، وليس هناك إلَّا وجودٌ واحدٌ قامت به الموجودات** بمقتضى التَّقديرات الإلهيَّة، فكيف يُتَصَوَّرُ حلولٌ أصلا؟

فلو تصوَّر من يقول بتهمة الحلول أنَّ الموجودات أو الأشياء عاريةٌ عن الوجود، ثمَّ تصوَّر بعد ذلك بأنَّها قائمةٌ بالوجود لما حصل له هذا التَّشويش والتَّخليط وسوء الفهم.

القسمة الثلاثيَّة:

من الخصائص المرتبطة ببعض القصائد الغزليَّة الواردة في هذا الدِّيوان، ما سبق وأن أشرنا إليه في تحقيقنا للجزء الرابع، والمجلَّدة السَّابعة بخصوص القسمة الثلاثيَّة التي يقترحها الشَّيخ لإدراك القصائد وفهمها وتأويلها. وهذه القسمة لم ترد في هذه المخطوطة، لكنَّنا أوردناها بخصوص قصائد هذا الجزء من الدِّيوان في

الحاشية نقلًا عن ديوان المعارف الإلهيّة[1]، وديوان الزينبيّات. وهي قسمة في غاية التفرُّد والنَّفاسة تُوقِفُنا على مصادر وموارد هذه الأشعار، وكيف تتنزَّل في مختلف المراتب انطلاقًا من مرتبة الرُّوح، مرورًا بمرتبة الخاطر الحامل لها، ووصولًا إلى مرتبة السماع حينما تَطْرُقُ الأسماع. ولا شكَّ أنَّ هذه القسمة تحتاج إلى دراسة مستوفية مستفيضة للوقوف على سر الارتباط الحاصل بينها وبين ما تحيل عليه من أشعار.

وقد أوردنا في حواشي هذا الجزء الثالث هذه القسمة لست وثمانين (86) قصيدة، أخذناها من ديوان المعارف الإلهيّة أساسًا، وبدرجة أقلّ من ديوان الزينبيّات. ولاحظنا أنَّ هذه القسمة غير مطردة، فمرة تقتصر على ذكر الرُّوح والخاطر دون السماع[2] وذلك في تسع وثلاثين قصيدة (39)؛ والقصائد المتبقية (47) تورد عناصر القسمة الثلاثيّة كاملة. كما أنَّ هذه القسمة ليست متطابقة دائمًا بين ديوان المعارف الإلهيّة وديوان الزينبيّات، ممّا يدلّ على أنَّ الشَّيخ كان يذكر القسمة وفق وارد الوقت.

وهذا جدول يبين أرقام القصائد التي أوردنا بشأنها تلك القسمة في هذا الجزء الثالث:

---

(1) يبلغ عدد القصائد أو القطع التي أورد الشيخ بشأنها هذه القسمة في ديوان المعارف الإلهيّة 587 قصيدة أو قطعة، وهي نسبة كبيرة، أفرد منها مئة وتسعة وثلاثين (139) لقسمة ثنائيّة اقتصرت على عنصريَ الرُّوح والخاطر، بينما أورد القسمة تامّة في القصائد المتبقية وعددها أربع مئة وسبعة وأربعين (447)، وتحدَّث فيها عن الرُّوح والخاطر والسماع. وقد ابتدأ الحديث عن القسمة المذكورة ابتداء من الورقة (203 ب) إلى نهاية الدِّيوان (و. 273 أ). وأوَّل قطعة يُفتتح بها هذه القسمة هي: «النار تضرم في قلبي وأحشائي... والموت ما بين تقريبي وإقصائي» التي ترجم لها بقوله «وروحها شامي إرمي» من دون ذكر الخاطر والسماع. أمّا آخر قطعة فمطلعها «ألا يا بانة الوادي... بشاطئ نهر بغداد»، وترجم لها بقوله «والرُّوح صوب، والخاطر تشبيه، والسماع تنبيه». وهذه القطعة الأخيرة هي من قصائد ديوان ترجمان الأشواق البالغ عددها واحدًا وستين قصيدة (61)، والتي بها يختتم ديوان المعارف الإلهيّة.

(2) حول اختلاف وارد الوقت في مرتبة السماع، يقول الشَّيخ في قصيدة «يا طللا عند الأثيل دارسًا... لاعبتُ فيه خرَدًا أوانسا» (ترجمان الأشواق، ص 75): «كنّا قد نزعنا في شرح هذه القطعة وغيرها منازع مختلفة في مواضع شتّى على حسب ما يعطيه السماع في وارد الوقت، فالآن أيضا أقول فيها...»

القصائد	القسمة الثلاثية		
	الرُّوح	الخاطر	السماع
35	والرُّوح هندي	والخاطر أمدي	والسماع أبدي
37	والرُّوح أعياد	والخاطر غضب ميّاد	والسماع اعتماد
38	والرُّوح أرض عبادة	والخاطر حسنى وزيادة	والسماع إفادة
39	والرُّوح سر لا يذاع	والخاطر ما لا يستطاع	والسماع دفاع
40	والرُّوح دلائل	والخاطر وسائل	والسماع داع شامل
41	والرُّوح حيرة	والخاطر دهش	والسماع ارتعاش
42	والرُّوح تحيير	والخاطر حيرة	والسماع تلوين
44	والرُّوح ميعاد	والخاطر وداد	والسماع انتقاد
45	والرُّوح إبلاغ	والخاطر بلاغ	والسماع استفراغ
46	والرُّوح صوب	والخاطر تشبيه	والسماع تنبيه
54	والرُّوح زعامة	والخاطر غرامة	والسماع للسماع في أول كلمة من كل بيت
55	وروحها وسم	وخاطرها رسم	وسماعها طسم
57	وروحها استفهام	وخاطرها إعلام	وسماعها إلمام
58	وروحها نار	وخاطرها نور	وسماعها اعتبار
59	والرُّوح مسير	والخاطر مصير	والسماع وزير
60	والرُّوح وطاء	والخاطر استبطاء	والسماع عطاء
61	والرُّوح تعيين	والخاطر تضمين	والسماع وارد لا يمين
62	والرُّوح إخلاص	والخاطر تسليم	والسماع انقياد
63	والرُّوح طلب حج	والخاطر زيارة	والسماع نعيم
64	والرُّوح بلاغ	والخاطر محافظة	والسماع ارتياع

65	والرُّوح قوت	والخاطر موت	والسماع إباحة
66	والرُّوح ظن حسن	والخاطر نبل	-
67	والرُّوح احتراق	والخاطر ذوبان	-
68	والرُّوح سؤال	والخاطر نوال	-
69	والرُّوح علو	والخاطر يأس	-
70	والرُّوح اعتراف	والخاطر اتصاف	-
71	والرُّوح اصطفاء	والخاطر وفاء	-
72	والرُّوح أمانة	والخاطر خيانة	-
73	والرُّوح تعريض	والخاطر تورية	-
74	والرُّوح عنعنة	والخاطر شغل بال	-
75	والرُّوح افتخار	والخاطر تَذكار	-
76	والرُّوح ندائي	والخاطر وصالي	-
77	والرُّوح نكتة بديعة	والخاطر سر الطبيعة	-
78	والرُّوح تأله	والخاطر تَأَيُّه	-
79	والرُّوح عجز	والخاطر عز	-
80	والرُّوح غريب	والخاطر أغرب	-
81	والرُّوح إعراض	والخاطر إحماض	-
97	والرُّوح تخمين[1]	والخاطر محير	-
98	والرُّوح عين	والخاطر بَيْن	-
99	والرُّوح مَالَ	والخاطر عَدَلَ	-
100	والرُّوح غلاوة	والخاطر علاوة	-
101	والرُّوح نيابة	والخاطر استدعاء	-

(1) ترجم لها في ديوان الزينبيّات «والرُّوح اتّصال، والخاطر اتّصال واتّحاد».

102	والرُّوح تعريض	والخاطر إشارة	-
103	والرُّوح علو	والخاطر دنو	-
104	والرُّوح حق ناطق	والخاطر معرف صادق	-
105	والرُّوح قال	والخاطر مقال	-
106	والرُّوح رسالة	والخاطر تبليغ	-
107	والرُّوح إبلاء	والخاطر ابتلاء	-
108	والرُّوح شغل	والخاطر وصف حال	-
109	والرُّوح شوق مقلق	والخاطر وجد محرق	-
110	والرُّوح انقباض	والخاطر بسط	-
111	والرُّوح إلمام	والخاطر استفهام	-
112	والرُّوح إلمام	والخاطر إعلام	-
113	والرُّوح روح	والخاطر سبوح	-
114	والرُّوح تراع[1]	والخاطر استمتاع	-
115	والرُّوح إعزاز[2]	والخاطر إعجاز	-
116	والرُّوح مجيبة	والخاطر منحلة مجهلة	-
117	والرُّوح ملاحة[3]	والخاطر طلب راحة	-
118	والرُّوح تعذيب	والخاطر ترغيب	-
119	والرُّوح جنون	والخاطر مفتون	-
316	والرُّوح رباني نسبته	والخاطر تسليم لمشيته	والسماع تسليم لمشيئته
317	والرُّوح ابتغاء	والخاطر تعريف	والسماع تضعيف

(1) ترجم لها في الزينبيّات «والرُّوح استغراق، والخاطر استحقاق».
(2) ترجم لها في الزينبيّات «والرُّوح تذكرة، والخاطر تبصرة».
(3) ترجم لها في الزينبيّات «والرُّوح اغتراب، والخاطر انتداب».

318	والرُّوح حضور	والخاطر غيبة	والسماع سرور
319	والرُّوح توأمان	والخاطر مِثْلان	والسماع خَتْنان
320	والرُّوح سماوي	والخاطر معدني	والسماع تمني
321	والرُّوح معنى	والخاطر مَغنى	والسماع عَنَا
322	والرُّوح تثليث	والخاطر تحنيث	والسماع تأنيث
323	والرُّوح نص	والخاطر تعيين	والسماع فص
324	والرُّوح قصاص أنثى بأنثى	والخاطر خادم أو خنثى	والسماع توبة
325	والرُّوح مُشاكل	والخاطر مُماثِل	والسماع مُمازجة
326	والرُّوح مدينة	والخاطر أمنية	والسماع تكوين
327	والرُّوح أخفى	والخاطر جفا	والسماع اصطفى
328	والرُّوح غرور	والخاطر أمان	والسماع أمال
329	والرُّوح أمان الرقباء	والخاطر إنباء	والسماع أنباء
330	والرُّوح طِيب طبيب	والخاطر ملاحظة حبيب	والسماع مشاهدة رقيب
331	والرُّوح حالة العشق مرعية	والخاطر حماية له في حمية	والسماع اهتزاز نفوس أبية
346	والرُّوح مُعَمّى[1]	والخاطر مُسَمّى	والسماع أعمى
347	والرُّوح محاضرة	والخاطر مناظرة	والسماع مسامرة
348	والرُّوح قناعة	والخاطر مجاعة	والسماع شناعة
349	وروحها علاقة مجهولة	وخاطرها جملة معلولة	وسماعها قضية معقولة
350	والرُّوح إغفال	والخاطر إهمال	والسماع بال

(1) ترجم لها في الزينبيّات «والرُّوح مُعمّى، والخاطر أجلّ مُسَمّى، والسّماع إغْمَا»، أي إغماء.

351	والرُّوح عين وخبر	والخاطر مشاهدة	والسماع نظر
352	والرُّوح اجتماع	والخاطر ما لا يستطاع	والسماع كشف قناع
353	والرُّوح فاكهة مطيبة	والخاطر إشارات مغيبة	والسماع فتح باب
354	والرُّوح تخليط	والخاطر سلام لوط	والسماع تحنيط
355	والرُّوح خوف	والخاطر حيف	والسماع وجود

وقد حرصنا على إيراد هذه القسمة بخصوص هذه القصائد الواردة في هذا الجزء الثالث حتى يقف القارئ على كيفية تلقي هذه الأشعار وتذوقها وفق هذه الشبكة التحليلية العرفانية. فالرُّوح إما كلي أو جزئي. والخاطر إما إلهي، أو ملَكي، أو نفساني، أو شيطاني. والسماع إما مطلق أو مقيد؛ فالمطلق روحاني أو إلهي؛ والمقيد هو السماع الطبيعي.

الرُّوح		الخاطر				السماع		
كلي	جزئي	إلهي	ملكي	نفسي	شيطاني	مطلق		مقيد
						روحاني	إلهي	طبيعي

فينبغي أن يعرف القارئ أنّه لا يُمكن أن يقول قولًا في هذه الأشعار قبل أن يعرف أوّلًا مواردَها فيه، ويعرف نوعيّة الرُّوح والخاطر والسماع، ويُحيلَ كلَّ واحد منها إلى موضعه، ويُحْكِمَ ذلك بالتمام والكمال، فتلك هي الحكمة بعينها.

في القصيدة رقم (351)، يترجم الشّيخ لها بقوله «والرُّوح عين وخبر، والخاطر مشاهدة، والسماع نظر»، فنراه قد جمع في «الرُّوح» بين العين والخبر، أي بين السمع والبصر؛ فيما جعل «الخاطر» مشاهدة، ثمَّ جعل السماع نظرًا، فهل هو نظر الفكر أو نظر العين؟ لكن يبدو رجحان الشهود على السمع في هذا الموطن، وفضل العين على الأذن. ولا يخفى أنَّ كلَّ جارحة من الجوارح تختصّ بأمور لها بالأصالة، فالعين لا تقبل إلّا السّهر والنوم، وغايتها النظر والرؤية والمشاهدة؛ بينما الأذن لا تقبل إلّا الخطاب، فليست المشاهدة والنظر منوطين بالسّمع، لكن

قد تحصل النيابة بينها أحيانًا، فينوب الواحد عن الثاني[1]. والشّيخ يوضح منذ البداية أنّ هناك فرقًا بيّنًا بين عشق الأذن وعشق السماع، فالأذن تعشق ما يصوره الوهم، بينما العين تعشق ما تراه محسوسًا من الصور. وصاحب العين ملتذٌّ بصورة محبوبه، بينما صاحب السّمع لا يَقْدِرُ أن يَدْفَعَ صور الأغيار التي تهجم عليه في حضرة المحبوب. ومع هذا الاختلاف بين السَّمْع والبصر، فإنّ حظّهما من الهوى مشترك في زينب، التي هي كناية عن الحضرة الذاتيّة لأنّ الذات لا تُشْهَد. ومن ناحية ثانية، فإنّ الشّيخ يرى أنّ لأعضاء الإنسان وجوارحه أرواحًا مدبرة[2]، فمثلًا روح اليد هو القدرة، وروح العين هو البصر، وروح الأذن هو السّمع. وهناك فرق كبير بين السّمع والبصر، ولهذا عبّر عنه بقوله في البيت الأوّل «شتان ما بين عشق العين والخبر». والدّليل على ذلك أنّ النّبيّ عليه الصلاة والسلام قال عن الصلاة التي هي حضرة مناجاة (أي كلام وسمع) بين العبد ومعبوده «وجعلت قرّةُ عيني في الصلاة»، فعبّر بالغاية (قرّة عيني) وهي المشاهدة، ودلّ على أنّه لم يقصد منها المناجاة، وإنّما أراد شهود من ناجاه. ويؤكّد هذا المعنى قوله دائمًا أنّ «اللّـه في قبلة المصلّي»، وقال «اعبد اللّـه كأنّك تراه»، فالبصر والشهود أسمى من السّمع والخبر في هذا الموطن. وهذه حضرةُ مشاهدة محمديّة، بخلاف الحضرة الموسويّة التي هي حضرة مناجاة وكلام.

الرّمز في شعر الشّيخ الأكبر:

أورد الشّيخ الأكبر في بداية الباب السادس والعشرين من الفتوحات المكّيّة أبياتًا حول أهمّيّة الرّموز، أوضح فيها أنّ كلّ ما في العالم رموز على خالق العالَم، إذ لولا وجود هذه الرموز وإطلاقها لَعُدَّ ذلك كفرًا. وابن العربي يرى أنّ الرموز والألغاز

---

(1) من باب النيابة، قول بشار بن برد (ت 96 ـ 186 هـ):
يا قومِ أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ... والأُذْنُ تعشَقُ قبل العين أحيانًا
قالو بمن لا ترى تهذي فقلت لهم... الأذن كالعين تُؤتي القلب أحيانًا.

(2) الأرواح على ثلاث مراتب: **أرواح مهيمة** في جلال اللّـه لا شغل لها إلّا تعظيمه، مصروفة عن أنفسها وعن العالم؛ **وأرواح مدبّرة** للأجسام الطبيعيّة من إنس وحيوان وغير ذلك؛ **وأرواح مسخّرة** لنا مكلفة بالوحي والإلقاء والأرزاق وقبض أو إحياء الأموات والاستغفار لنا...

ليست مرادة لأنفسها، بل لما رمزت له، ولما ألغز فيها. وعلى هذا الأمر كانت الأمثال التي استعملها القرآن، فهي ليست مطلوبة لنفسها، بل جيءَ بها ليُعلم ما ضُربت له ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكّرون﴾ (الحشر، 21).

ألا إن الـرُّمـوزَ دلـيـلُ صـدقٍ	على المعنى المغيَّبِ في الفؤادِ
وأنَّ العالَمِيـنَ[1] لـه رمـوز	وألـغـازٌ لِـيُـدْعَـى بـالـعـباد
ولـولا الـلـغزُ كـان الـقـولُ كـفـرًا	وأدّى الـعـالَـمـيـن إلـى الـعِـنـاد
فهم بـالـرَّمْـزِ قد حَسِبُوا[2] فقالوا	بـإهـراقِ الـدِّمـاء وبالفساد[3]
فكيف بـنـا لـو أن الأمـر يبدو	بـلا سـتـر يـكـون لـه اسـتـنـادي
لـقـام بـنـا الـشّـقـاء هـنـا يقينًا	وعـنـد البعث فـي يـوم الـتّـنـادي
ولـكـنَّ الـغـفـورَ أقـام سـتـرا	لِـيُـسْـعِـدَنا على رغـم الأعـادي

لقد وظَّف الشَّيخُ الأكبر الرمزَ في تقريب المعاني المجرَّدة والفتوحات الغيبيَّة والمكاشفات الفيضيَّة التي كان يتلقَّاها. والرمز هو باب تلج منه العبارة التي يتمّ تعقُّلها في مرحلة لاحقة من حصول تلك المعاني المجرَّدة، ويسمِّي الشَّيخ القدرة على صوغها بمصطلح خاصّ به هو «فتوح العبارة». ويشترك في استعمال الرَّمزِ الأدباءُ والشُّعراء والفنَّانون والعارفون والحكماء والفلاسفة وأهل الأديان، وهي مجالات تتخلَّق فيها التجربة الإنسانيَّة بمواجيد يكون من العسير صبُّها في القوالب المعتادة والحدود المنطقيَّة، فيتوسَّل كلّ واحد من هؤلاء إلى تجسيد تلك الفكرة المجرَّدة أو السانحة الفيضية في قالب أو رمز محسوس، وينزلها من علياء تجريدها إلى بطحاء حسّها ممّا تألفه العين وتأنس به الأذن. وكلَّما استطاع صاحب الأمر أن يوازن موازنة تامّة بين ما شاهده أو قام به من معانٍ مجرَّدة، وصورة الرمز المحسوس كلَّما نجحت عمليَّة التَّرميز. فمسار الرمز هو من الباطن

(1) هكذا ضبطها المؤلّف (بفتح اللّام) في النسخة التي كتبها بخطّ يده.

(2) يشير إلى فرقة من السفسطائيين يقال لها «الحسبانيّة» وكانوا يقولون: إنَّ الأشياء كلّها على التوهُّم والحسبان، وكلّ الذي في الدنيا أوهام، أنت متوهَّم أنّك موجود وأنا متوهِّم أنّي موجود... وهكذا.

(3) إشارة إلى قوله تعالى على لسان الملائكة ﴿أتَجْعَلُ فيها من يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّمَاءَ ونحن نُسَبِّحُ بحمدِكَ ونُقَدِّسُ لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة، 30).

إلى الظاهر، أو من المجرّد إلى المحسوس، أو من اللّطيف إلى الكثيف، أو لنقل بلسان أهل العرفان، من الوجود إلى الوجد[1]. وقد كانت الأنثى رمزًا كليًا للتّعبير عن المعرفة والانتشاء بها. كما أنّ للنور رمزية عظيمة[2]، فهو مبدأ الوجود ومصدر المعرفة. وله مراتب وتلوينات، فهناك أنوار الذات، وأنوار الصفات، وهناك أنوار القلوب وأنوار الجوارح والأجسام، وما سوى ذلك.

وهناك مسار ثان للرّمز، بحيث قد يحدث أن ينعكس إلى أن يكون الأمر الوارد محسوسًا في بدايته، ثمّ يتوسّل له صاحبه بمعنى مجرّد، وهذا ما نصادفه عند الشّيخ الأكبر لأنّه لم يكن شاعرًا فحسب، وإنّما كان ناقدًا متأوّلًا. وقد تجلّى حسّه النقديّ العرفاني في شرحه لديوان ترجمان الأشواق، ثمّ في القسمة الثلاثيّة التي تحدّثنا عنها، والتي هي أشبه بمفتاح أو شبكة نقديّة لقراءة كلّ قصيدة وتأويلها وفق الطباق الثلاثة: الرّوح، والخاطر، والسّماع.

ونحن حينما نطالع شرح «ترجمان الأشواق» لا نجده بالشّفافة الرّوحيّة نفسها التي تختلج بها قصائد ذلك الدّيوان لأنّ الطّبقَ الحاكمَ في كلّ لحظة مختلف. فلحظةُ تَنزُّلِ الشّعر لحظة وجوديّة ووجدانيّة كلّيّة، وهي لحظة ولادة ومخاض؛ بينما لحظة الشرح لحظة تَعقُّل، وهي لحظة فِطام عن موارد الإلهام. وشتّان بينهما، لهذه كانت العبارة سلسة ودافئة في الشعر، بينما كانت أحيانًا ملتوية في الشرح، لأنّ المسار معكوس. وهذا أمر عجيب، إذ المعتاد أنّ الشّعرَ يكون أغمض من النّثر، لكنّنا نلاحظ أنّ العكس هو الحاصل في الشعر العرفاني مع القول الشارح له. والسبّب في نظرنا مردُّه إلى أنّ القول الشّعري أقدرُ على إجمال التّعبير عن تلك الفتوحات العرفانيّة من القول النثريّ. وقد وجدنا أنّ ابن العربي الشارح يوقفنا على صورة المتردّد في عَزْوِ كلّ دفقة وجدانيّة وخاطرة وجوديّة وردت في شعره

---

(1) قد ينعكس الأمر، فيكون وجدًا ينتج عنه وجود، لكن هذا يخصّ فقط الوجود المستفاد أو الثاني، أمّا الوجود الأزليّ عند الشّيخ الأكبر فليس صفة تابعة، بل هو عين الذات، وعنه تكون الأشياء وتوجد كالوجد والعلم وما سواهما، فتحقّقْ فيما نتَحَرّزُ فيه ونرمي إليه.

(2) وقد استعمل القرآن رمز النور ومثّل به كما في قوله تعالى ﴿اللّـه نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح...﴾ (النور، 35)

بقوله في ذلك التَّحليل النَّقديّ «وقد يريد[1] بـ... كذا أو كذا»، «فإما يشير إلى كذا أو كذا» في حديثه مثلا عن دلالات «الركائب»[2] أو ما سوى ذلك من الرُّموز. وهذا التَّردُّدُ هو حَالُ مَنْ لا يعلم بما في ذات مَنْ قامت به تلك الدَّفقة الشعوريَّة أو الخاطرة الوجوديَّة لحظةَ صبِّها شعرًا. والشيخ حين يوقفنا على هذا التردُّد إنَّما كان يصنع ذلك لما يعلمه من إعادة بناء المسار التأويليّ الذي تأخذه الرُّموز لاحقًا عند القراء، فكأنّه كان يستحضر تردُّدَ قُرَّاءه في ذلك التَّحليل النَّقديّ كما يفعل النقاد حينما يتردَّدون إزاء دلالات الشعر المرموز فيعدِّدون الاحتمالات.

قد يقول قائل إنَّ الشَّيخ قد طلب منَّا أنّه كلَّما صادفنا رمزًا من الرُّموز الموظَّفة في شعره أن نصرف الخاطر عن معانيه الظاهرة إلى معانيه الباطنة، لكن هذا قد يدفع كلّ قارئ إلى أن يفترض معان ودلالات لا حصر لها إزاء كلّ رمز من تلك الرُّموز، فما هو الضابط النَّقديّ الذي يمنع من الانزياح عن دلالات الشعر ومراد الشاعر[3]؟

هنا تأتي أهمّيَّة تلك القسمة الثلاثيَّة التي تجعلنا ننضبط بالتَّأويل الذي ينبغي أن نعطيه لتلك الرُّموز (الغزال، الطواويس، الأطلال، برق، إدريس، بلقيس، خيام، روضة الوادي، الصبا...)، وهي شبكة تحليليَّة تعصم من الوقوع في الخطأ والتعسُّف في التأويل لأنَّها تتنزَّل تدريجيًّا من الرُّوح ثمَّ الخاطر فالسَّماع. قد نختلف في السَّماع والخاطر والرُّوح لكن الانسجام المنطقيّ الداخليّ بينها يجعلها كلّها محتمَلة، وتلتقي في الغاية. وهذه القسمة ينبغي أن يعرضها الإنسان على نفسه ويُوجّهها إلى داخله لأنَّ كلَّ مرموز خارجيّ إلَّا وله نظير في ذات الإنسان، ولهذا قال الشَّيخ «إنَّ الإنسان فيه مُناسِب من كلِّ شيء في العالم، فيضاف كلّ مناسب إلى مناسبه بأظهر وجوهه، وتُخَصّصُهُ الحال والوقت والسَّماع بمناسِبٍ ما دون غيره من المُناسِب إذا كان له مُناسِبات كثيرة»[4]. ففي هذا الضابط ما يمنع

---

(1) انظر مثلًا كلامه في الصفحة رقم (112) من ترجمان الأشواق.

(2) يقول في ترجمان الأشواق (ص.90): «والركائب هي الإبل، وقد يعبر بالإبل عن السحاب...»..

(3) إنَّ اسم قطعة الشعر في العربيَّة «قصيدة» كما لا يخفى، أي أنَّ الشاعر يقصد في شعره إلى قصد ودلالات معيَّنة.

(4) ترجمان الأشواق ص. 75.

التَّعَسُّفَ في التأويل، ويسمح بأن يخلع القارئ بحسب تجربته الرُّوحيَّة على هذه الأشعار مجموعة من المعاني والمنازلات، خاصة في عنصر السماع المخصُص بوارد الوقت والحال. ومن أهمّ الرُّموز التي يستعملها الشيخ أسماء محبوباته، يقول في الباب 178 من الفتوحات المكّيَّة:

وإذا قُلْتُ هَوِيتُ زَيْنَبا	أوْ نِظَامًا أوْ عَنَانًا فَاحْكُمُوا
أنَّهُ رَمْزٌ بَدِيعٌ حَسَنٌ	تَحْتَهُ ثَوْبٌ رَفِيعٌ مُعْلَمُ
وَأنَا الثَّوْبُ عَلَى لابِسِهِ	وَالَّذِي يَلْبَسُهُ مَا يَعْلَمُ
لَيْسَ في الجُبَّةِ شَيْءٌ غَيْرُ مَا	قَالَهُ الحَلَّاجُ يَوْمًا فَانْعَمُوا
وَحَيَاةِ الحِبِّ لَوْ أشْهَدُهُ	لاعْتَرَانِي لِشُهُودِي بَكَمُ
مَا يَرَى عَيْنَ وُجُودِ الحَقِّ مَنْ	أصْلُهُ فِي كُلِّ حَالٍ عَدَمُ

رغم كلّ التَّجلّيّات الحاصلة للعارفين، كيف لمن كان أصلُه العدم أن يرى عينَ وجود الحقّ؟ هذا السُّؤال الاستنكاري هو خلاصة درس التَّجلّيّات عند الشَّيخ الأكبر، فليحاذر المتأولون أن لا يتعسّفوا في التأويل حين لا تُسعف العبارة في التَّعبير عن تلك المنازلات العرفانيَّة السامية.

كلمة ختامية:

إنَّ الدِّيوان الكبير من خلال ما حقَّقناه لحدّ الآن من أشعار يُقدِّمُ لنا الشَّيخ الأكبر في صورة إنسانيَّة قريبة منا. وفي الوقت الذي يتطاول فيه كثيرون[1] أو

---

(1) بل لقد أفتى عدد من العلماء في الماضي بحرمة قراءة كتب الشَّيخ إلَّا على يد عارف محقّق عالم بالمسالك خبير المآلات. ولقد كانوا على حقّ في هذا التَّنبيه، فحينما نطالع اليوم بعض الدِّراسات المعاصرة عن الشَّيخ الأكبر نصدم من هول الفهوم السَّقيمة والأخطاء الشنيعة والاستنتاجات المتسرِّعة والأوهام الباطلة؛ ونتعجَّب من الإسقاطات الباردة والتَّأويلات البعيدة المتماشية حينًا مع الإيديولوجيَّات المتطرِّفة، وأحيانًا مع الفكرانيَّات المفرِّطة. ومن ذلك ما يقال أو يكتب عن قضية وحدة الوجود، أو الحقيقة المحمديَّة، أو مسألة تكافؤ الأديان، أو الولاية والنبوَّة. وكلّ تلك التهويمات من التخريصات التي لم يشمّ أصحابها رائحة فهم لكلام الشَّيخ الأكبر فيها. وقد بيَّنا في تحقيق هذا الدِّيوان كثيرًا من تلك المسائل المعقَّدة، وعلَّقنا عليها في الدِّراسة التي قدَّمنا بها أو الحواشي التي أضاءت كثيرًا من المعميَّات، حتى يقف القارئ على مذهب الشَّيخ ومراميه.

يتهيّب آخرون من الشَّيخ الأكبر، والاقتراب من كتبه التي تستعصي عليهم، فإنّنا نجد أن الدّيوان يُقرِّبُه إلينا في صورة إنسانيّة حميميّة، فَنُحِسُّ به وهو يتألّم كما يتألّم سائر الناس، ونراه يُحِبُّ حبًّا عفيفًا رقيقًا مثاليًّا يملِكُ عليه جوارحَه وجَنانه، ويُظِلُّه بليله ونهاره. وأحيانًا نلمس لديْه جرأة شعريَّة في التَّعبير عن هذه المواجيد بلسان الغزل دون أن يَغِيبَ عَنَّا الأُفُقُ الذي حَدَّده ابن العربي نفسُه في تلَقّي هذه القصائد حسب قسمة ثلاثيَّة فريدة هي: **الرُّوح، والخاطر والسَّماع**. فالمصدر لتلك الأشعار عالم الرُّوح، ثمَّ يتنزل في مرتبة الخاطر فيجول بذلك الفَلَك، ثمّ يُلْقَى على الأسماع لؤلؤًا نضيدًا. هذه القسمة هي العاصِم والحرز الذي ينبغي أن يمنع من التَّعسُّف في التَّأويل. فالشعر يطير بالمعنى والدلالات المفتوحة، ولا أقبَحَ من تحميل القول ما لا يحتمل قياسًا بكلّ الاحترازات التي نبّه عليها ابن العربي نفسه في أكثر من موضع.

لقد نجح الشَّيخ الأكبر في أن يصوغ مذهبه العرفاني في صورة قريبة المأخذ يمكن أن يقتنصها قارئ هذه الأشعار إذا ما أعدَّ المحَلَّ واستفرغه لتلَقّي تلك الفيوضات اللَّطيفة والتَّجلّيَات الوَرِيفَة، وأنصت إليها بأذن الفؤاد، وأبصرها بعين البصيرة. فتارة نراها في صورة غادة من بنات العُرْب، وأخرى في صورة فتاة من بنات الروم. وأحيانًا نجد اسمها أليفًا لدينا، فهي نظام وهند وليلى وسلمى ولبنى وصفية. وأحيانًا أخرى، نجد أنَّ اسمها تركيّ أو أرمنيّ، وكأنّها رمز على شيء يريد أن يقوله لنا الشَّيخ دون أن يغيب المرموز المكني. فَيُسَمِّيهَا لنا: مَهْبُلَنْد، أو شِيرِي، أو أَيْسَلِي. أو يصوِّرها لنا متعشِّقة في معبودها مثل زهرة عبّاد الشمس التي تدور مع مصدر النور الأعظم في الكون حيثما دار، وينعتها «تُرْنَسُول»[1]، باسم هذه الزهرة الأعجميّ. كما نراه يفكّك حروفها إلى كلّ وحداته، ويجعل كلّ حرف يفتتح بيتًا من قطعة رباعيّة[2] يستعمل فيها اسم «زينب» إفرادًا وتركيبًا. وفي كلّ هذا، لا نملك إلَّا أن نقرِّر بأنَّ الشَّيخ من أهل السَّماع المطلق الذي يسمع بكلّ شيء، ومن كلّ شيء، وفي كلّ شيء، فمعبودُه واحد، ومقصودُه واحد، وهو الموجودُ الواحد، ومنه العبارة

---

(1) بالقشتالية: Tornasol، أي زهرة عبّاد الشمس.
(2) انظر القصيدة رقم (54).

وإليه الإشارة، حتى تَفنى كُلُّ أمارة، وتُعتَصَرَ حبَّةُ كلِّ سمسمةٍ ونوّارة. وتحت خيام الدلالات وأَخبِيَة المعاني نسافر مع الشّيخ في مواجيده بحثًا عن ذلك المحبوب الواحد بالذات، المتعدّد بالصفات، الموسوم بكلّ الأسماء والسّمات، فنكاد نستروح من خلف سرادقات المعنى بأعراف الحبيب، ثمّ حِينًا يتسامى ويتعالى، وحينًا يتوارى ويتوانى لائذًا بوطن الصمت وبلاد البَهْت. ولعلّه أن ينزل من ذلك المحلّ الأرفع كورقاء الشّيخ الرّئيس ابن سينا[1]، وينبعث من رماده كالعنقاء التي رامها العطار في «منطق الطير». والشّيخ في كلّ ذلك يستدعي كلّ مخزونه من العلوم والمعارف ليقرّب لنا تلك الحقيقة التي تَتَنَزَّلُ في مراتب الوجود.

ومن أبرز سمات شعر الشّيخ أنّك خلف كلّ قصيدة تكاد تستطلِعُ منازلَها القرآنيّة وسُوَرَها الفرقانيّة، إنْ تصريحًا في حين، أو تلميحًا في أغلب الأحيان، والشّيخ بذلك يؤكّد أنّه ترجمان القرآن، وترجمان المعارف الإلهيّة. إنّه مثل إدريس مداوي الكلوم، أو لعلّه أن يكون واحدًا من هرامسة الحقيقة عبر الأزمان. وقد حرصنا على أن نكشف تلك العلاقة الخفيّة بين المعاني التي صاغها نظمًا، ومصدرها القرآني.

وبعد هذه الجولة المستنيرة، أتركك أيُّها القارئ النبيه تَؤُوبُ إلى مُلْتَزَم الشّعر الأَرِيج، وروضِه الأُنُفِ الأَرِيض لتسمعَ الشيخ يُطلِعُنا على غرائب المعارف ونفائس العلوم، ويَبُثُّنا شجونَه ومواجيده، ويُصَرِّحُ بحبِّه في صُوَرِ محبوباته، فلعلك إن لم تجد ذاتك هناك، قد تجدها في فنَاك. وفي كلّ حالة لا تخطئك العين، ولا ترميكَ إلى مُنْقَطَعٍ مِنَ الأرض بِسِهَامِ البَيْن، فَكُنْ قهوةً عُصِرَتْ بغيثِ السّماء، ونُسِّمَتْ بِبُنِّ ذلك الماء.

واللّـه يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

الرباط في: 17 شعبان 1441 / 11 أبريل 2020

د. عبد الإله بن عرفة

---

(1) قصيدة النفس لابن سينا التي يقول في مطلعها: «هَبَطتْ إليكَ من المحلّ الأرفعِ... ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتَمَنُّعِ». ويقصد بالورقاء، النفس العاقلة.

نصّ الدِّيوان

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم
صل اللهم على محمد وآله

[1]

وقال أيضًا[1]:

من الطويل

1	إذا ما وصفتَ الحقَّ يومًا فقيِّدِ	ولا تُطْلِقِ الألفاظَ إن كنتَ تهتدي
2	إذا أنتِ أرسلتَ النُّعوتَ ولم تكن	تقيِّدها فيه فما أنـــت مُهتدي
3	إذا كنتَ علاَّمًا بما أنـتَ ظاهرٌ	علمتَ بأَنَّ السّـــرَّ بالعبد مُرتدي
4	فإنْ كنتَ لا تدري ولستَ بطالبٍ	ولا باحثٍ فاعلمْ بأنَّكَ مُعتَدِي
5	إذا لم يَقَعْ نفعٌ لنفســـكَ ها هُنَا	فأنتَ إذا بَعْثَرْتَ أخْسَرُ في غَدِ
6	وإنَّــكَ مطلوبٌ بكل جريمةٍ	ومتَّ على التَّوحيد عِلْمًا كَأَنْ قَدِ
7	ولستَ بـأهـلٍ للخلودِ بـنـارهِ	ولستَ بمحرومٍ ولست بمُفْسِدِ
8	كذا أنت عند اللّٰه في عينِ عِلْمِهِ	بقبضَتِه اليمنى تَروحُ وتَغْتَدِي[2]
9	دليلي عليه ذو السّجِلاَّتِ فاعلموا	وذلك عينُ الحكم في غير مَشْهَدِ
10	وإن كنتَ ســبَّاقًا لكلِّ فضيلةٍ	تفوز إذا جاؤوا بأصدق مَقْصَدِ

(1) وردت في المجلَّدة السّابعة (القصيدة رقم 8)، وفي طبعة بولاق.

(2) في نسخة.

[2]

من البسيط

1 لـمَّا[1] رأيـتُ وجـودًا ما له حَدُّ — أقبلتُ أعدو إليــــه وهْوَ بي يعدو

2 فقال لي وَهْوَ مِنْ ذاتي يُخاطِبُني — إنَّ الوُجــــودَ الــــذي رأيته فَقْدُ

3 فقلتُ أنتَ معي فقال أنتَ معي — كَالفَرْدِ يُضْربُ فيــــه عندنا الفَرْدُ

4 لما رأيـتُ وجـودي لا يُزايِلني — عَلِمْتُ أنَّ وُجودَ السَّــيِّدِ العَبْدُ

5 بذا أتَتْ في كتابِ اللّهِ صُورَتُهُ — الأَمْرُ للّــــهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ

6 الحَقُّ عِنْدِي مَعِي بِي وَهْوَ مُعْتَمَدِي — في كُلِّ حَـــالٍ إذا أَرُوحُ أَوْ أَغْدُو

7 الجُودُ يثبت عيني[2] فَهْوَ لِي سَنَدُ — وَمَا لَنَا مِنْــــهُ مِـــنْ أَعْيَانِنَا بُدُّ

8 كَمِثْلِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى الَّتِي ثَبَتَتْ — فيها الخِلافُ وَفِيهَا الـمِثْلُ والضِّدُّ

9 إنَّ العُقُولَ لَتُحْصِيهَا مُفَصَّلَةً — أَثْبَتُهَا، أَوْ لَهَـــا الإِثْبَاتُ وَالوَجْدُ

10 وَالحُكْمُ فِينَا الذي تُعْطِي حَقَائِقُنَا — الحَلُّ وَالعَقْدُ وَالتَّلْيِينُ وَالشَّـــدُّ

11 هُو الذي لم تَزَلْ تَخْفَى حَقِيقَتُهُ — بِمَا هِيَ اليَوْمَ في أَبْصَارِنَا تَبْدُو

12 مِنْهُ الأُمُورُ الَّتِي تُشْقِي، وتُسْعِدُنَا — أُخْرَى، وَيَشْهَدُ لِيَ الغَيُّ والرُّشْدُ

[3]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1 الحَمْدُ للّــــهِ لاَ أُشْرِكُ به أَحَدًا — إذ لم يَجِدْ أَحَدٌ ســـواهُ مُلْتَحَدَا

2 لم يتَّخِذْ كُفُوًا مِنْ خَلْقِهِ سَنَدًا — ولم يَلِدْهُ أَبٌ حَقًّـــا، ولا وَلَدَا

3 جَلَّ الإلـهُ فَمَا تُحْصَى عَوَارِفُهُ — الوَاهِبُ الأَكْرَمُ المحسانُ، والصَّمَدَا

---

(1) في المجلّدة السّابعة «إذا» بدل «لما» (القصيدة رقم 10). كما لم يصدّر المخطوطُ هذه القصيدة بعبارة «وقال أيضًا».

(2) أورد المؤلّف في المجلّدة السّابعة المحقّقة بديلًا لعبارة «يثبت عيني» هي «يبغي وجودي»، لكنّه نص على الرواية الأولى في الحاشية هناك.

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 35).

4 الحَــقُّ مُفْتَقَـــرٌ إليــــهِ إنَّ لَهُ — نَعْتُ الغِنَى، وبهذا كُلِّهِ انْفَرَدَا

5 والعَبْدُ مُفْتَقِرٌ إليه مُتَّكِلٌ — عليه مُسْـــتَنِدٌ، لذاتِـــهِ أَبَدَا

6 إنَّ افتِقَـــارِيَ ذَاتٌ لِي إلى عَدَمٍ — وليـــس يَعْرِفُهُ إلاَّ الذي وَرَدَا

7 مِنْ عِنْدِهِ بِالَّذِي أعطاه مِنْ حِكَمٍ — فَــإنَّ مَـعْـبُـودَهُ لِـذَاتِـهِ عُـبِـدَا

8 وإنَّ أَعْمَالَنَا عَنْ أَمْرِهِ ظَهَرَتْ — وإنَّ عابِـــدَه لذاتِـــهِ عَبَـــدَا

9 أَقَرَّ لِلَّـــهِ بالتَّوْحِيـــدِ فِي مَلإٍ — مِنْ غَيْرِ حَدٍّ وَلا كُرْهٍ، ولاعَبَدا[1]

10 بَلْ كَانَ مُتَّصِفًـــا بِالعَجْزِ مُعْتَرِفًا — بِأَنَّهُ رَبُّـــهُ حَقًّا، ومـــا عَبِدا[2]

11 بَـــلْ كَانَ مُفْتَخِرًا بـــهِ ومُفْتَقِرًا — إليهِ، وَهُوَ بِهَذَا الأَمْرِ قَدْ سَعِدَا[3]

[4]

وقال أيضًا[4]:

من مجزوء الرمل

وقد قيل له في النوم خَرِّجْ كتابًا يكون ترجمته الأنوار العلوية في الأخبار المروية[5]، فتذكر قوله بإشبيلية من قصيدة له :

1 حَــدَّثَ الشَّـيْـخُ أَبُونَـــا[6] — عَـــن أَبِيهِ عَـــن قَتَـــادَةْ[7]

---

(1) ولا عَبَدَا: أي، وما جَحَدَا. ورد الشطر 2 برواية مختلفة في المجلّدة السّابعة: «من غير جبر ولا كره وما عبدا»..

(2) عَبِدَا: (يَعْبَدُ)، أي، وما أَنِفَا.

(3) في المجلّدة السّابعة: «بل كان مفتخرًا إليه مفتقرًا... لذاته وبهذا القدر قد سعدا».

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 85).

(5) لم نقف على كتاب بهذا العنوان في فهرسة الشّيخ ولا إجازته. كما لم يذكر عثمان يحيى هذا العنوان، بل كل ما ذكر كتاب «مشكاة الأنوار فيما روي عن اللّـه من الأخبار»، وله عناوين أخرى عدّة مثل: «الأحاديث المسندة والمرفوعة»، و«الأحاديث المسندة إلى اللّـه تعالى»؛ «الأربعين في إرشاد السائرين»... إلخ.، فلعله هو المقصود. (انظر الرقم 480 في فهرسة عثمان يحيى).

(6) لم أقف على هوية هذا الشّيخ، ولعلّه أن يكون هو الشّيخ أبو أحمد جعفر ابن سيدبونه (524 ـ 624 للهجرة) من شيوخ الشّيخ الأكبر، وكان آخر من الْتَقَاهُمْ في مرسية عام 595 قبل أن يهاجر ابن العربي إلى المشرق..

(7) قتادة بن دعامة: تابعي وعالم في العربيّة واللّغة وأيّام العرب والأنساب. محدِّث، مفسّر وحافظ علامة. (61 ـ 118 للهجرة).

2 عن عَطَـاءِ بْـنِ يَسَـارٍ[1] عن سَـعِيدٍ[2] عن عُبَـادَهْ[3]

3 إنَّ مَـنْ مـاتَ مُحِبًّـا فَلَـهُ أَجْـرُ الشَّـهادَهْ

4 ثُـمَّ قَـدْ جَـاءَ بِأُخْـرَى مِثْـلِ هَـذا وَزِيَـادَهْ

5 عن فُضَيْـلِ بْـنِ عِياض[4] وهْـوَ مِـنْ أَهْـلِ العِبادهْ[5]

6 إنَّ مَـنْ مَـاتَ خَلِيًّـا كانَـتِ النَّـارُ مِهَـادَهْ

[5]

وقال أيضًا[6]:

من الكامل

1 إني رأيتُ ومـا رأيت وجودي وجعلته ذخري ليوم شـهودي

2 عطفت عليّ صفاتُ مَنْ أَنَا ذَاتُهُ فرأيتُـه مني كَحَبْـلِ وَرِيدِي

---

(1) عطاء بن يسار. تابعي مدني وأحد رواة الحديث النبويّ (29 ـ 129 للهجرة). رواية هذا البيت مختلفة قليلا في المجلّدة السّابعة (القصيدة 85).

(2) سعيد بن المسيب: تابعي مدني. ويلقب بعالم أهل المدينة وسيد التابعين. أحد رواة الحديث وفقهاء المدينة السبعة (15 ـ 95 للهجرة).

(3) عبادة: لعله سعد بن عبادة، وفيه إشكال لأنّ سعيدَ بنَ المسيّب ولد سنة 15، وسعدَ بنَ عبادة توفي حوالى سنة 14 للهجرة. ومع ذلك فإنّ المحدثين يذكرون رواية سعيد بن المسيب عن سعد بن عبادة، فلعلّها بواسطة.

(4) الفضيل بن عياض: إمام قدوة ثبت، محدث من الزاهدين الصالحين. ولد في سمرقند وتوفّي في مكة (107 ـ 187 للهجرة). روى عن الأعمش والثوري. وممّن روى عنه ابن عُيَيْنَة والشافعي وابن المبارك وبشر الحافي.

(5) كتبت في الأصل «العياده»، ونرجّح أنّها «العباده» لأنّ الفضيل كان من العباد الزهاد. ولدينا رواية أخرى في نسخة شهيد علي باشا رقم 1177 (و. 43) بخطّ الشّيخ، «وهو من أهل الزّهاده»، وكذلك مخطوط جامعة إستانبول رقم 1438 (و. 78)، وديوان الزينبيّات (و. 253). أمّا في نسخة جينيل (و. 277)، فلدينا رواية ثالثة هي: «وهو من أهل الزياده». في المجلّدة السّابعة المحقّقة، وردت رواية «الزهادة» بدل «العياده».

(6) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 40أ).

[6]

وقال أيضًا[1]:

من الطويل

1 عَجِبْتُ لمن قد كان عَيْنَ هُوِيَّتِي — ويَشْهدُ لي بالنَّقْصِ عَيْنُ مَزِيدِ

2 فما أَدْرِ ما هذا ولستُ بجاهلٍ — وقد عرَّفَتْنِي بالأمورِ حُدودِي

3 ولولا حدودُ الشَّيْءِ ما امتازَ عَيْنُهُ — ولولا حُدودِي ما عَرَفْتُ جدودي

4 لقد عِشْتُ أيَّامًا بغير مُنَازِعٍ — ولم أَكُ محسودًا لِعَيْنِ حَسُودِي

[7]

وقال أيضًا[2]:

من الطويل

1 ألا إنَّ كشفي مُثْبِتُ كُلِّ مُعْتَقَدْ — إذا كان إثباتًا ولَسْتُ بمنتقِدْ[3]

2 فمن كان ينوي الخيرَ فالخيرُ حاصِلٌ — ومن كان ينوي الشَّرَّ فالشَّرُّ قد فُقِدْ

3 ولو كان عينُ الأَمْرِ عَقْدًا مُعَيَّنًا — لضاق نطاقُ الأمرِ فَاقْدَحْ عَسَى تَقِدْ

4 فقد وَسعَ الحَقُّ اعتِقَادَاتِ خَلْقِهِ — وحسبُكَ ما قد قُلْتُ في حقِّهِ وَقَدْ

5 ويأبى[4] جَنَابُ الحَقِّ إلا اتّسَاعه — لِتَشْهَدَهُ الأَبْصارُ في كُلِّ مُعْتَقَدْ

6 وما تدركُ الأبصارُ منه سوى الذي — تراه وما يخفى عن العين يُنْتَقَدْ

7 وإنَّ اللبيبَ الحَبْرَ يَصْمُتُ عندما — يرى شاهدَ التَّحْوِيلِ[5] في الحَقِّ قد شهِدْ

---

(1) أورد المؤلِّف هذه القصيدة من أربعة أبيات مجموعة، بينما نجد أنَّ طبعة بولاق قد فصلتها إلى قسميْن منفصليْن في كلِّ قسم بيتان (ص. 388). كما وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 41).

(2) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 50) مع اختلافات يسيرة. وهي من لزوميَّات الشَّيخ إلَّا أنَّه لم يلتزم بنفس القافية في البيت الأخير.

(3) على ضوء هذه القصيدة نفهم الأبيات الشهيرة للشَّيخ الأكبر التي يقول فيها: «لقد صار قلبي قابلا كلَّ صورة...».

(4) في الأصل كتبها «وما في»، والغالب أنَّ الناسخ لم يتبيَّن الكلمة فكتبها على هذه الصورة، بينما المجلَّدة السَّابعة بخطِّ المؤلِّف كتبتها «ويأبى».

(5) يشير هنا إلى ما تفيده الآية الكريمة ﴿ولن تجد لسُنَّة اللَّه تبديلا ولن تجد لِسُنَّة اللَّه تحويلا﴾ (الأحزاب، 62). وهو علم التَّبديل والتَّحويل في الصُّوَر مع بقاء العين. وأشار إليه إشارة خفيفة في نهاية الباب 363 من الفتوحات المكِّيَّة.

[8]

وقال أيضًا[1]:

من المديد

1	مَـا رَأَيْـنَـا مِـنْ عِـنَـايَـتِـهِ	يَأْخُذُ الأَمْوَالَ وَالوَلَدَا
2	غَيْرَ رَبٍّ لَمْ يَزَلْ أَبَدَا	بِكَمَالِ الوَصْفِ مُنْفَرِدَا
3	أَبْصَرَ المغرورُ جَنَّتَهُ	ثُمَّ لَمْ يَدْرِ الَّذِي شَهِدَا
4	قَالَ مَا أَظُنُّ فِي خَلَدِي	أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدَا[2]
5	لَمْ يَكُنْ كَمَا تَخَيَّلَهُ	أَنَّهَا تَبْقَى لَهُ أَمَدَا
6	وهْيَ عِنْدَ اللَّهِ بَاقِيَةٌ	لِلَّذِي قَدْ كَانَ مُعْتَقِدَا
7	فَأَرَاهُ الظَّنُّ خَيْبَتَهُ	وَأَرَى العِلْمَ الَّذِي انْتَقَدَا
8	فَأَرَاهُ مَا تَوَعَّدَهُ	وَأَرَاهُ مَا بِهِ وَعَدَا
9	لَمْ يَزَلْ فِي قُدْسِ جَنَّتِهِ	طَالِعًا عَلَيْهِ مُنْتَقِدَا
10	حَامِدًا لِلَّهِ خَالِقِهِ	حَيْثُ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ سَيِّدَا
11	كُلُّ مَنْ طَابَتْ سَرِيرَتُهُ	بِالَّذِي فِي سِرِّهِ اتَّحَدَا
12	لَمْ يَجِدْ مِنْ دُونِ خَالِقِهِ	أَحَدًا يَكُونُ مُلْتَجِدَا
13	إِنَّ لِي مَوْلًى أُسَرُّ به	مَا يَرَى شَيْئًا يَكُونُ سُدَى
14	عَيْنُ كَوْنِ الشَّيْءِ حِكْمَتُه	مَا لِمَا حُكْمُ عليه بَدَا
15	الَّذِي تُرْجَى عَوارِفُه	كَانَ لِي رُكْنًا ومُسْتَنَدا
16	عَزَّ لم يُعْرَفْ وَمَا عَرَفُوا	غَيْرَ مَنْ أَضَلَّهُمْ فِي هُدَى
17	فَهُوَ المعلومُ عِنْدَهُمُ	وَالَّذِي لا يُعْلَمَنْ أَبَدَا

---

(1) في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 60).

(2) إشارة إلى صاحب الجنتين الذي كان يكفر بالبعث ويشك في قيام الساعة في قوله تعالى ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا﴾ (الكهف، 35).

[9]

وقال أيضًا[1]:

من الطويل

1 لِيَ الـمُلكُ لا بَلْ نَحْنُ لِلْمُلْكِ آلَةٌ — فَإِنْ كُنْتَ ذا عِلْمٍ بِمَا قُلْتُ فَاهْتَدِ

2 يُخَيَّلُ لِلسُّلْطَانِ إِذْ كُنْتُ حاكِمًا — بِـصُـورَةِ مَـهْـدِيٍّ وَسُـنَّـةِ مُهْتَدِ

3 بِـأَنَّ بِالاسْتِحْقَاقِ قد نالَ مُلْكَهُ — ويَغْفُلُ عمّا في الـرِّدَاءِ لـمُرْتَدِ

4 وليس بالاسْتِحْقَاقِ مَا نَالَ إِنَّهُ — لَيُسْأَلُ عَنْهُ فِي القِيَامَةِ فِي غَدِ

5 يُقابِلُ مَنْ يَلْقَى بِـدِرْعٍ حَصِينَةٍ — وَيَـقْـتُـلُ أَعْـــدَاءً بِـكُـلِّ مُهَنَّدِ

[10]

وقال أيضًا[2]:

من البسيط

1 عِلْمِي بِرَبِّي عَزِيزٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ — سوى الَّذِي ذَاقَهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدُ

2 وَهُـمْ رِجَـالٌ ذَوُو عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ — لأَنَّهُمْ وَجَـدُوا عَيْنَ الَّـذِي أَجِدُ

3 مَضَى بِكُلِّ الذي في النَّفْسِ مِنْ جَلَدٍ — لَمْ يَبْقَ في سَبَدٌ منه ولا لَبَدُ[3]

4 وَلَيْسَ عِلْمِي بِشَيْءٍ غَابَ عَنْ بَصَرِي — لأَنَّـنِـي عَيْـنُـهُ فَـالأَمْـرُ مُتَّحِدُ

5 فَلَسْتُ أَجْهَلُنِي[4] وَلا أُكَيِّفُهُ — لَوْ أَنَّنِي عِشْتُ مَا قَدْ عَاشَه لُبَدُ[5]

---

(1) يتحدّث الشّيخ في هذه الأبيات عن نوعيْن من الولاية: الولاية أو السّلطة الزمنيّة التي يمثّلها الملك، والولاية أو السّلطة المعرفيّة والرّوحيّة التي يمثّلها الولي. وردت في المجلّدة السّابعة (رقم القصيدة 75).

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (رقم القصيدة 80) مع اختلافات بسيطة.

(3) يقال في المثل: «ما له سَبَدٌ ولا لبد»، أي لا شعر له ولا صوف أو ما له قليل ولا كثير.

(4) في المجلّدة السّابعة «أجهله».

(5) لُبَد: آخر نسور لقمان حسب ما ترويه أسمار العرب. ولقمان بن عاد ملك ولي بعد أخيه شداد بن عاد. وقد عاش طويلًا. ويروى أنّه كان يدعو قبل كلّ صلاة «اللّهم رب البحار الخضر... والأرض ذات النبت بعد القطر، أسألك عمرًا فوق كلّ عمر»، فقيل له «قد أجيبت دعوتك وأعطيت سؤالك ولا سبيل إلى الخلود فاختر إن شئت سبع بقرات... وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر... وإن شئت بقاء سبعة نسور، كلّما هلك نسر عقب بعده نسر.. فاختار سبعة نسور. فعاش كلّ نسر مدّة خمس مئة عام، وكان آخرها لُبَد الذي عاش أكثر من سابقيه حتى قالت العرب «طال الأبد على لُبَد». وللأعشى ولبيد شعر في الموضوع.

6 مَا زَالَ يَطْلُبُنِي مَنْ كُنْتُ أَطْلُبُهُ ... وَلَيْسَ يَثْبتُ قَوْلِي ها هُنَا عَدَدُ

7 لأَنَّهَا نِسَبٌ والعَيْنُ وَاحِدَةٌ ... مَا بيننا، وبهذا العِلْمِ أَنْفَرِدُ

8 إني رَوَيْتُ عُلُومًا عَنْ مُهَيْمِنِنَا ... وَمَا لَنَا غَيْرُ أَسْمَاءٍ لَهُ سَنَدُ

9 هُمُ الشُّيُوخُ لَنا إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ مَا ... ذَكَرْتُهُ وَهُمُ السَّادَاتُ وَالعُدَدُ

10 بِهِمْ نُدَافِعُهُمْ وَلَيْسَ غَيْرُهُمُ ... هُنَاكَ فَاعْلَمْ بِأَنَّ السَّاكِنَ البَلَدُ

11 لَوْلاَ تَحَكُّمُهُمْ لم أَدْرِ أَنَّهُمُ ... هُمُ وَعَيْنُ حِجَابِ النَّاظِرِ الجَسَدُ

12 لِذَاكَ يَحْسُدُنَا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنَا ... وَلَيْسَ ثَمَّ فَلاَ عَيْنٌ وَلاَ حَسَدُ

[11]

وقال[1]:

من المجتث

1 الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا ... يُرْبِي[2] على كُلِّ حَمْدِ

2 فَإِنَّهُ يَتَعَالَى ... حَالَ النُّزُولِ لِوَعْدِ

3 نُزُولُ رَبِّي عُلُوٌّ ... منه إلى كُلِّ عبدِ

4 وَإِنَّمَا جَاءَ عِنْدِي ... لَمَّا تَقَدَّمَ عَهْدِي

5 وَفَّيْتُ لِلَّهِ عَهْدًا ... لِذَاكَ وَفَّى بِعَهْدِ[3]

6 جَدُّ الإِلَهُ تَعَالَى ... مَجْدًا عَلَى كُلِّ جَدٌّ[4]

7 لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْهِ ... سَعْيًا أُصَدِّقُ وُدِّي

8 أَتَى بِضِعْفِ مَجِيئِي ... إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَدٌّ

9 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ... عَنْ كُلِّ مَعْنًى يُؤَدِّي

10 إِلَى حُدُوثٍ وَحَدٌّ ... وَذَاكَ عِلْمِي وَعَقْدِي

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 94).

(2) يربي: من أربى بمعنى زاد. وقد كتب فوقه بديلًا هو «يعلو».

(3) كتب في الحاشية بديلًا عن الشطر الثاني من هذا البيت هو «فجاء يُوفي بعهدي».

(4) لم يورد البيت السّابع من هذه القصيدة كما في المجلّدة السّابعة (رقم 94): «وكل حدٌّ فمنه... فلست في ذاك وحدي».

11 إِنَّ الـحُـدُودَ الَّـتِـي فِـي ... كَـلاَمِـهِ الـمُـتَـعَـدِّي
12 بِـكُـلِّ نَـفْـعٍ إِلَـيْـنَـا ... فَـإِنَّ ذَلِـكَ عِـنْـدِي

[12]

من مخلع البسيط

1 الحَمْدُ للّـهِ حَقَّ حَمْدِهِ ... حَمْدًا يُوَافِيهِ دُونَ عَبْدِهِ[1]
2 عَيْنًا فَلاَ يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ ... يَجِيئُهُ مِنْ وَرَاءِ حَدِّهِ
3 الحَدُّ[2] أَمْرٌ يَعُمُّ حَتَّى ... يُسْأَلَ فِيهِ عَنْ حَدِّ حَدِّه
4 وَلَمْ أَقُلْ فِيهِ ذَاكَ إِلا ... مِنْ أَجْلِ مَنْ لم يُنَلْ بِضِدِّهِ

[13]

أيضًا[3]:

من الوافر

1 أَلاَ فَارْجِعْ إِلَى أَصْلِ الوُجُودِ ... لِمَا تَذْرِيهِ مِنْ كَرَمٍ وَجُودِ
2 لَقَدْ مَنَّ الإِلَـهُ عَلَى فُؤَادِي ... بِمَا أَعْطَاهُ فِي حَالِ السُّجُودِ
3 سُجُودُ القَلْبِ إِنْ فَكَّرتَ فيه ... عَلَى التَّحْقِيقِ يُؤْذِنُ بالشُّهُودِ
4 إِلَى الأَبَدِ الَّذِي مَا فِيهِ حَدٌّ ... تَعَالَى عَنْ مُصَاحَبَةِ الحُدُودِ
5 جَهِلْتُ وَمَا جَحَدْتُ فَكَانَ جَهْلِي ... أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ صِفَةِ الجُحُودِ[4]
6 جَهِلْتُ وَمَا جَحَدْتُ سَبِيلَ كَوْنِي ... فَإِنَّ الأَصْلَ فِيَّ مِنَ الصَّعِيدِ
7 صَعِدتُ بِهِ إِلَى شَرَفِ المَعَالِي ... فَأَنْزَلَنِي إِلَى سَعْدِ السُّعُودِ[5]
8 وَنَادَانِي وَقَدْ خَلَّفْتُ قَوْمِي ... وَرَاتِي بِالمُقَرَّبِ وَالسَّعِيدِ

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 97).
(2) كتبها «الحمد»، لكنّنا رجحنا رواية المجلّدة السّابعة التي بخطّ المؤلّف التي كتبها هكذا «الحد» (القصيدة رقم 97).
(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 98).
(4) هذا البيت ساقط من طبعة بولاق (ص. 425)
(5) كتب المؤلّف في الحاشية «من تواضع للّـه رفعه اللّـه».

9 وآثَـرْتُ الجَنَابَ جَنَابَ رَبّي ... فَـألْـحَـقَـنِي بِـمَـنْـزِلَـةِ العَبِيدِ
10 ومَلَّكَنِي الصفاتَ وَكُنْتُ مِثْلاً ... وَنَزَّهَهُ عَنِ المِثْلِ الوُجُودِي[1]
11 وَأَيُّ فَضِيلَةٍ أَسْـنَـى وَأَعْـلَـى ... تُـقَـاوِمُـهَـا بِـجَـنَّـاتِ الـخُـلُـودِ
12 فَضَلْتُ بِهَا عَلَى الآبَـاءِ حَقًّا ... يَقِينًا صَادِقًا وَعَـلَـى الجُدُودِ
13 وأعلمني المهيمن أنَّ جَدِّي ... مِـنَ اكْـرَمِ ما يكونُ مِـنَ الـجُدُودِ
14 سِوَى جَدِّ الإلَـهِ فَقَدْ تَعَالَى[2] ... عَنِ الكُفْـءِ الـمُصَاحِبِ وَالوَلِيدِ

[14]

وقال[3]:

من الوافر

1 لقد حـار الـذي سَبَرَ الـوُجُـودَا ... لِيَسْلُكَ فِيهِ مَسْلَكَه البَعِيدَا
2 فَـمَـا وَفَّـى بِـذَاكَ فَـحَـادَ عَنْهُ ... إلَـى عِـلْـمٍ يُـوَرِّثُـهُ السَّفُودا[4]
3 على الكَشْفِ الأَتَـمِّ فَكَانَ فِيهِ ... إِذَا أَنْـصَـفْـتَـهُ فَـرْدًا وَحِـيدا
4 فَلا تَنْوِ الصَّعِيدَ إذا عَدِمْتُمْ[5] ... طَـهُـورًا للصَّلاةِ تَـكُـنْ سَعِيدا
5 فإنَّ اسْمَ الصَّعِيدِ يُرِيكَ عُلُوًّا[6] ... لهذا الحَقُّ أَوْدَعَـكَ اللُّحُودَا
6 ويَمِّمْ تُـرْبَ مَـنْ جُعِلَتْ ذَلُـولا ... تَـحُـزْ خيـرًا تَـكُـونُ بـه رَشِيدا
7 وتُعْطِيكَ الإِمَـامَـةُ مُسْتَوَاهَا ... وَتَـحْـذُوكَ الـمَشَاهِدَ وَالشُّهُودَا
8 وَتَحْمِيكَ العِنَايَةُ في حِمَاهَا ... وَتَكْسِي ثَوْبَكَ الغَضَّ الجَدِيدَا
9 وَتَـأْتِـيكَ الـعَـوارِفُ مُشْرِعَاتٍ ... على تَـرْتِـيـبِـهَـا بِيضًا وسُـودا

---

(1) الضمير يعود في «نزّهه» على أقرب مذكور، وهو المِثْل. وقد كتب «الوجود» بلا ياء، لكنّها مثبتة في المجلّدة الشّابعة.

(2) جد: المكانة والمنزلة. وتوجيه المعنى أنّ منزلة الحقّ تتنزّه عن اتّخاذ الصاحبة أو الولد. بينما يستعمل «الجدود» في البيت الذي قبله بمعنى أب الوالد.

(3) وردت في المجلّدة الشّابعة (112).

(4) كتبت في الأصل «الشهودا»، لكنّ المؤلّف يوردها في المجلّدة الشّابعة هكذا «السفودا» (القصيدة رقم 112).

(5) كتبها «أردتم» خلافًا للمجلّدة الشّابعة التي أثبتنا روايتها هنا.

(6) وردت في المجلّدة الشّابعة (112).

10 فَتَأْكُلُهَا بِهِ لَحْمًا طَرِيًّا	إذا ما المدَّعِي أَكَلَ القَدِيدَا[1]
11 إذا ما خُضْتَ في الآيَاتِ تَشْقَى	وَتُحْرَمُ أَنْ تكونَ لها شهيدا
12 إذا جَدُّ العَلِيِّ سَمَا اعْتِلاَءً	على العُظَمَاءِ أَوْرَثَهُمْ جُدُودا
13 سَمِعْت لَهُ وَقَدْ أَصْغَى إِلَيْهِمْ	لِمَا قَالُوهُ بَيْنَهُمُ قَدِيدَا
14 رأيتَهُمُ وقد خَرُّوا إليه	وبين يديه مِنْ أدبٍ سُجودا
15 ولِنْتَ[2] لِصَوْتِهِ المَحْزُونِ لَمَّا	ألاَنَ به الجَلائِدَ وَالحَدِيدَا
16 وَقَدْ وَافَى عَلَى قَوْمٍ قِيَامٍ	فَصَيَّرَهُمْ بِهِمَّتِهِ قُعُودَا

[15]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1 لا ذَنْبَ أعظمَ مِنْ ذَنْبٍ يُقَاوِمُ عَفْ	وَ اللّه عند الذي يأتيه مُعْتَقِدَا
2 وكلُّ ذَنْبٍ بِجَنْبِ العَفْوِ محتقَرٌ	عَفْوِ الإله ولا يَخْصُصْ به أحدا
3 ورحمةُ اللّه خُلْقٌ وهْيَ قد وَسِعَتْ	مَنْ أَوْجَدَ اللّهُ من خَلْقٍ وإن جَحَدا
4 وكيف لا تَسَعُ الأكوانَ رحمَتُهُ	وهْو الذي وَسِعَ الأكوانَ وانفَرَدَا
5 عن الكِيَانِ به فَلَمْ يَجِدْ أَحَدُ	من دون خالِقِهِ مَوْلًى وَمُلْتَحَدَا
6 هو الوجودُ الذي بالجودِ تَعْرِفُهُ	نُفُوسُنَا، ولهذا الأَمْرِ قَدْ عُبِدَا

---

(1) توفي الشَّيخ أبو مدين الغوث عام 589 للهجرة، وليس 594، كما تذكر غالبيَّة المصادر، والدَّليل ما يذكره ابن العربي شاهد العصر في الباب 556 من الفتوحات المكِّيَّة «في معرفة حال قطب كان منزله ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾، وهو من أشياخنا درج سنة تسع وثمانين وخمس مئة، رحمه اللّه». وقد كان ينوي زيارته في بجاية إلَّا أنَّه لما علم بوفاته في تلمسان ترحم عليه ونعاه بقصيدة طويلة في ديوان المعارف الإلهيَّة، ثمَّ توجَّه سنة 590 إلى تونس لزيارة أحد خلفائه هو عبد العزيز المهدوي.

وكان الشَّيخ أبو مدين يخاطب أصحابه ويقول لهم: «أطعمونا لحمًا طريًّا لا تطعمونا القدِّيد»، أي أخبرونا عن الفتوح التي فتح اللّه بها عليكم في قلوبكم، بدل أن تخبرونا عن فتوح غيركم. وقصده أن يرفع همَّتهم للأخذ عن اللّه.

(2) كتبها في الأصل «وأنت»، وهو خطأ. والرواية الصَّحيحة هي المثبتة في المجلَّدة السَّابعة.

(3) أوردها في المجلَّدة السَّابعة رقم (124).

7 فلو عَرَضْتَ عَلَى مَنْ كَانَ يَجْهَلُهُ ... عِبادَةَ اللَّـهِ في الأشياء ما عَبِدا

8 كما هُوَ الأمْـرُ لكن فيه مَلْحَمَةٌ ... بين العقول فَكُنْ بِالشَّرْعِ مُتَّحِدا

9 قد أخْبَرَ اللَّـه عن سُلْطَانِ رَحْمَتِهِ ... بأنه مِثْلُ عِلْمِ اللَّـه واعتقدا[1]

[16]

وقال أيضًا:

من البسيط [2]

1 مَا لِي وَإِيَّـاكَ غَيْرُ اللَّـهِ مِنْ سَنَدِ ... وفازَ من يَتَّخِذْ رَبَّ الوَرَى سَنَدا

2 هو الـمُهَيْمِنُ فوقَ العَرْشِ مَسْكَنُهُ ... كما يَليقُ بـه دِيـنًـا ومُعتَقَدا

3 يأتي ويَـنْـزِلُ والألْـبَـابُ تَطْلُبُهُ ... كما رَوَيْنَا على المعنى الذي قَصَدَا

4 وَمَنْ يَكُونُ عَلَى ما قُلْتُ فيه فَقَدْ ... وَفَّى بما كَلَّفَ الإنسانَ واقْتَصَدا

5 وَدَعْ مَقَالَةَ قَـوْمٍ قـالَ عَالِمُهُمْ ... بـأنَّـهُ بـالإلَـهِ الـوَاحِـدِ اتَّحَدَا[3]

6 الاتِّـحـادُ مُـحَـالٌ لا يَـقُـولُ به ... إلا جَهولٌ به عن عَقْلِهِ شَرَدَا[4]

7 وعـن حَقِيقَتِهِ وَعَـنْ شَرِيعَتِهِ ... فاعْبُدْ إلَهَكَ لا تُشْرِكْ به أحَدَا

8 وانْهَضْ إلى واَهِبِ الأسرار تَحْظَ به ... ولْتَتَّخِذْ عنده قبل القُدُومِ يَدَا

9 عليه مِنْ دَارِكَ الدنيا ومِنْ فِكَرٍ ... تَظَلُّ مِنْ أجْلِهَا في حَيْرَةٍ أبَدا

10 وكُنْ إمامًا ولا تَسْعَى لِمَفْسَدَةٍ ... بِكلِّ وَجْهٍ وَكُنْ في الحُكْمِ مجتَهِدَا

11 ولا تُغالِطْ بِتَعْلِيلٍ وأقْيِسَةٍ ... وَكُنْ عن الرَّأْيِ والتَّقْلِيدِ مُنْفرِدَا

12 إنِّي نَصَحْتُكَ والرَّحْمَنُ يَشْهَدُ لي ... كما أُمِــرْتُ، وهـذا كُـلُّـهُ وَرَدَا

---

(1) يريد قوله تعالى ﴿وسِعْتَ كل شيءٍ رحمةً وعلمًا﴾ (غافر، 7).

(2) وردت في المجلّدة السّابعة رقم (130).

(3) كتبها «الصمداء»، وهو خطأ، والصحيح ما أثبتناه كما في المجلّدة السّابعة رقم (130)، والسّياق يؤيّده.

(4) رد صريح مربع على كلّ المنكرين الذين يتقولون على الشّيخ، وينسبون له القول بالحلول والاتّحاد.

وقال أيضًا[1]:

من البسيط

1	إِنَّ التَّكاليفَ مَجْرَاهَا إِلَى أَمَدٍ	والعِلْمُ بِاللَّهِ لاَ يَجْرِي إِلَى أَمَدِ
2	في كُلِّ حِينٍ يَزِيدُ المَرْءُ مَعْرِفَةً	بِربِّهِ وَبِأَحْوَالٍ إِلى الأَبَدِ
3	فَمَا يَمُرُّ عليه اليَوْمَ مِنْ نَفَسٍ	إلا وَيَأْتِي بِعِلْمٍ لَمْ يَزَلْ يَرِدِ[2]
4	فَإِذْ ولا بُدَّ من عِلْمٍ فَأَحْسَنُهُ	العِلْمُ باللَّهِ لا بِالكَوْنِ فَاسْتَزِدِ[3]
5	كما أتاكَ به أَمْرُ المُهَيْمِنِ في	طه، وفي خَبَرٍ فَاعْمَلْ به تَزِدِ[4]
6	العِلْمُ باللَّهِ في عِلْمِي بِأَنْفُسِنَا	لِذَا أَحَالَ عليه المُصْطَفَى وَقَدِ
7	واللَّهُ ليسَ بمعلومٍ فَلَيْسَ لَنَا	عِلْمٌ بِنَا فَاعْتَبِرْ مَا قُلْتُهُ تَجِدِ
8	العَجْزُ غَايَتُنَا فِيهِ فَحَاصِلُهُ	لا عِلْمَ بِي وَبِهِ يَدُورُ في خَلَدِي
9	فَرَاقِبِ اللَّهَ يَا هَذَا عَلَى حَذَرٍ	وَالعِلْمُ بِاللَّهِ عَيْنُ العِلْمِ بالرَّصَدِ
10	في سُورَةِ الفَجْرِ قَالَ اللَّه يُعْلِمُنَا	بِأَنَّ رَبَّكَ بالمِرْصَادِ فَاعْتَمِدِ[5]
11	عليه إِنَّ لَهُ عِلْمًا يُجَدِّدُهُ	فَإِنَّهُ لَكَثِيرُ الخَيْرِ وَالرِّفْدِ
12	يُعْطِي العَطَاءَ وَمَا يُعْطِيهِ عَنْ كَرَمٍ	لأَنَّهُ الكَرَمُ المعْلُومُ، فَانْتَقِدِ

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 131).

(2) هكذا في الأصل «يرد» (من الورود) وفي وجينيل 53، وفي طبعة بولاق ونرجح أنّ الرّواية الصّحيحة هي «يَزِدِ» كما في قوله تعالى الذي يشير إليه في البيت رقم (5): ﴿وقل ربِّ زدني علمًا﴾ (طه، 114). أمّا توجيه الرّواية التي في المجلّدة السّابعة «بَرِدِ» فيؤيدها الحديث «...فرأيته وضع كفّه بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله في صدري، وتجلّى لي كلّ شيء وعرفت..» وقد عبّر النبيّ ﷺ عن التّجلّي المعرفة ببرد العلم في الصدر.

(3) بعد هذا البيت في أسفل ورقة المخطوط اليمني، يواصل من البيت الرابع لقصيدة أخرى في المجلّدة السّابعة (رقم 146)، ولا شكّ أنّ ورقة سقطت من المخطوطة. وقد أوردنا هنا القصيدة كاملة، وأثبتنا الأبيات الساقطة (21) من المجلّدة السّابعة.

(4) يشير إلى قوله تعالى ﴿وقل رب زدني علمًا﴾ (طه، 111). ويشير بالخبر إلى الدعاء النّبويّ عند شرب اللّبن، ويرمز إلى العلم حين تأول قدح اللّبن الذي قدمه له جبريل عليه السلام في حادثة الإسراء، فأخذه وشرب ودعا بقوله «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه». وكان يدعو بذلك عند شرب اللّبن وأمرنا بذلك حتى تزيد أمّته علمًا.

(5) يشير إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾ (سورة الفجر، 14).

13 لَـوْ كَـانَ ذَا كَـرَمٍ لَـكَـانَ عِلَّتَهُ ... وَلَيْسَ ذَا عِلَّةٍ تَهْدِي إِلى الرُّشْدِ

14 لَمَّا انْفَرَدْتُ مَعَ الـمَعْلُومِ فِي خَلَدِي ... سَأَلْتُ مَنْ ذَا؟ فَقَالُوا: بَيْضَةُ البَلَدِ[1]

15 فَصُلْتُ لما رأيتُ الأَمْرَ فِيَّ كَمَا ... ذَكَرْتُ بالحُكْمِ في الأدنى وفي البُعُدِ

16 وقال لِي خاطري ما أنتَ وَاجِدُهُ ... الكُلُّ مِثْلُكَ فَاسْمَعْ هَذِيَ منتقِدِ

17 إِنِّـي حَكَمْتُ لَهُ فِيمَا نَطَقْتُ بِهِ ... مِنَ الـمَعَارِفِ فِيهِ حُكْمَ مُجْتَهِدِ

18 فإِنْ أَصَبْتُ فَذَاكَ الظَّنُّ بِي وَبِهِ ... أَوْ لَمْ أُصِبْ فَهْوَ مِنِّي لاَ مِنَ الأَحَدِ

19 وَلَمْ أَقُلْ ذَاكَ عَنْ شَكٍّ يُخَالِجُنِي ... بَلْ قُلْتُه أَدَبًـا مَعْ سَيِّدٍ صَمَدِ[2]

20 ظَنَنْتُ بِاللّٰـهِ خَيْرًا إِذْ حَكَمْتُ به ... مِنْ ظَنَّ باللّٰـهِ سُوءًا كان في حَيَدِ

21 عَنِ الصَّوَابِ الَّذِي مَا زَالَ يَطْلُبُهُ ... مِنِّي فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَصْبَحْتُ ذَا فَنَدِ

22 أَخَذْتُ عَنْ وَاحِدٍ جَلَّتْ عَوَارِفُهُ ... هَذِي الـمَعَارِفَ لَمْ آخُذْ عَنِ العَدَدِ

23 حَصَّلتُ مِنْهُ عُلُومًا فِي مُشَاهَدَةٍ ... مَا لاَ يُحَصِّلُهُ النُّظَّارُ فِي مُـدَدِ

24 بَلْ لاَ تُحَصِّلُهُ النُّظَّارُ عَنْ نَظَرٍ ... أخرى الليالي ولا مَنْ قَالَ بالسَّنَدِ

25 العِلْمُ ذَوْقٌ ضَـــرُورِيٌّ لِذَائِقِهِ ... فَاعْمَلْ عليه فَمَا فِي الرَّبْعِ من أَحَدِ

[18]

من البسيط[3]

1 هَيْهَاتَ هيهاتَ لا مالٌ ولا ولدٌ ... نَعَمْ، ولا سَبَدٌ يبقى ولا لَبَدُ[4]

2 وليس ينفعني إذا وَرَدْتُ على ... ربُّ السَّماوات إلا الواحدُ الصَّمَدُ

3 سبحانَه وتعالى أن يُكَيِّفَهُ ... عقلٌ وأَنْ يَمْتَرِي فِي كَوْنِهِ أَحَدُ

---

(1) بيضة البلد: تُقال عن الرجل الذي عُرِفَ بالسِّيادة في قومه.

(2) مَعَ: (بتحريك العين) اسم، وعلامة ذلك أنّه يقبل التنوين فيقال «مَعًا»، وسكَّن المؤلِّف «مَعْ» على رأي من يعدُّها حرف جر في حال سكونها على لغة ربيعة وغَنْم في تسكين العين، فيقولون «مَعْكم»، ومَعْنا». وقد صادفنا هذا الاستعمال في القصيدة 279 من هذه المجلدة، وفي الجزء الرابع المحقّق في القصيدة 451، و 597.

(3) تبتدئ هذه القصيدة عند البيت الرابع، ولا شكَّ أنَّ ورقة سقطت من المخطوطة. وقد أثبتنا الأبيات الناقصة (3) من المجلَّدة السّابعة (رقم 146).

(4) انظر العبارة نفسها في البيت الثالث من القصيدة رقم (80) في المجلَّدة السّابعة. ومعناها الأولي: أي لا شعر له ولا صوف. أي لا يبقى للعبد إلّا الافتقار عند الورود على الواحد الصمد.

4 هو المهيمنُ فَوْقَ العَرْشِ أَعْلَمُهُ ... بِنَصِّهِ مَا لَـهُ فـي فِـعْلِـهِ مَـدَدُ

5 المالُ عندي وَحَالُ[1] الفَقْرِ يَحْجُبُنِي ... عنه فَعَيْنُ افْتِقَارِي ذَلِكَ السَّنَدُ

6 إلـى غَـنِـيٍّ مَـلِـيٍّ لا افتقارَ له ... إلـى الأمـور التي إليه تَسْتَنِدُ

7 إذا يُحَكِّمُني فيما يُمَلِّكُنِي ... في الحال يَحْجُرُهُ فَكَيْفَ أَعْتَمِدُ

8 عليهِ فيهِ وعِنْدِي الضَّعْفُ يَمْنَعُنِي ... عن التَّصَرُّفِ فيه هكذا أَجِـدُ

9 وقُـوَّةُ الحالِ عَيْنُ العِلْمِ أَذْهَبَهَا ... بالأَصْلِ صَبْرًا ولا صبرٌ ولا جَلَدُ

10 لو كنتُ أَصْبِرُ أو أقوى على جَلَدٍ ... ما ضَمَّنِي للذي قد عالَنِي بَلَدُ

11 وما أَنَا الغَوْثُ أَحْمِي الخَلْقَ منه ولا ... أنـا لـه بَـدَلٌ، ومـا أنـا وَتَـدُ

12 لكنني خـاتـمٌ بالعلم منفرد ... للّـه مرتقبٌ، بالسِّرِّ مُتَّحِدُ[2]

13 لا يعتريني لما قد قلتُ عَنِّي أذًى ... ولا يُنَهْنِهُنِي عن بُغْيَتِي الأَسَدُ[3]

[19]

وقال أيضًا[4]:

من البسيط

1 تَـبَـارَكَ اللَّـهُ لاَ أَبْـغِـي بِـهِ بَـدَلا ... ولا أَرَاهُ سِوَى فِي الأَهْلِ وَالوَلَدِ

2 عَجِبْتُ مِنْ غَفْلَتِي عَنْهُ بِهِ وَأَنَا ... مِنْهُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ، بَيْضَةُ البَلَدِ[5]

3 اِعْلَمْ بِـأَنَّ الَّـذِي بِالعَقْلِ أَطْلُبُهُ ... لَوْفَاتَ عَنْ بَصَرِي مَافَاتَ عَنْ خَلَدِي

4 قد صَحَّ بالنَّقْلِ أَنَّ العَيْنَ وَاحِدَةٌ ... مِنِّي وَمِنْهُ، فَلاَ يَحْجُبْكَ بِالجَسَدِ

5 فَـإِنَّـهُ عَيْنُ كُلِّي هَكَذَا وَرَدَتْ ... ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَمَا بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

6 غَيْرِي وَصُورَتُهُ فِي الحِسِّ صُورَتُنَا ... بِكُلِّ وَجْـهٍ وإنَّ الأَمْـرَ فـي حَـيَدِ

---

(1) في الأصل «فعين» بدل «وحال» كما في المجلّدة السّابعة.

(2) ذكر في هذا البيت والذي قبله أربعة أصناف من الأولياء: الخاتم، الغوث، البدل، الوتد. ولمعرفة طبقات الأولياء وأصنافهم بالتفصيل يرجع إلى الباب 73 من الفتوحات المكّيّة. وقد نفى عن نفسه صفة الغوث والبدل والوتد، وأثبت صفة الخاتم.

(3) من الطريف أنّ تاريخ ولادة الشّيخ يوافق برج الأسد. (انظر القصيدة 189، و219).

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 148).

(5) بيضة البلد: سبق شرحها في هوامش القصيدة رقم (17).

7 قد قال عني أُمورًا لَسْتُ أَعْرِفُهَا ... فيه فما جاء من غيٍّ ومن رَشَدِ

8 وَقْـتًا يميّزني عنه ويجمعني ... وقتًا عليه به لا بُـدَّ مِـنْ عَـدَدِ

9 قَدْ حِرْتُ فِيهِ فَلاَ أَدْرِي أَيُثْبِتُ لي ... عَيْنَ افْتِقَارِي أَوِ اسْتِغْنَائِي فِي الأَبَدِ

10 مِنْ أَعْجَبِ الأَمْرِ أَنِّي حادثٌ وأنا ... عَيْنُ القَدِيمِ بما قَدْ جَاءَ بِالسَّنَدِ

11 بأَنَّهُ فِـيَّ عَيْنُ السَّمْعِ والبَصَرِ ... وإِنَّـهُ عَيْنُ ما أَسْعَى بِهِ وبِيَدِي[1]

12 إِنْ قُمْتُ[2] قام لِمَا أَبْغِيهِ مِنْ عَمَلٍ ... بِهِ وَيَنْسُبُهُ لِي وَهْوَ لَيْسَ يَدِي

13 لأَنَّـهُ صَحَّ أَنَّ العَيْنَ حَـادِثَةٌ ... مِنِّي، وَكَيْفَ يَكُونُ الأَمْرُ يَا سَنَدِي

14 تَقَابَلَ الأَمْـرُ فِينَا وَالـوُجُودُ لَنَا ... حَقًّا يَقِينًا بِـلاَ رَيْـبٍ ولا فَنَدِ

15 إِنْ كُنْتُهُ فَلِمَاذَا قُلْتُ فِيهِ بِأَنْـ ... ـنَ الحقَّ سبحانَهُ رُكْنِي وَمُعْتَمَدِي

16 لَوْلاَ أَنَا لَمْ نَكُنْ بِلَيْسَ نَنْعَتُهُ[3] ... ولا بِـنَـفْـيِ أَبٍ عنه ولا وَلَـدِ

17 والكافُ عيني بلا شكٍّ، وزائِدَةٌ ... فِي قَـوْلِ أَكْثَرِهِمْ فَاقْرَأْ ولا تَزِدِ

18 فِي اللَّحْنِ[4] يُثْبِتُ ما قُلْنَاهُ من شَبَهٍ ... ولم يكنْ كُـفُـوًا لِلَّـهِ من أَحَـدِ

19 لذا أَتَتْ سورةُ الإخلاص عن نسبٍ ... من يهتدي فيه بالهَدْيِ الصَّحيحِ هُدِي

20 إِنِّـي أُنَزِّهُكَ عن تَنْزِيهِ أَكْثَرِهِمْ ... بما أَتَـتْ فيك أرسالٌ لَكُمْ وقَدِ[5]

21 كما فَدَيْتُكَ مِنْ تَقْدِيسِ عَالِمِهِمْ ... في زَعْمِهِ وهْوَ في التَّقْدِيسِ ذُو عَبَدِ

22 كَيْفَ الفِدَاءُ وَلا شَيْءٌ يُعَادِلُه ... لو افْتَدَى أَحَـدٌ بِمَا فُدِيتُ فُدِي

---

(1) إشارة إلى الحديث القدسي المشهور الذي رواه البخاري «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ ممّا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها».

(2) في الأصل «نمت»، والرواية التي في المجلّدة السّابعة أصح وهي التي أثبتنا هنا، فالعمل لا يكون في النوم، وإنّما العمل هو الذي يطلب القيام.

(3) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى، 11). ثمّ يشير في الشطر الثاني إلى سورة الإخلاص.

(4) اللّحن: أي في اللّغة. ومذهب الشّيخ الأكبر أنّ الكاف ليست زائدة هنا، بل لا وجود للزيادة أو النقص أصلًا في كلام اللّه. قال في الباب 361 من الفتوحات المكّيّة: «فما خرج شيء من الموجودات عن التّشبيه ولهذا قال ﴿ليس كمثله شيء﴾ فأتى بكاف الصفة ما هي الكاف زائدة، كما ذهب إليه بعض الناس ممّن لا معرفة له بالحقائق حذرًا من التّشبيه، فنفى أن يماثل المثل غيره من هو مثله، فنفى المثل عن مثل المماثل نفي المثل عن المماثل».

(5) هكذا في الأصل وفي باقي المخطوطات.

وقال[1]:

من الطويل

1	سَمَا فَاعْتَلَى فِي كُلِّ حالٍ مَقَامُ مَنْ	إذا قِيلَ أَنْتَ الرَّبُّ قال أنا العَبْدُ
2	على الكُلِّ عَهْدٌ قد عَلِمْتَ مقامه	فَمَنْ لم يَفِي[2] بالعَهْدِ ليس له عهدُ
3	كذا نصُّهُ في الوَحْيِ عَبْدٌ مُقَرَّبٌ	محمّدٌ المختارُ والعلَمُ الفردُ
4	وجاء به نَصُّ الكتابِ[3] مُؤيّدًا	كلامَ رسولٍ[4] صادِقٍ وَعْدُهُ الوَعْدُ
5	فَلِلّهِ مَا يَخْفَى، وَلِلّهِ ما يَبْدُو	ولِلّهِ فيه الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ مِنْ بَعْدُ
6	وَمَا يَدْرِي هَذَا الأَمْرَ إلا أُولُوا النُّهَى	مِنَ السَّادَةِ الغُرِّ الَّذِينَ لَهُمْ قَصْدُ
7	قُوَيمٌ إذا حَادَتْ مَقاصِدُ مِثْلِهِ	عَنِ الرُّتْبَةِ العَلْيَا فَخَانَهُمُ الحَدُّ
8	أقاموا براهينَ العدالة عندهُ	فقولهمُ قولٌ، وحَدُّهُمُ حَدُّ[5]
9	رجالٌ[6] لهم في كلِّ غَيْبٍ ومَشْهَدٍ	مَذاقٌ عزيزٌ طَعْمُهُ العَسَلُ الشَّهْدُ
10	وذلك عن وَحْيٍ مِنَ اللّه واصلٍ	إلى النَّحْلِ، فانظُرْ فيه يا أيُّها العَبْدُ
11	فَإِنْ كَانَ إِلْهَامًا مِنَ اللّه إِنَّهُ	هو الغايةُ القُصْوَى إلى نَيْلِهَا نَغْدُو
12	لما فِيهِ مِنْ تَرْكِ اسْتِنَادٍ مُعَنْعَنٍ	وَمَنْ كَانَ هَذَا عِلْمُهُ جَاءَهُ السَّعْدُ
13	فَلَيْسَ لَهُ إلاّ الغُيُوبُ شَهَادَةٌ	وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ مَا لَهُ حَدُّ

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة في القصيدة رقم (157) مع بعض الاختلافات اليسيرة.

(2) هكذا في الأصل. وقد أبدلت في طبعة بولاق بـ«لا يفي». ويجوز في الشعر إشباع الحركات للضرورة، ومنها عدم حذف حرف العلّة في حالة الجزم كما فعل الشّيخ هنا. وهذا لا يعني أنّ الفعل المضارع غير مجزوم، وإنّما تمّ إشباع الحركة بعد الجزم لتصبح حرف مد لضرورة الوزن. وقد فعل ذلك شعراء العربيّة كما في قول قيس بن زهير: أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَاد. (انظر شرح الأشموني لألفية ابن مالك. البيت 43)

(3) يريد قوله تعالى ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾. (البقرة، 39)

(4) يشير إلى الحديث الوارد في الصلوات «من جاء بهنّ لم يضيع من حقّهن شيئًا كان له عند اللّه عهد أن يدخله الجنّة. ومن لم يأت بهن استخفافًا بحقهن فليس له عند اللّه عهد» الحديث. وقد رواه مالك في الموطأ عن عبادة بن الصامت (1، 254 ـ 255).

(5) في مخطوط جامعة إسطنبول 1438، «وجدهم جد» (و. 75)

(6) تحوّلت هذه الكلمة في طبعة بولاق إلى «وحال»، وهو خطأ.

14 تَجنَّبْ براهين النُّهى إنَّها عَمًى ... إلى جَنْبِ ما قلنا فَقُرْبُكُمُ البُعْدُ

15 لو أنَّ الـذي قلناه يُـقْـدَرُ قَـدْرُهُ ... لَنُودِيتُ بين النّاس يا سَعْدُ، يا سَعْدُ

16 كما جـاء مَـنْ أَسْـرَى إليه به ... على بُـراقِ الهُدَى نحو الذي قلتُ يَشْتَدُّ

17 ومـنـه أخـذنـا علمه بشهادةٍ ... من الذَّوقِ ذُقْنَاها وشاهِدُنَا الوجْدُ

18 إلـى كُـلِّ خيرٍ سابقًا ومُسارعًا ... وقد جاء في القرآن أنوارُها تبدو

19 أروحُ عليها بُـكْـرةً وعشِيَّةً ... بشوقٍ إلى تحصيلها وكذا أغدو

20 ألا إنَّ بَذْلَ الوُسْعِ في اللّـه واجبٌ ... ودارُ الـذي ما مِـنْ صَداقَتِهِ بُدُّ

21 وليس سوى النَّفْسِ التي عابدٌ لها[1] ... وما هيَ من أعداءِ مَنْ حالُهُ الرُّشْدُ

22 تَـعَـبَّـدْتَ يا هـذا بكلِّ فَضيلةٍ ... وأنت لها أهلٌ إذا حَصَلَ الجهْدُ

23 وساعِدُكَ التَّقوى فَنِلْتَ به الـمُنى ... ولكن إذا أعطاكَ من ذاتِه الجِدُّ

24 إذا جـاءَكَ الوفدُ الكريمُ مُغَلِّسًا ... وصاحَبَهُ مِنْ عِنْدِ مُرْسِلِهِ الرِّفْدُ

25 فَذَلِكَ بُشْرَى منه إنَّكَ مُجْتَبَى ... وإنَّ لَكَ الزُّلْفَى كما أَخْبَرَ الوَفْدُ

26 وَمَـا الوَفْدُ إلاَّ رُسْلُهُ وكِتابُهُ[2] ... وَلَيْسَ لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسْلُهُ ضِدُّ

27 يُقاوِمُهُ[3] فَاعْلَمْ بِـأَنَّـكَ وَاصِلٌ ... إليه، ولا هَجْرٌ هُناكَ ولا صَدُّ

28 فَواصِلْ ذَوِي الأَرْحَامِ مِمَّا مُنِحْتَهُ ... وإنْ أَنْتَ لم تَفْعَلْ فَذَلِكُمُ الطَّرْدُ

29 وَحَـاذِرْ مِـنَ الجُودِ الإلَـهِـيِّ إنَّـهُ ... له الـمَكْرُ في تِلْكَ المنَائِحِ، والرَّدُّ

30 فَلَوْ كانَ عَنْ رَبٍّ لَكَانَ مُخَلِّصًا ... كما يَحْكمُ الشِّطْرَنْجُ إنْ حَكَمَ النَّرْدُ

31 أَلاَ إِنَّهَا الأَفْلاَكُ في حُكْمِهَا بِمَا ... قد أودَعَ فيها اللّـهُ مِنْ عِلْمِهِ تَعْدُو

32 على كُـلِّ مَخْلُوقٍ وإنَّ قَضاءَهُ ... عليه به فَاحمَدْ فَمِنْ شَأْنِكَ الحَمْدُ

33 فَحَقِّقْ تَنَلْ إِنْ كُنْتَ بِالحَقِّ حقَّهُ ... ولا تَعْتَمِدْ إلاَّ عَلَى مَنْ له المجْدُ

34 وذلكَ مَنْ تَدْرِي إذا كنتَ عالـمًا ... وقد أَثْبَتَ التَّحْقِيقُ مَنْ حالُهُ الجَحْدُ

---

(1) أورد المخطوط هذا الشطر هكذا: «وليس سوى النفس التي تعرفونها..»، وقد أثبتنا ما ورد في المجلّدة السّابعة بخطّ المؤلّف.

(2) هناك تقديم وتأخير في هذا الشّطر في المخطوطة بين «كتبه ورسله»، لكنّنا أثبتنا ما بخطّ المؤلّف في المجلّدة السّابعة.

(3) في الأصل «يلازمه»، وفي المجلّدة السّابعة «يقاومه».

35 ولا يَجْحَدَنْ إلا كَفورٌ لِعِلْمِهِ — لِذَلِكَ لَمْ يَخْلُدْ وإن ذُكِرَ الخُلْدُ
36 فَمَا الخُلْدُ إلا للذي ظَلَّ مُشْرِكًا — يَـروحُ وَيَغْدُو دَائِمًا فيه لا يَغْدُو

[21]

وقال[1]:

من البسيط

1 إنَّ الـفُـرُوعَ لَهَا أَصْـلٌ يُوَلِّدُها — وهْيَ الأُصولُ لمن أيضًا تُوَلِّدُهُ
2 الحَقُّ أَصْلُ وُجُودِي ثُمَّ مَعْرِفتي — أَصْلٌ لعلمي به إنْ كُنْتَ تَشْهَدُهُ
3 به أَتَـانَـا رَسُـولُ اللَّهِ في خَبَرٍ — عَكْسَ الَّذِي قَالَ مَنْ بِالفِكْرِ يَجْحَدُهُ
4 اللَّه أَنْـزَهُ أَنْ تُـدْرَى حَقِيقَتُهُ — وأَنْ يـؤيِّـدَهُ مَـنْ كـان يَعْبُدُه
5 وإنما قُلْتُ ذَا مِنْ أَجْلِ مَا وَرَدَتْ — به النُّصُوصُ التي لِلشَّرْعِ تَعْضُدُهُ
6 إِنْ تَنْصُرُوا اللَّـهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُشْهِدُكُمْ — إِصْلاحَ مَا[2] أَنْتَ تَأْتِيهِ فَتُفْسِدُهُ

[22]

أيضًا[3]:

من البسيط

في أمثلة وأوزان جمع القلة، والبيت الأول من ذلك تقدم لغيره.

1 بـأَفْـعُـلٍ وَبِـأَفـعـالٍ وأَفْـعِـلَـةٍ — وفِعْلَةٍ يُجْمَعُ الأَدْنَى مِنَ العَدَدِ[4]

فتمم على هذا البيت بالأمثلة :

1 كَمِثْلِ قَـوْلِـكَ أنـعـامٌ وأَرْقِـعَـةٌ — بَنَى الإلَـهُ لنا، قَامَتْ بِلاَ عَمَدِ
2 وَأَكْلُبٌ لم يَسُدَّ الخُبْزُ جوعَهُمُ — وفِتْيَةٍ نَبَغَتْ يَقْضُونَ بالرَّصَدِ

---

(1) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 159).

(2) في المجلَّدة السَّابعة «من» بدل «ما» (القصيدة رقم 159).

(3) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 165)

(4) أوزان القلة من جموع التَّكسير في العربيَّة، وهي أربعة: أفعلة، أَفْعُل، فِعْلَة، أفعال. وقد جمعها ابن مالك في قوله:

أَفْعِلَةٌ أَفعلُ ثم فِعْلَهْ — ثُمَّتَ أفعال جموعُ قِلَّهْ

[23]

وقال أيضًا[1]:

من البسيط

1 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا بِالدَّارِ مِنْ أَحَدِ — إلاَّ الَّذي نَعَتُوهُ مِنْكَ بِالأَحَدِ[2]

2 هُوَ الإِمَامُ الَّذي لاَ شَكَّ يَلْحَقُنَا — فيه وَعِلْمِي بِهِ كَالعِلْمِ بالرَّصَدِ

3 فَلاَ أَزَالُ مَعَ الأَنْفَاسِ أَرْقُبُهُ — ولَسْتُ مِنْ ذاكَ في كَدٍّ ولا كَبَدِ

4 لو لم يَكُنْ نَفَسٌ لَكُنْتُ ذا كَبَدٍ — فكان تَنْفِيسُهُ مِنْ أَلْطَفِ الرِّفَدِ

5 وإنّه عَيْنُ ما في القَلْبِ[3] مِنْ غَرَضٍ — وليس يَحْصُرُهُ شَيْءٌ مِنَ العَدَدِ

6 فقالَ وَهْمِي لِعَقْلِي : لا تُغَالِطُني — فإنَّهُ واحدٌ مِنْ ساكِنِي البَلَدِ

7 لَكِنَّهُ عَيْنُهُمْ والعينُ واحدةٌ — وليس عَيْنَهُمُ سَلْمٌ ولا تَزِدِ

8 مثلي ومثلُكَ والأعيانُ تَشْهَدُ لي — بما ذَكَرْتُ فَلاَ تَعْدِلْ عن الرُّشْدِ

9 قد قُلْتُ فيه مَقَالا لا يُنَهْنِهُنِي — عنه دليلٌ، فَلا تَصْدُرْ ولا تَرِدِ

[24]

وقال أيضًا[4]:

من البسيط

1 النَّفْسُ تَحْكُمُ والعقلُ السَّليمُ أَبَى — قبولَ ما حَكَمَتْ واللَّهُ يَعْضُدُهُ

2 على إقامةِ دينِ اللَّه إنَّ له — رَبًّا يُؤَيِّدُهُ فِكْرًا يُسَدِّدُهُ

3 ما خاطبَ اللَّهُ إلا ذا حِجًى فَلِذَا — تراه في كُلِّ ما يَقْضِي يُؤَيِّدُهُ[5]

4 لولا وُجودُ أولي[6] الألباب ما عُمِرَتْ — دُنْيا وأُخْرَى لهذا صَحَّ مَقْصِدُهُ

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 189).

(2) كتب الشطر الثاني هكذا «إلا الذي نعتوه منك بإله الأحد»، وهو خطأ ينتج كسرًا في البيت. والأصل الصحيح كما في المجلّدة السّابعة.

(3) في الأصل «في النفس» بدل «في القلب».

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 192).

(5) ورد الشطر الثاني هكذا «في كلّ شيء أتى منه يؤيده».

(6) كتبت في الأصل «ذوي» بدل «أولي».

5 العقلُ أشْرَفُ مَوْجودٍ حَبَاكَ به ... رَبُّ العِبادِ وبِالألْبَابِ نَعْبُدُهُ

6 إذا أتاه خِطابُ الشَّرْعِ أَثْبَتَهُ ... حَقًّا كما جاءهُ ولا يُفَنِّدُهُ

7 لأنَّهُ الحَقُّ لا تَضْرِبُ له مَثَلا ... ولا تَرُدَّ عليه بل تُرَدِّدُهُ

8 ما أَطْلَقَ الحقُّ قال العَقْلُ أُطْلِقُهُ ... ومَا يُقَيِّدُهُ أيضًا يُقَيِّدُهُ

9 إنَّ النَّبِيئينَ حازوا العَقْلَ إذْ عُصِمُوا ... فلا يُرى بَيْنَهُمْ خُلْفٌ فَيُفْسِدُهُ

10 بالعَقْلِ صَحَّ لنا بأَنْ تَكُونَ له ... فقد تعالى بهذا القَدْرِ مَشْهَدُهُ

11 إنْ كُنْتَ ذا نَظَرٍ فقد حَكَمْتَ له ... كما حَكَمْتَ عليه لستَ تَجْحَدُهُ

12 ولا تَقُلْ قد كَفَى بالعَقْلِ مَنْقَصَةً ... بِأَنَّهُ بِكَ مَخْصوصٌ ومُوجِدُهُ

13 أعطاكه فبه تأتي وتقصده ... كما به عن وجود المِثل تُفْرِدُهُ

14 وما له في الإلهِ الحَقِّ مِنْ صِفَةٍ ... قَدْ حَلَّ فينا وفي الأسماء مَحْتِدُهُ

15 لو كنتَ تَعْقِلُ إذْ قال الإلهُ لنا ... ألستُ رَبَّكُمُ ما كنتَ تَعْبُدُهُ[1]

16 أو[2] كنت تعلم إذ قال الإله لنا ... يدبِّرُ الأمرَ والتفصيلُ يَشْهَدُهُ

[25]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1 إني رأيتُ وجودًا غيرَ مستَنِدٍ ... فقلتُ هذا الذي إليه يُسْتَنَدُ

2 وغيرُهُ فَلَهُ الوَصْفَان قد جُمِعَا ... فالوجه مستَنَدٌ منه ومستَنِدُ

3 رأيتُه واحدًا بكل ناظِرَةٍ ... فلم تَلِدْهُ نُهًى فيها ولا يَلِدُ

4 يا واحِدَ الذَّاتِ، أسْماءٌ لَكُمْ ظَهَرَتْ ... بِنَا وما ضَمَّها عِلْمٌ ولا عَدَدُ

5 لأنها نِسَبٌ فلا انتهاءَ لها ... لكنَّها بِجَمِيلِ الحُكْمِ تَنْفَرِدُ

6 وإنها عندَ مَنْ أَغْنِيهِ إنْ نُظِرَتْ ... أحْكامُ آثارِها الآلاتُ والعُدَدُ

7 ولا وُجودَ لها والحُكْمُ صَحَّ لها ... والمنعُ منها، ومنها الجودُ والرِّفْدُ

8 وليس للخلق في دَفْعِ الذي حَكَمَتْ ... به عليه مِنَ احْوَالِ الوُجودِ يَدُ

(1) هذا البيت لم يرد في المجلّدة السّابعة، بحيث إنَّ عدد الأبيات فيها 15 بدل 16.

(2) في المجلّدة السّابعة «لو» بدل «أو».

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 214).

9 وليس للعَيْنِ فِعْلٌ دُونَها وَلِـذا ... عَجِبْتُ مِنْ عَـدَمٍ إليه نَسْتَنِدُ

10 لكنَّها في وُجـودٍ لا افتتاحَ له ... ولا افتتاحَ لها فينا بما تجد[1]

11 وما لها غايةٌ يقضي الدَّليلُ بها ... ومـا لها أمـدٌ[2] لكنْ لها الأبـدُ

12 في المنزلين على ترتيب نشأتِنا ... فالعقل يَحْمَدُهَا والرُّوحُ والجَسَدُ

13 إنَّ القَبولَ لنا كالاقتدار لها ... والأمرُ شَفْعٌ فأين الوِتْرُ وَالأَحَدُ

14 في الفِعْلِ هَيْهاتَ لا تَضْرِبْ له مَثَلا ... لـذاكَ قلتُ بـأنَّ الأمْـرَ يَتَّحِدُ

15 لا بُـدَّ منه ومِنّـي إذْ يُكَوِّنُنِي ... ومنهما تُبْصِرُ الأنـوارَ تَتَّقِدُ

16 أصبحتُ ليس لنا جاهٌ نُصَرِّفُهُ ... فيما نُرِيدُ ولا مـالٌ ولا سَنَدُ[3]

17 فقال لي قائل : اللّـهُ جاهُكُمُ ... اللّـه مالُكُمْ، كما هو السَّنَدُ

18 فقلت : لو فهِمَ الأقوامُ مَقْصدَنا ... فيما ذكرناه ما ظَنُّوهُ ما اعتقدوا

19 ضَلُّوا وربِّ الهُدَى عن الفراغ كما ... جاءَ الخِطابُ لمن عليه يعتمد

20 فيُصْبِحُ العَبْدُ والآمـال تَطْلُبُهُ ... والأمْـرُ مُمْتَنِعٌ والعَبْدُ مُضْطَهَدُ

21 فَـمَـنْ يُصَرِّفُهُ وليس يَصْرِفُهُ ... عن حاله وَالِـدٌ إن كانَ أوْ وَلَدُ

22 لو كان لي أَمَلٌ في غير ما حَكَمَتْ ... به المقادِرُ ما كـانَ الـذي يَـرِدُ

23 فَـوَارِدُ الحَقِّ في سُلْطانِ دَوْلَتِهِ ... له التَّحَكُّمُ فينا بالذي يَجِدُ[4]

24 العِزُّ يَطْلُبُ ما التَّوْحِيدُ يَمْنَعُهُ ... مِنْ أجْلِ ذَا شَقِيَ الأقوامُ إذْ سَعِدُوا

25 لو أنَّهُمْ بَذَلُوا ما حَصَّلوهُ لدى ... ما استُبدِلُوا إذْ تَوَلَّوْا قاله الصَّمَدُ

26 فَالْجَأْ إليه فَـإنَّ الخَيْرَ أجمَعهُ ... لديه وهُوَ الذي بالجود يَنْفَرِدُ[5]

27 إنـي أقـولُ كلامًا ليس يَعْرِفُهُ ... إلا الـذي هُوَ بِـالأَسْـرَارِ مُتَّحِدُ

28 فَيَفْهَمُ الأمـرَ في سرٍّ وفي عَلَنٍ ... وإن تَعالت به الألفاظ إذ تَـرِدُ

---

(1) هناك بياض في موضع كلمة «تجد»، فأثبتنا الأصل من المجلَّدة السَّابعة.

(2) كتبها «أحد»، وما كتبه المؤلِّف في المجلَّدة السَّابعة هو «أمد».

(3) كتبها «سبد»، والمؤلف كتبها كما أثبتناها، والسِّياق يؤيِّد ذلك حيث يأتي الجواب عن البيت (16) في البيت (17).

(4) كتب الشطر الثاني هكذا «له التحكم فينا بالذي ضده يجد»، وهو خطأ يحدث كسرًا في البيت، والأصل ما أثبتناه.

(5) كرَّر بعد هذا الموضع سهوًا البيت رقم (24) في أعلى الورقة رقم (11).

29	له الـمَضاءُ وسَيْفُ الصِّدْقِ يَعْضُدُهُ	له النَّقِيضان منه الغَيُّ والرُّشَدُ
30	يُضِلُّ من شاء بالأمر الذي وقعتْ	به الهداية وهو القطب والوتدُ
31	فـلا يُـثَـبِّـتُـهُ إلا تـزلْـزُلُـهُ	وبالتَّثَبُّتِ قلنا بُرْجُهُ الأسَدُ[1]
32	وإنَّ زلـزالَـهُ من حُكْمٍ منقَلِبٍ	عند العليمِ بما يقْضِي به الرَّصَدُ
33	لو أنّني كنتُ في الدنيا على سَفَرٍ	ما ضَمَّنِي لارتِحالٍ حَلَّ بي بَلَدُ
34	فـلا أُفـارِقُـهـا ولا أُقـيـمُ بها	ولا يُـثَـبِّـطُـنِـي أهـلٌ ولا ولـدُ
35	إني من أجليَ في عمياءَ مجْهلَةٍ	ولو أعيش الذي قد عاشه لُبَدُ[2]
36	ولـو أكـون لـه فـي كـل حادثـةٍ	حولاءَ لاح لعيني الواضحُ الجَدَدُ
37	لأنَّـهُ بَصَرِي فَلَيْسَ يَحْجُبُهُ	عنَّا جِـدارٌ ولا بُـعْـدٌ ولا أَمَـدُ
38	له التَّحَكُّمُ فيها والقَضاءُ بها	بها حَكَمْتُ عليها فابحثوا تَجِدُوا

[26]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1	الحَمْدُ للّٰه وَالرَّحمَنُ يَشْهَدُ لِي	بِأَنَّنِي حَامِدٌ وَالحَقُّ مَحْمُودُ
2	كَمَا عَلِمْتُ بِـأَنِّـي عَـبْـدُهُ وَبِـهِ	وَإِنَّـنِـي شَاهِدٌ وَالحَقُّ مَشْهُودُ
3	وَقَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّ الشَّرْعَ[4] خاطَبَنِي	بِـأَنَّـنِـي عَـابِـدٌ واللّٰـهُ[5] مَعْبُودُ

---

(1) من الطريف أنَّ تاريخ ولادة الشّيخ يوافق برج الأسد، فلعلّه يشير لنفسه بالذي اتّحد بالأسرار.

(2) سبق شرحه في هامش القصيدة رقم (10).

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 231) مع بعض الاختلافات اليسيرة، وأيضًا في ترتيب بعض الأبيات.

(4) كتبها «النفس» بدل «الشرع»، فالشرع من خاطبنا بأنَّ العبد عابد والرب معبود، وليس النفس، إذ لا يأتي منها الخطاب، بل تأتي بحديث نفس.

(5) كتبت في الأصل هكذا: «للّٰه»، لكن معنى البيت والسّياق يستلزم أن تكون «واللّٰه» كما في البيتيْن السّابقيْن حيث سبقت كلمة «الحقّ» بالواو. وقد وردت صحيحة في مخطوطة نسخة جامعة إستانبول 889 (و. 126)، وكذا في ديوان الزينبيّات 3838 (و. 251)، وديوان المعارف الإلهيّة 2348 (و. 158)، بينما وردت كما في الأصل في مخطوطات أخرى عدّة، منها مخطوط المجلّدة السّابعة بخطّ المؤلّف، ومخطوط رقم 863 (و. 141)، ومخطوط جامعة إستانبول 1438 (و. 75).

4 للنّاسِ[1] مِنْ جِهَةٍ قامت هُوِيّتُها — مِنَ الهَوَى ظِلُّها في الخَلْقِ مَمْدُودُ

5 وَمَا أَنَا مُطْلَقُ التَّصْرِيفِ ذو جِدَةٍ — لكِنَّني تحت حِجْرِ الشَّرْعِ مَجْدودُ[2]

6 مُقَيَّدٌ كلّما رُمْــتُ السَّراحَ إذا — مـا زال قيدٌ أتانــي منه تقييدُ

7 عَجِبْتُ من عابِدِ المخلوق وَهْوَ يَرى — بــأنَّ مَـعْـبُـودَهُ بالحال مَفْقودُ

8 يا عابدَ السَّبَبِ الموضوع مَا لَكَ لا — يُغْنِيكَ واضِعُهُ عنه وتَجْرِيدُ

9 لذا تَسَمَّى بِكُلِّ اسْمٍ مُهَيْمِنُنَا — لنا افتقارٌ إليــه فَـهْـوَ مَقْصودُ

10 وذاكَ إذْ ثَبَتَتْ بالشَّرْعِ غَيْرَتُهُ — مما قَدَ اوْجَـدَهُ عن أَمْـرِهِ الجُودُ

[27]

من البسيط[3]

1 اللّـهُ أَنْـزَهُ أَنْ يَحْظَى به أَحَـدُ — أحاطَهُ فَدَلِيلُ الكَشْفِ يَجْحَدُهُ

2 إنّي رَأَيْـتُ الذي بالعَقْلِ صَوَّرَهُ — في نَفْسِهِ وَالإلَـهُ الحَقُّ سَيِّدُهُ

3 لذلِكَ اخْتَلَفَتْ فيه عَقَائِدُهُمْ — وكُـلُّ عَقْدٍ له البُرْهَانُ يَعْضُدُهُ

4 في زَعْمِه وهْـوَ حَقٌّ لا خَفَاءَ به — لكنَّهُ بدليل الغَيْرِ يُفْسِدُهُ[4]

5 وقد أقـامَ بِنَصِّ الوَحْيِ خالقُنَا — في المؤمنين له عُـذْرًا يُؤَيِّدُهُ

6 وذَمَّ مَـنْ كان بالتَّقْلِيدِ يَعْبُدُهُ — مِـنْ عقله دون تشريع يُقَلِّدُهُ

7 فالشَّرْعُ يَنْفِيهِ عَنّي ثُـمَّ يُثْبِتُهُ — والعقلُ يُثْبِتُهُ رَبًّـا ويَـجْـحَـدُهُ

8 حَـــدًّا وإيـمـانـهُ فـيه يُـحَـيِّـرُهُ — لـذاك تُـبْـصِـرُهُ وقـتًـا يُـقَـيِّـدُهُ

---

(1) كتبها «اللّـه» بدل «للناس» خلافًا للمجلّدة السّابعة.

(2) النقط في «ذو جدة» و«مجدود» غير واضح في المجلّدة السّابعة، لكنّ مخطوطة ولي الدين 1681 توردها على هذا النحو الذي أثبتناه. والجِدَة: مِنْ وَجَدَ جِدَةً فهو وَاجِد: استغنى وصار ذال مال. المجدود: العظيم الحظ والرزق. ومنه قوله ﴿أسكنوهنَّ من حيث سكنتم من وُجْدِكم﴾ (الطلاق، 6). وقد كتبت الكلمة هكذا: «حدة» و«محدود» في مخطوط رقم 1438 (و. 75)، ومخطوط الزينبيّات (و. 251)، وليس هذا هو المقصود.

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 232).

(4) في الأصل «تفسده»، وفي المجلّدة السّابعة «نفسده». وفي ديوان المعارف الإلهيّة «يفسده» (الورقة 158 ب)، وهذه الرواية أرجح في نظرنا لأنّ القصيدة كلّها مبنيّة على هذا النحو، ولهذا أثبتناها.

9 واللّه، واللّه ربّي ما عَبَدْتُ له حقًا ولا أنا مِمَّنْ منه يَعْبَدُهُ[1]
10 وكيف آنَفُ منه وهو خالِقُنَا إليه فقري وذُلّي حين أعْبُدُهُ

[28]

من البسيط[2]

1 لَمّا عَلِمْتُ وُجُودًا مَا لَهُ حَدّ وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ القُرْبُ والبُعْدُ
2 في حَقِّهِ وَلَهُ الأَحْكَامُ أَجْمَعُها كَمَا لَهُ بِحُدُوثِي القَبْلُ والبَعْدُ
3 هُوَ الإِلَهُ الّذِي لاَ عَقْلَ يُدْرِكُهُ وَلَيْسَ يَأْخُذُهُ حَصْرٌ ولا حَدُّ
4 لَقَدْ سَمَا قَلْبُ مَنْ بالذَّوْقِ أَدْرَكَهُ سُمُوَّ عَبْدٍ له مِنْ رَبِّهِ الجَدُّ

[29]

من البسيط[3]

1 إني رأيتُ[4] نِياقًا كلُّها تُحَدُ[5] نحو الإلهِ ولا يُحْصَى لها عَدَدُ
2 سألتُ، قِيلَ نُفُوسُ العَارِفِينَ أَتَتْ إليه يطلبُها الإِحْسَانُ وَالرِّفَدُ
3 وَمَا لَهَا[6] خَبَرٌ بما له دُعِيَتْ فليس يَحْجُبُهَا مَنْعٌ وَلا صَفَدُ
4 الجُودُ يَطْلُبُهَا بالذَّاتِ وَهْيَ عَلَى ما يَقْتَضِي عِلْمُهَا فيه الذي يجد
5 مِثْلَ الكَلِيمِ رَسُولِ اللّه حين أتى إليه مِنْ خَضِرٍ[7] ما يقتضي الرَّشَدُ
6 إذا خلوتُ بِرَبِّي وَانْفَرَدْتُ به على مُشَاهَدَةٍ لَمْ يَبْقَ لِي سَنَدُ
7 منه إليَّ وَمِنّي دُونَ وَاسِطَةٍ إليه ذَوْقًا صَحِيحًا مَا لَهُ أَمَدُ

---

(1) يعْبَدها (بفتح الباء): يحرص عليها. ومنه أيضًا: يأنف منها، ومنه قول علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه : عَبِدْتُ فَصَمَتُّ، أي أَنِفْتُ فسكتّ. وسيشرح الشّيخ معنى عَبِدَ في البيت الموالي (10).

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 234).

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 238).

(4) هذه رؤيا من مرائي الشّيخ الأكبر حيث رأى نفوس العارفين في صورة نياق. وله رؤيا أوردها في القصيدة رقم (37) من المجلّدة السّابعة حيث يرى رجلًا يقود إبلًا.

(5) تحد: تُساق وتُحَثُّ على السير بالحُدَاءِ.

(6) كتبت «من ربه» بدل «من خضر».

(7) كتبت «وما له»، وهو خطأ لأنّ الضّمير يتعلّق بنفوس العارفين. والرّواية الصّحيحة مثبتة في المجلّدة السّابعة.

8 لَوْ كَانَ ثَمَّ انْتِهاءٌ كانَ مُنْقطِعًا ... ولم يَصِحَّ له الإبْقَاءُ وَالأَبَدُ

9 مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ يَنْصُرْهُ وَيُظْهِرُهُ ... وَيَأْتِهِ منه من أَمْلاكِهِ المَدَدُ

10 ويومَ بَدْرٍ أَبَوْا إلا مُواقَعَةً ... مع العَدُوِّ ولم يَظْفَرْ بهم أَحَدُ[1]

[30]

وقال[2]:

من البسيط

1 حقًّا أقول وَأَمْرًا قد عَلِمْتُ بِهِ ... العَيْنُ عَيْنِي وَلَكِنْ لَسْتُ أَشْهَدُهُ

2 الذَّوْقُ عِلْمُكَ بِالإيمَانِ يُدْرِكُهُ ... لو كان عِلْمُكَ ذَوْقًا كُنْتَ تَشْهَدُهُ

3 لكنَّ علمَكَ عن فِكْرٍ وَلِعْتَ به ... لذاك كنتَ مع الأَنْفاسِ تَعْبَدُه[3]

4 لو كان عِلْمُكَ عن ذَوْقٍ أَتَيْتَ بما ... كُلِّفْتَ من عَمَلٍ وَلَسْتَ تَعْبُدُهُ

5 إِنَّ العُبُودَةَ[4] حالٌ ليس يعرفُهَا ... إلا الذي هو بالبُرْهَانِ يَعْضُدُهُ[5]

6 ومَنْ يَقُولُ بِأَنَّ الحَقَّ عَرَّفَهُ ... بِأَنَّهُ عَيْنُهُ فَالحَالُ تَجْحَدُهُ

7 وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ مَنْ هَذَا حَقِيقَتُهُ ... القَوْلُ بِالقَوْلِ فَالأَفْكَارُ تُفْسِدُهُ

8 مَنْ كَانَ ذَاتًا فَلَمْ يَنْظُرْ إلى صِفَةٍ ... لأَنَّهَا نِسَبٌ والذَّاتُ مَشْهَدُه

9 فَاللَّهُ حافِظُهُ واللَّهُ عاصِمُهُ ... مِنْ كُلِّ نَعْتٍ إليه العَقْلُ يُرْشِدُهُ

10 لنا اشتياقٌ وَشَوْقٌ لا يُزَايِلُنِي ... حُكْمُ اشتياقي وشوقي ما يُؤَيِّدُهُ[6]

11 حالُ البَقَاءِ فَإِنَّ الكَونَ أُبْصِرُهُ ... من حيث يُبصرني وما أقيِّدُهُ

---

(1) يشير إلى قوله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ (الأنفال، 9). وقد دعا النبيّ ﷺ واستغاثه في معركة بدر بقوله «اللّهم أنجز لي ما وعدتني...».

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 264).

(3) تعبَدُه: (بفتح عين الفعل): تأنف منه.

(4) العُبُودَة: أشرف من العبوديّة، وهي التي لا يتخللها شَوْب من ربوبية. وقد عرّفها الشّيخ الأكبر في الجواب عن السؤال رقم 78 من الباب 73 من الفتوحات المكّيّة بقوله «ماذا يقدّم إلى ربّه من العبوديّة؟ الجواب: العبودة، وهو انتساب العبد إليه. ثمّ بعد ذلك تكون العبوديّة، وهو انتسابه إلى المظهر الإلهيّ».

(5) كتبت «يعبده» بدل «يعضده» خلافًا للمجلّدة السّابعة بخطّ المؤلّف.

(6) في البيت تضمين مع البيت الذي يليه.

12 عِلْمٌ صَحِيحٌ أَتَيْنَاكُمْ به خَبَرًا ... مِنْ عِنْدِ رَبٍّ، صَحِيح[1] فِيَّ مَقْصِدُه

13 ما لي سِواهُ وما في الكَوْنِ مِنْ أَحَدِ ... غيري فَيُوجِدُنِي وقتًا وأُوجِدُهُ

14 من قال وَحَّدْتُهُ، التَّشْرِيكُ يَصْحَبُهُ[2] ... قد جِزْتُ فيه، فقل لي من يُوَحِّدُهُ

15 يَا مَنْ يساعد نفسي إِذْ يساعده ... على سعادَتِهَا الرَّحْمَنُ يُسْعِدُهُ

16 إنَّ القَبولَ لما يُعْطِيهِ مِنْ مِنَحٍ ... منّي لِشَرْطٍ به نَفْسِي تُشَيِّدُهُ

17 وإنْ أَبَتْ فَبِضِدِّ السَّعْدِ قد رَضِيَتْ ... وما به رَضِيَتْ به تُقَيِّدُهُ

18 ما لي قَبولٌ لِمَا منه النَّجاةُ وَ لَوْ ... أَكُونُ قابِلَ خَيْرٍ كنتُ أَطْرُدُهُ

19 إنّي كَذَبْتُ على نفسي بما ذكرَتْ ... نفسي، وها هيَ في البَلْوَى تُقَلِّدُهُ

20 لولا القَبول ولولا الرَّدُّ ما شَقِيَتْ ... ولم يَكُنْ عندها عُذْرٌ تُمَهِّدُهُ

[31]

أيضًا[3]:

من البسيط

1 ما لي على حَمْلِ ما أَلْقاهُ مِنْ أَحَدِ ... غيرَ المهيمِنِ مِنْ صَبْرٍ ولا جَلَدِ

2 والغَيْرُ لَيْسَ هُنَا فَكَيْفَ أَذْكُرُهُ ... العَيْنُ وَاحِدَةٌ في الرُّوحِ وَالجَسَدِ

3 إنّي خُلِقْتُ على أَمْرَيْنِ قد جُمِعَا ... الرُّوحُ في راحةٍ والنَّفْسُ في كَبَدِ

4 قد أَقْسَمَ اللّه لي عِنَايَةً قَسَمًا ... بالطُّورِ والتِّينِ والزَّيتونِ والبَلَدِ[4]

5 وكلُّهَا لِمَعانٍ أنتَ تَعرفُها ... كَالتِّينِ لِلْعِلْمِ بي، والطُّورِ للوَتَدِ

6 وَاجْرِ[5] على مِثْلِ ما قُلْنَاهُ إنَّ لهُ ... نَهْجَ السَّبِيلين من غَيٍّ ومِنْ رَشَدِ

---

(1) «صحيح» تعود على الخبر.

(2) يعني بذلك أنّ من يقول «وحّدته»، فقد أقام نفسه واحدًا في مقابل الواحد الذي يزعم توحيده، فصارا اثنَيْن. والموحد الحقيقيّ هو من وحّد اللّه باللّه، لا بنفسه.

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 265).

(4) يشير إلى قوله تعالى ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ (التين، 1 ـ 3). لم يقسم الحق في هذه الآيات وفي غيرها على الحقيقة إلّا بنفسه، فأضمر حينًا كما هنا، وأظهر حينًا آخر في مواضع ثانية. والتّقدير: «رب التين ورب الزيتون...».

(5) ينبغي نطقها هكذا «وَاجْرِ» لتقويم الوزن. وهي مثبتة هكذا في الأصل وفي ديوان المعارف والمجلّدة السّابعة، والجزء الأوّل، والمخطوط رقم 863.

7	حَدَّثَتُ عن قلبي عن رَبّي فقيلَ لنا	هذا حديثٌ غَريبٌ عاليُ السَّنَدِ[1]
8	مِنْ عَهْدِ مَنْ أنتَ دونَ الخَلْقِ وَارِثُهُ	لم يَرْوِ هذا الذي رَوَيْتَ مِنْ أَحَدِ
9	فقلتُ إنَّ لنا ضِـدًّا ينازعنا	فيما ذكرتُ من أهلِ الغلِّ والحَسَدِ
10	فقيلَ إنّـك نـورٌ لا يُـقـاوِمُـهُ	خَـلْـقٌ تَـكَـوَّنَ من نـارٍ بلا رَمَدِ
11	فَقُلْ لأَهْلِكَ لا تُشْرِكْ بخالِقِهَا	عندَ الـولادة ما يَأْتِيكَ مِنْ وَلَدِ
12	أَضَافَهُ لِلَّذِي الرَّحْمَنُ حَـذَّرَهُ	منه فَـخَـاطِـرُهُ مَـا زَالَ فِي حَيَدِ
13	مَـنْ قـال إنَّ لَـهُ عَيْنًا تُمَاثِلُهُ	فَاللَّـهُ لَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَـمْ يَلِدِ
14	ومـا لَـهُ كُـفُـؤٌ يـكـونُ صَاحِبَهُ	لِـذَاكَ يَدْعُونَهُ بِالوَاحِدِ الصَّمَدِ
15	إنَّ الرجالَ رجالُ اللّـه ليس لهمْ	في غَيْرِهِ خَاطِرٌ يَـدُورُ فِي الخَلَدِ
16	هُمُ الأَئِـمَّـةُ إنْ عَـزُّوا وإن قَرُبُوا	وَهُمْ ذَوُو عَدَدٍ[2]، ما هم ذَوُو عُدَدِ

[32]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1	إنـي رأيـتُ رجـالا ما لهم عَـدَدٌ	لا يضربون سوى الأعداد في الأحدِ
2	فَعَيْنُ مَا ضَرَبُوهُ عَيْنُ مَا وجَدُوا	مِنْ بَعْدِ ضَرْبِهِمُ مِنْ فَرْدٍ أو عَدَدِ

(1) الحديث الغريب في علم الحديث هو الذي وقع فيه وجه من وجوه التفرّد، وهي كثيرة، أبرزها التفرد المطلق، والتفرّد النسبيّ. ومثال الأوّل حديث «إنّما الأعمال بالنيّات» حيث انفرد بإسناد واحد عن عمر بن الخطاب. والتفرّد النسبيّ هو أن يتفرّد راوٍ في رواية الحديث عن شيخه ولا يشاركه في هذه الرواية عن شيخه أحد رغم أنّ الحديث مروي من طرق عدّة. الحديث العالي السند: هو الذي قلّ عدد رواته، وعكسه النازل السند. يقول الشيخ الأكبر في الباب الأوّل من الفتوحات المكّيّة عن هذا المعنى «فمن كان يأخذ عن اللّـه لا عن نفسه كيف ينتهي كلامه أبدًا، فشتان بين مؤلّف يقول: حدّثني فلان رحمه اللّـه عن فلان رحمه اللّـه. وبين من يقول: حدّثني قلبي عن ربّي. وإن كان هذا رفيع القدر، فشتان بينه وبين من يقول: حدّثني ربّي عن ربّي، أي حدّثني ربّي عن نفسه». وقد عبّر عن هذا المعنى أبو يزيد البسطامي حين قال مخاطبًا علماء الرسوم «أخذتم علمكم ميّتًا عن ميّت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت». وفي معناه، ما كان يقوله أبو مدين حينما كان أصحابه يتحدّثون بفتوح غيرهم فيقولون: قال فلان عن فلان، فيقول لهم أبو مدين: «أطعمونا لحمًا طريًّا، لا تطعمونا القَدِيد». فأهل اللّـه يأخذون عن الحي الذي لا يموت، ولهذا لكلامهم عذوبة وصَوْلَة لأنّه حديثُ عَهْدٍ باللّـه. أمّا غيرهم فيأخذ عن الأموات.

(2) يشير إلى الأولياء الذين يحصرهم العدد. وقد فصل مراتبهم في الباب 73 من الفتوحات المكّيّة. كما يشير إلى الأولياء الذين لا يحصرهم عدد في مطلع القصيدة الموالية.

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 273).

3 كما هو الأمرُ أبْـدَتْـهُ حقَائِقُهُ — عينًا بعين فلم يَنْقُصْ وَلَـمْ يَزِدِ
4 وغيرُهُمْ وجدوا أضعافَ ما ذكروا — في ضَرْبِهِمْ وَهْوَ لا يَجْرِي إلى أَمَدِ
5 تمشي بهم رُتَبُ المضروبِ فيه إلى — أقْصَى المراتبِ في الأدنى وفي البَعِدِ
6 مَنْ كانت أسماؤه الحسنى له عددًا — يفوز بالغاية القُصْوَى من العُدَدِ
7 وصاحبُ الذَّاتِ ما يَنْفَكُّ مُنْحَصِرًا — ولا يُـفـرِّقُ بين الغَيِّ والرُّشَدِ
8 فَـإنْ تَحقَّقَ فيها أنَّـهـا نِسَبٌ — بلا زيـادةِ عَـيْـنٍ كـان في كَبَدِ
9 يبقى على حَالِهِ في أصْلِ خِلْقَتِهِ — في ظُلْمَةِ البَطْنِ في ضِيقٍ وفي نَكَدِ
10 حتى إذا بَـرَزَتْ لِلْحِسِّ صورتُهُ — تراه بالطبع يَبْغِي العُلْوَ في السَّنَدِ
11 يقول إنـي وحيدٌ قـام من عَـدَدِ — وإنَّنـي عَـددٌ قد قـام مِـنْ أحَـدِ
12 الـكَـونُ أجْـمَـعُـهُ في ذَاتِـهِ بَلَدٌ — وإنني فيه منه بَيْضَةُ البَلَدِ[1]
13 وليس يَعْرِفُنَا إلا الجَهُولُ بِنَا — مِنْ بَعْدِ بَحْثٍ قويٍّ، بَحْثِ مُجْتَهِدِ

[33]

أيضًا[2]:

من الكامل

1 هـذا عـبـدتُ الـلَّـهَ فيه مُـدَّةً — وسـجـدتُ فيه لـلإلـه سجودا
2 ونـشـرتُ فيه مـن العلوم لآلئًا — ونـظـمـتُ فيه فـرائـدًا وعـقـودا
3 فَـلْـتَـلْـبَـسَـنْـهُ إنَّـه مـن أثْـرِهِ — واسـتَـلْـزِمَـنْ للَّـه فيه عهودا
4 واضْـرِبْ به وجـهَ الزَّمان لكونه — في مثل هذا لو علمتَ حسودا
5 واقـصـدْ بـه قـربَ الإلـه فإنه — في مثل هـذا لم يـزل مقصودا
6 لما رأيـتُ صفيةً أهـلا لِمَا — أوليتُها كَسَوْتُها التَّحميدا

[34]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1 ما إن ذكرتُكِ يا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي — إلا وَجَدْتُكِ بين الرُّوحِ وَالجَسَدِ

---

(1) بيضة البلد: عبارة تقال عن الرجل الذي عرف بالسيادة في قومه. سبق شرحها في هامش القصيدة (17).

(2) وردت في الجزء الرابع (القصيدة رقم 92).

(3) وردت في الجزء الرابع المحقق (القصيدة رقم 88).

2 إذا تَمُرُّ رِيَاحٌ مِنْ هَوَاكِ عَلَى فُؤَادِي أَشْعَلَتِ النِّيرانَ في كَبِدِي

3 لولا صَفِيَّةُ لم يَصْفُ الوِدادُ لنا في كلِّ شَخْصٍ له حُكْمٌ على خَلَدِي[1]

[35]

من الطويل[2]

1 خليليَّ مهما جئتما عَلَمَيْ نجدِ فعُوجَا بتبليغ السَّلامِ على هِنْدِ

2 وقُولا لها رفقًا بقلبِ مُتيَّمٍ تركناه بالجَرْعَاءِ مَيْتًا مِنَ الوَجْدِ

3 فلو كان مَنْ أهواه مثلي وعنده مِنَ البَثِّ والشَّوْقِ المُبَرِّحِ ما عندي

4 لما كنتُ أخشى أن أموت صبابةً فإنَّ الذي أهواه مثلي من الوُدِّ

5 ولكنَّني آسَى ويسلو وأشتكي ويلهو فمَنْ للحبِّ إنْ مُتُّ مِنْ بَعْدِي

[36]

وقال أيضًا[3]:

من الطويل

1 إذا ما أتيتِ الدَّارَ يا أُمَّ أحمدِ[4] فلا تَنْسِ أيامًا بها بمحمَّدِ

2 ولا تَدْعِنِي إلا بقلبٍ مُدَلَّهٍ ولا تبكِني إلا بطرفٍ مُسَهَّدِ

3 فقد ضاق ذَرْعِي بالهوى واحتِمَالِهِ وَبَانَ العَزَا مِنِّي وبان تَجَلُّدِي

4 خليليَّ عُوجَا بالهوى واحتماله وحُطَّا به شوقًا إلى أُمِّ أَحْمَدِ

5 وآسِيَةُ[5] أصبحتُ منها بحالة كحالة مَنْ يُعْزَى إلى أُمِّ مَعْبَدِ

---

(1) كتبت الكلمة الأخيرة «خلدي» بدل «جلدي» بينما في الجزء الرابع أضيفت نقطة الجيم لعلها من إضافة ناسخ لاحق وليس من المؤلِّف. انظر هذا المعنى في القصيدة رقم (65).

(2) وردت في ديوان الزينبيّات (و. 256)، وديوان المعارف الإلهيَّة (و. 247)، والجزء الأوَّل (و. 82، 102) مع اختلافات يسيرة. وترجم لها في د. م. إ. بقوله «والرُّوح هندي، والخاطر أمدي، والسماع أبدي».

(3) ذكرها في ديوان المعارف الإلهيَّة (و. 248)، والجزء الأوَّل رقم 1438 (و. 101)، ومخطوط الظاهريَّة رقم 1539 (و. 84). وترجم لها في د. م. إ. بقوله «وصية».

(4) الغالب أنَّه يشير إلى أم ولده محمد.

(5) أورد ذكر اسم «آسية» امرأة فرعون في الجزء الرابع (القصيدة رقم 336)، لكنَّها أوَّل مرة نجد فيه هذا الاسم مرتبطًا ربما بإحدى النساء التي عرفهن الشَّيخ. كما أنَّ هذه أوَّل مرَّة تصادف حديثه عن «أم معبد»، و«أم أحمد». وأم معبد صحابية معروفة في تاريخ الإسلام استضافت النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في خيمتها أثناء هجرته من مكَّة إلى يثرب. وقد حفظت لنا كتب السِّيرة وصفها للرَّسول الكريم.

[37]

من مجزوء الرمل [1]

1 إنَّ هــــذا يـــومُ عـيـدِ فَـبِـحَـقِّ الـحـبِّ عُـودِي
2 وصـلـتـنـي اِتِّـفـاقًـا بـعـد هـجـر وصـدودِ
3 إنَّ نـــارَ الـحُـبِّ قـالـت بـالـهـوى هـل مـن مـزيـدِ

[38]

وقال أيضًا[2]:

من الوافر

1 أتـتـكَ هـديَّـةٌ من أمِّ عيسى[3] مناسِبةٌ لعيسى في العِبادَة
2 وِطــاءٌ لـلـصَّـلاة فـقـمـتُ فيه أناجي الحقَّ في طلب الزِّيَادَة
3 ومـرْوحَـةٌ تسوق إلـى فـؤادي هـواها والـهـوى للقلب عـادَة
4 لتشعلَ نـارَهُ فَـتَـزِيـدُ وَقْـدًا وذاك الوَقْدُ في سَبَبِ السَّعادة
5 فَـإِنْ مُتْنَا بِحُبِّكِ أُمَّ عيسى فَمَا مُتْنَا ولي أَجْرُ الشَّهَادَة[4]

[39]

من البسيط[5]

1 عندي من الستّ شيء ليس يعلمه إلا الذي خَلَقَ العُشَّاقَ في كَبَدِ
2 إني نظرتُ إليها وهْي سافرةٌ[6] في اليوم مقبلةٌ في ليلةِ الأحدِ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 248). وترجم لها «والرّوح أعياد، والخاطر غصن مياد، والسماع اعتماد».

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.246ب). وترجم لها «والرّوح أرض عبادة، والخاطر حسنى وزيادة، والسماع إفادة».

(3) اسم امرأة أخرى ممّن عرفهن الشّيخ.

(4) قد ضمَّن معنى موت المحب وحصوله على أجر الشهادة في القصيدة رقم (4)، وهو معنى ورد في حديث ذكر إسناده في القصيدة المذكورة.

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.249أ). وترجم لها «والرّوح سر لا يذاع، والخاطر ما لا يستطاع، والسماع دفاع».

(6) سافرة: مسافرة.

3	فقلتُ مَنْ أنتِ، قالتْ إنّي امرأةٌ	غريبةُ الشَّخْصِ في حُسْنِي وفي بلدي
4	إني لمن أصلِ أجوادٍ ذوي حَسَبٍ	من الملوكِ مِنَ اهْلِ الجودِ والرِّفَدِ
5	مَنَّتْ بزورتها أهدت بِوُصْلَتِها	فيما يرى الرائي نارَ الحُبِّ في كَبِدي
6	فقلت ما تبتغيه إنَّ لي كرمًا	قالت وصالَكَ يا مولايَ يا سيِّدي
7	فقلتُ أهلا بمن قلبي له وطنٌ	وَقْفًا عليه هواه لا إلى أمَدِ[1]
8	كوني على ثقةٍ منْ وُدِّ ذي مَقَةٍ	واللّه ما عنده سواكِ من أحدِ
9	فاستبشرت ومضت تزهو بما سمعتْ	من الحسان ذوات الخِدْرِ وَالخَرَدِ

[40]

وقال أيضًا[2]:

من الكامل

1	لمعتْ لنا بالأبرقينِ بروقُ	قَصَفَتْ لها بين الضُّلُوعِ رُعُودُ
2	وَهَمَتْ سَحَائِبُهَا بكل خميلة	وبكلِّ مَيَّادٍ عليكَ يميدُ
3	فَجَرَتْ مَذانِبُها وفاح نَسيمُهَا	وهَفَتْ مُطَوَّقَةٌ وَأَوْرَقَ عُودُ
4	نَصَبُوا القِبَابَ الحُمْرَ بين جَداولٍ	مثلِ[3] الأساوِدِ بينهنَّ قُعودُ
5	بِيضٌ أوانسٌ كالشموس طوالعٌ	عِينٌ كريماتٌ عقائلُ غِيدُ

[41]

وقال أيضًا[4]:

من البسيط

1	يا حادي العيس لا تعجل بها وَقِفا	فإنني رَجِلٌ[5] في إثرها غادي

---

(1) تحدّث أيضًا عن معنى الوقف في الحب، في القصيدة رقم (317).

(2) وردت في ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و. 261). وترجم لها «والرُّوح دلائل، والخاطر وسائل، والسماع داع شامل».

(3) تعود على الجداول التي شبهها بالأساود أيّ الحيات التي تمشي على بطونها «فمنهم من يمشي على بطنه».

(4) وردت في ترجمان الأشواق، وديوان المعارف الإلهيّة (و. 267أ). وترجم لها «والرُّوح حيرة، والخاطر دهش، والسماع ارتعاش».

(5) في ديوان ترجمان الأشواق وديوان المعارف الإلهيّة (و.267أ)، «زمِن». وقد كتبت هنا بالجيم، هكذا «رَجِلٌ». وقد تكون «رحل» بالحاء المهملة، لأنَّ الغُدُوّ (غادي) يقابله الرَّوَاح (رحل).

2 قِفْ بالـمَطايا وشَمِّرْ من أزِمَّتِها — بالشوق بالوجد بالتبريح يا هادي[1]

3 نفسي تريد ولكن لا تساعدني — رحلي[2]، فمن لي بإشفاق وإسعاد

4 ما يفعل الصَّنَعُ النِّحْريرُ في شُغُلٍ — آلاتُـــهُ أَذِنَـــتْ فيـه بإفــسـادِ

5 عَرِّجْ، ففي أيمنِ الواديِ خيامهمُ — للّـهِ دَرُّكَ ما تَحويهِ يا وادي

6 جَمَعْتَ قومًا هُمُ نَفْسِي وهُمْ نَفَسِي — وَهُمْ سَوادُ سُوَيْدَا خِلْبِ أكبادي

7 لا دَرَّ دَرُّ الهوى إن لم أَمُتْ كَمَدًا — بِحَاجِرٍ أو بِسَلْعٍ أَوْ بِأَجْيَادِ[3]

[42]

من الطويل[4]

1 أيا روضة الوادي أَجبْ ربّةَ الحِمَى — وذات الثنايا الغرِّ، يا روضة الوادي

2 وظَلِّلْ عليها من ظلالِكَ ساعةً — قليلا إلى أن يستقرَّ بها النّادي

3 وتُنْصَبَ بالأجواز منكَ خيامُها — فما شئت من طَلٍّ غِذاءً لِمُنْآدِ[5]

4 وماشئتَ منوَبْلٍ، وما شئتَ من نَدًى — سحابٌ على باناتِها رائحٌ غادِ

5 وما شئتَ من ظِلٍّ ظليلٍ ومِنْ جَنًى — شَهِيٍّ لدى الجاني يميس بميّادِ

6 ومـن نَاشِدٍ فيها زَرُودَ ورَمْلَهَا — وَمِنْ مُنْشِدٍ حَادٍ، وَمِنْ مُنْشِدٍ هادِ

[43]

من الكامل[6]

1 عِجْ بالركائب نحو بُـرْقَـةِ ثَهْمَدِ — حيث القضيب الرطبُ والروض النَّدِي

2 حيث البروق بها تُريكَ وَميضها — حيث السَّحابُ بها يروح ويغتدي

---

(1) في ترجمان الأشواق «باللّـه، بالوجد، والتبريح يا حادي».

(2) في ترجمان الأشواق «رِجْلي». بدل «رحلي».

(3) حاجر وسلع وأجياد: أسماء جبال في مكّة.

(4) وردت في ديوان ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و. 267ب). وترجم لها «والرَّوح تحيير، والخاطر حيرة، والسماع تلوين».

(5) منآد: الغالب أنّه هو الغصن. يقال تنوّدَ الغصن مال.

(6) وردت في ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة. ولم يترجم لها.

3 وارْفَعْ صُوَيْتَكَ بالتَّخَيْرِ مُناديًا ... بالغيد والبيض[1] الحسان الخُرَّدِ

4 مِـن كُـلِّ فاتكةٍ بطرفٍ أحْـوَرٍ ... مِـنْ كُـلِّ ثانيةٍ بِجِيـدٍ أغْيَـدِ

5 تَهوي فتُقصِدُ كُـلَّ قلب هائم ... يهوى الحِسانَ بِرَاشِقٍ ومُهَنَّدِ

6 تَعْطُو بِرَخْصٍ كالدِّمَقْسِ مُنَعَّمٍ ... بالنَّدِّ والـمِسكِ الفَتِيقِ مُقَرْمَدِ

7 تَرْنُو إذا نَظَرَتْ[2] بمقلةِ شادنٍ ... يُـعزى لمقلتها سـوادُ الإثْمِدِ

8 بالغُنْجِ والسِّحْرِ القَتولِ مُكَحَّلٍ ... بالتِّيهِ والحُسنِ البديعِ مُقَلَّدِ

9 هيفاءُ ما تهوى الذي أهوى وَلاَ ... تَفِ لِلَّذي وعدَتْ بصدق الموعد

10 سَحَبَتْ غَدِيرَتَهَا شُجاعًا[3] أسودًا[4] ... لِتُخِيفَ مَنْ يَقْفو بذاكَ الأَسْوَدِ

11 واللَّهِ ما خفتُ المنونَ وإنّما ... خوفي أمـوتُ فلا أراهـا في غَدِ

[44]

من الكامل[5]

1 بالجِزْعِ بين الأبْرَقَيْنِ الـمَوْعِدُ ... فَـأَنِـخْ رَكائِبَنَا فـذاك الـمَوْرِدُ

2 لا تَـطْـلُـبَـنَّ ولا تُـنـادِي بعده ... يـا حـاجـرُ يـا بـارقٌ يـا ثَـهْـمَدُ

3 والْعَبْ كما لَعِبَتْ أوانِسُ نُهَّدٌ ... وارْتَـعْ كما رَتَـعَـتْ ظِباءٌ شُرَّدُ

4 في روضـةٍ غَـنَّـاءَ صاحَ ذُبابُها ... فـأجـابـه طَـرَبًـا هـنـاكَ مُـغَـرِّدُ

5 رَقَّـتْ حَواشِيها ورَقَّ نسيمُهَا ... فالغَيْمُ يَبْرُقُ والغمامةُ تَرْعُدُ[6]

6 والـودق ينزل من خلال سحابه ... كـدمـوعِ صَـبٍّ لـلـفراقِ تَـبَـدَّدُ

---

(1) هناك تقديم وتأخير في الكلمتيْن مقارنة بترجمان الأشواق.

(2) في ترجمان الأشواق «لحظت».

(3) الشُّجَاع: الحيَّة. وقد شبّه غديرتها، أي ذُؤَابَةَ شَعْرِها المضفورة بالحيَّة السوداء، دليلًا على تمنعها وحرصها على إخافة من يقتفي أثرها.

(4) الأسود: الحيَّة السَّوداء.

(5) وردت في ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيَّة (و.268 ب). وقد ترجم لها «والرُّوح مبعاد، والخاطر وداد، والسماع انتقاد».

(6) هناك ورقة مبتورة بعد هذا البيت، ثمّ نجد أوّل بيت في الورقة (17) التي بعدها «فإن كان حقًّا ما تقول وعندها... إليَّ من الشوق المبرح ما عندي». وهو من قصيدة دالية وردت في ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيَّة.

7 واشربْ سُلافَةَ خمرِها بخمارِها واطربْ على غَرِدٍ هنالكَ يُنْشِدُ
8 وسلافةٌ من عهد آدم أخبرتْ عن جَنَّةِ المأوى حديثًا يُسْنَدُ
9 إنَّ الحسانَ تَفَلْنَها مِنْ رِيقِهِ كالمسكِ جاد بها علينا الخُرَّدُ

[45]

من الطويل[1]

1 ألا يا نَسِيمَ الريح بلِّغْ مَهَا نَجْدِ بأني على ما تعلمونَ من العهد
2 وَقُلْ لِفَتَاةِ الحيِّ موعِدُنَا الحِمَى غُدَيَّةَ يَوْمِ السَّبتِ عندَ رُبَى نجدِ
3 على الرَّبْوَةِ الحمراء مِنْ جَانِبِ الصُّوَى وعن أَيْمَنِ الأَفْلاجِ[2] والعَلَمِ الفَرْدِ
4 فإن كان حقًّا ما تقولُ وعندَها إليَّ من الشَّوقِ المُبَرِّحِ ما عندي
5 إليها ففي حَرِّ الظَّهيرةِ نلتقي بخيمتِها سِرًّا على أَصْدَقِ الوعدِ
6 فَتُلْقِي ونُلْقِي ما نُلاقي من الهوى ومن شدَّةِ البلوى ومن ألم الوَجْدِ
7 أأَضْغاثُ أحلامٍ أَبُشْرَى مَنامَةٍ أَنُطْقُ زمانٍ كان في نُطقِهِ سعدي
8 لعلَّ الذي ساق الأماني يسوقها فَيُهْدِي روضُها لي جَنَى الوردِ

[46]

وقال أيضًا[3]:

من الهزج

1 ألا يا بانةَ الوادي بشاطئ نهر بغدادِ

---

(1) وردت في ترجمان الأشواق وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.272ب). وترجم لها بقوله «والرَّوح إبلاغ، والخاطر بلاغ، والسماع استفراغ».

(2) الأفلاج: نظام دقيق من السواقي لتوزيع المياه في واحات الجزيرة العربيّة مازال موجودًا إلى اليوم.

(3) وردت مع اختلافات يسيرة في ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.273أ). وترجم لها بقوله «والرَّوح صوب، والخاطر تشبيه، والسماع تنبيه». وهناك فرق في عدد الأبيات حيث نجد أنّها تسعة (9) في الترجمان، بينما هي (8) هنا. والبيت الناقص جزء منه في الشطر الثاني من البيت (4) في الترجمان هو «فلا تذكر أخا الهادي». والجزء الآخر هو «وإن جادت بنغمتها» أورده في الشطر الأوّل من البيت الخامس في الترجمان.

2	شـجـانـي فـيـكِ مـيّـادُ	طَـــروبٌ فـــوقَ مـيّـادِ
3	يُـــذَكّـــرُنـــي تَـــرَنُّـــمُـــهُ	تَـــرَنُّـــمَ رَبَّـــةِ الـنّـــادِي
4	إذا سَـــــوَّتْ[1] مَـثـالـثَـهـا	فـمـن أنـشـجـة الـحـادي[2]
5	بـذي الخصمات من سلمى	يـمـيـنًـا ثـــمّ سِـنـداد
6	لـقـد أصـبـحـتُ مشغوفًا	بـمـن سَـكَـنَـتْ بـأجـياد
7	غَـلِـطْـنَـا إنـمـا سـكـنـتْ	سُـويـدا خِـلْـبِ أكـبـادِ
8	لـقـد تـاه الـجـمـالُ بـهـا	ونـشـرُ الـمـسـكِ والـجـادِ[3]

[47]

وقال أيضًا[4]:

من الرمل

1	أنـتِ قَـطْـرٌ وأنـا عينُ الـنّـدَى	فَـهَـوَى القَطْرِ علينا ما اعتدَى
2	ولـذا لـم تَـتَّـخِـذْنِـي حِـبَّـهـا	عندما داخـل قلبي سَـنَـدا
3	فـأنـا عـيـنُ هـواهـا فـلـذا	لـم أجـد مـن دونـه مُلتحدا
4	قلتُ لـمَّا سُمّيَتْ لي باسمِها	إنْ تَكنْ قَطْرًا أنا عينُ النّدَى
5	قسمًا بالحُبِّ يا نـورَ الهُدى	والهوى لا تتركي أمري سُدَى
6	فـأنـا والـلّـه مـن حُـبّـكُـمُ	في ضلالٍ وعمًى لا في هُدى
7	كلّما أشْـهَـدُكُـمْ أذْكُـرُكُـمْ	وشـهـودي مـا يـزال أبـدا
8	وحـيـاةِ الـحِـبِّ لا أعـرف لي	في هـوى مَـن هِمْتُ فيه سَنَدا

(1) في طبعة ترجمان الأشواق وشرح ذخائر الأعلاق، كتبت هذه الكلمة هكذا «استوت»، بينما هي «سوّت» كما في الأصل، وفي ديوان المعارف.

(2) البيت في ترجمان الأشواق هو «وإن جادت بنغمتها... فمن أنشجة الحادي».

(3) في ترجمان الأشواق، كتبت الكلمة الأخيرة «الحادي»، بينما هي الجادي، وهو الزعفران، وهو أصوب في السّياق المذكور وأرجح، سيّما وأنّ من عيوب القافية تكرار الكلمة نفسها، وقد مر استعمال الكلمة في البيت رقم (4).

(4) تفرد الجزء الثالث بإيراد هذه القصيدة فيما بين أيدينا من مخطوطات. وقد كرر أربعة أبيات منها في القصيدة رقم (53).

[48]

من البسيط[1]

1 إني ذكرتُ ذنوبًا كنتُ جئتُ بها ... ما لي على حَمْلها صبرٌ ولا جَلَدُ
2 حتى تَجلَّت لنا في عين[2] صورتها ... إذ بُدِّلَتْ حَسناتٍ ما لها عَددُ
3 لأنها حصلت فيما يضاعفها ... من المقام الذي بكونه سَعِدوا
4 سألتُ عنها رجالَ الغيبِ قيلَ لنا ... كما وَجدْتَ كذاك القوم قد وَجدُوا
5 في حضرة الجود جلاّها لأعيننا ... على منصّتها فاشهد كما شهِدوا
6 إن الكريم بنعت الجود ضاعفها ... له الهِبَاتُ له الإنعام والرِّفَدُ
7 هو الجواد الذي عَمَّتْ عوارفُهُ ... إليه أهل النُّهَى من عندهم وجدوا
8 لكونه بجميل الصنع عَوَّدَها ... وإنه السَّيِّدُ المِحسانُ والصَّمَدُ
9 لولا تنزُّله ما كنتُ صورَتُه ... لولا القبول الذي بي[3] لم يكن صَفَدُ
10 فكلنا سندٌ لعين صاحبه ... فالعبد مستنِدٌ والحقُّ مستَنَدُ
11 إليه من كلِّ وجهٍ من حقيقَتِه ... فَصَحَّ مِنْ كُلِّ وجهٍ أنَّهُ السَّنَدُ
12 هو المَليكُ ومَنْ في الكون سُوقَتُهُ ... وليس يدري به في مُلكه أحدُ
13 إلا رجال قد أعطتهم عنايته ... علمًا به فَبِهِ عنهمْ قد انفردوا
14 أنا مدينته لو كان يسكنها ... فما تضمَّنه روح ولا جسدُ
15 لأنه كون ما قلنا وأعينُهُمْ ... بمثل هذا جميعُ الرُّسْل قد وَرَدُوا
16 وما نَأى ومضى حُبًا لغيرهما ... وما له غيرنا في ملكه بلد
17 إني بحضرته وهو المقيم بها ... كما هو المورد الأحلى الذي تَرِدُ
18 فما شَعُرتُ به إلا شعرت له ... شعورَ وَالِدِ شَخْصٍ جاءه ولدُ
19 ما كلُّ من ليس عن أمٍّ ولا عن أبٍ ... يكون بالنَّظَر العقلي ما يلدُ
20 كآدمٍ عُلِمَتْ بالنَّصِّ نشأَتُه ... كفى بهذا دليلا أنهم جحدوا

(1) وردت في ديوان الزينبيّات (و.242)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و. 172أ)، وفي الجزء الأوّل (65).

(2) في الجزء الأوّل، كتبت «في غير» بدل «في عين».

(3) في الجزء الأوّل مخطوط جامعة إستانبول رقم 1438 «لي» بدل «بي» (و. 65).

21 لقد حَـبِيتُ بـه ألـفًا مُكَمَّلةً — وما أنـا إجْـدِهَـاقٌ لا ولا لُبَدُ[1]

22 أعطى الألـوف وآلافًـا وأتبعها — ألْفًا وألـفًا ومـا يُـدرَى لنا مَددُ

23 على الـدوام أواسيهم وأمنحهم — وليس تُفْقِرُنا الأعصارُ والمُدَدُ

24 ومـا لنا ذَهَـبٌ تُـدْرَى خَزائِنُهُ — ومـا لنا سَبَدٌ يُغني ولا لَبَدُ[2]

25 ومـا أتـيـت بـأمـر لا يُـجَـوِّزُهُ — أهلُ النُّهى غير أنَّ القوم قد عَبِدُوا[3]

26 أن يـأخذوه عن الأمـثـال إنهمُ — من أصل نشأتهم قومٌ لهم حَسَدُ

27 حرنا وحار الذي بالأمر حال بنا — عن الهجوم الذي في ذاتنا نَجِدُ

28 لولا الوجود ولولا حُسنُ صورَتِه — ما كان لي أملٌ في نيل ما اعتقدوا

[49]

وقال[4]:

من البسيط

1 إنَّـا لِدُنْيَانا أَبْـنَـاءٌ بنا حَمَلَتْ — وطَلْقُهَا الموتُ والأخرى بنا تَلِدُ

2 لذا تحنُّ إليها حيث كنتَ وما — تـدري بـأنـك يـا هـذا لها وَلَـدُ

3 فَـبِـرُّهـا ولـكـن كما تـريـد ولا — تَـعُـقُّـهـا فـلـهـا حـدٌّ لـه أمـد

4 وبِـرُّهـا أن يـراكَ اللّه مُتَّقِيًا — حـدودَه قـابـلا لـكـلِّ مـا يَـرِدُ

5 وتَأتِكَ الضَّرَّةُ الأخرى لتَحْضُنَكُم — ومـا لـهـا أمـدٌ لـكـن لـهـا الأبـدُ

6 وأمـرنـا مثل عيسى أنـه ولَـدٌ — لأمِّـه مـا لـه مـن دونـهـا سَنَدُ

(1) هناك بياض في موضع هذا الشطر في ديوان الزينبيّات (و.242)، بينما لم يتبيّن مخطوط الجزء الأوّل (رقم 1438) كلمة «إجدهاق» فكتبها «أجدرها قلا»، بينما كتب في هذا الأصل تفسير الكلمة بقوله «الإجدهاق: حية تعيش من العمر ألف سنة». والمؤلّف يشير إلى إجدهاق أو الإزدهاق بهذا المعنى. وذكره الطبري في تاريخه، وأنّه حكم الأقاليم كلّها ألف سنة كما يشير إلى ذلك هذا البيت. لُبَد: هو أحد نسور لقمان السبعة الذي عُمِّرَ طويلًا (انظر هامش القصيدة 10).

(2) سبق شرح هذا المثل «ما له سبد ولا لبد» في هامش القصيدة رقم (10). وقد وهم ناسخ مخطوط 1438 فكتب «سند ولا لبد» (و. 73).

(3) عَبِدُوا: أنِفوا. وفي البيت تضمين مع البيت الموالي، أي أنفوا أن يأخذوه عن الأمثال.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.176)، والزينبيّات (و.245)، ومخطوط مكتبة الملك عبد العزيز رقم 863 (و.129)، ومخطوط جامعة إستانبول A889 (و. 120)

7 إلا الإلـه الـذي في الأم كوَّنَهُ — شخصًا سويًا وما يدري به أحد[1]

8 وقـال أهـلُ إشـارات منبهةٍ — بـأنَّ والـدَهُ جبريل واعتمدوا

9 على تَشَكُّلِه فيما علمتَ وقد — أتى بإحيائه الموتى الذي شهدوا

10 فإنه الرُّوحُ وابنُ الرُّوحِ يشبهه[2] — في صورة النَّفخ والإنْشا فما جَحَدوا

11 وهـذه كلُّها فـي عقلهم شُبَهٌ — وإنـه عندهمْ فـي عينه جسدُ

12 لقد أشار[3] إلى أشياءَ تحسبهم — بأنهم كـفـروا بها ومـا قصدوا

13 بذلك الكفر لكن قال معظمهم — بـأنـه اللّـه لا أبٌ ولا ولد[4]

14 وقـال فـيـه رجـال إنـه بشرٌ — منهم وعـبـدٌ ولكن عنده مدد

15 يَخُصُّه مـن إلـه منه كـان به — يُحيي الموات ولم يظهرْ له عدد

16 هـذا هـو الحق إلا أنَّ صورته — في الطير نسرٌ وفي وحوشه أسدُ

[50]

أيضًا:

من البسيط

1 سبحان مَنْ مِنْ وجودي ما له حَدُّ — لكنْ له المجد والتعظيم والجدُّ

2 هو الإلـه الـذي ما زال يطلبني — مني وإنـي أنـا المملوك والعبد

3 وليس يطلبني إلا لِيُسعدَني — بقربه حين ما أقصانيَ الطَّردُ

4 لنا مـنِ احسانِهِ وصلٌ يـؤيّـدُهُ — لنا ومـنّـا لـه الهجران والصَّدُّ

5 لقد تَعِسْتُ وما عندي سوى أدبي — والعلم بي وبه إذ خانني الحَدُّ

6 رأيـت منه أمـورًا لا توافقني — لأن لـي غـرضًـا ومـا لنا عهد

7 ولـو وَفَـيْـتُ لـه بعهده قـام لي — بعهدنا وانتفى الابلاس والبعد

---

(1) هناك بيت ورد بعد هذا البيت في مخطوط رقم 1438 هو: «لذاك قال جهول إنَّه ولد... للّـه ليس له سواه مستَنَد» (و. 74)

(2) الرُّوح هو جبريل؛ وابن الرُّوح هو عيسى ابن مريم عليهما السلام، في قول من يقول بأبوة جبريل له حين تمثل لمريم بشرًا سويا؛ لكنَّ الشَّيخ يرد على هذا القول في الشطر الأوَّل من البيت رقم (11) بأنَّ هذه مجرَّد شبه عقليَّة.

(3) في مخطوط رقم 1438، «أشاروا» بدل «أشار».

(4) يشير إلى الأقانيم الثلاثة في المسيحيَّة. ويذكر في هذه الأبيات اختلاف الفرق المسيحيَّة في طبيعة المسيح عليه السلام هل هي واحدة أم مزدوجة من اللّاهوت والناسوت، في نقاش فرق النساطرة واليعاقبة والملكانيّين. وسيذكر الأقانيم أيضًا في القصيدة رقم (51).

8 الفَرْدُ في الفَرْدِ فَرْدٌ لو تُحَقِّقُهُ — وإنني الفَرْدُ[1] وهْوَ الواحد الفَرْدُ
9 من النتيجة منّا إنّ ذا عجبٌ — للعبد حَدٌّ وربّي ما له حَدُّ
10 أنا نتيجته كونًا وأُنتِجُهُ — علمًا كذا قال لي مَنْ صِدْقُه الوعدُ
11 فما لنا منه، إن حقّقتَ حاجَتنا — إليه بالذّات في تكويننا، بُدُّ
12 فيرسلُ الأمرَ إطلاقًا يقيّده — كوني بلفظه «كُنْ» ليظهر القصدُ
13 فنحن والذات والأشياء أكثرها — إذا تُحقّقها ثلاثةٌ سَرْدُ[2]
14 لا بدَّ منه ومني ثم من نِسَبٍ — هي التي ربطت كوني بها بعدُ
15 إذا نظرتُ إلى خَلْقِي وفي خُلُقِي — علمتُ قطعًا بأني قولُهُ الحَمْدُ
16 ليَ الثَّناء عليه ثم منه له — جَهْدَ استطاعَتِنا في ذاك والحَدُّ
17 القول ما قاله لا ما تقوّله — وكلُّ قول له فذلك العَقْدُ
18 إلا إذا كان نطقي عينُه فإذا — ما كان فَهْوَ قبول ما هو الرَّدُّ
19 وهْو الصحيح الذي ما فيه من كذبٍ — لأنه الحَقُّ صدقًا ما له الضِّدُّ
20 قد قال ما قال في خَلْقِي وفي خُلُقِي — ولم يَسَعْنِي لما قد قاله جَحْدُ
21 وَهْو الجوادُ فما تُحْصَى عَوارِفُهُ — مني السؤال ومنه البذلُ والرِّفْدُ[3]

[51]

وقال:

من البسيط

1 اللّه أكبرُ مما أنت تعتقد[4] — فإنه باعتقاد القلب يَتَّحِدُ

---

(1) مرتبة من الأولياء يقال لهم الأفراد خارجون عن حكم الأقطاب. (انظر الباب 73 من الفتوحات).

(2) سرد: متتابعة. يقال عن الأشهر الحرم، «ثلاثةٌ سَرْد، وواحدٌ فَرْد» والفرد رجب.

(3) الرفد: العطاء.

(4) ليس معنى «اللّه أكبر» أنه أكبر ممّا سواه، لأنّه ليس معه غيره حتى تتوهّم المفاضلة. وكلّ ما سواه هو من آثار قدرته، بل هو أكبر من أن يعرفه غيره. وقد ورد ذكر «اللّه أكبر» في الصلاة والأذان وغيرهما. و«أفْعَل» من صيغ المفاضلة، وهي هنا بمعنيَيْن: مفاضلة في الأسماء الإلهيّة، ومفاضلة في ذكر الذاكرين بهذا الذكر. فمعنى «اللّه أكبر» بالمعنى الأوّل أنّ «اللّه» أعظم وأجل من باقي الأسماء الإلهيّة الأخرى. أمّا بالمعنى الثاني، فهو أنّ ذكر اللّه بذكر اللّه أعظم من ذكر اللّه بذكر العبد له. وقد منع بعض العارفين الذكر بطريق المفاضلة لأنّهم رأوا أنّ الذاكر هو عين المذكور، والواحد الأحد لا يقبل المفاضلة في نفسه. فمن ذكر اللّه بهذا الذوق العالي كُشِفَ له أنّ الحقّ هو الذاكر لنفسه. ومن ذكر اللّه من حيث إنّه ذكر مشروع دون مفاضلة فتح اللّه عليه.

2	ولا يزال اعتقاد الناس مختلفًا	وكل شخص على حالٍ له يَرِدُ
3	لما تَجَلَّى لعين الوجه قيل له	ما أنت ما أنت وارتابوا بما اعتقدوا[1]
4	فلو تجلى لهم في عين ما اعتقدوا	خَرُّوا له سُجَّدًا من بعد ما عَبِدُوا[2]
5	فَـراحَ واتَّـبعـوه هـكـذا وردتْ	أخباره وعلا في سردها السَّنَدُ
6	وكلهم قال هذا الحقُّ واعترفوا	بما رأوه على علم وما جحدوا
7	لو أنهم علموا ما قد علمت وما	تُعطي حقيقته من أوَّلٍ سجدوا[3]
8	الـعـارفـون تـراهـم فـي منازلهم	على أسِرَّتِهِمْ سَكْرَى بما وَجَدُوا
9	من التَّلَذُّذِ في تطبيق صورته	على الذي اعتقدوه حينما شهدوا
10	وليس ينكره مـن كـان يعرفه	ولا يُـقِـرُّ بـه والـحـقُّ معتمَد
11	عند الذي هو حقٌّ فاعتبره تفزْ	بـواحـدٍ مـا لـهُ آبٌ ولا وَلَـدُ[4]
12	إن قلتَ عيسى فعيسى أو تقل أحدٌ	ضربتُ في أحدٍ يبدو لك الأحدُ
13	إني اعترفت به إذ كنت في بلدي[5]	ملكًا مُطاعًا عليه الأمـر ينعقد
14	وكـلـمـا قـلـت فـيـه إنــه أحـد	تقول أسماؤه والواحد الصَّمد[6]
15	ما الشخص إلا لآباء إذا كثرت	أعضاؤه ودليلي الجسم والجسد
16	فـــالأم زانـيــة بـكـل جـارحـة	والأم واحــدة والـوالـد العدد

(1) الشطر الأوّل مختلف في ديوان الزينبيّات (و.244) وهو «لمّا تجلّى إلى الأبصار قيل له» وبعده بياض في موضع الشطر الثاني. كما أنّ هناك كسرًا في هذا الشطر الثاني «ما أنت أنت وارتابوا وما اعتقدوا» وفي باقي النسخ التي أوردت القصيدة إلّا ديوان المعارف الإلهيّة (و.174ب) الذي يورد البيت كما أثبتناه في المتن أعلاه «ما أنت ما أنت وارتابوا بما اعتقدوا»، وهو صحيح المعنى والوزن.

(2) عبِدوا: أنفوا.

(3) هذا البيت ساقط من نسخة المخطوط رقم 1438.

(4) إشارة إلى الأقانيم الثلاثة عند النصارى، ولهذا أشبعنا نطق همزة «الأب» حتى يستقيم الوزن والمعنى. وقد سبق ذكر الأقانيم في القصيدة رقم (49).

(5) ربّما يشير إلى بلده في الأندلس الذي كان بجواره ممالك يحكمها ملوك على دين النصارى.

(6) في الأصل «هن كل وجه يقول الواحد الصمد»، لكنّه مكسور، وقد اعتمدنا ما ورد في ديوان الزينبيّات لتصحيح الشطر، وهي نفس الرواية في مخطوط 1438 مع اختلاف بسيط حيث ينقصها حرف الواو قبل كلمة «الواحد».

وقال :

من مخلع البسيط

1	ما كلُّ مَن قال في نِزال	بأنه المسلم المؤيَّدْ
2	يكون في قوله صدوقًا	من غير مكرٍ ولو تَشهَّدْ
3	حتى يُرى تابعًا هُداه	في كل حال وكلِّ مَشهد
4	وتبصرُ النُّورَ مِن هُداه	بما ادَّعاه عليه يَشهَدْ
5	فكل قول له دليلٌ	يحكم فيه بما تَقلَّدْ
6	قلتُ وخصمٌ له رقيبٌ	يرقبه عند كلِّ مَرْصَدْ
7	إن قلتُ فيما ادَّعيتُ صدقًا	صَلِّ على سيِّدي محمَّدْ
8	فقال لي عنده افتقار	إلى صلاتي والمؤيَّد
9	قلت له ما له افتقار	إليك لكن بذاك تَعتَد[1]
10	فإنه الأمر قد أتانا	بها من الواحد المؤيَّدْ
11	فقال صلُّوا عليه حتى	ينالكم خيرنا المُسَرْمَد
12	ففضلها عائد عليكم	وهْو الغَنِيُّ الإمامُ الأوْحَدْ
13	فإن بخلتمْ بها عليكمْ	نِلتُمْ بذا سوءَ كلِّ مَقْعَدْ
14	فإنَّه مِثْلٌ أو مثالٌ	مَثَّله من يراه أبْعَدْ
15	في أعين النَّاظرين فيه	بما يرى فيه أو يُجَدَّدْ
16	صلَّى علينا الإلَهُ عَشْرًا	به اعتناءً به وَأَزْيَدْ[2]
17	يُضاعِف الأمرَ فيه حتى	لا يَضْبِطُ العقلُ ما تَعَدَّدْ

---

(1) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وكذا في باقي النسخ، وأقرب شيء هو ما أثبتناه، والمعنى أنّك تعتد بهذه الصلاة لأنها عُدّتك إلى الواحد المؤيّد. والنقاش طريف بين هذا الخصم الذي يزعم أنّ النبيّ ﷺ مفتقر إلى صلاته وتأييده، فيذكّره الشيخ الأكبر بأنّه لم يفهم حقيقة الصلاة، بل هي تنفع من يصلي بها بخير سرمدي، وذلك حكم الخالق المؤيّد.

(2) في المخطوط رقم 1438 وديوان المعارف الإلهيّة، كتب الشطر هكذا «بها إذا الصلاة وحّد».

[53]

أيضًا[1]:

من الرمل

1 قسمًا بالحبِّ يا نور الهُدَى بالهوى لا تتركي أمري سُدَى

2 فأنا واللّه من حُبِّكُمُ في ضلالٍ وعَمًى لا في هُدَى

3 كلما أَشْهَدُكُمْ أذكركم وشهودي ما يزال أبدا

4 وحياةِ الحبِّ لا أعرف لي في هوى مَنْ هِمْتُ فيه سَنَدَا

[54]

وقال[2]:

من الخفيف

1 زعمَتْ زينبُ بأن فؤادي وضميري لها وكلّ ودادي

2 يَمَّمَتْ نحونا فيمَّمتُ أيضًا نحوها والهوى ينادي فؤادي

3 نالني مِنْ بِعادِها كلَّمَا قد نالها من بِعادِ أختِ العِماد[3]

4 بَلِّغوها عنِّي رسالةَ صَبٍّ لم يزلْ باكيًا عليها يُنادي

(1) انفرد هذا المخطوط بإيراد هذه القطعة الشعريّة التي لم نجدها فيما بين أيدينا من مخطوطات. وقد سبق أو أوردها كاملة من 8 أبيات في الرقم (47).

(2) وردت فقط في ديوان المعارف الإلهيّة (و.229أ) إلى جانب هذا الجزء المحقّق. وقد ترجم لها هناك بقوله «والرُّوح زعامة، والخاطر غرامة، والسماع للسماع في حرف أوّل كلمة من كل بيت». وهذه إشارة إلى أنّه يقصد محبوبته المسمّاة «زينب» التي ورد ذكرها في أوّل بيت، ثمّ ذكرت حروف اسمها في أوّل كلمة من كلّ بيت في هذه الأبيات الأربعة. وسترد بعد هذا القصيدة رقم (60) لها مطلع مشابه «زعمت زينب أن شهودي».

(3) لم نقف على هوية «أخت العماد». وسيذكر «أخت العماد» مرّة أخرى في البيت الرابع من القصيدة 59. وقد عبر عنها في ديوان المعارف الإلهيّة بـ «عين العماد» بدل «أخت العماد». كما كرّر عبارة «عين العماد» في الدّيوان المنشور لابن العربي في القصيدة رقم (227) من طبعة دار صادر: «يرونها وأنا عين العماد لها.... لذا تزول إذا زلنا من البلد»، والبلد هو العالم. فإذا زال الإنسان عنه وانتقل إلى الآخرة زالت العماد والعمد بزوال حقيقة الإنسان من هذه النشأة الأولى.

[55]

أيضًا[1]:

من البسيط

1	الزايِ زايُ زياداتٍ من الكَبِدِ[2]	والياءُ ياءُ يمينِ الصَّبْرِ والجَلَدِ[3]
2	والنُّونُ نون نَوَاكُمْ[4] يا مدى أملي	والباءُ باءُ بِعادٍ لا إلى أمدِ

[56]

وقال[5]:

من الرمل

1	أنتِ نورٌ وأنا عينُ الهدى	فَسَنَا النُّورِ علينا ما اعتدى
2	ولذا لم تتَّحِدْ في حبِّها	عندنا داخلُ قلبي سَندا
3	فأنا عينُ هواها فلذا	لم أجد من دونها ملتحَدا
4	قلت لمَّا سُمِّيَتْ لي باسمها	إن تكن نورًا أنا عينُ الهُدى
5	صنعةُ النَّحوِ له تُظهِره	ولنا في اللفظ منه قد بدا

(1) جاء في ترجمتها في ديوان الزينبيّات (و.240)، ومخطوط جامعة إستانبول 1438، وديوان المعارف (و.229أ) «وروحها وسم، وخاطرها رسم، وسماعها طَسْم» (و.62).

(2) كتبت هذه الكلمة هكذا «الكمد» في كلِّ النُّسخ التي اطلعنا عليها : ديوان المعارف الإلهيَّة (و.230)، المخطوط رقم 1438 (و. 62)، والمخطوط رقم 889A (و. 112)، والمخطوط رقم 863 (و.120)، وأمَّا في هذا الجزء الثالث المحقّق، فإنَّ كتابة الكلمة تحتمل القراءتين معًا، إلَّا أنَّ ديوان الزينبيّات (و. 240)، قد كتبها هكذا «الكبد»، وهي الرواية التي رجحناها لما ورد في الخبر من أحوال الآخرة عن أوَّلِ ما يَفْتِقُ أمعاءَ أهل الجنة أَكْلُهُمْ من زيادة كبد النون، ولهذا يندب للمضحي أن يفطر على كبد أضحيته يوم عيد الأضحى تيمُّنًا بدخوله الجنة. والبيت يتحدَّث عن الزيادة وعن النون، فالسّياق يرجح ما أثبتناه.

(3) يشير في هذه القطعة إلى اسم محبوبته «زينب». يمين الصبر: ورد فيها حديث عن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ «من حلف على يمين صبر...». واليمين الصبر: هي التي ألزم الإنسان بها وحُبِس عليها حتى يحلف. وأيضًا اليمين التي يكون فيها متعمِّدًا الكذب، سميت به لصبر صاحبه على الإقدام عليها مع وجود الزواجر من قلبه.

(4) في ديوان الزينبيّات، ومخطوط جامعة إستانبول «نداكم» بدل «نواكم» كما في ديوان المعارف وهنا.

(5) هذه القطعة تشبه القصيدة رقم (47) في تركيبها، فهما أختان. وقد انفرد بها هذا المخطوط.

[57]

أيضًا[1]:

من السريع

1 يا بنتَ عين القلب يا زينب — هذا الهوى عندك أو عنديَ

2 عندي بلا شكٍّ ولا مِرْيَةٍ — فَمَنْ له إن مُتُّ مِنْ بعديَ

3 يَبْلَى على فَقْدِ الهَوَى إنْ يَمُتْ — لأنني عينُ الهوى وحديَ

[58]

وقال[2]:

من المديد

1 أنضَجَتْ نارُ الهوى كبدي — والذي أهواه في خلدي

2 يشتكي منها ويوقدها — ويُواريها عن الجسد

3 ضَيِّفِي يا زينب[3] ابنتنا — بالذي أعطيت من غَيَدِ

4 عاشقًا عيناه ما نظرت — معكم عشقًا إلى أحد

[59]

من الوافر[4]

1 لعين القلب أعملتُ المطايا — لأمر قد تقرَّرَ في فؤادي

---

(1) أوردها في ديوان المعارف الإلهيّة (و.230أ). وترجم لها بقوله «وروحها استفهام، وخاطرها إعلام، وسماعها إلمام». وقد استبدل اسم زينب في أوّل البيت بلفظة «يا راحتي»، ولا شكّ أنّ ذلك الأمر اقتضى منه ذلك تجنُّبًا للإنكار كما حصل مع ديوان ترجمان الأشواق في أوّل ظهوره حين انتقده بعض الفقهاء في الشام، فاضطرّ إلى وضع شرح على الدّيوان ليوضح معانيه الإلهيّة خلف تلك الرموز الغزليّة.

(2) ترجم لها في ديوان المعارف الإلهيّة قائلًا «وروحها نار، وخاطرها نور وسماعها اعتبار» (230أ).

(3) تتحول في ديوان المعارف الإلهيّة إلى «يا راحتي» كما مرّ في القصيدة قبلها. كما لم تنقط الضاد في كلمة «ضيّفي» في المخطوطين، والمعنى يطلبها.

(4) قال في ترجمتها في ديوان المعارف الإلهيّة «والرُّوح مسير، والخاطر مصير، والسماع وزير» (و.230أ).

2 فَلَوْ حمَّلْتَنِي في الحُبِّ مَا لاَ يُطَاقُ حَمَلْتُهُ بصفا ودادي

2 ولـو مـنَّت عـليَّ بيا عُبَيْدِي سجدتُ لها إلـى يـوم التَّنادي

3 وأرجـو من وصالكَ يا مُنائي كما ترجوه من أختِ العماد[1]

4 فـمـا يـوم يَـمُـرُّ عـلـيَّ إلا يـكـونُ بـه ودادُكَ فـي ازديـاد

5 بـحـقِّ صبابتي بلهيب قلبي بصدقي في هـواكَ وباعتمادي

6 تَـرَفَّـقْ بالذي أضحى وأمسى يَهيمُ بزينبٍ فـي كُـلِّ وادي

[60]

من الخفيف[2]

1 زَعَـمَـتْ زينبُ[3] بـأنَّ شهودي هو حظِّي منها وعينُ وجودي

2 وحـيـاتـي بـوصـلـهـا ومـمـاتـي كلُّ وقتٍ بصدِّها عن صدودي

3 إنـنـي غـيـر هـائـم فـي هـواهـا بل هواها يهيم بي عن شهودي

4 بين قِيرْقِيسِيَا[4] ومصرَ هـواءُ ذو بـروقٍ بِجِلَّقٍ[5] ورُعـودِ

5 وبحورٌ[6] أمـواجُـهـا مهلكاتٌ ظهرت من هبوب ريحٍ شديدِ

6 أضرمتْ نـارَ حُبِّها في حشاها وهْـي نـارٌ وَقُـودُهـا مـن وَقُـود

7 لستُ أمشي في أمرها بِنَمِيمٍ لصدوري عن أمرها وَوُرُودِي

---

(1) سبق وأن تحدث عن «أخت العماد» في القصيدة رقم 54.

(2) قال في ترجمتها في ديوان المعارف الإلهيّة «والرُّوح وِطاء، والخاطر استبطاء، والسماع عطاء» (و.231ب).

(3) «راحتي» بدل «زينب» في ديوان المعارف الإلهيّة.

(4) قيرقيسيا: مدينة سورية صغيرة على مصب نهر الخابور في نهر الفرات. وهي اليوم أطلال أثريّة قرب دير الزور السوريّة.

(5) جِلَّق: اسم لكورة في غوطة دمشق. وقد قال فيها حسان بن ثابت: «للّـه دَرُّ عصابةٍ نادمتهم... يومًا بجلقَ في الزمان الأوَّل». وقد كانت اسمًا لدير «جلسا» من أديرة السريان هناك في عهد مملكة الغساسنة. وقُلِبُ السِّين قافًا كثيرُ الورود، كما في: جزيرة «سيسيليا» التي تصبح «صقلية»؛ و«غاليسيا» (Galicia) التي نطقها عرب الأندلس «جيليقيّة».

(6) «وبحورٌ» بالرفع معطوفة على «هواءُ في البيت رقم (4).

[61]

من البسيط[1]

1 تعجَّبتُ من دهري وإني لواحدُ «عليه فدهري جائر لا يساعدُ»

2 يُجَمِّعُ منها شملَها وهْي سَبْعَةٌ «ويأخذ مني مُؤنسي وهْوَ واحد»

[62]

مجزوء الوافر[2]

1 أسـيـر هــواك لا يُـفْـدَى ونـــارُ هـــواك لا تَــهْــدَى

2 فـلـو قَـطَّـعْـتَـنِـي إِرَبــا وزدتَ لـهـيـبـهـا وَقْــدَا

3 لـمـا حُـلْـنَـا ولا زُلْـنَـا ولـم أر مـنـكـمْ بُـــدّا[3]

4 ولـو قـبَّـلْـتَـنِـي أَلْـفًـا وجُـزْتَ الـحـصـرَ والـعَـدًا

5 لـمـا قَـنَـعَـتْ بـه نفسي ومُــتُّ بـحُـبِّـكُـمْ وَجْـدا

6 غَـزَلْـتِـي[4] وارحـمـي صبًّا يُـقَـطِّـعُ لَـيْـلَـهُ سُـهْـدا

7 تُـقَـطِّـعُـنَـا يَـدُ الـبـلـوى ومــا خُـنَّـا لَـكُـمْ عـهـدا[5]

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا مجيبًا، والرُّوح تعيين، والخاطر تضمين، والسماع وارد لا يَمين». وأضاف «هذا البيت مضمن، عن أمرها ضمَّنْتُه» (و.231أ). فالبيتان اشترك الشَّيخ وحبيبته في نظمهما.

والبيت المضمن هو «عليه فدهري جائر لا يساعد... ويأخذ منِّي مؤنسي وهو واحد». وقد وضعناه بين علامتي ترقيم.

(2) وردت هنا وفي ديوان المعارف الإلهيَّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح إخلاص، والخاطر تسليم، والسماع انقياد» (و.226ب).

(3) الشطر الثاني في هذا الأصل يصبح هو الشطر الثاني في البيت الأخير في ديوان المعارف الإلهيَّة.

(4) تحوَّلت «غزلتي» في ديوان المعارف إلى «حياتي». وقد مرت معنا في تحقيق الجزء الرابع. وقد كتبها الشَّيخ: «غزلتي» بدل «غزالي». وتتردَّد لديْه بكثرة. ولا شكَّ أنَّه يستعملها مثل ما نقول: حَبِيبَتِي (بالفتح)؛ وحَبِيبْتِي (بالسكون) بلسان عامَّة أهل المغرب والأندلس وغيرهم.

(5) الشطر الثاني في ديوان المعارف الإلهيَّة يصبح هو الشطر الثاني في البيت الثالث.

[63]

من الرمل[1]

1	زار مَــنْ أَهْــوَى مَـحَـلّـي وأنـا	غائبٌ لَيْتَ[2] شعري هل يُعِيدْ
2	ليس هذا من غزلتي[3] نَصَفٌ	إنما الإنصاف منها أن تَعُودْ

[64]

من الطويل[4]

1	أَرِيحَ الصَّبَا بَلِّغْ غَزْلَتِي تَحِيَّتِي[5]	فقد وحياةِ الحِبِّ مُتُّ بها وجدا
2	وقولي لها حفظًا لعهد مودّتي فإني	وإن طال المدى أحفظُ العهدا

[65]

من المديد[6]

1	آهِ مِــنْ قلبي وَمِــنْ كَـبِـدِي	لِـلَّـذِي أَضْـمَـرْتُ فـي خَلَدِي
2	يـا غَزَلْتِي[7] قَـدْ غَــزَوْتِ وَمَـا	لِـقَـتِـيـلِ الـحُـبِّ مِــنْ قَـوَدِ

[66]

من المجتث[8]

1	عـلـمـتِ يـا مَـهْـبُـلَـنْـدُ[9]	بـأَنَّــنِـــي لَـــكِ عَـبْـدُ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.226ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح طلب حج، والخاطر زيارة، والسماع نعيم».

(2) كتبت في الأصل وفي ديوان المعارف الإلهيّة «فليت»، لكنّ الوزن لا يستقيم بها.

(3) في ديوان المعارف الإلهيّة «حياتي» بدل «غزلتي».

(4) في ديوان المعارف الإلهيّة (226ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح بلاغ، والخاطر محافظة، والسماع ارتياع».

(5) ورد في ديوان المعارف «حياتي رسالتي» بدل «غزلتي تحيتي».

(6) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (227أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح قوت، والخاطر موت، والسماع إباحة».

(7) في ديوان المعارف «يا حياتي» بدل «يا غزلتي».

(8) وردت في ديوان الزينبيّات (و.362) وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.209ب) مع بعض الاختلافات اليسيرة، وترجم للقصيدة بقوله «والرُّوح ظن حسن، والخاطر نبل» ولم يذكر السماع.

(9) تحولت «مهبلند» إلى «عين ذاتي» في ديوان المعارف الإلهيّة.

2	بـالـحُـبِّ تَـحْـكُـمُ فِـيـنَـا	مِـنْ قَـبـلُ، مـلْـكًـا وبَـعْـدُ
3	وقَـد تَـنَـاءَيْـتِ عنـي	ولَـيـس لـي مِـنـكِ بُـدُّ
4	نـاديـتِ بِـشْـرٌ[1] فقلنا	لـبَّـيـك لـبَّـيـكِ هِـنـدُ
5	تـحـدو الـحـداةُ جِـمـالا	وحـسـنُـهـا الـقـلـبَ يـحدو
6	نـادى جَـمـالُـك قـلـبـي	فـجـاءه الـعـشـق يـعـدو
7	فـهـل رأيـتـم مُـحِـبًّـا	قُـلَـيْـبُـهُ يَـسْـتَـرِدُّ
8	لـم يـقـتـضـيـكِ دلـيـل	ولـم يَـحُـدَّكِ حَـدُّ
9	خَـنـسـاءُ تُـسـتَـر تـيـهًـا	عـن الـحِـسـان وتـبـدو
10	فـي الـرِّيـقِ مـنـكِ ثـلاثٌ	خـمـرٌ ومِـسْـكٌ وشَـهْـدُ
11	كـمـا لـشـخـصـكِ أيـضًـا	ثـلاثـةٌ هُـنَّ سَـرْدُ
12	شمسٌ وغصنٌ ودِعْـصٌ[2]	وَجْـهٌ ورِدْفٌ وقَـدُّ
13	ولـم يَـحُـزْ مـثـلَ هـذا	سـواك يـا مـهـبـلـنـد
14	تـشـلَّـثَ الأمـرُ عـنـدي	فـبـان فـي الأمـر رُشْـدُ
15	فـقـال عـلـمِـي ثـلاثٌ	وقـال عـيـنـيَ فَـرْدُ
16	لـلـشَّـوق بـيـن ضـلـوعي	لَـهـيـبُ نـارٍ وَوَقْـدُ
17	فَـلا كَـشَـوْقِـيَ شَـوْقٌ	ولا كَـوَجْـدِيَ وَجْـدُ

[67]

من المجتث[3]

1	فـي الـقـلـب يـا مـهـبـلـنـدُ	مِـنْ نـار حـبّـكِ وَقْـدُ

(1) تحوّل الشطر في ديوان المعارف الإلهيّة وديوان الزينبيّات إلى «ناديت يا بشر قلنا». ولعلَّ «بشر» اسم غلام أو جارية لها، فأقام نفسه في مقام خدمتها.

(2) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة. وفي هذه الصُورة البلاغيّة روعة لأنّه شبّه إشراق وجهها بضياء الشمس، وقَوامَ قَدِّها بالغصن، ولِينَ أردافها بالرمل، ولو استعمل الشيخ كلمة «رمل» بدل «دعص» لكان أوقع في النَّفس لأنّ «دعص» من غريب اللُّغة، إلّا أنّ ميزة «دعص» أنّها تشير إلى معنى القطعة ممّا ليس في معنى «الرمل» في دلالته على الجنس بصفة عامّة.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.209ب). وترجم لها بقوله «والرُّوح احتراق، والخاطر ذوبان». ولم يذكر السماع. كما أنّ «مهبلند» تتحوّل إلى «عين ذاتي».

2 فمـا لـنـا عـنـكِ صـبـرٌ ... ولا لـنـا مـنـكِ بُـدُّ

3 أصـبـحـتِ مـالـكـةً لـي ... لأنـنـي لـك عَـبْـدُ

[68]

من المجتث[1]

1 إلـيـك يـا مـهـبـلـنـدُ ... قـلـبُ الـمـتـيَّـم يـعـدو

2 قـالـت فـيـا قـلـبُ كَـمْ ذا ... تـروح شـوقًـا وتـغـدو

3 فـقـال أعـوَزَنـي الـصـبـ ... ـرُ عـنـكِ يَـا مهْبلَنْدُ[2]

4 فـالأمـر لـلـحُـبِّ فـيـنـا ... مِـنْ قَـبْـلُ، مـنـكِ وبـعـدُ

5 بـالـلَّـه يـا مـهـبـلـنـدُ ... عُـبَـيْـدُكُـمْ لا يُـرَدُّ

6 عَـمَّـا يُـرِيـدُ هـواهُ ... فـالـحـبُّ خَـصْـمٌ أَلَـدُّ

7 أَلـلَّـهَ، أَلـلَّـهَ فـيـهِ ... إنَّ الـجـزاء مُـعَـدُّ

[69]

من الطويل[3]

1 على مهبلندٍ[4] جاوز العارفُ الحَدَّا ... ولم يَأنَسِ الزُّلْفَى ولم يَجْهَلِ البُعْدا

2 وصيَّرها سِتًّا[5] على كُلِّ حالةٍ ... وكـان لها مُلْكًا وكـان لها عَبْدا

3 فكيف به لو آنسَ القربَ ساعةً ... لأصبحَ لا يدري صُدورًا ولا وِرْدَا

4 لقد هام في الخنساء قلبُ مُدَلَّهٍ ... ولم يَكُ والرَّحمنِ عَمْدًا ولا قَصْدا

---

(1) وردت في ديوان الزينبيّات (و.363)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.209ب). وترجم لها بقوله «والرُّوح سؤال، والخاطر نوال»، ولم يذكر السماع، واستبدل «مهبلند» بـ «نور عيني».

(2) تحولت «عنك يا مهبلند» إلى «وهو قرن مُعَدُّ». في ديوان المعارف الإلهيّة.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.209ب). وترجم لها بقوله «والرُّوح علو، والخاطر يأس»، ولم يذكر السماع.

(4) تحوّلت «على مهبلند» إلى «على من علمتم» في ديوان المعارف الإلهيّة.

(5) وهي ستة أحرف «مهبلند»، والجهات سِتٌّ، فمن حيث ما يمم وجهه تراءت له.

[70]

من المجتث[1]

1	هـلـكـتُ فـي مَـهْـبـلَـنْـدِ	هــلاكَ صـــاحــبِ هـنـدِ
2	أنـصـفـتُ فـي الـحـبِّ نفسي	فـمـا تـجـاوزتُ حَــدّي
3	لـو أنّ غـيـريَ يـهـوى	هــوايَ فـي مهبلندِ[2]
4	مـا أنـصـفَ الـنَّـفـسَ فيها	ولا رَعَـى حُـسْـنَ وُدّي
5	يـا رَبَّـةَ الـحُـسْـنِ كُـونِـي	عـلـى الـوفـاء بـعـهـدي
6	وراقِـبِـي الـلّــهَ فِـيـمَـنْ	أتَـى إلـيـكِ يُـكَـدّي[3]

[71]

من الوافر[4]

1	إلى الخنساء[5] حَلِّي وارتحالي	هي الآمـالُ لا بل شُغْلُ بالي
2	تُـحِـبُّ قـواعـدَ الإسـلام إلا	كتابَ الصومِ من أجل الوصال
3	أتـتـنـي بـالـكـتـاب وكـان فيه	بعثتُ إليكَ سيِّدَةَ الموالي
4	فـلـو كـانـت لـنـا بـنـتٌ أتـيـنـا	إليكَ بها وما أنـا عنك سالي
5	وقالت سِتُّنا شرفٌ[6] تُحَيِّي	جنابَكَ خدمةً وتـقـول مـا لي
6	أراكَ مُـولِّـيًـا عـنـي اعـتـداءً	عليَّ وحالها في الحُبِّ حالي
7	فـقـلـنـا مـا تـعـدِّيـنـا ولـكـن	رأيـتُ السّتَّ ما قَبِلَتْ سؤالي
8	فـقـالـت مهبلندُ إنَّ سِتِّي	تَـوَدُّ بـأن تـرى لها ما تـرى لي
9	فقلنا لا تـقـولـوا مـثـل هـذا	فما شَـرَفُ تُعادي مَـنْ أُوَالـي

---

(1) وردت في ديوان الزينبيّات (و.363)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح اعتراف، والخاطر اتِّصاف»، ولم يذكر السماع. كما كنى عن «مهبلند» بـ«فيمن علمتم».

(2) تحوّلت «في مهبلند» إلى «ما كنت وحدي» في ديوان المعارف الإلهيّة.

(3) يكدي: ألحّ في المسألة.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.209ب). وترجم لها بقوله «والرُّوح اصطفاء، والخاطر وفاء».

(5) تتحوّل «الخنساء» إلى «الشماء» في ديوان المعارف الإلهيّة.

(6) يتحوّل اسم «شرف» في ديوان المعارف الإلهيّة إلى «طرف»، وهو تصحيف.

[72]

وقال أيضًا:

من المجتث[1]

1	أَفـنـيـتُ كُـلَّ الـقـوافـي	فـي سـتّـنـا مهبلنـدِ[2]
2	بَـثَـثْـتُ فـيـهـا لـديـهـا	جـمـيـعَ مـا كـان عـنـدي
3	مـن لـوعـة واحـتـراق	ونـار شـوق ووجـد
4	لـمّـا تَـوَلَّـعَ قـلـبـي	وُلُـوعَ دمـعـي بِـخَـدِّي
5	بـهـا فـحـزتُ بـحـالـي	عـيـنَ الـمـحـبّـة وحـدي
6	أنـا قـتـيـلُ هـواهـا	مـا بـيـن وَصْـلٍ وصَـدّ
7	ولـم تُـراعـي انـهـمـاكـي	فـيـهـا وصـحّـةَ وُدّي
8	فَـلْـتُـعْـلِـمُـوهـا بـأنـي	لـهـا وَفَـيْـتُ بـعـهـدي
9	فَـمَـا أُنـادي بِـسِـتّـي	إلاَّ تُـلَـبّـي بِـعَـبْـدِي

[73]

وقال أيضًا[3]:

من السريع

1	والـلّـه مـا نَـطَـقْـتُ بِـأمْـرٍ	إلا يـقـولُ يـا سـيـدي خُـشْ
2	سُـرِرْتُ بِـالّـذِي نِـلْـتُ مِنْهَا	سُـرورَ مُـهْـبَـلَـنْـدٍ بِأيْقَشْ[4]

---

(1) وردت في ديوان الزينبيّات (و.363)، وديوان المعارف الإلهيّة (و.210أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح أمانة، والخاطر خيانة» دون ذكر السماع.

(2) يتحوّل الشطر الثاني في ديوان المعارف الإلهيّة إلى «بكل هزل وجِدّ» (و.210أ)، كناية عن اسم مهبلند كما في باقي أسماء النسوة التي ذكرهن الشّيخ في شعره في هذا الديوان.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح تعريض، والخاطر تورية»، ولم يذكر السماع (و. 210أ).

(4) أيقش: ظاهريًا يبدو وكأنّه اسم علم، إلّا أنّه يشير بهذه الكلمة إلى أوّل حرف في كلّ مرتبة من مراتب: الوحدات، والعشرات، والمئات، والآلاف في حساب الجُمَّل المغربي، وهي: «أ، ي، ق، ش» التي تساوي على التوالي 1، 10، 100، 1000. ويقابل «أيقش» كلمة «أيقغ» في حساب الجُمَّل المشرقيّ. وعلى هذا فمهبلند كانت مولعة بدرس الحساب وبالإفراد الذي كان يحدّثها به المؤلّف وخاصّة في معنى اسمها «مهبلند» الذي يساوي 111 بحساب الجمل، وهو مكوّن من الواحد في مرتبة الآحاد والعشرات والمئات (1، 10، 100). وهذا العدد يساوي نفس قيمة «قطب»، و«ألف» (111)، وفيه إشارة إلى كونها مثل القطب حاكمة على قلبه.

3 يا مُهْبَلَنْدُ أنــتِ ضَميرِي وَسِـرُّ خَـاطِـرِي بِـكِ يَنْعَشْ
4 فَكُـلُّ مَـا تَـرَى السَّـتُّ مِنَّا مِـنِ انْقِبَاضٍ أَوْ مِـنْ تَبَشْبُشْ
5 فَخِـدْمَـةٌ لَـهَـا واحـتـرامًـا يَصْـنَـعُـهُ سَـمِـيُّ الـتَّـحَـرُّشْ
6 وحَـقِّ حُـكْـمِ حُـبِّـكِ فِـينَا لَـقَـدْ لَـنَـا إلـيـكِ تَـعَـطُّشْ
7 إذا رَآكِ عَـيْـنُ فُــؤَادِي مِـنْ حِـينِـهِ يَـحَـارُ ويَـدْهَـشْ

[74]

وقال أيضًا[1]:

من السريع

1 مـا إن رأيـنـا فـي الـهـوى غـادةً لَمَّا انْتَهَى الحُسْنُ إليها وَقَفْ
2 إلاَّ الـتـي هَـيَّـمَـهَـا مـا بِـنَـا منها مِنَ البَثِّ وطُولِ الأَسَفْ
3 تَحْكُمُ فينا كيفَ شـاءتْ وما في كلِّ ما تقضي به من خَلَفْ
4 خافت على قلبي بما قد جرى يـا مُهْبَلَنْدُ بالهوى لا تَخَفْ
5 فما جرى غَيْرُ الـذي يشتهي وكُـلُّ مَـا تَـهْـوَاهُ عندي يَخَفْ
6 هيَّمني مِـنْ حُسْنِها دَلُّـهَـا وغُـنْـجُ عينيها وذاك الوَطَفْ[2]
7 فَسَحْرَها[3] رَوَّتْ بأجفانِها وطَـرْفُـهـا ليس بـهِ مِـنْ صَلَفْ
8 فهل سَمِعْتُمْ سندًا في الهوى مِـثْـلَ هواها خَلَفًا عـن سَلَفْ
9 حَـدَّثـنـي قـلـبيَ عـن نـاظري عن حُسنها عن حُسْنِ ذاك الهَيَفْ
10 عـن قَـمَـرٍ عـن غُصْنٍ عَـنْ نَقًا وعـن سَـنَـاهَـا إنَّـه قـد هَـتَـفْ
11 بـه فَـلَـبَّـاهُ فـجـاء الـهـوى يَـقْـدُمُـهُ أشـجـانُـهُ والـدَّنَـفْ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح عنعنة، والخاطر شغل بال»، ولم يذكر السماع (و.210أ).

(2) الوَطَف: كثرة شعر الحاجبين والأهداب مع استرخاء وطول.

(3) سَحْرُهَا: الرئة. ومنه حديث عائشة ﵂: «مات رسول الله ﷺ، بين سَحْري ونحري»، أيْ أنّه مستند إلى صدرها وما يحاذي سَحْرها منه. «سحرها»: مفعول به مقدم؛ أما «وطَرْفُها»، فمرفوع على الابتداء، والواو للاستئناف وليست عاطفة.

12	أيَـــهَ[1] بـالـقـلـبِ عـلـى غِـرَّةٍ	وانـتـظـم الأمـرُ فـلـولا شَـرَفْ
13	لاتَّـصَـلَ الحبْلُ وزالَ الجَفَا	وقـد عَفا الرَّحمنُ عمَّا سَلَفْ

[75]

وقال أيضًا[2]:

من الخفيف

1	لو رأيـتَ انْهِمَاكِي فِي مُهْبَلَنْدِ	قلتَ مجنونَ عَـامِـرٍ مـا فَقَدْنَا
2	لم نُـرِدْ بالذي ذَكَـرْنَـا افْتِخَارًا	إِنَّـمَـا مَـا تُـرِيـدُ مِنَّـا أَرَدْنَـا
3	فَـأَرَادَتْ إِعْـلَامَ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي	أَنَّ هَـذَا بِـحُـبِّـهِ فِـيَّ جُنَّا
4	آهِ للحبِّ ما يُـلَاقِـي فُـؤَادِي	مِنْ هَوَاهَا وَمَا يَرَى العشقُ مِنَّا
5	قلتُ للعاذلِ الذي ليس يدري	مـا بقلبي إليـكَ بالعذلِ عَنَّا
6	لا تَلُمْ فِي الـهَوَى حَلِيفَ سُهَادِ	لَـمْ يَـلُـمْ فـي هـواه قَـطُّ مُعَنَّى
7	كُلُّ مَا يَفْعَلُ الحَبِيبُ حَبِيبٌ	إِنْ دَنَـا مِـنْ حَبِيبِهِ أَوْ تَجَنَّى
8	لَيْسَ فِي شَرْعِ مُنْيَتِي مُهْبَلَنْد	أَنْ يَـنَـالَ الـمُحِبُّ مَا يَتَمَنَّى

[76]

وقال أيضًا[3]:

من السريع

1	مـا مـهـبـلـنـد بـالـتـي أَنْـــزِلُ	عـن حبِّـهـا لـو أنـنـي أُقْـتَـلُ
2	يـا عُـذَّلِـي بـالـلّـــه لا تفعلوا	كُفُّوا عن الـعَـذْلِ وَلاَ تَعْذِلُوا
3	فـلـو تَـجَـارَتْ لـلـهوى ضُـمَّـرٌ	فـي حَـلْـبَـةٍ كـنـتُ أنـا الأوَّلُ
4	إنَّ جـوادَ الـحـبِّ مِـضْـمـارُهُ	فـي خَـلَـدِي بحيثُ لا يُجْهَلُ
5	يا قادحًا زَنْدَ الهوى في الحَشَا	نـارُ الهوى فـي أَضْلُعِي تشْعَلُ

(1) لم نتبيَّن هذه الكلمة إلَّا بعد تمعُّن. أيَّهَ به: صاح به وناداه. وأيضًا، أيه: زجره. والمقصود المعنى الأوَّل لهذا الفعل.

(2) وردت في ديوان الزينبيَّات (و.367)، وفي ديوان المعارف الإلهيَّة (و.210أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح افتخار، والخاطر تذكار»، ولم يذكر السماع.

(3) وردت في ديوان الزينبيَّات (و.367)، وفي ديوان المعارف ولم يترجم لها على عادته في هذا الدِّيوان، ولعلَّه سهو من الناسخ، لكنَّنا نجد أنَّه ترجم لها في الزينبيَّات بقوله «والرُّوح ندائي، والخاطر وصالي».

6 مَا أَنَـا غَيْرُ[1] الحِبّ بَلْ هُو أَنَا فَلاَ تَقُلْ في الحُبّ مَنْ أَفْضَلُ

[77]

وقال أيضًا[2]:

من البسيط

1 من الطبيعة قامت نشأةُ العشقِ كصورتي فأتانا الأمـر بالوفقِ
2 لما تجلّى له محبوبُهُ سَحَرًا وقد تَغَيَّرَ ذاك الصَّفْوُ بالرَّتْقِ
3 فَمِنْ حـرارَتِـها قـام الغَليلُ به ومـن برودتها ما فيه من رِفْـقِ
4 ومـن رطوبتها لانَـتْ جوانِبُهُ ومـن يُبوستها تَحَبُّبُ الخَلْقِ
5 لـذاك حـاز مـنَ الألـقـاب أربعةً هـوًى وحبًّا وَوُدًّا ثم بالعشق[3]
6 تَكَمَّلَتْ فله مـن كـلٍّ واحـدةٍ لفظٌ يَـدُلُّ عليه أَلْسُنُ الصِّدْقِ
7 وروحـه منه ما يعطيه من خبر لسانُ حـالٍ بلا لَفْظٍ ولا نُطْقِ
8 إنْ قلتَ مَنْ حازَ هذا الحُبَّ قلتُ أنا في مَهبلندٍ وفُـزْنَـا منه بالحقّ

[78]

وقال أيضًا[4]:

من الطويل

1 أهيم بمن تدرونها وهي بغيتي ومـا هي إلا مهبلند فَأَيِّهُوا[5]

---

(1) في ديوان المعارف الإلهيّة «عبد»، بدل «غير»، وسياق المعنى يدلّ على الغيريّة بإزاء توحد الهوية.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.210ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح نكتة بديعة، والخاطر سرّ الطبيعة».

(3) ذكر المؤلّف في بداية الباب 178 من الفتوحات المكّيّة أنّ للحبّ أربعة ألقاب هي: الحبّ، الودّ، الهوى، العشق. وهذا التربيع جاء على هيئة عناصر الطبيعة: النار، والماء، والهواء، والتراب، التي ذكر طبائعها: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في البيتيْن رقم (3) و (4).

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 210ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تألّه، والخاطر تأيّه»، ولم يذكر السماع. والتَّأيُّه هو المناداة والصياح.

(5) ذكر في الشطر الأوّل كناية عن مهبلند بقوله «بمن تدرونها»، كما يفعل في ديوان المعارف الإلهيّة لأنّه صرح باسمها في الشطر الثاني من البيت (وكنى عنه في ديوان المعارف بقوله «بمن علمتم»). وهذا مؤشّر على أنّ كلّ الكنايات عن محبوباته التي وردت في قصائد ديوان المعارف هي من وضعه لأنّه استعمل نفس الصيغة «بمن تدرون»، أو «بمن علمتم»، أو ما سواها من صيغ الكناية هناك.
أيّهوا: بمعنى نادوا وصيحوا، وهو من فعل أيّهَ. وقد سبق استعماله في القصيدة رقم (73). كما أورده في ترجمة هذه القطعة.

2 بها لِتَرِي مَا عِنْدَهَا مِنْ جمالها[1] فَلِي كَبِدٌ حَرَّى وقلبٌ مُدَلَّهُ

3 وإنـي خيال من هواها كما لنا خـيـالٌ بـه فـي ذاتـنـا فَتَنَبَّهُوا

4 لما قلتُهُ في الحُبِّ فَهْوَ لطيفة إذا أنـتَ لم تعلم بها أنت أَبْلَهُ

[79]

وقال أيضًا[2]:

من المجتث

1 فـي الـقـلـب مـن مهبلند مـا لا يـطـيـق احـتـمـالـه

2 ولـو أَرُومُ سُـلُـوًّا عـنـهـا لـكـان عُـلاَلَـهْ

3 لـكـنَّـنـي عـبـدُ حـبٍّ لا أسـتَـحِـقُّ الـعـمـالـه

4 إن الـمـحـبَّ لِـمَـنْ قد أَحَـبَّـهُ مـثـلُ آلَـهْ

5 لـه الـتَّـصَـرُّفُ فيه بـالـحُـبِّ فـي كـلِّ حـالَـهْ

6 ومـا يـريـدُ جـزاءً ومـا يُـحِـبُّ نَـوَالَـهْ

7 إلا الـرِّضَـى عـنـه فيما أرادَهُ ونـوى لَـهْ

8 وَلَـيْـتَـهُ فـي هـواه مِـمَّـنْ يُـحِـبُّ الإقـالـهْ

9 فَـقِـفْ عـلـى مـا حَـوَتْـهُ مـولايَ هَـذِي الـعُـجَـالَـهْ

10 وكـان عـنـدي فـتـاةٌ تُـدْعَـى بِـسِـتِّ غَـزَالَـهْ

11 وقـد أحـالـوا عـلـيـهـا ومـا قَـبِـلْـتُ الـحَـوَالَـهْ

(1) هذا الشطر غير واضح في الأصل وكتب هكذا «بها لتري ما اعتدها من جمالها»، ولهذا تحوّل في ديوان المعارف الإلهيّة إلى معنى مختلف «بها ليرى من عندها من خيالها»، لكنّنا نعتقد أنّ الأرجح هو ما أثبتناه.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.210ب)، وترجم لها بقوله «والرّوح عجز، والخاطر عزّ»، ولم يذكر السماع.

[80]

وقال أيضًا[1]:

من الطويل

إلى أمل الآمال إن كنت عارفًا ... وَمَأمُولُهُ[2] حَقُّ[3] الهوى وفؤادي

فَرَاحَمَنِي فيكَ الهوى فَرَحِمْتُهُ ... وَمَلَّكْتُهُ وَجْدًا عليه قِيادي

فبالحُبِّ أحببتُ الحبيبَ، وحُبُّهُ ... أَحَبُّ[4] الذي أحببتُ وهْوَ مرادي

تعجَّبتُ من قلبي يهيمُ بحُبِّها ... وقُربي تَساوَى عندها وبِعَادِي

إلى مَهبُلندٍ قد بَعَثْتُ قصائدي ... لِتُبْلِغَها عَنّي خُلوصَ وِدَادِي

فَوَا الحُبِّ[5] لولا الحبّ ما كان لي هوًى ... ولا أصبح القلبُ السَّليمُ يُنادي

حَنَانَيكِ يا مَنْ ذابَ وَجْدًا ورِقَّةً ... يَبِيتُ لما يَلْقَى حَلِيفَ سُهَادِ

[80]

وقال أيضًا[6]:

من مجزوء الرجز

مَلَكْتُ في هواكِ ... وكان من مُناكِ

يا مَهْبُلَنْدُ[7] رفقًا ... بمالكٍ أتاكِ

بالحُبِّ مستجيرًا ... منه وما قلاكِ

عساكِ يا مُنائي ... ترثي له عساكِ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.210ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح غريب، والخاطر أغرب»، ولم يذكر السماع.

(2) هذه الكلمة غير واضحة، وقد كتبت في المخطوط بهذه الطريقة «مأموله»، ولعل الصواب هو «يَا مَنْ لَهُ».

(3) كتبت في المخطوط هكذا «حنّ»، بينما كتبت في ديوان المعارف «حقّ»، وهو أرجح وأنسب، بدليل تكرار عبارة «حقّ الهوى» عدة مرات في هذا الجزء من الدّيوان في القصائد: 248 (البيت 8)؛ و 292 (البيت 5)؛ و 354 (البيت 1).

(4) أَحَبُّ: صيغة مفاضلة، بمعنى أنَّ حبّي للحبيب هو أَحَبُّ شيء عندي.

(5) كتبت «هو الحب» بدل فوالحب» كما في هذا المخطوط، ونعتقد أنّه أرجح لأنّه في سياق القَسَم.

(6) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح إعراض، والخاطر إحماض»، ولم يذكر السماع.

(7) بدل «يا مهبلند» هناك رواية أخرى هي «يا نور عينيّ» في ديوان المعارف.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

صل اللّهم على محمد وآله، (...)[1] ونجّ برحمتك

[82]

من السريع[2]

1 سبحانَهُ مِنْ وَاحِدٍ لَمْ يَلِدْ ... حَقًّا وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَتَّخِذْ

2 مِنْ خَلْقِهِ كُفْؤًا لِتَنْزِيهِهِ ... عَنْ مِثْلِ هَذَا وَتَعَالَى فَشَذْ

3 وخَرَجَ مَنْ جَرَّحَ توحيدَهُ ... بفكره في القلب منه يُغَذْ[3]

4 تُبْصِرُهُ مِنْ شَرْعِهِ خَارِجًا ... مِنْ كُلِّ مَا أَنْزَلَهُ يُنْتَبَذْ

5 وَيَوْمَ يَبْلَى رَبُّهُ سِرَّهُ ... تُبْصِرُهُ مُعْتَرِفًا يَوْمَئِذْ

[83]

من مجزوء الرمل[4]

1 إنّ لي نفسًا تحبُّكْ ... وتحبُّ أُمّ هذا

2 فَهْيَ لي أطْهَرُ عِرْسٍ ... واحذرْ أن تقول ماذا

[84]

من السريع[5]

1 الحمدُ للّه الذي لم يَلِدْ ... حقًّا ولم يولَدْ ولم يتَّخِذْ

2 صاحبةً فإنّهُ لم يَكُنْ ... كُفْؤًا له مِنْ أحَدٍ فَاسْتَعِذْ

---

(1) بين القوسيْن كلمتان مطموستان.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.144أ)، وفي مخطوط 1438 (و.108). كما أوردها في ديوان الزينبيّات (و.277)، لكنّه أضاف «هاء» في ختام القافية «يتّخذه، فشذه...»، والصّحيح كما في الأصل.

(3) في المخطوط رقم 1438، «نفذ» بدل «يغذ».

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.187ب).

(5) انفر هذا المخطوط بإيراد هذيْن البيتيْن اللذين لم نجدهما فيما بين أيدينا من مخطوطات.

[85]

من مجزوء الرجز[1]

1 يـا مَـنْ إذا أبْـصَـرْتُـهُ ... أبْـصَـرْتُ نفسـي وإذا
2 أَبْـصَـرَنـي[2] أُبْـصِـرُ أيْـ ... ـضًـا نَـفْـسَـهُ مُـعَـوَّذا
3 مـنـه بـهِ فَـلَـيْـتَـنـي ... لـم أكُ إذْ كـنـتُ كـذا
4 فَـكُـلَّـمَـا أسْـأَلُـهُ ... فِـيـهِ يَـقُـولُ حَـبَّـذَا
5 هـذا هـو الـجـودُ الـذي ... صَـيَّـرَ قـلـبـي جِـهْـبِـذَا
6 لـذا تـرانـي كُـلَّـمـا ... أذْكُـرُهُ مُـنْـتَـبِـذَا
7 فـالـحـمـدُ لـلَّـه الـذي ... أقـامـنـي فِـي ذَا، وَذَا

[86]

من مجزوء الرجز[3]

1 يـا مـن يـرانـي عـاصـيًـا ... ولا أراه آخِـذا
2 كـم ذا أراهُ مُـنْـعِـمًـا ... ولا يـرانـي لائـذا

[87]

من الكامل[4]

1 ذَلِّـلْ وُجُـودَكَ فَالنَّتاجُ لَذِيذُ ... عَـنْ أمْـرِ شَيْخٍ أَصْلُهُ تِلْمِيذُ
2 تُبْصِرْ وجودَ الحَقِّ في أكوانه ... والـكـلُّ يطلبُ طعمه مَـلـذوذُ
3 كشفًا صريحًا لا يغيِّره الكرى ... عـنـد الـمـنـام فطعمه مـلـذوذ
4 فانهض إلـى هـذا المقام بذِلَّةٍ ... مَعشوقَةٍ لـك فالنَّتاجُ لذيذُ

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.93)، وفي مخطوطات كثيرة أخرى.

(2) أبصرني: بمعنى جعلني أبصر.

(3) ورد هذان البيتان في مخطوط فاتح رقم 5322 (و.215)، وديوان المعارف الإلهيّة (و.38أ). كما وردا مع اختلاف بسيط في الباب 207 من الفتوحات المكّيّة. وقد جاءا بيانًا وإظهارًا لمضمر قوله في هذا البيت: «يا من يراني ولا أراه... كم ذا أراه ولا يراني».

(4) أوردها في مخطوط جار اللّه «إشراق البهاء» (و.72)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و. 63ب) في آخر الجزء الحادي عشر منه.

[88]

من الطويل[1]

1 أرى نشأةَ الدنيا تسير إلى البِلى ... بما حَمَلَتْهُ من سرورٍ ومن أذى

2 إذا ما رأيتَ اللّه أنشأ خلقه ... من أعماله[2] فرَّقْتَ ما بين ذا وذا

3 وتعلم عند الفرق أنك واحد ... ولا تعتبرْ من قال فِشْرًا ومن هَذَى[3]

4 وكن بكتاب اللّه معتصمًا ولا ... تُحرِّفْ كلام اللّه عن نصّه إذا

5 أَتَتْكَ به الأرسالُ تَتْرى وكن به ... على كلِّ حالٍ تتَّقيه معوّذا

6 تكن عند أهل الأمر شخصًا مقدّسًا ... وعند ذوي الألباب حَبْرًا وجِهْبِذا

[89]

من البسيط[4]

1 القلبُ مَنزلُ مَنْ سَوّاهُ وَاتَّخَذَهْ ... بيتًا يكونُ له جودًا وما نبذَهْ

2 وكيف ينبذه والحقُّ يسكنهُ ... إذا قلوبُ لأهلِ الزُّورِ منتبذَهْ

3 إنَّ القلوبَ التي بالعلم زيَّنها ... هي القلوبُ التي للحقِّ مُتَّخَذَه

4 فَكلُّ قلبٍ تعالى عن أكِنَّتِهِ ... وقُفْلِهِ فَهْوَ قلبٌ للهدى اتَّخَذَهْ

5 قد اصطفاه لما قُلْنَاهُ عَامِرُهُ ... وعن سِواهُ مِنَ اعمَالِ العَمَى انْتَبَذَهْ

6 فلو رماه بسهمٍ مِنْ رَبَابَتِهِ ... رامَ العَمَى وأصابَ العَيْنَ ما نَفَذَهْ

[90]

من الكامل[5]

1 العَبْدُ عَيْنُ ثَنَاءِ سَيِّدِهِ عَلَيه ... وثَنَائِهِ أيضًا على أستاذِهِ

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.319)، وفي كثير من المخطوطات.

(2) الضمير في «أعماله» يعود على الإنسان لأنَّ «العمل» من خصائص الخلق ولا يُقال في حقّ الخالق، وإنّما ينسب له الفعل لا العمل.

(3) الفشر: الكبر. هذى: يهذي هذيان. تكلم بكلام غير معقول لمرض أو ما يشبهه. سيكرّر مثل هذا المعنى في البيت (10) من القصيدة (92).

(4) أوردها في المجلّدة السّابعة المحقّقة (رقم 116).

(5) وردت في المجلّدة السّابعة (رقم 117). كما وردت في طبعة بولاق وفي مخطوطات أخرى.

2 أستاذُهُ الحقُّ المبينُ لأنَّهُ ... غَيْثُ الْتِجاءِ عُبَيْدِهِ ومَلاذِهِ

3 تأتيهِ منه عَوارِفٌ مَعروفةٌ ... ما بين هَطَّالٍ وبين رَذَاذِهِ

4 مُتَقلِّبًا في كُلِّ خَيْرٍ شامِلٍ ... مِنَ الإلَهِ عَلَيْهِ في إنْفاذِهِ

[91]

من الكامل[1]

1 مَنْ قَالَتِ الأمْلاكُ فِيهِ مَاذَا ... الحُكْمُ فيه أنْ يَكُونَ مَلاذَا

2 لا بَلْ يَكُونُ لِمَنْ تَعَوَّذَ بِاسْمِهِ ... مِنْ كلِّ ما تَخْشَى النُّفوسُ مَعاذَا

3 أفْتَى[2] الوَرَى وأشَدُّهُمْ في عَقْدِهِ ... مَنْ صَيَّرَ الأصْنَامَ فيه جُذَاذَا

4 من غَيْرَةٍ قامت به في ربِّهِ ... فأتَتْهُ سَحًا أنْعُمٌ وَرَذَاذَا[3]

5 لم يَتَّخِذْ غيرَ الإلهِ مُهيمِنًا ... إذ قيل : أنتَ، فقال : لا، بل هذا

6 فلذاك ولاَّهُ الأمانةَ ربُّهُ ... وَأقَامَهُ في خَلْقِهِ أُسْتَاذَا

7 يَدْعُو إلَى الإسْلامِ لاَ يَلْوِي عَلَى ... مَنْ قَالَ فِيمَا قَدْ دَعَاهُ ماذا

8 هَجَرَ الوَرَى مُتَفَرِّدًا مَعَ ربِّهِ ... لم يَتَّخِذْ إلاَّ الإلَهَ عِيَاذَا

9 فَأتَوْا زَرافاتٍ إليهِ إجابَةً ... لَمَّا دَعَاهُمْ ما أتَوْا أفْذَاذَا

10 فَتَنَزَّلَ الخَيْرُ الكَثِيرُ عِنَايَةً ... مِنْ ربِّهِمْ بِقُلُوبِهِمْ أفْلاذَا

[91]

من مجزوء المديد[4]

1 إنَّهُمْ كانوا إذا ... قِيلَ لَهُمْ قُولُوا كَذَا

2 مِنْ أُمُورٍ لَيْسَ فِي ... قَوْلِهَا شَرْعًا أذَى

3 بَادَرُوا مِنْ فَوْرِهِمْ ... أمْرَ مَنْ قَالَ بِذَا

4 وَلِهَذَا رُشِّحُوا ... لِلْمَعَالِي ولِذَا

---

(1) وردت في المجلَّدة السَّابعة (رقم 118).

(2) أفتى: من الفتاء، والفتوة، وهي الشجاعة والنجدة في الفتى. وهو يشير هنا إلى تحطيم إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه في قوله تعالى ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ (الأنبياء، 60).

(3) هناك تقديم وتأخير، والمعنى أنَّ الأنْعُمَ أتته سَحًّا وَرَذَاذًا.

(4) في المجلَّدة السَّابعة (رقم 156). ترجم لها «في نعت القوم».

5 أَصْغَرُ القَوْمِ الَّذِي ... عَنْ هَوَاهُ انْتَبَذَا

6 فَتَرَاهُ عَلَمًا ... ذَا عُلُومٍ جِهْبِذَا

7 لِهُدَاهُ صَاحِبًا ... لِلْهَوَى مُنْتَبِذَا

8 كُلُّ مَنْ سَاعِدُهُ السَّـ ... ـعْدُ فِيهِ اتَّخَذَا

9 عَزْمَهُ نَاصِرَهُ[1] ... وَعَلَيْهِ اسْتَحْوَذَا

10 مَا يَصِيخُونَ لِمَنْ ... قَالَ فَشْرًا وَهَذَى[2]

11 وبِذَا قد عُرِفُوا ... فَاسْتَخِصُّوا وبِذَا

12 وكَبِيرُ القَوْمِ فِي ... خَطْرَةٍ قد أُخِذَا

13 فَلِذَا تُبْصِرُهُ ... أَبَدًا مُتَّخِذَا

14 هكذا شَأْنُ الَّذِي ... عَيَّنُوهُ هَكَذَا

[93]

من السريع[3]

1 قد طَهَّرَ اللَّهُ الإمامَ الرِّضَى ... مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَقْتَضِيهِ الأَذَى

2 فإنه سبحانه قد قضى ... أَنْ لا يكون الأمرُ إلا كذا

3 ولم يؤاخِذْهُ بما قد مضى ... إذا يتوبُ العبدُ عنه إذا

4 وجاءَ بالفِعْلِ الَّذِي يُرْتَضَى ... ومِثْلُ هذا العَبْدِ لن يُنْبَذَا

5 وَوَجْهُهُ مِنْ نُورِهِ مَا أَضَا ... لأَنَّهُ حَذْوَ الإلَهِ حَذَا

(1) في البيت تضمين مع البيت الذي قبله، والتّقدير: اتَّخَذَ أَصْغَرُ القوم عزمَه ناصرَه.

(2) يصيخون: يستمعون. الفشر: فَشَرَ يَفْشُرُ فَشْرًا: كذب وادّعى باطلًا. وقد سبق مثله في البيت (3) من القصيدة (88). وهذا الاستعمال موجود في لسان عامة أهل المغرب وغيرهم إلى اليوم. وسياق الكلام في البيت مناسب لهذا المعنى، وهذه الرواية هي نفسها في المجلّدة السّابعة، وفي طبعة بولاق، لكن وردت في مخطوطات أخرى هكذا: «القشر»، كما في مخطوط فاتح 3872 (و.227)، والأوّل هو الصّحيح. ومن الغريب أنّ الجذر اللّغويّ لمادة هذه الكلمة «فشر» غير مذكور في لسان العرب ولا في المعجم الوسيط ولا في معجم مقاييس اللّغة، لكن معجم المعاني الجامع يورده.

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (رقم 167)، وهي قصيدة مسمطة راعى أن يلتزم في الأشطار الأولى من الأبيات بالقافية نفسها، ثمّ أتى في الأشطار الثانية لكلّ الأبيات بحرف يَقْرُبُ جَرْسًا من حرف الأشطار الأولى ممّا خلق نوعًا من الجرس والتجانس الصوتي بين «ضا» و «ذا» نظرًا لتقارب مخرجهما.

6	لَيْسَ يَـرَاهُ غَـيْـرُ مَـنْ غَمَّضَا	عَـيْـنًـا إِذَا أَنْـزَلَـهُ بِـالـحِـذَا
7	فَأَشْبَهَتْ صُـورَتُـهُ فَانْقَضَى	مَـطْـلُـوبُـه فَـلَـمْ يَـكُـنْ غَـيْـرُ ذَا

[94]

من الرمل[1]

1	أشـتـهـي مـنـكَ عـنـاقًـا ولـذا	أطـلـبُ الـخَـلـوةَ يـومًـا وإذا
2	مـا خلونا وانقضى كـلُّ الـذي	كـنـتُ أهـــواه وقـلـنـا هـو ذا
3	نـســأل الـلّـــه تـعـالـى تـوبـةً	تمحو عـنّـا كـل سـوءٍ وأذى
4	فــإذا تُـبْـنَـا وعُـدْنَـا لـلـذي	كـانـت الـتَّـوبـةُ مـنـه فَـكَـذَا
5	تَـرْجِـعُ الـتَّـوبـةُ أيـضًـا فترى	لـهـوانـا بين[2] هَـا ذَاكَ وَذَا
6	عصمةَ الدين اسمَعِي مَا نَطَقَتْ	فـيـكِ أبـيـاتـي وقُـولـي حبَّـذا

[95]

من مجزوء الرجز[3]

1	يـــا ابـــن فـــلان بـالـــذي	إن جـــاع يـــومًـــا يـغـتـذي
2	ولـــيـــس عـــن ريـاضـــة	مـثـل الإمـــام الـتـرمــذي[4]
3	لـــكـــونـــه عـــن بـــخـــلٍ	فــي نـفـسـه كـــالأحـــوذي[5]
4	أكـــلـــتُـــه عـــن جَـوْعـــةٍ	حـتـى يـقـول ذي بـذي

---

(1) وردت في الجزء الرابع المحقّق (رقم 94)، مع اختلافات يسيرة في بعض الأبيات.

(2) في الجزء الرابع المحقّق بخطِّ الشَّيخ تدخل الناسخ غير العليم فأضاف «هاء» وسط كلمة «بين» فصارت «بهن»، وهو خطأ يكسر البيت.

(3) انفرد هذا المخطوط بهذه القطعة، ولا شكَّ أنّه يشير فيها إلى أحد الأدعياء ممَّن اتَّخذ الجوع شعارًا لا عن رياضة روحيَّة كالقوم، بل عن بخل في نفسه.

(4) هناك الإمام أبو عيسى محمد الترمذي (209 ـ 279 هـ) المحدث، مصنف كتاب الجامع المعروف «سنن الترمذي»، و«الشمائل المحمدية». وهناك أبو عبد اللّه الحكيم الترمذي (ت. 320 هـ) مصنف كتاب «نوادر الأصول»، و«إثبات العلل»، و«ختم الأولياء». ولعلّه يقصد هذا الأخير رغم أنَّ إيراد كلمة «الأحوذي» في البيت الثالث قد تشغب قليلًا على هذه النِّسبة لأنها ربَّما تحيل إلى كتاب «عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي» وهو شرح وضعه أبو بكر ابن العربي المعافري (ت. 543 للهجرة) على كتاب سنن أبي عيسى الترمذي، لكنَّ الأرجح أنّه يستعمل كلمة «الأحوذي» بمعناها اللُّغويّ.

(5) الأحوذي: المشمر في الأمور القاهر لها لا يندّ عنه منها شيء. والسريع في كلّ ما أخذ فيه، والعالم بالأمر.

5	تـــراه مـــن ديـــن الــهـوى	والــخــيــر كــالــمــنــتــبــذِ
6	قـــد بـــايـــع الــبــخــل عـلى	أن لا يــكــون كــالــذي
7	يــبــصــره مــن كــرم	فـــي غـــيــره وكـــل ذي
8	مــروءةٍ مــعــلــومــةٍ	عــنــد الإمـــام الــجِــهْــبِــذِ

[96]

من مجزوء الرجز[1]

1	الــقــلــب فـــي مَــهــبــلــنــد	والــعــيــن فــي مــســتــواهــا
2	وكــيــف أبــغــي ســواهــا	ولــيــس إلا هــواهــا
3	فــفــي مــنــاهــا مُــنــايَ	وأبــسُــلــيــمُ[2] مــنــاهــا
4	وبُــوزُهــا مُــشْــتَــهــايَ	دُرِّيٌّ[3] مـــن مــشــتــهــاهــا
5	قـــد جــئــتُ فــيــه بِــرومٍ	وأرمــنــي عــســاهــا[4]
6	تــدري الــذي فـــي ضميري	ولــيــس إلا خَــيــاهــا
7	فــمــا تُــريــدُ سِــوانــا	ومــا أريــدُ ســواهــا
8	بــذلــتُ والــلّـــهِ جَــهْــدي	وطــاقــتــي فـــي رضــاهــا

[97]

من المجتث[5]

1	إنـــي عـشـقـتُ شـخـيـصًـا	بـمـهـبـلـنـد يـسـمّـى
2	فـقـلـت مـا مَـهْـبُـلَـنْـد	بـــدرٌ عَـــلا بـالـمـسـمّـى

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211أ) مع اختلافات يسيرة.

(2) هكذا كتبت هذه الكلمة في المخطوط «وأبسليم»، ولعلّه اسم علم، وفي ديوان المعارف الإلهيّة كتبت هكذا «كما أروم» على عادة هذا الدّيوان في الكناية عن أسماء الأعلام بدل التّصريح بها.

(3) لم نتمكّن من قراءة هذه الكلمة في الأصل، فكتبنا رواية ديوان المعارف الإلهيّة.

(4) في ديوان المعارف الإلهيّة «بِرَوْمٍ.. دَارَ مَيٍّ» بدل «بروم ... وأرمني».

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تخمين، والخاطر محير (أو تحير)». كما وردت في ديوان الزينبيّات (و.368)، وترجم لها أيضًا بقوله «والرُّوح اتّصال، والخاطر اتّصال واتّحاد». وهذا يدل على أنّ هذه المخطوطات أخذت عن أصول مختلفة. كما وردت في ديوان إشراق البهاء (و.30).

3 مـن كـلِّ بَـدْرٍ وشـمـس وكـوكـب هـو أسْـمَـى[1]
4 جَـلَّتْ عـن الـحُـسْـن قـدرًا بـمـنـزلٍ هـو أحْـمَـى
5 مِـنْ أنْ يُـنـالَ بِـحُـبٍّ وكـلُّـنـا فـيـه أعـمـى
6 لـمـا ادّعـيـتُ هـواهـا غَـلِـطْـتُ فـيـه فَـمَـهْـمَـا
7 أقـول فـيـه مـديـحًـا كـالـنَّـقْـش فـي صفحة الما
8 قـد حِـرْتُ فـيـهـا ومـا لـي عـنـهـا سُـلُـوٌّ فَـمِـمَّـا
9 عَـجَـزْتُ قـد صِـرْتُ أهـوى مـن أجـلـهـا كُـلَّ الاسْـمَـا
10 أراهـا فـي كُـلِّ شـيء تـراه عـيـنـي وتُـخْـمَـى
11 عـن الإحـاطـة فـيـه ذاتًـا ونـعـتًـا وَوَسْـمَـا
12 الـعـشـق يـعـشـق عشقي فـيـهـا فَـإِمّـا وإمّـا
13 والـلّـه مـا هِـمْـتُ إلا فـي طـيـفـهـا إذا أَلَـمَّـا
14 فـمـا عـشـقـتُ سـوايَ فـلـيـس لـيـلـى وسَـلْـمَـى
15 إلا الـذي فـي خـيـالـي وذاك عَـيْـنُ الـمُـسَـمّـى
16 فَـفِـيَّ أفـنـيـتُ قـولـي فـي الـحُـبِّ نَـثْـرًا ونَـظْـمـا
17 مَـنْ يَـدَّعـي فَـهْـمَ قـولـي يَـفُـكُّ هـذا الـمُـعَـمّـى[2]

[98]

من مخلع البسيط[3]

1 أوحـشـنـي وجـه مهبلند ورؤيـتـي ذلـك الـمُـحَـيّـا
2 فـإن أَمُـتْ بـالـفـراق يـومًـا فـإنـنـي بـالـلـقـاء أحْـيَـى

(1) يشير إلى معنى خفي هو القطبية التي يحيل عليها عدد 111 الذي هو عدد «مهبلند» و «قطب». ولهذا قال بأنّه أسمى من كلّ بدر وشمس وكوكب.
(2) أشرنا فيما مضى إلى أنّ الشّيخ يقصد من اسم «مهبلند» ما يشير إليه من التّوحيد في المراتب الإلهيّة الثلاث: الذات والصفات والأفعال. فعدد «مهبلند» = 111، أي في مرتبة الآحاد والعشرات والمئات على مستوى العدد الذي هو مظهر من مظاهر التّوحيد. وهذا العدد يشير إلى نفس عدد «ألف»، و«قطب».
(3) وردت في ديوان الزينبيّات (و.367)، ولم يترجم لها، ووردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211أ)، وترجم لها بقوله «والرّوح عين، والخاطر بين»، ولم يذكر السماع.

3 فَهْـي لـنـا بـالـصُّـدود مـوت وهْـيَ لـنـا بـالـوِصـال مَحْيا

[99]

من مجزوء الرمل[1]

1 قـال لـي الـعَـاذِلُ[2] لمَّا أن رأى الأشـواق تعدو

2 لِـمَ يـا مـولايَ قـل لـي قـلـتَ قـولا لا يُـرَدُّ

3 أوحـشـتـنـي مهبلند ولـذا تُـرانـي أعـدو

4 فـأروح كـل يـوم هـكـذا لـهـا وأغـدو

5 فـإذا قـيـلَ لـمن قُـلْـتُ دَعـتـنـي مهبلند[3]

[100]

من المديد[4]

1 الـهـوى مـن شـأنـه أبـدًا بـعـضـه لـبـعـضـه يـتـلو

2 فَـتَـرَى ذَا الـحُـبِّ مُستقِلا وَهْـوَ فـي اسـتِـقَـالِـهِ يعلو

3 ثـم لا يـزال مشتغلا وهـو فـي الأشـغـال لا يخلو

4 مـن نـعـيـم يـسـتـقـل بـه فـلـه فـي شـغـلـه الـفـضـل

5 قـالت الخنساء[5] يا سندي بـحـيـاة الـحـبِّ لا تـعـلـو

6 أنـا إلا مَـهْـبُـلَـنْـدُكُـمُ فـمـتـى مـا شـئـتـمُ قـابـلُ

7 صـحَّ عـنـدي أنَّ قلبكم عـن هـواي الـدَّهـرَ مـا يـسلو

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح مال، والخاطر عدل»، ولم يذكر السماع (و.211أ).

(2) كتبت في الأصل «العذول»، لكنّها تحدث كسرًا خفيفا؛ والغالب أنّها خطأ من الناسخ، لذا رجحنا «العاذل» التي تستقيم معنى ووزنًا.

(3) تتحول «دعتني مهبلند» في ديوان المعارف الإلهيّة إلى «دعاني من لا يُرَدُّ» انسجامًا مع الكناية عن أسماء المحبوب.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تلاوة، والخاطر علاوة».

(5) تتحوّل «الخنساء» في د.م.إ إلى «الهيفاء»، كما تتحوّل «مهبلندكم» أيضًا إلى «نور عينكم».

[101]

من المتقارب[1]

1	بنفسي حبيب دعا مقلتي	لما شاءَ منها فَأَذْرَتْ دموعا
2	دموعَ سرورٍ لما كان منه	إليها فكنت البصير السّميعا
3	حُرِمتُ الطّعامَ مُنِحْتُ السّقَامَ	يَئِسْتُ المنامَ مُنِعْتُ الهجوعا
4	فلمّا مضت فِيَّ أحكامه	وولّى خَرَرْتُ لديه صَرِيعَا
5	فناديتُ خنساءُ ما حيلتي	فَرَدَّتْ وقالت أَلَسْتَ المطيعا
6	أنا مَهْبُلَنْدُ وأنتَ المُعَنَّى	كما قد تحمَّلْت فيه الصَّنيعا
7	خَرَقْت السُّتُورَ أَبَحْت الثُّغُورَ	وكان مقامي حِماها المنيعَا
8	فمن نال وصفي كما يشتهي	لقد حاز منه المكانَ الرَّفيعَا

[102]

من مخلع البسيط[2]

1	رغبتُ عنها وعن سواها	كمثل ما قد رغبتُ فيها
2	شُغِلْتُ عنها بمَهبُلندٍ	فليصطفيها مَنْ يَصْطَفِيهَا
3	كانت لقلبي قسيمَ قلبي	ولستُ أدري الذي دهاها
4	تغيّرتْ إذْ أتتْ لِبَيْتِي[3]	أظُنُّها لم تَنَلْ رضاها
5	ولم يكنْ ذاكَ من جَنَابِي	وإنما عارضٌ أتاها

[103]

من الخفيف[4]

1	ما لقلبي من مهبلند سلوٌ	وبِعادي آلمني منها والدُّنُوُّ
2	ليس عندي لغيرها من مَحَلٍّ	إن قلبي لمهبلند خلوٌّ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح نيابة، والخاطر استدعاء»، ولم يذكر السماع.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 211ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تعريض، والخاطر إشارة».

(3) البيت كناية عن القلب.

(4) وردت في الزينبيّات (و.363)؛ وديوان المعارف الإلهيّة (و.211ب). وترجم لها بقوله «والرُّوح علو، والخاطر دنو.

[104]

من الكامل[1]

1	ما غرضي في مهبلندٍ تَمَلُّكُ	بل غرضي في مهبلندٍ تُعَتَّقُ
2	وبعد ذا أنكحها نفسي وما	قولي بقول في الهوى لا يصدق
3	وعزّةِ الحبِّ الذي أرّقني	ما هو إلا نَشْرُ مِسْكٍ يعبَقُ
4	أتى به الحقُّ لقلبي فانثنى	يقول هذا عارفٌ محقّقُ
5	يعلمُ ما ألقيتُهُ بقلبِهِ	من أمْرِها فَهُوَ الجوادُ الفَيْلَقُ
6	أعتقتُهُ لما سَمِعْتُ قولَها	من حينها وخاطري يحقق
7	بأنّها أهل لما أهّلها	فهي لنا الأهل الكريم المطلَقُ
8	ولقد جعلنا عتقها بصداقها[2]	كأمّنا صفيّة فَلْيُلْحِقُوا
9	هَذِي بِذِي فإنّه قال لنا	اتَّبِعُوا رسولَنا تُوَفَّقُوا
10	وثم[3] زدنا هربا من خلْفِهِمْ	إلى محلٍّ رتقُه ما يُفْتَقُ
11	فصحَّ بالإجماع ما أوقعتُه	في عقدِها وإنّني الموفَّقُ

[105]

من البسيط[4]

1	الشمسُ تسجد في الإشراقِ والقمرُ	لمهبلندٍ فَدَاها السّمعُ والبصرُ
2	كالخيزُرانة في لينٍ معاطفُها	وللجديدين منها الوجْه[5] والشَّعَرُ

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 211ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح حقّ ناطق، والخاطر معرف صادق».

(2) في الأصل وفي ديوان المعارف «وقد جعلنا عتقها صداقها»، لكنّه مكسور، وقد اجتهدنا في تقويمه بتغييرات بسيطة جدًّا.

(3) هذا الشطر مكسور.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 211ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح قال، والخاطر مقال».

(5) في الأصل كتبت هكذا «الوجد»، وهو تصحيف والصّحيح ما أثبتناه، لأنّه شبّه الوجه والشعر بالجديدَيْن، وهما اللّيل والنهار، فوجه النهار، وللشعر اللّيل. وقد وردت صحيحة في ديوان المعارف الإلهيّة.

3 في كلِّ جارحةٍ منها لناظرها أمرٌ لنا لذّةٌ به ومُخْتَبَرْ[1]

[106]

مجزوء الرمل[2]

1 إنَّني في مهبلند هائم وعن سواها
2 راغبٌ فبلّغوه إنني عبد هواها
3 كلّما رمتُ اصطبارا طلبتْ نفسي مُناها
4 وأنا قنعتُ منها أن أرى مَنْ قد رآها
5 طَلَعَتْ بَدْرَ سُعودٍ فتعالتْ أنْ تُضاهَى
6 حبُّنا في مهبلندِ دائمٌ لا يتناهى
7 نزلت إلى فؤادي رحمةٌ من مُستواها
8 ثُمَّ لولا خوفُ لولا لم أقُلْ إلا عماها

[107]

من مخلع البسيط[3]

1 أقسمتُ بالشّمس إذ تجلّتْ لناظرِ العينِ في ضُحاها
2 وبالذي قال عنه رَبّي بأنّه بعدها تلاها
3 بأنَّ حُبّي لمهبلندِ كَحُسْنِهَا لم يقل تناهى
4 كانت لقلبي قسيمَ[4] قلبي ولست أدري الذي دهاها
5 تغيرت إذْ أتتْ لبيتي أظُنُّها لم تنل رضاها
6 ولم يكن ذاك من خَبالِي وإنّما عارضٌ أتاها

(1) الشطر الثاني من هذا البيت ورد مختلفًا في ديوان المعارف الإلهيّة، هكذا: «معنى لطيف يراه من له نظر».
(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح رسالة، والخاطر تبليغ».
(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح إيلاء، والخاطر ابتلاء».
(4) القسيم: الشريك، وهو من المصطلحات التي ازدهرت في العهد السلجوقي حتى كان السلاطين يلقبون «قسيم أمير المؤمنين الخليفة العباسي». وفي باب المعارف، فإنَّ ابن العربي يستعملها بمعنى الصاحب والرَّفيق في المعرفة الإلهيّة. (انظر قصيدة الإهداء).

[108]

من الوافر[1]

1	تشتّت خاطري وأسـاء حالي	غـداةَ أتـتْ لبيتي مَهْبُلَنْدُ
2	أتَـتْ لتنالَ راحتَـهَا فَـألْفَـتْ	أُمــورًا لـم تُـسَـرَّ بِـهِـنَّ بَـعْـدُ
3	ندمتُ ندامةَ الكُسْعِيِّ[2] لَمَّا	أجبتُ سؤالَها وأتيتُ أعدو
4	وهـذا لا يـدوم فليت شعري	متى يأتيها ما ترجو فتعدو
5	فـبـشّـر كـلَّ ذي وُدٍّ سليم	كمثل عمادها والسَّعد سعد
6	إذا شـاء الإلـه فَـعَـنْ قريب	يُـسَـرُّ بنيله مَـوْلًـى وعَـبْـدُ

[109]

من الخفيف[3]

1	كلُّ مَنْ كانَ في اقترابٍ قريبٌ	مِـنْ حَبيبٍ مُـراقـبٍ في بِعَادِ
2	وَهْـوَ مِـنْ أَصْعَبِ البِعَادِ بِعَادًا	في اقترابٍ مِنْ ذِي هَوًى وَاعْتِقَادِ
3	أَبْـرَحُ الشَّوْقِ في المحبّ إذا	ما كانَ محبوبُهُ قريبَ السَّواد[4]
4	مثلما نحن في هـوَى مَهبُلندِ	فهْيَ عندي، وشَوْقُنا في ازديادِ
5	للذي قد ذكرت من أجل شخص	هـو مني كناظري مـن فـؤادي
6	فَـتَـرَانِـي أُسَـارِقُ الـلَّـحْـظَ منه	لـلـذي فـي ضميرنا مـن وِدادِ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.211ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح شغل، والخاطر وصف حال»، ولم يذكر السماع.

(2) لم نتبيَّن هذه الكلمة إلّا بعد طول تمعن، والكسعي: رجل يضرب به المثل في الندامة، فيُقال «ندمت ندامة الكسعي». اسمه محارب بن قيس صنع قوسًا جيدة ورمى بها ثلاث رميات أصاب بهن ثلاثة ظباء، لكنّه ظنَّ في كلِّ مرّة أنّه فشل في رمياته، فكسر قوسه. فلما أصبح الصباح وجد الظباء، فندم ندامة كبيرة على كسرِه قَوْسَه.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح شوق مقلق، والخاطر وجد محرق»، ولم يذكر السماع.

(4) السواد: الشخص. يُقال: لا يفارقُ سَوادِي سوادَه، أي لا يفارق عيني سوادَه، وشخصي شخصه. وقريب السَّواد: قريب منّي بحيث أراه وأسمعه.

[110]

من المديد[1]

1 ضاق صدري عن هوى مهبلند ... مع ما فيه من الاتساعِ
2 وسعَ الحقَّ وهذا عظيم ... كيف ضاق القلبُ بالاتِّباعِ
3 هذه الشمس التي قد علمتم ... ما لها في عيننا من شعاعِ
4 فلهذا تأخذ العين منها ... حظَّها الأوفر في الاطِّلاعِ
5 والذي قلتُ فما عندي فيه ... عند من يَعرفه من نزاعِ

[111]

من المجتث[2]

1 يا مهبلند تَراكِ ... تَفْدِي أسيرَ هَواكِ
2 ممّا جَناهُ عليه ... فقلبُه في ارتباكِ
3 لا تَعْتِبيه عليه ... فالحبُّ يَقْضِي بِذَاكِ
4 قالت حرامٌ علينا ... أن نَفْرَحَنْ بِفِكاكِ
5 لا بُدَّ يا مَهبلند ... أن أُبْتَلَى في رضاكِ
6 من كلِّ مَنْ هو عندي ... وليس ذا من مُناكِ
7 فلتصبري وهْوَ رأيٌ ... كصبرِنا في جَفاكِ
8 قوّاكِ رَبِّي عليه ... بِأنْ يكونَ قُواكِ
9 عساكَ ترثي لما بي ... يا مَهبُلندُ عساكِ

[112]

من الطويل[3]

1 بعثتُ إلى الخنساء منّي رسالةً ... بمحضر من لا أستطيعُ أشيرُ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212أ)، وترجم لها بقوله «والرَّوح انقباض، والخاطر بسط».

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212أ)، وترجم لها بقوله «والرَّوح إلمام، والخاطر استفهام». كما وردت في ديوان الزينبيّات مع اختلافات يسيرة (و.367).

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212أ)، وترجم لها بقوله «والرَّوح إلمام، والخاطر إعلام»، ولم يذكر السماع.

2 فناجى رسولي قلبَها في ضميرها — على حذر أن الرَّسولَ خبيرُ
3 فأعلمني ذاك الرقيب بما جرى — وقال أنا عند الضمير ضميرُ
4 فحقَّقْتُ أني عينُ مَنْ قد هَوِيتُهُ — وقام الذي قد كان قبلُ يُشيرُ
5 ولم أستطع إخفاءَ ما بي مِنَ الهوى — ومَن لي بهذا والفؤادُ أسيرُ
6 فخاطبتها يا مَهبلندُ فَأَوْبَتْ — أنا مَهْبُلند والمقام كبيرُ
7 أنا عينُ مَن تَخْشَى وترجو وِصالَهُ — وَإِنِّي بَشِيرٌ لِلْهَوَى وَنَذِيرُ[1]
8 فقلت لها أنتِ الذي كان صورتي — فقالت نَعَمْ إنَّ المقامَ خطيرُ
9 فما الأمرُ إلا واحِد[2] ليس غيره — ولكنّه عند الشُّهودِ كثيرُ

[113]

من الكامل[3]

1 باللّه يا ابنةَ خاطري وضميري — هل أنتِ مؤنستي فأنت سروري
2 إني لمؤنسة إذا ما كنتَ بي — في خَلوة في غيبتي وحضوري
3 أنا مَهْبُلَنْدُ والهلال أنيسُ مَنْ — يرعاه إن كان الفؤادُ سميري
4 واللّه ما خُنْتُ الودادَ ولا جَرَى — ما قلتُهُ في حقِّكُمْ بضمير
5 إنِّي اشتغلتُ بغير مالكِ مهجتي — كيف اشتغالي به وأنت أميري
6 عجبًا ترى مالي تملك مهجتي[4] — هيهاتِ هذه[5] نفثةُ المصدور
7 إني عُبَيْدُكِ فاعملي ما شئتِ بي — إني لعبدٌ طائعٌ فَأَشِيرِي
8 ما تشتهينَ أنا أقومُ بحقِّهِ — في كلِّ آونَةٍ قيامَ خبيرِ
9 إني أسير هوَى هواكِ فَأَسْجِحِي[6] — لمَّا ملكتِ فأنتِ عينُ نَصيرِي
10 لو تهتُ عنكِ مدى الحياة بظاهري — ما دمتُ أهواكمْ إليكِ مصيري

---

(1) لم يرد هذا البيت في ديوان المعارف الإلهيّة.

(2) يشير إلى ما سبق وذكرناه من أنّ عدد «مهبلند» = 111، أي الوحدانيّة في الذات والصفات والأفعال. ورغم الكثرة المشهودة فإنّ الأمر واحد.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح الرُّوح، والخاطر سبوح»، ولم يذكر السماع. كما وردت في الزينبيّات (و.360).

(4) بداية هذا الشطر غير واضحة في الأصل وفي ديوان الزينبيّات، كما أنّه ساقط من ديوان المعارف الإلهيّة.

(5) كتبت «هذي» في الأصل، وفي ديوان المعارف الإلهيّة، والوزن يقتضي أن تكون «هذه».

(6) سَجَحَ: له بشيء من الكلام سَجْحًا: عَرَّضَ بمعنى من المعاني.

11 فَبِكُمْ أَتِيهُ فَلَمْ أَزَلْ بِكِ تائهًا — والتِّيهُ من شأنِ الـمُحِبِّ شعوري

12 وبكِ استعذتُ ومنكِ كان تعوُّذي — فعليكِ في التَّحقيق عَقْدُ أموري

[114]

من الطويل[1]

1 تنازعني فـي مهبلند طوائف — ولـم تـدْر أنّـي بالمحبّةِ عـارفُ

2 وإني لما يأتي الوُشاةُ منَ الأذى — به للذي قد هام في الحبِّ واصفُ

3 وإني إذا قامت حروبُ الهوى بنا — على ساقها بين الفريقين واقفُ

4 إذا ما التقى الجمعان في مَعْرَكِ الهَوَى — فَلِي في هَوَى مَنْ هِمْتُ فيها مَوَاقِفُ

5 ولا يَصْرِفَنّي عن مُهِمَّاتِ راحتي — ولو أمَرَتْ بالموت عن ذاكَ صارفُ

6 إلا أنّني الظَّمآنُ والماءُ حاضرٌ — ودونَ وُصولِي نحو ذاكَ مَتَالِفُ

7 مِنَ اجْلِ التي قد عَزَّ عندي وُجودها — ومِن جُودها كانت لدينا عَوارِفُ

8 تعجَّبْتُ من بُعْدٍ مع القرب حاصلٌ — وقد صَرَفَتْنِي عن مُنايَ الصَّوارفُ

9 أُسَارِقُها باللَّحْظِ والنَّاسُ غُفَّلٌ — كما سَرَقَتْ وَرْدَ الخُدُودِ السَّوالِفُ

10 وَطَـرْفُ التي فيها أهيمُ صبابةً — إذا سمعتْ شكوايَ بالدَّمْعِ ذَارِفُ

11 ولا مُشْفِقٌ يَرْثِي لما بي من الجَوَى — ولا رحمةٌ تُرْجَى وما ثَمَّ عاطِفُ

12 سواها ولكن لا تُطيقُ مَنَ اجْلِنَا — وثـمَّ لما لا تشتهِينَ طوائفُ

[115]

من البسيط[2]

1 عزَّتْ مطالبُ من يهواكِ يا سَكَنِي — وحجَّتِي في اسمِكُمْ[3] للعالـِمِ الفَطِنِ

2 أنت الهلال الذي يبدو لناظرنا — ولا يُنال فكيفَ الأمرُ يا سكني

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تَراع، والخاطر استمتاع»، ولم يذكر السماع. كما وردت في ديوان الزينبيّات (و.368)، وترجم لها بقوله «والرُّوح استغراق، والخاطر استحقاق»، ولم يذكر السماع هنا أيضًا.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح إعزاز، والخاطر إعجاز»، ولم يذكر السماع (و.212ب). وفي ديوان الزينبيّات «والرُّوح تذكرة، والخاطر تبصرة» (و.365).

(3) يقصد اسم «مهبلند»، وما يشير إليه من المعاني الرُّوحية السامية والمعارف الإلهيّة العالية.

3	لذاكَ سُمّيتِ يا سمعي ويا بصري	بِمَهْبُلَنْدٍ فأنتِ الرُّوحُ في البدنِ
4	إذ ليس متصلا وليس منفصلا[1]	أقول ذلك في سري وفي عَلَني
5	كالحقّ لا داخلٌ فينا وليس له	عنّا خروجٌ وذا من أعظم الفِتَنِ[2]
6	إن التَّحَيُّزَ شرطٌ في الدخول وفي الـ	ـخروج فانظره في البرهان واللَّسَنِ
7	أليس عينُ وجود الحقّ في بصري	فالنَّصُّ جاء على لفظ الفتى اللَّسِنِ
8	شوقي إلى مَهبلند أنت تعلمه	وما ابتليت به فيها منَ الـمِحَنِ
9	العينُ تبصرها والخوف يمنعني	منها عليها وذا من أحصن الـجُنَنِ[3]
10	إنـي أراهـا إذا أخلو تُمانِعُني	بها وتعلم أنَّ اليوم في غَبَنِ

[116]

وقال أيضًا :

من الرمل[4]

1	ليس يـدري ما أقاسيه سوى	مَـنْ بُلِي مِـنْ مَهْبُلَنْدٍ بالذي
2	بُـلِـيَ الـقـلـبُ بـه مـن حُبّها	بالجَوَى والصَّدّ منها يغتذي
3	فـــإذا مـا ذاب فـيـهـا رِقَّـةً	ذَكَـرَتْ قـولَ الإمـام الترمذي
4	«هـذه دعـوًى وضعف ظاهر[5]»	فَلْتُقَابِل سيِّدِي هـذا بِـذِي[6]

(1) كشأن الألف في الكتابة لا يتّصل مع الكَلِم إلّا أنّه غير عن منفصل عنه على الحقيقة.

(2) يشير إلى فتنة الحلول والاتّحاد التي لم يستطع القائلون بها أن يدركوا معية الحقّ وبرزخية الإنسان في كونه مخلوقًا على الصورة، وهو عبد، والرب رب.

(3) الجُنَن: جمع جُنَّة، بمعنى وقاية.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.212ب)، وترجم لها بقول لم ينقطه «والرُّوح مجيبة، والخاطر منحلة مجهلة» (هكذا)، ولم يذكر السماع.

(5) هذا كلام مقتبس من حكم ومواعظ الإمام الحافظ الزاهد أبي عبد اللّه الحكيم الترمذي (ت. 320 هـ) لما سئل عن الخلق فقال «ضعف ظاهر ودعوى عريضة». (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، 13، ص.439). والحكيم الترمذي هو غير أبي عيسى الترمذي (209 ـ 279 هـ) صاحب الكتاب المعروف بسنن الترمذي رغم أنّ البيت السادس يشير أيضًا إلى الأخير من خلال كتاب «عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي»، وهو كتاب لأبي بكر ابن العربي المعافري (468 ـ 543 هـ) الفقيه المالكي دفين فاس، لكنّ هذا الاستعمال هو من التشغيب اللّطيف على المعنى، في المقصود من «الترمذي» وفيه نوع من تداعي الأفكار والالتباس، سيّما وأنّ الروي بحرف الذال يطلب مثل هذه الكلمات.

(6) بعد البيت (3)، ورد بيت في ديوان المعارف الإلهيّة لم يرد في هذا المخطوط هو «ما رأينا مثلها جارية... حشوها كلّ إمام جِهبذ».

5 تركتني للذي جاءت به — حائرَ الخاطرِ كالمنتبِذِ

6 ومضت تخطر في مشيتها — ثمَّ قالت خُذْ كتابَ الأحوذي[1]

7 فتبعناها على ما ذكرت — فبدت تضحك عجبًا بالذي

[117]

من البسيط[2]

1 محاسن الحُسْنِ في الخنساء قد جُمِعَتْ — في مَهبلند عليها اللّه سَوَّاها

2 ملاحةُ الحسن تهواها وتعشَقُها — فما ترى ذا هوًى إلا ويهواها

3 ما إن رأيتُ ولا أخبرتُ عن أحدٍ — من الحِسان بما الرحمنُ حلاَّها

4 الغصنُ قامَتُها، الحِقْفُ[3] قَعْدَتُهَا — الدُّرُّ مَبْسَمُها المسك ريَّاهَا

5 الليلُ طُرَّتُهَا الصُّبْحُ غُرَّتُهَا — البدرُ بَهْجَتُهَا الشَّمسُ مَجْلاها

6 هلالُ شَوَّالَ في الإهلال رؤيتُها[4] — الغُنْجُ مُقْلَتُهَا السِّحْرُ عيناها

7 الخَيْزُرَانَةُ إنْ مالتْ مَعاطِفُها — الهَجْرُ مَصْرَعُها الوصل مَحْياها

[118]

من الطويل[5]

1 أقاسي من الخنساء ما ليس يجهلُ — وتلك فتاة ما عليها مُعَوَّلُ

2 تَصُدُّ وتُبْدِي عن سرور لعلمها — بأني لما تأتي أطيق وأحملُ

3 وذلك من غدري بها ووفائها — وقولي الذي قد قلته الآن أجمل

(1) يشير بكتاب الأحوذي إلى كتاب «عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي» لأبي بكر ابن العربي المعافري.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.212ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح ملاحة، والخاطر طلب راحة»، ولم يذكر السماع. وفي الزينبيّات «والرُّوح اغتراب، والخاطر انتداب» (و. 365).

(3) الحِقْف: جمع أحقاف، ما استطال واعوجَّ من الرَّمْل. وقد سبق أن صورها في القصيدة رقم (66) بثلاثة أوصاف، وأضاف هنا أوصافًا جديدة.

(4) يشير إلى ما يرتبط به رؤية هلال شوال من فرحة قدوم عيد الفطر.

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.213أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تعذيب، والخاطر ترغيب».

4 بنا والذي يدري الذي بي وذاقه — عليه اتّكالي فهو يقضي ويفصل

5 لو أن الذي بي من هواها بأَجْبُلٍ — لَدُكَّت رواسيها ولم تَكُ أَجْبُلُ

6 فيا قلبها القاسي على كل حالة — ألا تَنْظُرَنْ مِنّي وَتُسْدِي وتُفْضِلُ

7 بوصل فإني مغرمُ القلب والحَشَا — كثير لما يرثي لما بي ويحمل

8 ولا تَنظُرنْ إطلاق لفظي بأنها — فتاة لعوب ما عليها معوَّلُ

9 فقول الهوى العذريّ قول مُفنَّدٌ — يُجَانِبُهُ التَّحْرِيرُ إِنْ كَانَ تَعْقِلُ

[119]

من الطويل(1)

1 إلى مَهبُلند جئتُ سِرًّا وإعلانا — وقد كان من أمري الذي قيل قد كانا

2 مع السّتّ إذ عرفتها والذي جرى — وأرسلت دمعي عند ذلك طوفانا

3 أتيه لما بي من جوًى وصبابةٍ — كمجنون ليلى في هواه وغَيْلانا

4 بِمَيَّ ولكنني أشدُّ صبابةً — بها وبلاءً في هواها وأشجانا

5 إذا قلتُ يا خنساءُ قالت مجيبةً — حنانَيْكَ يا مولايَ تيهًا وخِذلانا

6 وتهزأ بي في القول من أجل تُهْمَةٍ — بأخرى وما ساقت على ذاك برهانا

7 ووالله ما عندي سواها أُحِبُّهُ — وأفنى به وَجْدًا جِهارًا وكِتمانا

8 ومن أعجب الأشياء أني ملكتُ مَنْ — تَمَلَّكَنِي جَوْرًا عليها وعدوانا

9 تقدَّمَ حُبِّي ملكَها وشِراءها — ولو كان عكس الأمر في الحب ما هانا

10 ولو أنني أدعو لنصري عشيرتي — ملأت عليها الأرض رَجْلا وفُرْسانا

11 وتغلبهمْ لو أنهم عَدَدُ الحَصَى — لأنَّ لها فينا جنودًا وأعوانا

12 من الوجد والشّوقِ المُبرّح والجَوَى — ومِنْ طُرَفِ البَلْوَى ضروبًا وألوانا(2)

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.213ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح مجنون، والخاطر مفتون».

(2) هذا البيت يذكر ببيت مماثل ورد في قصيدة نونية من ديوان ترجمان الأشواق «وجاءت من الشوق المبرح والجوى... ومن طرف البلوى إليّ بأفنان».

بسم الله الرحمن الرحيم
ربِّ صلِّ على محمد وآله، ونَجِّ برحمتك.

[120]

من مجزوء الخفيف[1]

1	فـبـنـا الـحـق يـظـهـر	وبـه نـحـنُ نـظْـهَـرُ
2	فـلـذا نـحـن نـشـكـرُ	ولـذا نـحـن نـكـفـر
3	بـاخـتـلاف مـحـقَّـقٍ	فـاعـلـمـوا ذاك وانـظـروا
4	فـإذا مـا شـهـدتـمُ	عـينَ مـا فـيـه[2] أبـشـروا
5	إن لـلّـه غَـيْـرَةً	فـاحـذروا أن تـنـفّـروا
6	وإذا مـا وُلِّـيـتُـمُ	يـسّـروا لا تُـعَـسّـروا

[121]

من البسيط[3]

1	العينَ للحق والأحكام في النظر	عين الذي يتجلّى فيه من صور
2	فقل إذا كنت علاّمًا بصورة ما	ذكرته أنـتَ إلا صورة البشر
3	أنت المؤثر والتأثير فيك وما	في الكون من بعد ما بيّنت من خبر
4	جلَّ الإلـه فما تُـدرَى حقيقَتُهُ	وإنْ أتَتْ كرمًا تمشي على قدر
5	فليس يدركها مِنّا سواه بنا	فما لنا نُتْعِبُ الأرواحَ بالفِكَرِ
6	الحقُّ أَبْلَجُ ما يخفى على أحد	من قوله هو عين السّمع والبصرِ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.140أ)، وسيوردها في هذا الجزء الثالث (القصيدة رقم 169).

(2) في المخطوط «ما قلته أبشروا»، لكنّ ديوان المعارف الإلهيّة يورد «ما فيه فاستروا». وقد أثبتنا «ما فيه» بدل «ما قلته» لضرورة الوزن. كما أنّه سيكرّر هذه القطعة في هذا المخطوط وفي ديوان المعارف من دون هذا البيت.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.140ب)، وفي ديوان الزينبيّات (و.319)، وفي المخطوط 1438 (و.155).

من الطويل

1 أتاني رسول الحق ليلا مبشّرًا[1] بتوقيعه فيما ملكت من الأمر

2 فأفرحني ذاك الخطاب ونصُّهُ بـأنَّ لنا فيه أمـانًـا مـن المكر

3 وقمتُ مقام الشاكرين وراثـةً كما قام من تدري على قدم الشكر

4 تَـوَرَّمَـتِ الأقـدامُ منه ولم يكن له مثلُ هذا الحال في زمن العُسْرِ

5 فَـلِلَّـهِ مـا يخفى وللَّـه مـا بدا وللَّـه ما يُجريه من حيث لا أدري

6 دعـا لي إلهي نفسُه لي نيابةً عن العبد بالتَّسديد في كل ما يجري

7 فحقَّقَ لي ذاك الـدعـاءَ إجابةً بما قد دعا فيه من الحفظ للأمر

8 فقمت بتأييد الإلـه وحفظه أُجَـرِّرُ أذيـالَ التَّعَجُّبِ والفخر

9 ولكن بربِّي لا بنفسي فإنني شهيد لما عندي من الذُّلِّ والفقر

10 وإن كنتُ مفطورًا على الصورة التي لها القَدم العَلياءُ في السر والجهر

11 كعتبةَ[2] لـمّا أن زها في عبودةٍ محقَّقةٍ زهـوًا على عالم الأمـر

اعلم أيدنا اللّه وإياك أن سبب هذه الأبيات ما أذكره، وذلك أن الحق تعالى لم يكن أوقفني على صورة توقيعه لي بما جعل لي من الولاية المعنوية في العالم حين أعلمني بأني خاتم الولاية المحمدية بمدينة فاس، أظن سنة أربع وتسعين وخمس مئة، وأعطاني العلامة بذلك بين كتفيّ، فعاينتها في الواقعة مع جملة الملائكة مبشرين لي بذلك. فلما كانت ليلة الخميس منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وست مئة، بدمشق أطلعني الحق تعالى على مبشرة نبوية على التوقيع الذي كتبه لي بذلك في ورقة بيضاء كأني أنظر إلى حسنه ونصّه وهيئته.

---

(1) أشار إلى هذه المبشرة في البيت (10) من القصيدة (318) من الجزء الرابع الذي حقَّقناه.

(2) عتبة: هو عتبة بن أبان البصري، وسُمّي بالغلام لجدّه واجتهاده مع صغر سنه. كان زاهدًا خاشعًا يقوم اللّيل، كثير البكاء. وقد ذكر قصّته الشّيخ في الباب 39 من الفتوحات المكّيّة بقوله «حكي عن بعضهم أنّه قال «اقعد على البساط»، يريد بساط العبادة، «وإياك والانبساط»، أي التزم ما تعطيه حقيقة العبودة من حيث إنّها مكلفة بأمور حدّها له سيّدها، فإنّه لولا تلك الأمور لاقتضى مقامها الإدلال والفخر والزهو من أجل مقام من هو عبد له ومنزلته، كما زها يوما **عتبة الغلام** وافتخر فقيل له: ما هذا الزهو الذي نراه في شمائلك ممّا لم يكن يعرف قبل ذلك منك؟ فقال: وكيف لا أزهو وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبدا».

«بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، هذا توقيع إلهي كريم من الرؤوف الرحيم، إلى فلان وسمّاني، وقد أجزلنا رِفْدَهُ، وما خيّبْنا قَصْده. فلينهَضْ إلى ما فُوِّضَ إليه، وليقدمْ على ما قدم عليه، ولْيُعَامِلْهُمْ بكريمِ خُلقِه، ولْيَطْلُعْ عليهم بَدْرَ تَمامٍ بأُفْقِه، ولا تشغَلْهُ الولاية عن المثول بين أيدينا شهرًا بشهر إلى انقضاء العُمر الذي سمح به الدَّهْر. واللّٰه يرزقه النُّجْحَ في سعيه، والسَّدادَ في حُكمه ورأيه، والوقوفَ عند أمره ونهيه، والسلام». فلهذا قلنا هذه الأبيات وقلنا فيها دعا لي نفسه تعالى نيابة عنّي في ذلك، و﴿الحمد للّٰه الذي أذهب عنا الحزن﴾ بما وقانا به من الفتن، فإن اللّٰه قد رفع المكر عن العلم بقوله ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ وقوله ﴿ومكروا مكرا وهم لا يشعرون﴾، فنفى عنهم العلم بذلك والشعور، ثم إن اللّٰه تعالى لا يمحو ما كتبه في القلوب من أحكام الغيوب، فالشكر للّٰه عليها من مبشرة إلهية نبوية برتبة ختمية علية مؤيدة بهوية، وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

[123]

من السريع

1 الفضل في الأغيار لا ينكر — وهل أنا غيرٌ، فذا يُنظَرُ
2 أن اثبتوا عيني فبأني الذي — يفضلني غيري ولا أشعر
3 إن الذي يفضلني ليسني — بل هو أنا والأمر ما أذكر
4 ألا ترى قد جاءنا في وصف من — جلَّ عُلاه هكذا أخبروا
5 أفعل من وما أرى غيره — في كونه في عينه يَحضر
6 اللّٰه أعلى ليس معناه أن — يفضل غيرًا إنه أغير
7 لذا أضافوني إليه وما — أضافني إلا الذي ينكر
8 إضافتي إليه لا تكبر — عليه فهو الكابر الأكبر
9 فكل ما في كونه راجع — إليه ما يخفى وما يظهر
10 ألا ترى إيلاءه بالذي — لا تبصر العين وما تبصر
11 وذاك برهان على أنه — أعظم إيلاء له يذكر
12 أعياننا إذا تأملتها — حقا فمن أسبابه تظهر
13 ما ثم إلا اللّٰه لا غيره — وإنما نحن له مظهر
14 أحكامنا تظهر في عينه — إذا تجلّى ولنا نظهر

15 يطلبه العقل بأفكاره والفكر بالرحمن لا يظفر

16 فكيف باللّه الذي جلّ أن يُدركه الحاصرُ والمُحْصِرُ

17 في اللّه حار القلب وهو الذي ميدانه الواسع ما يُحْصَرُ

18 فأين حظ العقل من قلبنا والقيد من إطلاقه أخطر

19 فعلمنا باللّه في قلبنا يعلمنا والعقل لا يشعر

20 فالحمد للّه على ما بدا كما له الحمد إذا يستر

21 باللّه يا أهل النهى اقصروا عن فكركم في ذاته واحضروا

[124]

في مبشرة رأى الحق فيها يتلو عليه ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نَزَغَ الشيطانُ بيني وبين إخوتي إن ربّي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾.

من البسيط

1 إني رأيت إلهي في مبشرة يتلو عليّ كلامًا عالي القدر

2 في أمر يوسفَ فيما جرى ومضى في شأنه مُعْلِمًا بصورة الأمر

3 بأوجز اللفظ في حسن العبارة في لطف الإشارة بين الكتم والجهر

4 واللّه أحسن بي إذ كان أخرجني من سجنه وأتى بكم إلى مصر

5 من بَدْوِكُمْ فانتفى ما كان مَسَّكمُ ومَسَّنِي مِنْ أَذَى بؤْسٍ ومن ضرر

6 فقال بي وبكم فقلت يا سندي إشرحْ لما قلته بفضلكم صدري

7 فكل ذلك بالمعلوم فاعتبروا فليس يعرفه إلا أولوا الفكر

8 ربي لطيف لما قد شاءه وقضى به كما نصّه في مُحكم الذِّكْر

9 هو العليم بما تجريه حِكمَتُهُ على خليقته من كل ما يجري

ثم غفوت[1] فرأيت في يدي شيئًا طوله يزيد على الشبر شبهَ الموز فسقط من يدي على الأرض أمامي فقلت: ما هذا؟ فقيل: هذا الواردات المخلوقات، وهي لما سقطت له.

(1) لم يذكر في ديوان المعارف الإلهيّة (و.143أ) ما رآه في هذه المبشرة، بينما ورد هذا في المخطوط 1438 (و.153).

[125]

من الوافر

1 قدِ الْتبَسَتْ عليَّ أمورُ كَوْني فلا أدري قَبِيلا مِنْ دَبِيرِ
2 أَغِيبُ به فَيَحْضُرُنِي مُجيرًا وَأَشْهَدُنِي عليمًا بالأُمُورِ
3 وَذَلِكَ في الوُرودِ إذا أتَانِي وَيَشْهَدُنِي كذلك في الصُّدُور
4 كما تَعْمَى عُيُونٌ في وُجُوهٍ كَذَا تَعْمَى قُلُوبٌ في صُدُورِ
5 أُعايِنُهُ وأَطْلُبُ أن أراه فَأَعْجَزُ في البُطونِ وفي الظُّهورِ
6 فلا بِالعَيْنِ أُدْرِكُ مَا شَهِدْنَا ولا بالفكر فيه ولا الضَّمِيرِ
7 أَرُومُ تخلُّصًا مِنِّي ومنه وعَيْنُ دلالتي تَرْكُ النَّكِيرِ
8 ولا يَكْفِي دَلِيلُ التَّرْكِ فيه بحُكْمِ النَّاقِدِ الحَكَمِ البَصِيرِ
9 أبَتْ لي هِمَّتِي وأَبَى عِيَانِي لما في النَّفْس من عَدَمِ القُصُورِ
10 شعرتُ به وما أَدْرِي إذا ما أُحَاقِقُ هل يخلِّصُنِي شعوري
11 لقد سَفَرَتْ فَتَاةُ الحيِّ يومًا وقالت لا تَرُوعُ من سُفُورِي
12 فَخَلْفِي كُلَّمَا تَرْجُوهُ مِنِّي مِنَ امْنٍ مِنْ مُواقَعَةِ النُّشُورِ

[126]

وقد بات مهمومًا من أجل حادث حدث لصاحب له أَغَمَّهُ فطلب من اللّه أن يُريه في ذلك شيئًا فتلا عليه في الواقعة ﴿إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا﴾ فنطق من حينه، فقال:

1 لا بُدَّ من فَرَجٍ يأتي به القَدَرُ يُفْنِي النَّوائبَ لا يُبْقِي ولا يَذَرُ
2 يأتي به مَنْ له أَمْرُ الوُجودِ وَمَنْ يَعْنُو لَهُ أَوْجُهُ الأَرْوَاحِ وَالصُّوَرُ
3 واللّه ما نظرتْ عيناي مِنْ بَشَرٍ إلا وكانَ نَعِيمِي ذَلِكَ البَشَرُ

[127]

من المديد

1 الَّذِي عَقْلِي يُقَدِّسُهُ هُوَ ذَا وَهْمِي يُصَوِّرُهُ

2 فَبِعَيْنِ الكَشْفِ أُظْهِرُهُ | وَبِعَيْنِ العَقْلِ أُضْمِرُهُ
3 فَتَرَانِي بَيْنَ هَذَا وَذَا | أَطْوِ مَا التَّحْقِيقُ يَنْشُرُهُ

[128]

من الطويل[1]

1 خرقْتُ حجابَ الغيبِ أطلبُ سرَّهُ | فَلَمْ أُلْفِ إلا بَهْتَةً وتَحيُّرا
2 فَعُدْتُ إلى الأكوانِ أَبْغِي شُهُودَهُ | فَلَمْ أرَ في الأكوان عِلْمًا مُقَرَّرا
3 فَيَا مُدَّعِي عِلْمَ الأكابرِ لَيْتَهُ | يُقَرِّرُ في الأوزان وَزْنًا محرَّرا
4 يوافقُ أوزانَ الطَّبيعَةِ كونُهُ | عن الفعل لا يلقى عن الأمر مخبرا
5 فَيَقْلِبُ عَيْنَ البَدْرِ شَمْسًا مُنِيرَةً | وَيُنْشِيءُ بَهْرَامًا شموسًا وأَقْمُرا[2]
6 فقال له الميزانُ لستُ بحاصلٍ | لمن ظلَّ طولَ الدَّهْرِ فِيَّ مُفَكِّرا
7 ولَكِنْ حُصُولِيَ اتِّفَاقًا فإنَّني | عَزِيزٌ عن الإدراكِ غَيْبًا ومَحْضَرا

[129]

من البسيط[3]

1 عَجِبْتُ مِنْ رَجْمِ نَارٍ تَحْرِقُ النَّارَا | واللَّهُ يُظْهِرُهُ في العَيْنِ أَنْوَارَا
2 لا بُدَّ منه له حفظًا لشِرْعَتِنا | وَلَوْ تَسَرَّبَ أَنْفَاقًا وَأَغْوَارَا
3 يشوِّهُ الوجهَ منه عند خَطْفَتِهِ | وَثَمَّ يَخْطِفُ أسماعًا وأبصارا

[130]

من الكامل[4]

1 إنَّ الغَمَامَ مَطارِحُ الأَنْوَاءِ | ولذاكَ أضحى أَقْرَبَ الأَسْتَارِ
2 منه تَفَجَّرَتِ العُلومُ على النُّهَى | وبه يَكونُ الكَشْفُ لِلأَبْصَارِ

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص. 41)، وفي مجموعة من المخطوطات.

(2) بهرام: المريخ.

(3) وردت في طبعة بولاق (ص. 41)، وفي مجموعة من المخطوطات.

(4) وردت في طبعة بولاق (ص.41)، وفي مجموعة كبيرة من المخطوطات.

3 فيه البُروقُ وليس يُذْهِبُ ضَوْؤُها أَبْصَارَنا لِتَقَدُّسِ الأبصار
4 فيه الرّعود وليس يُعْدِمُ صوتُها أسماعَنا لتنزُّهِ الأسرار
5 فيه الصَّواعقُ ليس يُذهبُ رسْمَنا إحراقُها لعنايةِ الآثار
6 فيه الغيوثُ وما يُغطّي سَيْلُها أشجارُنا لتحقُّقِ الإيثارِ
7 ما بعده شيءٌ سوى مَعلومِنا ربِّ الأنامِ مع اسمِهِ الغَفّار
8 فَإِذَا انْجَلَى ذَاكَ الغَمَامُ فَذَاتُهُ تبدو إلى الأبصار في الأنوار
9 فالنُّورُ يُدْرَجُ في مثلِهِ في ضَوْئِهِ كالشَّمْسِ لا تُفْنِي ضِيَاءَ النَّارِ
10 فَتَرَى البَصائرُ والعيونُ جلالَهُ وجمالَه في الشَّمْسِ والأقْمارِ
11 فَافْهَمْ إشارتَنا تَفُزْ بِحَقَائِقٍ تَخْفَى على العُقَلاءِ والنُّظّارِ

[131]

من البسيط

1 إذا بدتْ سُبُحَاتُ الوَجْهِ فاستترِ فالنُّورُ يَذهَبُ بالأعيانِ والبَصَرِ
2 وَانْظُرْ إلى مَنْ وَراءَ النُّورِ مُسْتَتِرًا ترى الضِّياءَ فَأَمْعِنْ فيه بالنَّظرِ
3 فَقُلْ لِقَلْبِكَ أَمْسِكْ منه شاهِدَهُ فَعِنْدَ رَدِّكَ تَلْقَى لَذَّةَ النَّظَرِ

[132]

من الكامل[1]

1 هَذِي المنازلُ والفؤادُ السّاري فيها بحكمِ تصرُّفِ الأقدارِ
2 حارتْ به الأفلاكُ في فُسُحاتِها فالكونُ في الأدوارِ والأكوار
3 فإذا يَحُلُّ بمنزلٍ يهفو له شوقًا إليه مَطارِحَ الأنوار
4 فَيَمِدُّها بالفيض في غَسَقِ الدُّجى حتى يُشَمِّرَ عَسْكرُ الأسْحارِ
5 للانتقال من البسيطة قاصدًا جهةَ اليَمينِ ومَغربَ الأسرارِ
6 ويَحُلُّ إدريسُ العَلِيُّ بِيُوحِهِ في إِثْرِ ذاكَ العسكر الجَرّارِ

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.42)، وفي غيرها من المخطوطات. وترجم لها في ديوان الزينبيّات بقوله «وقال في منازل الكواكب السيّارة والتكوين في دور الفلك» (و.281).

7 يَخْفَى على عَيْنِ المُشاهِدِ نورُهُ — كالشَّمْسِ[1] تَنْفِي سَطْوَةَ الأقمارِ
8 فَالزَّمْهَرِيرُ مع الأَثِيرِ تَحَكُّمَا — بالبَرْدِ والتَّسْخينِ في الأَطوارِ

[133]

من مخلع البسيط

1 قَدْ تَاهَ غِلْمَانُنا علينا — فما لنا في الوجود قَدْرُ
2 أذنابُنا صُيِّرتْ رؤوسًا — ما لي على ما أراه صَبْرُ
3 قد أُوذيَ اللّه مثلَ هذا — فالوقتُ حُلْوٌ وقتًا ومُرُّ
4 هذا هو الدَّهرُ يا خليلي — فَمَنْ يُقاسيه فَهْوَ دَهْرُ

[134]

من الكامل[2]

1 إن الذين يبايعونك إنهمْ — لَيُبايِعونَ اللّه دونَكَ فاعتبرْ

[135]

من الرجز[3]

1 يحكم كَرُّ الليل والنَّهارِ — على شخوصِ مَزْجَةِ الأطوارِ
2 مثلَ التُّرابِ اليابس الثَّرْثَارِ[4] — والماءِ والهواء ثم النَّارِ
3 بالاستحالات وبالتَّكوين — وبتناهي مُدَّة الأعمارِ
4 وذاك بالأمر العزيز العالي — أمرِ الإلهِ الواحدِ القَهَّارِ

---

(1) كتبت في الأصل «لا الشمس»، وهو خطأ يحيله المعنى والسّياق. وقد وردت صحيحة في طبعة بولاق.

(2) من المفاريد.

(3) كرّر الشّيخ هذه القطعة (القصيدة رقم 226) في نفس الجزء (و.74). كما ترجم لها بقوله في طبعة بولاق «في باب الأركان الأربعة».

(4) تحوّلت «الثرثار» إلى «الثريار» في طبعة بولاق، وهو خطأ. بل المقصود أنّ الطين يصوت ليبسه فكأنّه مثل الثرثار.

[136]

من مجزوء الكامل[1]

1	إنَّ الـتَّـحـرُّكَ عـن ضَـجَـرْ	سُـخْـطٌ على حُـكْـمِ الـقَـدَرْ
2	الـسَّـاكـنـونَ لـحـكـمِـنـا	قَـومٌ أعـزّاءٌ صُـبُـرْ
3	فَـهُـمُ لـنـا وأنـا لَـهُـمْ	وَهُـمُ الـمـرادُ مـنَ الـبَـشَـرْ
4	لا تَـرْكَـنَـنَّ لـغـيـرِنـا	واصبر تَـعِـشْ معَ مـنْ صَبَرْ
5	إنِّـي لـكـل مـسـلـم	عَـرَفَ الـحـقـيـقـةَ فاعتبِرْ
6	فـي كُـلِّ مـا يـجـري عليـ	ـهِ منَ الـمـكـاره والـضَّـرَرْ
7	قُـلْ لـلـذيـن تَـحَـرَّكـوا	مـن أجـلـنـا أيـن الـمـفَـرْ
8	مـا ثَـمَّ إلا حـكـمُـنـا	عـنـد الإقـامـةِ والـسَّـفَـرْ
9	فَـارْبَـحْ قُـعـودَكَ تَـسْـتَـرِحْ	فـتـكـون مـن أهـل الـظَّـفَـرْ
10	فـالـلَّـهُ لـيـس بـغـائـبٍ	وهُـو الـكـفـيـلُ لـمـن نَـظَـرْ

[137]

من المنسرح[2]

1	يـطـوف بالبيت مـن يَـدِيـنُ به	لـكـنَّـه خـارجٌ عـن الـبـشـرِ
2	كـأنَّـهُ فـي طـوافـهِ جَـمَـلٌ	يَخْبِطُ لا يَلْتَوِي على الحَجَرِ
3	مثلُ حُنَينٍ[3] وقـد رآهُ فَتًى	مِنْ أعلمِ الناس من بني عُمَرِ[4]
4	فـقـال هـذا الـذي أقـول به	في حـقِّ هـذا الأنيسِ فازدجرِ

---

(1) في طبعة بولاق.

(2) في طبعة بولاق، وترجم لها بقوله «ما قال ابن عمر في طائف مُعْرِضٍ عن البيت». والغالب أنَّه يشير إلى ما كان يداوم عليه ابن عمر ﵁، حيث إنَّه كان قد رأى ناقة رسول الله ﷺ مرَّة تدور مرَّتيْن قبل أن ينزل عنها الرسول، ثمَّ صلَّى ﷺ ركعتيْن، فكان عبد اللّه بن عمر لا يبلغ ذلك المكان الذي رأى فيه فعل الناقة ذلك إلّا ويدور بناقته ثمَّ ينزل، فيصلِّي ركعتيْن. وكان عبد اللّه بن عمر من أكثر الصحابة اتّباعًا للرَّسول حتى قالت عنه أم المؤمنين عائشة ﵂ «ما كان أحد يتبع آثار النبيّ ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر».

(3) حنين : أو وادي حنين هو وادي إلى جنب ذي المجاز، أحد أسواق العرب الأدبيَّة في الجاهليَّة. يبعد عن مكَّة بحوالى 27 كيلو متر. ودارت فيه غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة التي قال فيها اللّه تعالى ﴿لقد نصركم اللّه في مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حُنَيْنٍ﴾ (التوبة، 25).

(4) هو الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر ﵁.

5	لكنَّنِي قد وجدتُ معذرةً	كان عليها في سالفِ العُمُرِ
6	كان له مَوضعٌ[1] يطوفُ به	ومن أتى عادةً فلم يَجُرِ[2]

[138]

من الطويل[3]

1	تناولتُ كأسَ الغَيْرِ واللّهُ أغْيَرُ	على عبده حُبًّا كما هو أسْتَرُ
2	على عَيْبِه حِلْمًا فبادرْ بِتَوْبَةٍ	إلى اللّه مِمَّا قد جَنَيْتَ فيَغْفِرُ
3	وما ذاكَ إلا أنَّ في الصِّدْقِ ثُلْمَةً	ولا شَكَّ أن السَّيْفَ بالثَّلْمِ يَفْتُرُ
4	غُنِينا بربِّ الخَلْقِ عن كلِّ كائنٍ	وما الخلق إلا ناقص ومُحَقَّرُ
5	فما البيتُ إلا بيتُ قلبي وخاطري	وفي سَفَرِي تبدو المَهاةُ فتسفرُ
6	وإن لم أسافر كنتُ بالعين قاطِنًا	أُسَرُّ بمرآها وأعلو وأفخرُ
7	فيا زِينَتَ[4] الدُّنيا بتصحيف تَائِهَا	أغيبُ عن الإحساس وَجْدًا وأحضرُ
8	أنا الناصح النِّحريرُ في الدِّينِ ما أنا	بناصحٍ تقليدَ الإمام فأعذرُ[5]
9	لقد حَرَّم الرحمنُ تقليدَ مالكٍ	وأحمدَ والنُّعمانَ والكلَّ فانظروا[6]

(1) كتبت هذه الكلمة في الأصل هكذا «فقع»، ويبدو أنّها خطأ، والغالب أنّها «موضع»، أو «موقع».

(2) تحوّلت كلمة «يجر» إلى «يحسر» في طبعة بولاق.

(3) وردت في مخطوط جامعة إستانبول 1438 (و.117)، وفي ديوان الزينبيّات (و.284)، وترجم لها بقوله «في واقعة وقعت لبعض مريديه».

(4) كتب «زينة» هكذا في الأصل «زينتَ»، وهو أمر مقصود لأنّه يشير بتصحيف التاء فيها إلى باء، فتصير «زينب»، وهي زينة الدنيا المقصودة من قوله. لكنَّ بقيّة المخطوطات كتبت «زينة» على هذا النحو لأنّها لم تتبيَّن المعنى المقصود على الأرجح. وذكره للوجد في البيت قرينة تؤكِّد هذا المعنى.

(5) كتبت الكلمة الأخيرة في المخطوط «فاعذروا»، لكنّ الوزن لا يستقيم بها، بينما كتبت في المخطوطات الباقية كما أثبتناها، وهو الصواب.

(6) يشير بهذا إلى أنّه مجتهد مطلق لا يقلّد غيره من الأئمة كمالك وأحمد وأبي حنيفة ومن سواهم. ورأي الشيخ في التقليد يقول به كثير من العلماء. قال ابن عبد البر «أجمع أهل العلم أنَّ المقلّد ليس معدودًا من أهل العلم، وأنَّ العلم معرفة الحقّ بدليله». والناس في العلم الشرعي صنفان: عالم مجتهد، وعامي مقلّد. والمجتهد صنفان: مقلّد في أصول الاستنباط لإمام، وهو المتمذهب. ومتخيّر من الأصول ما رآه أصح، وهو المجتهد المطلق. أمّا المقلّد في الفروع لإمام دون النظر إلى تخريج فروعه على أصوله فهو عامي، وإن ادّعى خلاف ذلك. وممّا ورد في القرآن من ذم التّقليد ﴿وإذا قيل لهم اتّبِعوا ما أنزلَ اللّه قالوا بل نتّبعُ ما ألفينا عليه آباءَنا﴾، لكن لا يعني هذا أن لا يسأل الإنسان عالمًا ويقلّده بدليل قوله ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

10 فما جئتُ إلا بالذي صَحَّ علمُه — لِـذِي كـلِّ عـلاَّمٍ إمـامٍ ففكِّروا

11 فَـوَالـلّـه لـولا مـا لدينا عنايةٌ — بها لأخذناها بها وهْـيَ تبصرُ

12 كما أخذ اللّـه القُرَى عند ظُلْمِها[1] — ولكنَّ حِلْمِي قد أبَى وسَتُبْصِرُ

13 ومـا مثلُنا إلا إمـامٌ مُـتَـوَّجٌ — على رأسه من عصمة اللّـه مِغْفَرُ

14 إذا جاءَهُ سَهْمُ الرَّدَى أو حُسامُهُ — تَلَقَّاهُ تُـرْسٌ في يديه مُجَوْهَرُ

15 فجوهره عِـلْـمٌ وعَـقْـدٌ وحِكْمَةٌ — ويحجُبُه عَمَّا يُحـاذِرُ عَسْكَرُ

16 أعِــزَّاءُ قَـوَّامـونَ للحقِّ صُبَّرٌ — على كلِّ مكروهٍ يُخافُ ويُحْذَرُ

17 فما شربَ الصَّهباءَ بالـمَزْجِ إنَّهُ — هو الشِّرْكُ فافهم واشْعُرْ إن كنتَ تَشْعُرُ

18 فَوَاللّـه إنّي ناصحٌ لستُ ناصحًا[2] — أُسَمَّى به والاسم ما ليس يحضر[3]

19 يزيدُ اسمُ مَنْ يَذْوِي وينقُصُ كالذي — يُسَمَّى بِيَشْكُرَ مَنْ هو بالبِرِّ أكْفَرُ[4]

[139]

من البسيط[5]

1 إذا تولَّيتَ أحكامَ النُّفوس فَكُنْ — منها على حَذَرٍ إن كنتَ ذا نَظَرِ

2 إنَّ النُّفوسَ لها غَوْرٌ وتَعْجَزُ عَنْ — إدراك ما فيه أهلُ الفِكْرِ والخَبَرِ

3 فَـلا تَقُلْ هُـوَ سَهْلٌ إنَّـهُ عَسِرٌ — صَعْبٌ على كلِّ ذي فِكْرٍ مِنَ البَشَرِ

4 لأنَّ صـورَتَـهـا عليه أنـشـأَهَـا — وهو العزيزُ فلا تُقْدِمْ على خَطَرِ

5 وانظر لنفسكَ قبل الموتِ يا ولدي — فإنما أنت في الدنيا على سَفَرِ

6 إلــى مَـقـامٍ بـه عِـزٌّ ومَـكْـرُمَـةٌ — إذا نجوتَ من التَّخليد في سَقَرِ

---

(1) يشير إلى قوله تعالى ﴿وكذلك أخْذُ ربِّكَ إذ أخَذَ القُرى وهي ظالمة﴾ (هود، 102).

(2) الناصح: الخالص من كلِّ شيء، كالعسل والشراب وغيرهما، يُقال «سقاني ناصح الشراب». والناصح: الذي ليس في قلبه غش. والناصح: الخياط. ومعنى البيت أنّه ناصح في الدِّين لكنّه لا ينصح بتقليد أولئك الأئمة الذين مر ذكرهم في البيت (8) و (9) ويحتمل معان أخرى، واللّـه أعلم.

(3) كتبت في ديوان الزينبيّات «يحصر»، ولعله أصوب من «يحضر»، وإن كان له ها هنا معنى محتمل.

(4) يشير إلى أنَّ اسم «يزيد» يحمله من يعتوره الذبول النقص. كما أنَّ اسم «يشكر» يحمله من يكفر بالبِرّ ولا يعترف بالجميل ولا يشكر من أسدى له معروفًا.

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.185)، وفي ديوان الزينبيّات (و.294)، وفي المخطوط 1438 (و.127)، وقد ترجم لها فيه بقوله «وقال أعاننا اللّـه دائمًا على أنفسنا به».

[140]

من مجزوء الوافر[1]

1 إذا مـا كـنـتَ لـي كُـفـؤًا وقـام الأَمْـرُ بـالأَمْـرِ

2 لـهـذا يـا أخـي فـانـظر وَصَـلْـتَ الـوِتْـرَ بـالـوِتْـرِ

3 فَـلَـوْ أنَّ الـذي أدري يـكـونُ كـلُّـمـا تَـدْري

4 لَـكُـنّـا فـيـه سِـيّـانِ لِـسِـرٍّ كـان أو جَـهْـرِ

[141]

من البسيط[2]

1 بالذكر جالسني من لستُ أُبصرهُ فإنني رجلٌ أعمى عن النَّظرِ

2 لكنْ لنا عينُ إيمانٍ ومعرفةٍ بها أُشاهده في البَدْوِ والحَضَرِ

3 لذا أُناجيه في سِرٍّ وفي عَلَنٍ في صورة الملإ العُلْوِيِّ والبشر

4 إنْ قلتُ أَشْهَدُهُ فلستُ مُفْتَرِيًا أو قلتُ لم أَرَهُ فشاهدي بصري

5 ما إن شكوتُ له إلا شكوتُ به بـهِ تَـعَـوَّذتُ منه فـاتَّـبِـعْ أثَـرِي

6 كذا سمعتُ رسولَ اللّه سيِّدَنا يقول لي صحيح النَّقل والخَبَرِ

7 لَمَّا أتَتْ في صحيحِ النَّقْلِ رؤيَتُهُ كَرُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالأبصار، والقَمَرِ

8 علمتُ أنَّ لـه أمـرًا يُـقَـيِّـدُهُ لا بل يُقَيِّدُنا بعالم الكُوَرِ[3]

9 الحقُّ ذو صُـوَرٍ شَتَّى مُنوَّعةٍ كما روينا عن المعصوم في الأَثَرِ

10 الحقُّ قلبي، وقلبي قد تقلَّبَ في كما علمتُ به في سائر الصُّوَرِ

11 أعني به صُوَرَ الأشخاص لا صُوَرَ الـ ـمَعاني ثُمَّ له التَّنزيهُ في الغِيَرِ

12 إنَّ الـقـرآنَ لَـوِتْـرٌ غيرُ منقسمٍ وقـد تَـعَـدَّدَ بـالآيـاتِ والـسُّـوَرِ

13 ومـا تَجَلَّى لنا شيءٌ نَـدِيـنُ به سواهُ فهْوَ لنا المعلومُ بالفِطَرِ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.185)، وفي ديوان الزينبيّات (و.294) وفي المخطوط 1438 (و.127). وقد كتبت بطرق مختلفة في هذه المخطوطات، لكنَّ الغريب أنَّ المخطوط رقم 1438 كتب البيت الكامل كما لو كان شطرًا واحدًا.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.185ب).

(3) «الكُوَر» أصبحت «الأُكَر» في ديوان المعارف الإلهيّة.

14 له النُّزُولُ بليلٍ رحمةً سَبَقَتْ — منه بنا فهْوَ يدعوني إلى السَّحَرِ

15 له الغِنَى إنّما الأسماء تُنْزِلُهُ — إلى خليفتِهِ في النَّفْعِ والضَّرَرِ

16 هو القَوِيُّ وَانَا عَيْنُ القُوَى فمتى — أكـونُ كـان ولكنّي على خَطَرِ

17 وإن تكنْ رحمةٌ كما ذكرتُ لكمْ — مَضَى الرَّجاءُ ومن يرجو مع الحذر

18 في قبضة الـذَّرِّ سمّاني وقيّدَنِي — عبدًا فقيرًا لِـرَبٍّ غيرِ مُفْتَقِرِ

[142]

من الكامل[1]

1 إنِ الكلامَ إلى الحديثِ إلى الخَبَرِ — عينُ المناجاة التي فيها السَّمَرْ[2]

2 مثلُ الـكـلام إذا يُـؤثّـرُ لَفْظُهُ — في نفس سامِعِهِ بِحُكْمٍ قد ظَهَرْ

3 والذَّوْقُ في خَبَرٍ يَكُونُ كَمَا أَتَى — وَلَنَبْلُوَنَّكَ كي تَرَى عينَ الخَبَرْ

4 إنَّ الحديثَ من الحديثِ وشأنهُ — وتصرُّفُ الأحكام فيه مع القَدَرْ

5 ثـم المسامرةُ التي لا تنبغي — إلا لـعبـدٍ للحقيقةِ فـيـه سر

6 أنّـى تـنـازعـهُ الـحـديـثَ وإنّـه — عينُ المناجاة التي هي في البَشَرْ

[143]

وقال أيضًا :

من البسيط

1 ما لي وللقمر العالي إذا بدرا — والصُّبحُ أَسْفَرَ والإظلامُ قد دَبَرَا

2 يَـغُـرُّنِـي بضِياءٍ قـد أُعِـيـرَ له — من غيره وهْـوَ لا عينٌ ولا أثـرا

3 أقـامـه لعيون الـخـلـقِ خالقُهُ — مَجْلًى وأودعَ فيه للورَى ضَرَرَا

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.184)، وترجم له بقوله «وقال في تقسيم الكلام والعبارات عنه». كما وردت في ديوان الزينبيّات (و.294)، والمخطوط رقم 1438 (و.127). وقد ذكر في هذه القطعة «أهل المجالس والحديث». (انظر تفصيل الكلام عنهم في الباب 73، السؤال رقم 5). وذكر في الجواب عن السؤال رقم (6) من نفس الباب أن عدد أهل المجالس على عدد أهل بدر (313)، فيهم أربعون هم «أهل الحديث».

(2) هنا بيت لم يرد في هذه المخطوطة، أوردته باقي المخطوطات الأخرى بيتًا ثانيًا هو «هو واحدٌ وتقسَّمَتْ أحوالُنا... فيه إلى أثرٍ يكون ولا أثرْ».

4 مَحْوًا وفي ذاته كَسْرَانِ ما لهما — جَبْرٌ وإنَّهما في الحُسْنِ قد ظَهَرَا

5 تَعَوَّذَ المصطفى من شَرِّهِ وأنا — وكُلُّ تَالٍ إذا ما كان مُدَّكِرَا

6 ومـا تَـعَـبُّـدَهُ إلا تَـعَـبُّـدُهُ — وصورةُ العدل فيه أن يرى قَمَرَا

[144]

وقال أيضًا[1]:

من البسيط

1 الأُنـسُ ما بين أسماءٍ وسُمَّارِ — والحُسْنُ ما بين أزهارٍ[2] وأزهارِ

2 في روضة أرضُها أرضٌ مُمَسَّكَةٌ — غَـنَّـاءَ طيِّبَةِ الأقـطـارِ[3] معطارِ

3 اللَّه أوْدَعَ حُسْنَ الحُسْنِ أجمَعَهُ — فـي كـلِّ سـاريـةٍ تـأتـي بأمطارِ

4 عن إذْنِ مُنشِئِها بعادَةٍ[4] ثَبَتَتْ — مـنـه بـأنـواءِ أدوارٍ وأكـوارِ

5 ما بين غيث وشمس كلُّ زاهرةٍ — أهدى لنا الرَّوْضُ في نَوْرٍ ونُوَّارِ[5]

[145]

من البسيط[6]

1 لَمَّا تجلَّى بذات العين صورته — فلم يكن مثلُها شمسٌ ولا قَمَرُ

2 كأنَّها البَرْقُ في التشبيه لو ثبتَتْ — في الوقت راحت فلا رعدٌ ولا مَطَرُ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.187ب)، وفي ديوان الزينبيّات (و.295)، وفي المخطوط 1438 (و.128).

(2) في ديوان الزينبيّات، والمخطوط رقم 1438، «أنهار» بدل «أزهار» الأولى. والأرجح «أزهار» لأنَّ وجود أنهار عدّة في نفس الموضع لا يتأتّى إلّا فيما ندر.

(3) في مخطوط 1438، «الأعراف» بدل «الأقطار».

(4) يشير إلى أنَّ السحاب يأتي بالمطر عن إذن خالقه بالعادة. وهذا يعني أنَّ علاقة السببيّة ليست ذاتيّة أو بالطبع كما يقول الفلاسفة وفرق أخرى. والعلاقة بينهما قد تتخلّف كما في عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام. والأشاعرة يقولون بأنَّ العلاقة بين السَّبب والمسبَّب لا تتخلّف عادة.

(5) النَّوْر: الزهر الأبيض، واحدته نَوْرَة والجمع أنوار. النُّوَّار: الزهر، واحدته نُوَّارَة، والجمع نواوير. وقد كتبت الكلمة الأخيرة في ديوان الزينبيّات «أنوار».

(6) لم ترد في ما بين أيدينا من مخطوطات للدّيوان.

3 لو لم تكن خُلُبًا سَقَتْ حدائِقَنا ... من المعارفِ تلك الأنجمُ الزُّهُرُ

4 وظلَّ يسجُدُ تعظيمًا لِمُنْشِئِهِ ... ما فيه من ثَمَرٍ، والنَّجْمُ[1] والشَّجَرُ

5 في كلِّ شيءٍ له سبحانه وعلا ... إذا تدبَّرتَهُ وَعْظٌ ومُذَّكَرُ

6 فانظر إليه بعين الاعتبار تكن ... فيه لناظره الآياتُ والعِبَرُ

[146]

من البسيط[2]

1 في الخمس للخمس سرُّ العالمين بما ... في الخمس من حفظِ أعيانٍ ومن صُوَرِ[3]

2 فخمسةٌ تحفظُ الأعيانَ أجمَعَها ... ونفسَها فهْي سرُّ اللّه في البشرِ[4]

3 وستَّةٌ ما لها حفظٌ يجاوزها ... لذاكَ أيَّدَ سُدْسُ الخمْسِ في النَّظَرِ[5]

4 سَمَتْ بسورتها قَدْرًا ومَنْزِلَةً[6] ... على الذي في وجود الكون من سُوَرِ

5 فأصبحَتْ ولها حُكْمٌ وسَلْطَنَةٌ ... لكونها ترجمانَ الحُكْمِ والقَدَرِ

---

(1) النجم: كلّ نبات لا ساق له قائمة ينجُمُ من الأرض، مثل قوله تعالى ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ (الرحمن، 6).

(2) وردت في المخطوط 1438 (128.ظ)، وديوان الزينبيّات (و.295)، وديوان المعارف الإلهيّة (و.192).

(3) يشير إلى الصلوات الخمس وأركان الإسلام الخمسة. وكلاهما حافظ لزمن المؤمن ووجوده.

(4) قال في بداية الباب 532 من الفتوحات المكّيّة «قال اللّه سبحانه وتعالى ﴿حافظوا على الصلوات﴾ وليست سوى هذه الخمس الموقتة المعيّنة المكتوبة. وكما أنّ الخمسة تحفظ نفسها وغيرها الذي هو العشرون». بمعنى أنّ 5X5=25، فالخمسة تحفظ نفسها وتحفظ العشرين التي هي العقد الثاني في العشرات.

(5) هناك بيت ورد رابعًا في (د. م. إ)، ومخطوط جامعة إستانبول 1438 هو «بكونه خمسًا من خمسةٍ جُمِعَتْ... ملك الوجود لذا جاءت على قدرِ». وهذا البيت يطرح إشكالًا من حيث عدد أبيات القصيدة لأنّه يتكلّم هنا عن حقيقة الخمسة في كونها تحفظ نفسها وتحفظ غيرها، بينما الستة لا تحفظ إلّا نفسها، فالبيت الزائد هو في حكم الستة المحفوظة بالأبيات الخمسة للقطعة. ولعلّه يشير بـ«سدس الخمس» إلى الوتر الذي قد يعدُّ البعض زائدًا على الصلوات الخمس فتكون ستًّا، لكن زيادة هذا البيت لم تؤثر لأنّ ما زاد عنها إلّا من يحفظ نفسه خاصّة، وهو الستة، وهو مناسب لحقيقة الحفظ فيهما.

(6) يشير إلى سورة القدر، وعدد آياتها خمس.

[147]

من السريع[1]

1 أحكمتُ برهاني و أتقنته إحكام من نُوزعَ في الأمر[2]

2 فعندما حاكمت خصمي به أذعن في السّرّ وفي الجهرِ

3 لأنّهُ يَعْلَمُ أنّي على بَيّنَةٍ قد ضَمَّهَا صَدْرِي

4 وقد تلاها شاهدٌ صادقٌ يَرْفَعُ مِنْ شأني ومِنْ قَدْرِي

5 سَفِينَةُ التّرْكِيبِ قامت على أربعة تَمْخُرُ في بَحْرِ[3]

6 ليس به ماء ولا لُجّةٌ أمواجها تُكسّر في البَرّ

7 فهل رأيتمْ أو سمعتمْ به سفينةٌ في يَبَسٍ تجري

[148]

من الكامل[4]

1 النُّورُ للظُّلَمِ التي لا تَظْهَرُ ولظلمةِ الجسمِ الكثيف مُنَفِّرُ

2 فهْي الليالي الدنس لا تدري السَّنَا في ذاتها وهو الصّباحُ المُسْفِرُ

3 ما عصمةُ الرأس الذي يخشى الرَّدَى إذ يلتقي الأعداء إلا المِغْفَرُ

4 تربو الجرائمُ للمكلَّفِ جهرةً واللَّه يعصمُ من يشاء ويغفرُ

5 والناس بين مصدِّقٍ ومُكذِّبٍ شُكْرُ المصدِّق والمكذِّب يكفر

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.192ب)، وديوان الزينبيّات (و.295)، ومخطوط 1438 (و.128).

(2) الحدّ يكون في المفردات، والبرهان يكون في المركبات. يتكلّم الشيخ هنا عن الاستدلال المنطقيّ المكوّن من مسند ومسند إليه ومقدّمة ثمّ نتيجة، فهي أربعة أركان.

(3) لا يصح أن يكون التركيب أكثر من أربعة أصول. مثلاً، الأربعة هي أصل باقي الأعداد، فالثلاثة التي فيها مع الأربعة تعطي سبعة. والاثنان مع السبعة تعطي تسعة. والواحد الذي في الأربعة مع الخمسة يعطي العشرة. ويمكن التّركيب إلى ما لا نهاية على هذا النحو. وفي الطبائع: لدينا البرودة والرطوبة والحرارة واليبوسة. ومن امتزاج الحرارة واليبوسة كانت النار. ومن امتزاج الحرارة والرّطوبة كان الهواء. ومن امتزاج البرودة واليبوسة كان التراب. ومن امتزاج البرودة والرّطوبة كان الماء.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.193ب). كما وردت في ديوان الزينبيّات (و.295)، والمخطوط 1438 (و.128) إلّا أنّها جاءت منقوصة حيث لم يرد فيهما إلّا الأبيات الأربعة الأولى فقط.

6	فالمؤمن الصِّدِّيق يُشكَرُ سعيُهُ	يوم القيامة والكَذوبُ يُغْفَرُ
7	لو جئتهُمْ بعلامة مشهودةٍ	عاينتُ مَنْ جَهِلَ الطَّرِيقَ يُكَفِّرُ
8	بيتُ الغِنَى عند الكريم هو الذي	يُمْسِي ويُصبحُ وهْوَ بَيْتٌ مُقْفِرُ

[149]

من السريع[1]

1	أصبحتُ لا أملكُ دينارا	ولا أرى في الدَّارِ دَيَّارا
2	ولا أرى أهلا لما نالني	ولا أرى خِلاً ولا جارا
3	وليس لي من أرتجيه سوى	من لم يزل في الفعل مختارا
4	ومن يكن يفعلُ ما شاءهُ	في ملكه واللّهِ ما جارا
5	إن كان فيه مستقلا ولم	يكن به مستخلفا ثارا
6	أصبحت في علمي به حائرا	مثل الذي في الحقّ قد حارا
7	كلّفني ما ليس لي فعله	وما أرى لي فيه آثارا
8	وقال لي كن لي كما تشتهي	إن كنت بي لا بك مَكّارا
9	إن أسبغَ اللّه على عبده	نعمته أصبح شَكّارا
10	ولم يزل يُسبغ آلاءه	على الذي ما زال ذكّارا
11	إن خاب ظنّي لم تخب همّتي	أدور للدّهر كما دارا
12	لم أتّخِذْ منزلا غيرَه	ولا ربُّ الدار لي دارا

[150]

من البسيط[2]

1	الأمر ما بين توسيع وتحجير	لأنه بين تيسير وتعسير

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.193ب)، ويترجم لها بقوله «وقال أيضًا في قصة طويلة لها شأن كتب بها إلى بعض إخوانه يعرّفُه بصورة الواقعة ويستكتمه فيها». كما وردت في المخطوط رقم 1438 (و.129)، وفي ديوان الزينبيّات (و.295).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.194أ). وموضوعها متجانس مع القصيدة التي قبلها، ويظهر منهما أنّ الشّيخ كان يمر بضائقة ماليّة، والغالب أنّ ذلك كان في بداية انتقاله إلى بلاد المشرق وقبل تعرفه بالسلطان السلجوقي.

2 فاليسر للّـه والعسر لي — فأنا لأجل ذلك في كدٍّ وتشمير

3 للّـه فيَّ أمور بي مقدَّرةٌ — فكل شيء أنا فيه بتقدير

4 إني لا أعلم أن الحقّ أوجَدَني — له بقلبٍ على التوحيدِ مفطورِ

5 فعندما عقلَتْ نفسي شعائرَه — مالت إلى الشّرك عن عجز وتقصير

6 وجانبت كلّ ما فيه سعادتها — وَاجْتَنَتْ شقوة ما فيه من زورِ

7 يا ليتها عدلتْ ولم تكن عدلت — عن منهجٍ لاح بين النار والنور[1]

8 نادى بها من رآها وهي قائمة — تسعى لمصلحة من جانب الطَورِ

9 يا أيها ذا الفتى ما أنتَ فِي بِفَتى — إني أرى منك بي أفعالَ مغرورِ

[151]

من الطويل

1 تحزّبتِ الأحزابُ فيمن علمتمُ — وكُلٌّ إلى ما عنده فارحٌ يجري

2 وكلُّ جهولٍ بالذي قال إنه — عليم به كالسّرّ يُدرَكُ بالجهر

3 فلا تُدرَكُ الأشياء إلا بضدّها — ولا ضدَّ فابحث فيه تعثر على الأمر

4 فإن أنت تحقّقت الذي جئتكم به — ترى في ظلام الليل عينَ سنا الفجر

5 فإن كنتَ تبغي الحقّ فالحق واضحٌ — وإن كنتَ لا تدريه فانهض على إثْرِ

6 تراه عيانًا في المشاهد كلّها — فسافر إذا ما شئت في برٍّ أو بحر

7 ولا تكُ غوّاصًا لنيل فضيلة — فما ثمّ إلا الفضل والفضل لا يسري

8 فلا رتبةٌ للدُّرِّ في قعر بحرِه — فليس له مجْلًى سوى لبّةِ النَّحْرِ

9 فلولا أنا لم يَبْدُ للفضل فضلُه — ولا امتازتِ الأزمان عن ليلة القَدْر

10 ألا إنه المرمودُ[2] لا يُدْرِكُ السَّنَا — ألا إنني في كل شيء ولا أدري

11 ألا كلُّ شيء فيّ لا علمَ لي به — فقد ضاق للجهل الذي قام بي صدري

12 إذا ما علمتُ الأمر مني عَلِمْتُنِي — ولم أكُ بالجافي المجعمص[3] والغمْر

(1) عدلت الأولى: حكمت بالعدل. عدلت الثانية: مالت.

(2) المرمود: من به رمد، وهو داء التهابي يصيب العين.

(3) المجعمص: لم نجد هذه الكلمة في معاجم اللّغة، إلّا أنّها تستعمل في اللّهجة العراقيّة بمعنى: الشيء غير المعتدل أو غير المنتظم. أمّا «جعمس» بالسين فتعني شيئًا آخر في العربيّة.

13 سرى في لطيفي لطفُه بلطافةٍ تعلّمتُ منه اللطفَ في كل ما جرى

14 فلستَ ترى غيري ولا أنا من ترى ولا أنتَ أَنْتَ الرائي فابحث عن السِّرّ

15 وما ثَمَّ إلا واحدٌ ليس غيرُه وذاك الذي أعنيه بالشَّفع والوتر

16 يطالبني بالوتر عينُ وجودِه لكونيَ موجودًا فلا بُدَّ مِنْ وِتْرِ[1]

17 فلو لم يكن فقدًا له بوجودنا ويقضي بنا فينا الأمور على السَّترِ

18 وكانت على الكشف الأتَمّ فِعالُه بمنعٍ إذا ما شاء أو نائلٍ غَمْرِ

[152]

من البسيط[2]

1 إذا رأيتَ الذي قد ساق شاهده إلى مشاهده من خلقه زُمَرا[3]

2 علمتَ حقًّا بأنّ الحقّ يطلبهمْ إلى أمورٍ له فيهمْ فلستَ ترى

3 إلا رجالا وركبانًا على نُجُبٍ يسابقون نفوذَ الحكم والقَدَرا

4 فلو تراهم وقد أَمُّوا مَحاربهم يتلون قربًا إليه الآيَ والسُّورا

5 رأيتَ أمرًا يهول العينَ منظرُه ولا يرون بها شمسًا ولا قمرا

6 فلا يزالون في جِدٍّ وفي نصَبٍ مع النفوس إلى أن قاربوا السَّحَرَا

7 هبَّتْ عليهم رياحُ الأُنسِ من كُثُبٍ أزاحَ عنهم بها الأسواءَ والضَّرَرَا

8 وجدَّدَ الرَّوحُ منهم كلَّ داثِرَةٍ لأنهم أخْلَقُوا الأجسامَ والصُّوَرا

[153]

من مجزوء الخفيف[4]

1 زخـرفَ القـول نَـظْـمُ من بـات يَـهْـذِي ويَـفْـشُـرُ

---

(1) الوتر: من أسماء اللّه تعالى، وهو الفرد جل جلاله. الوتر: الثأر. والشّيخ يستعمل المعنيَيْن معًا في هذا البيت.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.195ب)، والمخطوط 1438 (و.149)، وديوان الزينبيّات (و.315).

(3) كتبت في المخطوط «زمَرَا»، بينما روي القصيدة «الراء»، والصحيح «زُمَرَا» كما أثبتناه، وهي الرواية الصحيحة نفسها التي في المخطوط 1438.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.195ب)، والمخطوط 1438 (و.149).

2 كــلُّ نـظـمٍ يـكـون فـي غـيـرِ ربّـي لا يُـذْكَـرُ

3 فَـهْـوَ بـالـحـقّ ألـيـقُ وهْـوَ بـالـعـبـد أفْـخَـرُ

4 فـيـه أُفْـنِـي قـصـائـدي لـسـتُ عـن ذاكَ أَفْـتُـرُ

5 بـاذلا جُـهْـدَنـا إلـى حـيـنِ أَفْـنَـى وأُقْـبَـرُ

[154]

من الرجز[1]

1 جـار عليك الشَّيبُ واستجارا بـعـدلِـكـمْ لـكـونـه وقـارا

2 فـارعَـوْا لـه مـا قـد نـواه فيكم لا تـهـمـلـوه إنـه قـد حـارا

3 فـكـلُّ مـن لاذ بـه يَـشْـنَـؤُهُ طبعًا سـواكـمْ فـاتَّـخِـذْهُ جَـارا

4 لا سيما الحسناءُ مهما عاينَتْ سلطانه على الشباب جـارا

[155]

من البسيط[2]

1 إن الركون إلى الدنيا هو الغَرَرُ وإنـهـا لمحبِّيها لـهـا ضرر

2 إنـي رأيـتـكـمُ عـلـى محبّتها مُـثـابـرونَ ومـا تغنيكمُ الـنُّـذُرُ

3 فلو زهـدتـمْ رأيـتـمْ ما يسرُّكُمُ ولـم تَمَسَّكُمُ بلَفْحِها سَقَرُ

4 الـنَّـارُ نـاران نـارٌ تسكنون بها ونـارٌ أنـتَ لها مـأوى فيا غُـدَرُ

5 لها اطِّلاعٌ على الأحشاء بل هي في أجسامكم ولكم مِنْ مَسّها سُعُرُ

6 عجبتُ من عَطَشٍ تشكوه أرضُكُمُ والـجَـوُّ مُعْتَكِرٌ والماء مُنْهَمِرُ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.197أ)، وترجم لها بقوله «وقد أبصر صاحبًا له جار عليه الشيب في غير وقته فكتب إليه في ذلك». كما وردت في المخطوط 1438 (و.112)، وديوان الزينبيّات (و.280).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.197ب)، وفي المخطوط 1438 (و.149)، وفي ديوان الزينبيّات (و.314).

14 لا بل تراه فما تسمو على أحدٍ — وتشهد الأمرَ عينًا غيرَ مُنْحصِرِ

15 لا تحجبنَّ عن الدنيا وزينَتِها — وغيرِ ذلك من بُؤْسٍ ومِنْ ضَرَرِ

16 ولا تَغُرَّنْكَ ألفاظٌ سَمِعْتَ بها — إن الخلائقَ في الدُّنيا على سَفَرِ

17 بها نسافر فيها لا تـزال بنا — مشهودةَ العين في بَدْوٍ وفي حضَرِ

18 والكلُّ حقٌّ ولكنْ علمُهُ عَسِرٌ — إلا لـذي فطنةٍ لـلأمـر مُدَّكِـرِ

19 فلا يـزال مع الأنفاس في سفر — في المنزلين معًا فانهض على أثري

20 إما إلـى جَنَّةٍ تلقى النَّعيمَ بها — مع الحِسان ذوات الدَّلِّ والخَفَرِ

21 أو دار خُلْدِ شقاءٍ يسألون بها — يقال ما سلك الأقـوامَ في سَقَرِ

22 هَذِي المعارفُ قد جاءت مُمَسَّكَةً — فاستنشِقِ المسكَ من عَرْفٍ لها عَطِرِ

23 لا تَحْجُبَنَّكَ ألـفـاظٌ مزخرفةٌ — ليست بِنَبْعٍ إذا عُدَّ تْ من الشَّجَرِ[1]

24 العلمُ ليس سوى ما قال خالقُنا — على لسانِ رسولٍ ليس عن فِكَرِ

25 القولُ للّهِ والعقلُ السَّليمُ لنا — بـذاكَ نقبَلهُ فلستُ في خَطَرِ

[157]

من البسيط

1 حَمْدُ المهيمن أولى ما افتتحتُ به — كلامَنا للذي قد جاء في الخبرِ

2 ثم الصَّلاةُ على المختار سيِّدِنا — خيرِ الخلائقِ من جِنٍّ ومن بَشَرِ

[158]

من مخلع البسيط[2]

1 يـا أيـهـا الـنَّـاقِـدُ الـبَـصِـيـرُ — أنــت بـمـا عـنـدنـا خَـبـيـرُ

2 وكـيــف لا والـــذي لـديـنـا — مـنـكَ وفـيـنـا لـه الـظـهـور

3 فاستعصمِ الـلَّـهَ يـا حبيبي — فـالـعـبـد مـن أصـلـه كَـفُـورُ

4 يَـكْـفُـرُ نَـعْـمَـاءَ مَـالِـكِـيـهِ — وَهْـــوَ إلـــى نَـيْـلِـهَـا فَـقِـيـرُ

---

(1) النبع: شجر ينبت في قُلَّة الجبل تُتَّخذُ منه القِسِيُّ والسِّهام.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.199ب).

[159]

من البسيط[1]

لا تحسبوا القمرَ المحجوبَ بالنُّورِ ... حقًّا فإدراكُهُ ضَرْبٌ مِنَ الزُّورِ
الشَّمْسُ مُدرَكَةٌ فيه وليس له ... في ذاته رؤيةٌ بكلّ تقديرِ
إلا إذا حالَ ظِلُّ الأرضِ بينهما ... فعند ذاكَ تراهُ دونَ تَنْويرِ
كَذا مُشاهدةُ الرَّحْمنِ عند ذَوِي الـ ... أَلْبَابِ مُدْرَكَةٌ مِنْ غَيْرِ تصوير
علمًا وتشهده عينًا لصورته ... وكلُّ ذي مشهدٍ يرمى بتقصير
ما رُؤْيَةُ الحَقِّ إلا عَيْنُ رُؤْيَتِنَا ... كَالأَمْرِ وَاحِدُهُ في كُلِّ مَأْمُورِ

[160]

من الطويل[2]

1 تَحَلَّ بما قد جاء في محكم الذِّكْرِ ... فليس جَهولٌ بالأمورِ كَمَنْ يَدْرِي
2 تَحَلَّ بِنَعْتِ الحَقِّ في كُلِّ حالةٍ ... من العسر إن شاء الإلهُ أو اليُسْرِ
3 فقد بانَ أنَّ الأمرَ فيه بما ترى ... وإن كنتَ في رِبْحٍ وإن كنتَ في خُسْرِ
4 وما هو إلا الرِّبْحُ ما ثَمَّ غيرُهُ ... فَكُلُّ امْرِئٍ مِنّا إلى ذاته يجري
5 فَخُذْ من سلوك الدَّرْبِ ما كانَ أيْمَنًا ... ولو كان بين السُّبْلِ ذا مَسْلَكٍ وَعْرِ
6 فَمَا ثَمَّ إلا الحَقُّ ما ثَمَّ باطِلٌ ... وأينَ سَنَا البيضاءِ من أنجمٍ زُهْرِ
7 أَيَعْظُمُ ملكٌ أنتَ فيه مَليكَهُ ... وأنت الحقيرُ القَدْرِ في العين والقَدْرِ
8 فما جَلَّ إلا كونُهُ نسخةً لِمَا ... لديه من الأسماء حقًّا ولا تدري
9 وإنّي بما قد صرتُ عنه خليفةً ... وأُعْطِيتُ مفتاحَ المنافعِ والضُّرِّ
10 وأيَّدَني بالفعل بالهِمَّةِ التي ... لها أَثَرٌ فِيمَنْ يَجِيءُ عَلَى إِثْرِي
11 لقد تاهَ عقلي في وجودي وصَنْعَتِي ... وإنّيَ من تِيهِ الضَّلالَةِ في بَحْرِ
12 فيا ليته أبلاني وبالتِّيهِ خَصَّنِي ... وعلا به شأني فكان به فخري

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.199ب)، والمخطوط 1438 (و.155)، وديوان الزينبيّات (و.319)

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.200أ) و (و.202ب)، والمخطوط 1438 (و.155)، وديوان الزينبيّات (و.319)

13 فيا حيرتي لو لم يكن كنتُ خاسرًا ... ومعرفتي لولاك ما كنتُ في ذُعْرِ

14 فلا يَأْمَنُ الأقدارَ من كان ذا حِجًا ... وهل في وجوه العقل أمنٌ من المكرِ

15 إذا كنتَ في أمنٍ فَخَفْ مَكْرَ أَمْنِهِ ... وإن كنتَ ذا جُرْمٍ فَخَفْ سَطْوَةَ الدَّهْرِ

16 وغَـدْرُ زَمـانٍ أنـتَ فيه مُحَكَّمٌ ... ومَنْ يَأمَنُ الدَّهرَ الخؤونَ من الغَدْرِ

[161]

من مخلع البسيط[1]

1 يـومـك يـا أيـهـا الـمَـدَارُ ... قَـسْـمَـةُ الـلَّـيْـلُ وَالـنَّـهَـارُ

2 فـي كـلِّ شهر يُـبْـدِي إلينا ... بُـدُورَ تِـمٍّ لـهـا سَـرارُ[2]

3 ومـا لـه فـي الـذي يُـريـنـا ... من حُكْمِهِ في الـورى اختيارُ

[162]

من المتقارب[3]

1 وفـي كـل طَـوْرٍ لـه آيـةٌ ... تَـدلُّ عـلـى أنـه مـفـتـقِرْ

[163]

من البسيط[4]

1 إن الكيان عجيب في تقلُّبِهِ ... فيـه لـنـاظـرِهِ نقش وتحبيرُ

2 انظر إليه ترى ما فيه من بدعٍ ... إذ كلُّ وجهٍ له المرقوم مسطورُ

3 إن الـوجـودَ لَـسِـرٌّ حـار ناظره ... الـكـونُ مُرْتقم والـرَّقُّ منشور

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.200أ).

(2) التّم: بدر تِمٌّ أو بدر تَمام: ليلة أربع عشرة من الشهر القمري حين يصير القمر بدرًا. السّرار: سَرار الشهر آخر ليلة فيه.

(3) بيت من المفاريد. ورد في ديوان المعارف الإلهيّة (و.200أ)

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.200أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في الفتوحات ألحقناها في النسخة الثانية». وقد ذكرها في الباب 68 من الفتوحات المكّيّة في أسرار الطهارة. «قال فالوجود فيه رق منشور والعالم فيه كتاب مسطور بل هو مرقوم لأنّ له وجهيْن وجه يطلب العلوّ والأسماء الإلهيّة ووجه يطلب السفل وهو الطبيعة فلهذا رجحها اسم المرقوم على المسطور فكلُّ وجه من المرقوم مسطور وفي ذلك أقول». ويأتي بالأبيات.

[164]

من البسيط[1]

1 كــأنَّ سلطاننا فانظرْ لــه خبرا ... فــإنــه خـبـرٌ عنها مـع الخبرِ

2 كَأَنَّ حَرْفٌ له في الكَوْنِ سَلْطَنَةٌ ... إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ العِلْمَ في النَّظَرِ

3 هـو الإمــام الــذي فيه يصرّفه ... ولا يقاومه خَـلْـقٌ مـن البشر

[165]

من البسيط[2]

1 شكري لنعمة ربي نعمة أخرى ... من الإلــه لهذا يطلب الشكرا

2 فَقْري إليه وما عندي سوى نعم ... مـن الإلــه بها أرسـالُـهُ تـتْـرَى

3 هو الغنيُّ وفَـقْـري مِنَّةٌ ظهرتْ ... منه عليَّ فنلتُ الزَّهْوَ والفَخْرا

4 بالفقر فخري وبالفاقات سلطنتي ... على الوجود فما أدري ولا أُدْرَى

[166]

من مجزوء الخفيف[3]

1 يــا إلــهـي وسـيِّـدي ... أنــتَ سمعي مـعَ الـبَـصَـرْ

2 فَـلَـكَ الأمـــرُ كـلُّـهُ ... ولــك الـخـلـق والــقَـدَرْ

3 مــا لـنـا سـيِّـدٌ سِـوَى ... واهــبِ الـعـقـلِ والـصُّـوَرْ

4 والـــذي قـلـتـه لـه ... فـي الـورى الـنَّـفْـعُ والـضَّـرَرْ

5 كــلُّ خَـلْـقٍ مُـصَـرَّفٌ ... مَـلَـكٌ كــان أو بَـشَـرْ

6 إنَّــمــا نـحـنُ سُـوقَـةٌ ... يَـمْـضِ فينا الــذي أَمَـرْ

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.200أ). وقد أورد هذه الأبيات في الباب 68 من الفتوحات لدى حديثه عن حرف التمثيل «كأن» في الحديث المشهور «اعبد اللّه كأنك تراه». فقرر الشارع في هذا الموضع قوّة البصر في إدراك الحقّ كما في المحسوسات، كما أنكر ذلك في مواضع أخرى. والعالم هو الذي يقرّر ما قرّره الحقّ في الموضع الذي قرّره الحقّ، كما عليه أن ينكر ما أنكره الحقّ في الموضع الذي أنكره الحقّ. فما ثمّ إلّا الإيمان الصّرف لا ما يعطيه سلطان العقل.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.200أ).

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.201أ).

[167]

من البسيط[1]

1	الأمر ما بين مطويٍّ ومنشور	كالكيف والكمّ أحوالُ المقاديرِ
2	تاهت مراكبنا على بسائطها	تِيهَ امتيازٍ بِسِرٍّ غيرِ مقهور
3	والوَحْيُ يَنْزِلُ بالأحكام يشْرَعُهَا	والحُكْمُ ما بين مَنْهِيٍّ وَمَأْمُورِ

[168]

من مجزوء الخفيف[2]

1	مجلسي شِبهُ مسجد	فيه وَعْظٌ وتَذْكِرَة
2	قال أهلُ النُّهَى به	كُلُّ عِلْمٍ وتبصِرَة
3	مِنْ عَلِيمٍ مُهَيْمِنٍ	رَبِّ جُودٍ ومَغْفِرَة
4	حازَ في قُدْسِ عِزِّهِ	كُلَّ حَمْدٍ ومَأْثُرَة

[169]

من مجزوء الخفيف[3]

1	فبنا الحق يظهر	وبه نحنُ نظْهَرُ
2	فلذا نحن نَشْكُرُ	ولذا نحن نَكْفُرُ
3	باختلافٍ محقَّقٍ	فَاعْلَموا ذاك وَانْظُرُوا
4	إنَّ للَّه غَيْرَةً	فَاحْذَرُوا أَنْ تُنَفِّرُوا
5	وإذا ما وُلِّيتُمُ	يَسِّروا لا تُعَسِّروا

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.201ب).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.202أ).

(3) سبق أن أورد هذه القطعة سابقًا (رقم 120)، لكن أضاف لها بيتًا هناك لم يدرجه في هذا الموضع. كما وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.202 أ).

[170]

من المتقارب[1]

1	فما ابنُ فُلانٍ[2] وأمثالُه	جَهولٌ بما قُلْتُ مِنْ أمْرِهِ
2	لأنَّ الذي قلتُ من شِعْرِهِ	هو ابنُ فلان إلى كفره

[171]

من مشطور البسيط[3]

1	إني أرى صدمةً	واقعةً بِالكَبِير
2	إن أنْشَبَتْ ظُفْرَها	لم تُبْقِ منه النَّقِير
3	قامت بهذا الذي	يدعونه بالهَبِير
4	يُذْكَر في نعتِهِ	بالنَّاقِص ابنِ البَصير[4]
5	هُوَ الكَبِيرُ الذي	عُقْبَاهُ بِئْسَ الحَقِير
6	ما قَالَ هَذَا الذي	أَقُولُ إلاَّ الخَبِير
7	عنه فَقُلْتُ الذي	قد قُلْتُهُ للبَصِير
8	أسْأَلُهُ عِصْمَةً	تَقِيهِ مِثْلَ الصَّغِير
9	إنِّي لَهُ بِالَّذِي	قُلْتُ البَشِيرُ النَّذِير

[172]

من البسيط[5]

1	يا شَمْسَ دِينِ الهُدَى لا تُصْغِيَنَّ لما	يَقُولُ في مَلإ السَّيِّدُ ابْنُ مُنِيرٍ[6]
2	لابْنِ السَّلِيمِ فَإِنَّ الحَالَ تُكْذِبُهُ	وَإِنَّنِي بِالَّذِي أَقُولُ فِيهِ خَبِيرْ
3	أقول فيه مقالا لم يَقُلْهُ فَتًى	في نَظْمِهِ قَبْلَنَا في سَيِّدٍ وَأَمِيرْ

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.202أ).
(2) صرح باسمه في ديوان المعارف الإلهيّة، وهو «ابن بصير»، ولم نقف على ترجمته، ولعلّه أن يكون من الشّعراء.
(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.202أ)
(4) ذكر هذا الاسم في القطعة السّابقة، ولم نقف على ترجمته.
(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.202ب).
(6) لعلّه أن يكون أحد الولاة من أحفاد ابن منير الطرابلسي الشامي. ويبدو أنّه نقل كلامًا غير صحيح عن الشّيخ.

4 الشُّؤْمُ يَقْدُمُهُ وَاللُّؤْمُ يَصْحَبُهُ ... وإنَّـهُ مَا لَـهُ في حَظِّهِ مِنْ نَظِيرْ
5 إني أرى صَدْمَةً في الحَالِ وَاقِعَةً ... به وليس له في الدَّفْعِ عنه نَصِيرْ
6 هذا الذي قُلْتُهُ اللّه أَعْلَمَنِي ... في الوَارِدَاتِ بهِ وَهْوَ العَلِيمُ الخَبِيرْ
7 وَلَيْسَ يُكْذِبُنِي إلاَّ إذا ظَهَرَتْ ... عليه تَوْبَةُ مَنْ هَـذَا عَلَيْهِ يَسِيرْ
8 وإنَّـــهُ لَـظَـلُـومٌ فـي وِلايَـتِـهِ ... لِـرَبِّـهِ لَـكَـنُـودٌ والـكَـنُـودُ كَفُورْ

[173]

من مخلع البسيط[1]

1 رأيــتُ ظـبـيًـا وفـيـه ظَـبْـيٌ ... عند ظُـبًـا، والظُّبَا[2] عَـوَارِي
2 قُـلْـتُ لِقَلْبِي إِذْ قَـالَ قَلْبِي ... الأَمْــرُ جَـارٍ مِـنْ عِـنْـدِ جَـارِي

[174]

من مجزوء البسيط

1 رأيــتُ فـي الـنَّـوْمِ شَخْصًا ... يَسْعَى إلـى ابْـنِ مُهَاجِرْ[3]
2 فَـكُـلُّ مَـا جَـاءَ يَـخْـطُـو ... سَـمِـعْـتُ بَـادِرْ وَهَـاجِـرْ
3 ومَــا عَـلِـمْـنَـا لِـمَـاذَا ... فَـقَـالَ سُـوقُ الـمَـتَـاجِـرْ
4 تَـــراهُ حِـيـنَ تَـرَاهُ ... مَـلْـكًـا بِـصُـورةِ تَـاجِـرْ

[175]

من الطويل

1 إذا هَذَّبَ الإِنْسَانُ أَخْـلاَقَ نَفْسِهِ[4] ... فَقَدْ رَاضَهَا لَكِنْ بِهَا لاَ بِغَيْرِهَا

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.202ب).

(2) الظُّبا: جمع ظُبَة، وهي حَدُّ السّيف وما شابهه. الظبية: أنثى الظبي، والشاة والبقرة، وفرج المرأة، والجراب الصّغير، ومنعرج الوادي. والظبي: كثيب رمل. والغالب أنّه يستعمل المشترك اللّفظيّ بهذه المعاني المختلفة. ولعلّ المعنى أنّه رأى رجلًا على راحلته يحمل جرابًا (ظبيًا) وفيه ظبي صغير بين كثبان رملية (ظُبًا)، وصاحب الراحلة يحمل سيفًا تظهر منه ظُبَتُهُ عاريةً غير مغطّاة. ويحتمل معان أخرى متقاربة.

(3) لم نقف على ترجمته.

(4) أورد قطعة بالشطر الأوّل نفسه فقط في الباب الثالث ومائتين من الفتوحات المكّيّة المتعلّق بحال الرياضة. وهو يذكرها، أي الرياضة في الشطر الثاني «راضها».

2 فَمَا خَرَجَ الإِنْسَانُ عَنْ حُكْمِ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ لاَ يَدْرِيهِ مِنْ بُعْدِ غَوْرِهَا
3 وَمَنْ مَزَجَ الحَلْوَاءَ بِالخَلِّ شَانَهَا وَأَبْطَنَ فِي صِرَابِهَا جُلَّ خيرها[1]
4 لقد ظَهَرَ الخُلْقُ القَوِيمُ لِعَيْنِ مَنْ دَعَا بِطُيُورِ الَجوِّ مِنْ بعد صورها
5 فمن كان حُسْنُ الخلقِ تَحْسِينُ خُلْقِهِ فَحِكْمَتُهُ المثْلَى مَنَافِعُ صَبْرِهَا
6 لقد جاءَني منها حديثٌ مُعَنْعَنٌ وكان شهودي عند سيري بسيرها
7 لقد رَابَنِي منها تَجَلٍّ أَغَاظَنِي وَما كانَ إلا حَوْرَها بعد كَوْرِهَا
8 لئن جاءتِ الأعيانُ منها بكونِهَا لقد جادَتِ الأَفْلاكُ فيها بدورها
9 إذا كانتِ الأملاكُ يَنشأُ عينُها من أنفاسِنَا فَالنُّورُ مِنْ عَقْدِ نُورِهَا
10 وفي جَوِّ زَهْراتِ النُّجُومِ لِنَاظِرِي عَجَائِبُ تئويها تحكّم جورها
11 إذا عَدَلَتْ في سَيْرِهَا عن سَبِيلِهَا حَكَمْنَا عليها بالعُدُولِ لِجَوْرِهَا
12 وإنَّ نُفُوسًا لم تَزَلْ في جَهَالَةٍ إذَا هِيَ غابَتْ عن زِيَارَةِ زَوْرِهَا
13 إذا خَرَجَتْ نَفْسُ الأَرِيبِ بِرَبِّهَا فما خَرَجَتْ في ذَاكَ عن حُكْمِ طَوْرِهَا

[176]

من الطويل[2]

1 إذا أنتَ لم تَقْبَلْ هَدِيَّةَ طَالِبٍ أتاكَ بها حَقًّا فَأَنْتَ أَمِيرُ
2 وإن أنتَ أَوَّلْتَ الَّذِي جاءَكُمْ بِهِ لِتَأْخُذَهُ مِنْهُ فَأَنْتَ أَسِيرُ

[177]

من البسيط[3]

1 لَمَّا شَهِدْتُ الذي في الكَوْنِ مِنْ صُوَرٍ عَيْنَ الذي كنتُ أَبْغِيهِ بِلاَ صُوَرِ
2 عَلِمْتُ أَنَّ الذي أَبْغِيهِ يَطْلُبُنِي بِالعِلْمِ بِي لاَ بِهِ فَانْهَضْ عَلَى أَثَرِي
3 تَرَ الَّذِي قَدْ رَأَيْنَا مِنْ مَنَازِلِهِ فِي كُلِّ آيَةِ تَنْزِيهٍ وَفِي السُّوَرِ
4 وَكُلِّ آيَةِ تَشْبِيهٍ وَمُحْكَمَةٍ تُتْلَى عليها مِنَ المكتوبِ في الزُّبُرِ
5 ويطْلُبُ الحَقُّ مِنَّا أَنْ نُوَحِّدَهُ رَبًّا كَمَا هُوَ في القُرْآنِ وَالنَّظَرِ

---

(1) الشطر الثاني غير واضح. وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.203): «وأبطن في صرابها جل حيرها».
(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.203ب).
(3) في طبعة بولاق (ص.77).

6 ما يطلب الحق منا أن نكيِّفه حتى نراه بمجلى الشَّمْسِ وَالقَمرِ

7 ولا أُفَـكِّـرُ فيه ما بَقِيتُ وَلاَ أَزَالُ مِنْ فِكْره، عَقْلِي عَلَى خَطرِ

8 في آلِ عمرانَ[1] جاء النَّصُّ يطلبني بما لديه من التَّخْوِيفِ وَالحَذَرِ

9 وذاك عن رَأْفَـةٍ منه بنا ولِـذَا يُتْلَى عَلَيْنَا مِنَ الآصَالِ وَالبُكَرِ

10 اللَّيْلُ للّـهِ لا لي والنَّهَارُ مَعًا لأَنَّـهُ الـدَّهْرُ فَانْظُرْ فِيهِ وَاعْتَبِرِ

11 لا تَعْتَبِرْ نَفْسَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا نَظَرٍ مُسَدَّدٍ وَلْتَكُنْ تَمْشِي عَلَى قَدَرِ

12 إِنَّ المعَارِجَ وَالإِسْـرَا إِلَـيْـهِ بِهِ عَلَى البُرَاقِ الَّذِي أَنْشَأْتُ مِنْ فِكَرِي

13 حتى انتهيتُ إلى ما شاءَهُ وَقَضَى تَرَكْتُهُ وَامْتَطَيْنَا رَفْـرَفَ الـدُّرَرِ

14 عِنْدَ الْتِفَاتِي بِهِ إِذْ كَانَ يَتْرُكُنِي إلى السَّمَاءِ يُناجِيني إلى السَّحَرِ

15 وَدَّعْتُهُ ثُمَّ سِرْنَا حَيْثُ قَـالَ لَنَا إِذَا بِهِ عَنْ يَمِينِي طَالِبًا أَثَـرِي

16 لَـمَّا تَـأَمَّـلْـتُـهُ لـم أَدْرِ صُورتَهُ وَعِلْمُنَا أَنَّـهُ هُـو غـايَـةُ الخَطرِ

17 غَفَلْتُ عَنْهُ لَهُ إِذْ كَانَ مَقْصدُهُ مِنّي التَّغافُل بالتَّحْوِيلِ في الصُّوَرِ

18 لأنـه عـالـم أنـي أُمَـيِّـزُهُ لَمَّا تَكَفَّلَنِي مِنْ حَالَةِ الصِّغَرِ

19 لَـهُ وُلِـدْتُ لِهَذَا مَا بَـرِحْـتُ لَهُ مُشَاهِدًا نَاظِرًا فِيهِ إِلَـى كِبَرِي

20 لِـذَاكَ أَخْـبَـرَنـا بـأنَّـه مَعَـنَـا على مَكانَتِنا في بَـدْوٍ أَوْ حَضَرِ

[178]

من البسيط[2]

1 رأيـتُ بـارقـةً كالنَّجْمِ لامِـعَـةً بِسَقْفِ بَيْتِي عَلَى قُرْبٍ مِنَ السَّحَرِ[3]

2 علمتُها عَيْنَ مَنْ أَهْـوَى يُعَرِّفُني بما لَنا منه في وِرْدٍ وفي صَدَرِ

---

(1) يشير إلى قوله تعالىٰ ﴿ويحذركم اللّـه نفسه واللّـه رؤوف بالعباد﴾ (آل عمران، 30).

(2) وردت في طبعة بولاق ومجموعة من المخطوطات.

(3) ذكر في الباب 470 من الفتوحات المكّيّة «ولقد برقت لي بارقة إلهيّة عند تقييدي هذه المسألة، رأيت فيها ما شاء اللّـه من العلوم، كما ضرب النبيّ ﷺ بالمعول الحجر الذي تعرض لهم في الخندق فبرقت في الضربة منه بارقة رأى بها ما فتح اللّـه على أمّته حتى رأى قصور بُصْرَى كأنياب الفيلة. رأى ذلك في ثلاث ضربات، كل ضربة بارقة تبدي له جهة مخصوصة. هذا رأيته عند تقييدي هذا الباب وراثة نبويّة بحمد اللّـه ورأيت فيها وبها أن ظهر بِصُوَرِ الممكنات واتّصف بالغنى». والمسألة التي يتحدّث عنها هي تجلّي الحقّ في صور الممكنات.

3 وكنتُ ذا خَاطِرِ الإبصارِ أَرْقُبُهُ[1] ... بِحادثٍ كان لي مِنْهُمْ مِنَ الخَبَرِ
4 على لِسانِ الَّذِي ظَنِّي بِهِ حَسَنٌ ... يُحْيِي الفُؤادَ بِذِكْراهُ وبالنَّظَرِ
5 عَنِ الرَّسُولِ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِنَا ... المصطفى المجْتَبَى المختارِ مِنْ مُضَرِ
6 لِأَنَّهُمْ جَهِلُوا مَا نَحْنُ نَعْلَمُهُ ... مِنَ التَّجَلِّي الَّذِي لِلَّهِ في الصُّوَرِ
7 فَقُلْتُ أَعْرَفُكُمْ حالاً وَأَجْهَلُكُمْ ... عَيْنًا وَأَظْهَرُكُمْ لِأَعْيُنِ البَشَرِ
8 مَا قُلْتُ فِيكُمْ وَلاَ فُهْنا بِذِكْرِكُمْ ... إلا بما جاءَ في الآياتِ والسُّوَرِ
9 أَتْلُو وَأَسْرُدُ آياتٍ عَلِمْتُ بها ... في شَأْنِكُمْ عَنْكُمُ ما قُلْتُ عَنْ نَظَرِ
10 مَا[2] لِي التَّحَكُّمُ في نَفْسِي فَكَيْفَ لَنَا ... فِيهِ التَّحَكُّمُ وَالرَّامِي عَلى خَطَرِ
11 مِنْ أَنْ يُصِيبَ بِهِ مَنْ لا يَجُوزُ لَهُ ... فِيهِ التَّصَرُّفُ إلا حالَةَ الضَّرَرِ
12 مِثْلُ النَّبِيِّ الَّذِي يُوحَى إِلَيْهِ بِهِ ... لِكَيْ يُبَلِّغَهُ لِلسَّمْعِ وَالبَصَرِ

[179]

من البسيط[3]

1 بالشَّمِّ أدركُ أحيانًا وبالنَّظَرِ ... ما ليس يدركُهُ من كان ذا نَظَرِ
2 ولستُ منه بلا شَكٍّ على خَطَرِ ... مثلَ المقلِّدِ للمعصوم في الخَبَرِ
3 مَنْ حَالُهُ الشَّمُّ أعلى منه منزلةً ... أعني المقلِّدَ لا الإدراكَ بالنَّظَرِ
4 للذَّوقِ أخذٌ شريفٌ لا يُكَيِّفُهُ ... في فعله غيرُ أهل الضَّربِ والبصرِ
5 وليس يَعْرِفُ مِنْ ذَوْقٍ بجارحةٍ ... مَذَاقَ جَارِحَةٍ أخرى أبو البَشَرِ

[180]

من البسيط

1 أستغفر اللَّه من علم أفوه به ... فإنَّ قائلَه منه على خطرِ
2 وهو الصَّحيحُ الذي لا شكَّ يَدْخُلُنِي ... فيه ولكنَّني منه على حَذَرِ

---

(1) في طبعة بولاق «وكنت في حاضر الأبصار أرقبه»، وهو بعيد، لأنّه يقصد أنّه كان عند خاطر الإبصار مراقبًا لمن يهوى.

(2) ما: النافية

(3) وردت في طبعة بولاق (ص.78)، ومخطوطات أخرى.

3 وقد أتيتُ به لهمّةٍ حكمَتْ — به عليٍّ على ما جاء في القدرِ
4 من العلوم التي قد عزّ مَطلبُها — ولم ينلها لما في الأمر من غَرَرِ
5 لولا وراثتنا خيرَ الأنام لما — حصّلتُها، السّيّدَ المختارَ من مُضَرِ
6 هو العليم بها من ضربةٍ حصلتْ — له من اللّه ذي الآلاء في السَّمَرِ
7 فاسمَعْ فديتُكَ إني قد عزمتُ على — إبرازِ ما كان في الأصداف من دُرَرِ
8 إنْ قُلْتَ ما سَببُ التّكثير[1] والغِيَرِ — فقل له ذاكَ مجلى الحقّ في الصُّوَرِ
9 فما ترى العينُ إلا واحدًا أبدًا — والكُثْرُ جاء من الأحكام في النّظَرِ
10 إنَّ الوجودَ على الإيهام نشأتُهُ — مثلُ الشّهادةِ حال الذَّرِّ في الفِطَرِ
11 والحكم مني بهذا القول صورَتُهُ — ما قلتُهُ وكذا المشهود بالبصر
12 الغيبُ للّه لا الأبصار تُدركُهُ — وما ترى العينُ يُكْنَى عنه بالبشر
13 من كلّ علمٍ وأفلاكٍ تدورُ بها — وما يولّده من هذه الكُوَرِ
14 إن لم تُحقّقه برهانًا ومعرفةً — كما هو الأمرُ فاقْنَعْ فيه بالأثر
15 من قائلٍ لم يقلْ ما قال عن نَظَرٍ — ولا قياس ولا حَدٌّ ولا ضَرَرِ
16 إنَّ الوجودَ وجود الحقّ ليس له — فيه شريك كما قد صحّ في الخبرِ
17 وأينَ مثلُ رسولِ اللّه سيّدِنا — فيما يقول ففكّرْ فيه واعتَبِرِ
18 فيما يقول لَبيدٌ في جهالته — وليس يدري الذي قد قال فاذْكِرِ
19 إن كنتَ ذا فطنةٍ مُثْلَى مُخَلَّقَةٍ — تَرَى الحقائقَ تأتيها على قدر
20 ولا تقل إنَّ ذا وهمٌ وسفسطةٌ — القولُ ما قلتُهُ فانهضْ على أثَرِي
21 واللّهِ لولا شهودُ الحقّ ما نَظَرتْ — عيني إلى أحدٍ من عالَمِ الغِيَرِ
22 إنّي يتيمةُ دهري ما لنا شَبَهٌ — من الفرائدِ في نَحْرٍ ولا بَحَرِ

[181]

من السريع[2]

1 يا أيها المشغوف بالذكر — في حالة الإشفاع والوتر

(1) في طبعة بولاق (79) وصادر (208) «التكبير»، وهو خطأ يحيله السّياق، لأنّ السّؤال عن سبب «الغِيَر» و«التكثير».

(2) وردت في طبعة بولاق (ص.82).

2 لو كنتَ لي في عالم الخلق — لكنتَ لي في عالم الأمر
3 إن ضاق طرفُ الدّهر عن عينكم — فلم يضق عن عينكم صدري
4 ما أوسع القلب إذا أمنت — جوارحي بكل ما تجري
5 لم أدر أن القلب ظرف لكم — لولا الذي أخبرني سرّي
6 عند تجلّيه لنا طالبًا — في ليلة يعطي إلى الفجر
7 أنت الذي أخبرتني بالذي — تهتُ به في السّرّ والجهر
8 على لسان السيّد المصطفى — الطّيّبِ الأخلاق من فِهْرِ
9 ما جئتكم بالأمر من خارج — بل جئتكم بالأمر من بحر
10 تلتطم الأمواج فيه كما — تأتي به الأنفاس في الذكر
11 فإن ذكرتم فاذكروه بما — تلاه في القرآن ذي الذّكر
12 لا تذكروه بالذي تنظروا — فالفرع يعطي قوة النّجر
13 ذكرته يومًا على غفلة — بغير ما قلت من الأمر
14 فلم أجد عند مذاق الجنى — طعم الذي أعلم بالخُبْر
15 وجدته كالمنّ في طعمه — والفارق الواضح بالسكر
16 بالصحو يأتي ذكره دائمًا — والبرد والقبض مع الوفر
17 والذكر من عندي على ضدّه — يأتيك بالسكر وبالحر
18 وذكره ما بين أذكارنا — بين الليالي ليلةُ القدر
19 سبحان من صيّرني عالمًا — من بعدما قد كنت كالغُمْرِ

[182]

من الطويل[1]

1 توهّمتُ من أهواه خارج صورتي — فقدّرتُه في القرب بالباع والشّبْر
2 فيحيى فؤادي بالوصال وباللقا — ويقتلني بالصّدّ منه وبالهجر
3 تجرّدَ عن غُصْنٍ قويم وعن نقا — ويبسم عن در ويسفر عن بدر
4 وجرى لنا نهرًا من الضّرع طيّبًا — ومن عسل أصفى وماء ومن خمر

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.83).

5 يَمُدُّ به كوني لأني من أربع[1] خُلِقْتُ بها في النشأتين بلا أمر
6 مع الأمر بالتكوين في كل حالة ولا أدر معناه ولا أدر لا أدر
7 أتيت إليه في طريق ذلولة مسهَّلة لكن على مركب وَعْرِ
8 ينقر بأوتار بأيدي كواعب يَمِلْنَ علينا من هوى لا من الشكر
9 فلمّا تأمّلنا وجدنا وجودَنا لأسمائه الحسنى فقمتُ بها أجري
10 إلى عالم الأكوان أخبرهم بها كما أخبر الرحمن في محكم الذِّكْر

[183]

من الطويل[2]

1 إذا أخذ الفرقان من كان يتّقي جزاء لتقواه وغفرًا وتكفيرا
2 فما بعد ذا من غاية يطلبونها سوى قربِه الأعلى وجودًا وتقديرا
3 ففي جنّة المأوى وجودًا محققًا وفي جنّة المعنى جلالا وتوقيرا
4 لأن اقتراب الذات قرب مسافة محالٌ عليها فالتزمْ ذاك تعزيرا
5 تباركتَ أنت اللّه في كلّ صورة كذا قلت في القرآن كبّره تكبيرا
6 لذاك ترى أهل الحقائق شمّروا ذيولهم عن أخذهم فيه تشميرا
7 وأوّلَهُ أهل العقول بفكرهم ولو سلّموه مثلنا كان توقيرا
8 لقد أطلق اللّه العليم مقالة بزهرائه فيه تُدَمِّرُ تدميرا[3]

[184]

من الطويل[4]

1 تغيّرتُ لما أن تغيّر لي المجرى لذا جئت شيئًا خارقًا عندكم أمْرًا

---

(1) يقصد الطبائع الأربع.
(2) في طبعة بولاق (ص.95).
(3) الزهراوان هما سورة البقرة وآل عمران، وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّا اللّه والرّاسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذّكر إلّا أولوا الألباب﴾ (آل عمران، 7).
(4) وردت في طبعة بولاق (ص.96).

2 فيا ليت شعري من يسير بسيركم ... إلى حضرة ذوقية شربُها إمْرَا[1]
3 إذا رويتْ أكبادنا من شرابها ... وأحدث في الأكوان من شربنا أَمْرَا
4 وصحّت لنا في العالمين خلافةٌ ... خلعتُ بها عن ذاته النُّهَى والأمرا

[185]

من مجزوء الخفيف

1 إن قـلـبـي وخـاطـري ... صـيَّـرانـي كـمـا تـرى
2 أقـطـعُ الـلـيـلَ سـاهـرا ... أهـجـر الـنَّـوم والـكَـرَى
3 وأنـيـسـي مـن يَـعْـمُـرُ الـ ... ـبيدَ لا يـعـمُـر الـقُـرَى
4 مـذ تـجـلَّـى لـنـاظـري ... فـي سـمـاء وفـي الـثَّـرى
5 لـم أرى غـيـرَ سـيِّـدي ... دون شـكٍّ ولا امـتـرا
6 أعـظـمُ الـنَّـاسِ فِـرْيَـةً ... مـن عـلـى ربِّـه افـتـرى
7 احـضـروه فـي كـلِّ مـا ... يـعـلـم الـخـلـق أو يُـرى
8 واحـذروه فـإنـه ... عـيـن مَـنْ عـيـنُـه تـرى
9 اسـمـك الـيـوم مـا تَـشَـا ... وغـدًا بـالـذي جـرى

[186]

من البسيط

1 لا تعجلنَّ فـإنَّ الأمـرَ حاصِلُه ... إليك مَرْجِعُه فَانهضْ على قَدَرِ
2 واسلك سبيل إمامٍ جُلُّ مقصده ... مصدَّق في الذي قد جاء من خبر
3 وخـذ به خلفه بالحال مقتديًا ... واركن إليه ولا تركن إلى النَّظر
4 واعلم بأنَّ ذوي الأفكار في عَمَهٍ ... فكن من الفكر يا هذا على حذر
5 وما له ذلك التحكيم في عِبَرٍ ... إلا إذا كان في التحكيم ذا بصر
6 وليس يعرف سر اللّه في القدر ... إلا الـذي علم الأعيان بالأثر
7 وما رعى أثـر الأسماء في أحد ... فقال في مثبتيها هم على قدر
8 لا نعتَ أشرف من علم تفوز به ... يقول من فاته يا خيبةَ العُمُرِ
9 يمشي به آمـنًا فالعلم يحفظه ... لمن يحصِّله من وقفة الغُرَر

(1) الإمْر: يقار أَمْرٌ إمْر، عجيب منكر.

من السريع[1]

1	الحمد للّه الذي صيّرا	وجودنا لفعله مظهرا
2	لو أننا نعلم أرواحنا	بالوجه في الصبح إذ أسفرا
3	كما علمنا بالجسوم التي	عينها الليل إذ أدبرا
4	كنا به نعلم أعياننا	لكن جهلناها لأمر طَرا
5	من ظلمة الطبع وأخلاطه	فأعتم الليل وما أقمرا
6	وألبس الأنجم أنوارها	لما رأى عسكَرَها شَمَّرا
7	حين رمت بالرّجم أرواح من	يسترق السَّمْعَ كما أخبرا
8	انظر إلى الأرض وخيراتها	وما بها الرحمن قد أظهرا
9	لا بدَّ أن يصبح عمرانها	كمثل ما أصبح وادي القرى
10	عروشها خاوية حين لم	يغير الناس بها المنكرا
11	عمَّ بلاء اللّه سكانها	فأهلك المقبلَ والمدبرا
12	بذا أتانا النَّصُّ من عنده	في محكم الذكر كذا سُطِّرَا[2]
13	فقال فيه واتقوا فتنة[3]	وتمَّم القول به منذرا
14	سبحان من أخبرنا أنه	كان على الأخذ بنا أقْدَرَا
15	هذا الذي جئت به واضح	في سورة الأنفال قد حُرِّرَا
16	وبعد ذا ترجع أفكارنا	إلى إمام ما له مِنْ وَرَا[4]

(1) في طبعة بولاق (ص.106).

(2) غالبًا يشير إلى ما في معنى قوله تعالى ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروش﴾ (الحج، 45).

(3) يشير إلى قوله تعالى ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أنّ اللّه شديد العقاب﴾ (الأنفال، 25).

(4) يشير إلى معنى أنّ الرّسول عليه السلام وجه بلا قفا، أي أنّه وجه إلى كلّ جهة لأنّه جسم من النور، فيرى من أمامه كما يرى من خلفه. وقد جاء في الحديث الصحيح قول النبيّ ﷺ «فواللّه ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم. إنّي لأراكم من وراء ظهري». قال النووي رحمه اللّه عن هذا الحديث «قال العلماء: معناه أنّ اللّه تعالى خلق له ﷺ إدراكًا في قفاه يبصر به من ورائه». وهذه من معجزاته عليه السّلام.

17 لا فعل في العالم إلا له فإنَّ ما سمَّيتُهُ مُنْكَرا
18 فحكمه ذلك لا عينه فلتعتبر قولي حتى ترى
19 به وإن شئت بأعياننا لتشهد الأسماع والمحضرا
20 يبدو إليك الأمر من قصَّةٍ كما بدا لمن به أخبرا
21 مثل رسول اللَّه في وقته والوارث المختار بين الورى
22 فالحمد للَّه الذي قد وقى من شرِّ ما يمكن أن يُحذَرا
23 لولا كتاب سابق فيكمُ نبذتمُ لفعلكمُ بالعَرا
24 ما شرع اللَّه أذكاره إلا لكي يعصمكم كالعُرى
25 لأنها أعصم ما يُتَّقَى به الذي الرحمن قد قرَّرا
26 من يعرف الحقَّ وأسرارَه يكن لما جئت به مُظهرا
27 من لم ير الحقَّ بأنواره يكن لما أذكره مُنْكِرا
28 العُمْيُ لا تدركُ أبصارها إلا ظلامًا وهي شيء يُرَى
29 كالغيب لا يدركه غائب إلا الذي غيبه أحضرا
30 أوضحت أمرًا ليس يُدرى به إلا الذي في شأوه قد جرى

[188]

من الرمل[1]

1 في فؤاد العارفين بصر ما له في المؤمنين خبر
2 خطَّةُ علم ومعرفة ليس يدري ما يقول الخبر
3 يعرف الأشيا مشاهدةً ما له في علمه من نظر
4 يثبت الأشيا لموجده أبدًا وما رأى من أثر
5 عالم بكلِّ ما نسبوا فعله للَّه أو للبشر
6 كالذي جاءت مسطَّرةً وهي سِرٌّ في القضا والقدر
7 شاهد الخلاف ما شهدوا عالم أن الإله ستر
8 واقتدى فيه بموجده وعفا عمَّا جرى وصبر

(1) في طبعة بولاق (ص.115).

9 وادّعاه الخلق فيه كما ... جاء في نصّ الهدى وغفر

10 فهْو ذو علم على جِدَةٍ ... قائل بما الوجود ظهر

11 ما يرى فيه منازعةً ... مثبت ما قد بقي وغَبَرْ

12 أخرسُ أعمى مُغَلْغَلَةً ... يده فلا يزال بشر

13 إنه في كونه عدمٌ ... مثل نور قد بدا في قمر

14 فتقول العين ذاك له ... ويقول البدر لا وعَبَرْ

15 هكذا أمر الوجود فكن ... لا تكن واسكت وقل بقدر

[189]

من مجزوء المديد[1]

1 ما لمن أبصرني ... غير ما أبصره

2 فله مني الذي ... بَعْدَ ذا أذكُرُه

3 شبحي قام به ... وأنا أستره

4 بل هو المعنى الذي ... لم أزل أُظهره

5 وأبى العقل الذي ... ما أبى مخبره

6 إن إيمان الورى ... في الورى مَعبره

7 فبه أسمعه ... وبه أُبصره

8 قدمي ساعيةٌ ... وهْي بي تُظهره

9 ويدي باطشة ... فأنا مصدره

10 فَاكْتُمِ الأمر الذي ... قلتُ لا تُشهره

11 خاب ذوقًا عندنا ... جملةً مُخبره

12 مثلما طاب لنا ... خبرًا أُكْبِرُهُ

13 إنّهُ هُوَ لَيْسَ هُوَ[2] ... والهو لا يحصره

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.115).

(2) تتوافق طبعة بولاق مع مخطوط جينيل 53 (و.72) في رواية هذا البيت «إنّه ليس هو... والهو لا يحصره»، لكن الوزن لا يستقيم. أمّا في المخطوط المحقّق فالرواية صحيحة «إنّه هو ليس هو..»، وهي الرواية نفسها في المخطوط رقم 1438 (و.133).

14	فـــــإذا قـــلـــت أنـــا	بـــأنـــا أشـــعـــره
15	إنـــنـــي لـــســـت أنـــا	وأنـــا مُـــظـــهـــره
16	إنَّ ذَا الـــهُـــو لَـــمَـــقَـــا	مُ الـــذي يُـــبـــهـــره
17	إن تـــجـــلّـــى لـــي بـــأنـــا	فـــأنـــا أفـــقـــره
18	أو تـــجـــلّـــيـــتُ بـــه	وهْـــو لا يـــنـــكـــره
19	قـــام بـــي نـــعـــت الـــغِـــنـــى	وأنـــا أُنـــكـــره
20	ثـــم عـــن هـــذا وذا	عـــلـــمـــنـــا يـــكـــبـــره

[190]

من الطويل[1]

1	ألا إنني أرجو عوارف فضل من	يكون له التحميد في العسر واليسر
2	فإن كان عسرًا أطلق العبدُ حمدَه	على كل حال منه من نفع أو ضُرّ
3	وإن كان يُسرًا أطلق العبدُ حمدَه	كما جاء بالإنعام والفضل في اليُسر
4	بذا جاءت الأخبار من حمد سيّدٍ	رسول إمام مصطفى صادقٍ بَرّ
5	مُعَلِّم أسباب السّعادة كلّها	لكلّ لبيبٍ عاقل ماجدٍ حُرّ
6	لنا أُســوةٌ فيه كما قـال ربُّنا	بلوناه في الأحزاب في محكم الذّكرِ[2]
7	وفـي غيرها واعلم بـأنّـكَ مقتد	به مُتَأسٍّ مُؤمنٍ بالذي يجري
8	نصحتُكِ يا نفسي على كل حالة	فقومي له فيها على قدم الشُّكرِ
9	فإن الذي ندعو عن الخلق في غِنًى	ونحن على ما نحن من حالة الفقر
10	ولي منه في الأحوال صحو وسكرة	إذا ما بدى لي في تجلٍّ وفي ستر[3]
11	فأصحو إذا عمَّ التَّجلّي وجوده	وإن خصَّه بالذّات إني لفي شُكْرِ
12	يخاطبني من كل ذات عناية	بما شاءه في كلّ نظم وفي نثر
13	فنثري الذي تدريه ما هو من نثري	وشعري الذي أبديه ما هو من شعري

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.125).

(2) يشير إلى قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة﴾ (الأحزاب، 21).

(3) كرر هذا البيت مع تغيير طفيف في بدايته. فبدل «ولي» في الأوّل كتب في الثاني «وما».

14 هويّته فـيـ كـلّ شيء وجوده — وصحَّت به الآثار فانهض على إثري

15 بدا الحقُّ حقًّا فاتَّبعه ولا تقل — إذا ما رأيتَ الحقَّ إني لفي خُسر

16 فما الناس إلا بين هاد ومهتد — فمنهمْ إلى شام ومنهم إلى مصر

17 وهَذِي إشاراتي لمن كان عالـمًا — بما قلته في السِّرِّ كان أو الجهر

18 إلهي لا تعدل بقلبي عن الذي — شرعتَ من الإيمان بالنَّهي والأمر

19 فما عندكم إلا وجـود محقَّقٌ — وما عندنا إلا التَّبَرِّي من الكفر

20 لقد قـرَّرَ الإيمان عندي حقائقًا — تُنافي براهين النُّهَى من ذوي الفكر

21 فلا ريب عندي في الذي قد طعمتُه — من العلم باللّـه المقرَّر في صدري

22 حُبِيتُ به عِلْمًا وعَـقْـدًا وحالةً — هُنا في حياتي ثم موتي وفي النَّشْرِ

23 بقيتُ به ربًّـا كريمًا بحضرةٍ — مُـنـزَّهـةٍ عَـلـيـاءَ عـاطـرةِ النَّشرِ

[191]

من الطويل

1 رأيـت ذكـورًا في إنـاث سواحرٍ — تراءَيْنَ لي ما بين سَلْعٍ وحاجِرِ

2 فخاطبت ذُكْـرانـا لأنـي رأيتهم — رجـالا بكشف صـادق متواتر

3 وكُـنَّ إنـاثًـا قـد حملن حقائقًا — مـن الـرُّوح إلـقـاءً بسورة غافر

4 وبعلهم الـرُّوح الـذي قد ذكرته — وإنـهـمُ مـا بـيـن نَـاهٍ وآمـر

5 هُمُ العارفون الصُّمُّ ردمًا ولا تقل — بـأنَّ الـذي قد جاء ليس بخابر

6 ومـا خَصَّ نوعًا دون نـوع لأنه — رأى الأمر يسري في صغير وكابر

7 ولا تمتري فيما أقـول فإنني — وقفت على بحر من العلم زاخر

8 تـحـسَّـبْـتُـهُ مـاءً فـراتًـا وإنـه — لملحٌ أُجاجٌ في السِّنينِ المَواطِرِ

9 فمن كـان ذا فكر تـراه محيَّرًا — ومن كان ذا شرع فليس بحائر

10 تمنّيت أن أحظى برؤية مؤمن — صدوق من الفتيان ليس بكافر

11 وذاك الذي يأتي بصورة[1] تاجر — مَلِيٌّ من الأربـاح ليس بخاسر

12 فلم أر إلا خالعًا ثـوبَ ماجنٍ — ولـم أرَ إلا لابسًا زِيَّ شاطر

---

(1) كتبت «بصورة» بالسّين بدل الصاد، وهو خطأ في النُّسخ.

13 تنوّعتِ الأشياء والأمـر واحد … وما غائب في الأخذ عنه بحاضر
14 إذا صحّ غيب الغيب فالأمر حاضرٌ … يشاهده قلبي وعقلي وخاطري
15 تناولته منه على حين غفلة … من الكون لم يشعر به غير شاعر
16 فـنـظّمـه مـنـه مـديـحًـا مـنـزّهًـا … ونـشـرًا عَـلا قَـدْرًا على كل ناثر

[192]

من الطويل[1]

1 إذا كانت الأسماء تبدو عن الأمر … تساوى الدَّنِيُّ الأصلِ بالطَّيِّبِ النُّجْرِ
2 لـقـد ضـربـوه قـاطـعـيـن بـأنـه … إذا ضربوه لا يقوم من القبر
3 فـنـطَّـقَـه لـلـقـوم ثـم أعــاده … إلى الحالة الأولى إلى مطلع الفجر
4 كما سبّح الحصباء في كفّ سيّدٍ … وأصحابه الأعلام كالأنجم الزُّهْرِ
5 فما كانت الآيـات إلا سماعَهم … وهذا الذي قد جاء ضربٌ من النشر
6 وكــان لــه حــال ووقــت معيّن … فحال إلى كشف ووقت إلى سِتْرِ
7 فمن كان من شامٍ يـراه ممثّلا … ويبصره حيًّا إذا كان من مصر
8 وجـاء الـذي مثلي غريبًا مقرّرًا … يقول الذي قالاه ما فيه من نُكر
9 فمن شاء فليكفر ومن شاء فليقل … بأني على حقٍّ يقين من الأمر
10 لـقـوّة إيماني بما قـال خالقي … وصدقي الذي قرّرَ اللّـه في صدري

[193]

من الطويل[2]

1 إن الفتى من يراعي حقّ خالقه … وثـم حـقّ رسـول اللّـه إيـثـارا
2 والعارفون يـرون الحق عينَهمُ … ولا يـرونَ بعين الـحـقّ أغـيـارا
3 وهم يغارون أن تلقى بساحتهم … خيانةٌ فـي نفوسٍ كـنَّ أغـوارا

(1) وردت في طبعة بولاق (ص. 137). وترجم لها في المخطوط 1438 بقوله «وقال في الحياة البرزخيّة من روح البقرة» (و.134).

(2) وردت في طبعة بولاق (ص.141)، وفي مخطوط 1438، وترجم لها فيه بقوله «وقال في مكارم الأخلاق النّبويّة من روح يوسف» (و.134).

4 فهم مع اللّه لا في حقّ أنفسهم — لذا أقاموا من التنزيه أسرارا

5 تنزيه تشبيه لا تنزيه ليس كذا — بما أتاهم عن الرحمن أخبارا

6 يحكون ما قاله عن نفسه فإذا — حكوه كانوا له جندًا وأنصارا

7 لا يعرفون سوى الرحمنِ من أحدٍ — لم يألفوا فيه لا دارًا ولا جارا

8 لو أنهم وجدوا أمرًا ينازعهم — فيه لأدخلهم نزّاعهم نارا

9 ولم يكن مادح منهم له أبدًا — بكل فنٍّ من الأمداح مِكثارا

10 هم الأقلون إن قالوا وإن كَثُروا — حلاَّهُمُ الحقُّ أسرارًا وإسرارا

[194]

من الطويل[1]

1 إذا غار عبد للإله وقد رأى — من اللّه إنعامًا فمن هو كافر

2 على رغمه واللّه يعلم أمره — وما اللّه فيما يقصد العبد جائر

3 وتحجبه العادات إذ كان حكمها — على بابه يجري، وما الحقُّ ظاهر

4 يعاقبه بالبين[2] في أرض غُربة — نهارًا وليلا والمهيمن ساتر

[195]

في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾. الآية.

من البسيط[3]

1 إذا رأيت مسيئًا يبتغي ضررًا — فَدَاره ثم لا تُظْهِرْ له خَبَرا

2 وادفعْ أذاهُ بما يوليه من حَسَنٍ — وامْنُنْ عليه ولا تُعلِم به بشرا

3 فإن ذلك إكسيرٌ وقوّته — أن تقلبَ العينَ في الأجساد والصُّورا

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.151)، وفي الحميديّة 648، وترجم لها بقوله «وقال وقد سمع قول رسول اللّه ﷺ في قربه من ربه «لا تفضلوني على يونس بن متّى» تنزيها لجناب الحقّ عن التّحديد في قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾. من روح الصافات (و.93).

(2) كتبت «القبر» في بولاق والحميديّة وجينيل وخالد أفندي 138، بدل «البين». وفي مخطوط فاتح 3872 «الغير» (و.77).

(3) وردت في طبعة بولاق (ص.152)، وفي مخطوط 1438 أورد الآية كاملة من روح فصلت (و.135).

4	يرجِعْ عـدُوُّكَ صِدِيقًا فتأمَنُه	ولا تخف منه إضرارًا ولا ضررا
5	ولا تـلقَـاه إلا صـابـرًا ولـه	حظٌ من العلم لمّا أمعنَ النَّظَرا

[196]

من السريع[1]

1	الميل في الأمريـن لا ينكر	لـكـنـه فـي جـانـبـي أظـهـر
2	إنـنـي بـالـجـسـم حصّلته	مـشـاهـدا للعين إذ تبصر
3	ثم اجتمعنا في المعاني وقد	زدت بميل الحس إذ يشعر[2]
4	أضـرب أسـداسًـا بأخماسها	لـعـلـنـي فـي ضـربـهـا أُذْكَـر
5	مـا فـاتـنـي مـنـه وإنـي إذا	أذكـره يشهدني المحضر
6	وذا عـزيـز أن يُـرى حاصلا	ومـا عـلـيـه أحـدٌ يعـثـر
7	يـخـبـر مـن كـان مـلـيـكًا به	وتـربـح الـشـوقَـةُ والـمَـتْـجَـرُ
8	يعطي ولا يـأخـذُ وهْـو الـذي	يُـظـهـره فـي عـيـنـه الـمظهر

[197]

من السريع[3]

1	يقترب الأمـر إذا انشقَّ القمر	لأنـه فـي الـلـوح رقـم مستطر
2	ولا تـقـل يـا سـيّـدي بـأنَّ ذا	إذا رأتـه العين سحر[4] مستَمر
3	لـو لـم يكن هـذا الـذي رأيته	لما انتهى شخص به ولا ائْتَمَر
4	تبسَّمُ الأرضـ ويـبـدو خيرُها	إن جادتِ السُّحْبُ بماءٍ مُنهَمِر

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.156).

(2) هذا البيت ناقص في هذا المخطوط المحقّق، لكنّه ورد في باقي المخطوطات كما في المخطوط 1438 (و.135)، وفي ديوان الزينبيّات، وفي الحميديّة، وفي طبعة بولاق.

(3) وردت في المخطوط رقم 1438، وترجم لها بقوله «وقال في الأنواء والأهواء من روح سورة القمر» (و.135). كما وردت في طبعة بولاق.

(4) كتبت «شخص مستمر»، وهو خطأ لأنّها اقتباس قرآني من سورة القمر التي استمدّت هذه القصيدة من روحها.

5 وجـادت الشمس بها بنورها — صبيحة اليوم الـذي فيه مَطَر
6 فأصبحت أرض الهدى مخضَرَّةً — تُظهر للأبصار عينًا ما سُتِر
7 وطاب عَرْف الجوّ من أعرافها — فقلت لـلأنـواء ما هـذا الخبر
8 رأيتـه طَلْقَ الـمُحَيّا ضاحكًا — من كان يدعى بالعَبوس الـمُكْفَهِر
9 واشكر وزد في شكره مجتهدًا — واحذر من المكر إن اللّه مَكَر
10 أنـذرتُـه المكر فـقال لا تقل — هذا الذي قلتَ فما تُغْنِي النُّذُر
11 قلت فما أعـرف إلا مؤمنًا — بما بـه يجري القضا والـقَدَر
12 فـقال هـيهات لـما تعرفه — مني وإنّـي منذ ولّيت الـدُّبُر
13 أعرضَ عنّي الرُّشدُ واستَفَزَّني — شيطانُه فقلت هل من مدَّكِر
14 قلتُ أنـا فقال لا أصغي إلى — ما قلت إنـي في ضلال وسُعُر
15 كم بين شخص في جِنان ونَهَر — فـي مقعدٍ عند مليكٍ مقتدر
16 وبين شخص حاسـرٍ قيل له — يا أيها الحاسر ذُقْ مَسَّ سَقَرْ
17 فالحمد للّـه الذي أعطى الشَّبَرْ[1] — حمدَ شَكور شَاكِرٍ شُكْرَ الشَّكَرْ

[198]

وقال أيضًا:

من الطويل

1 ألا فاتّبعْ من كان عبدًا مخصَّصًا — بعلم غريبٍ لم تنل ذوقَـه خُبْرا
2 ولا تعترض فـيـه عليه فـإنـه — سيحدُثُ في عقباهُ منه لكم ذكرا
3 ولا تَـكُ فيه موسويًا[2] فإنّه — مع القول بالبعد لم يستطع صبرا[3]

---

(1) في أسفل القصيدة من المخطوط المحقّق، وفي حاشية المخطوط 1438، شرح كلمة «الشَّبَر»: الخير والشكر، الفَرَج. (و.135). الشَّبْر والشَّبَر: في العربية تعني: العمر، والإعطاء، والنكاح.

(2) المخطوط 1438، «موسومًا بوصف إنّه» بدل موسويًا إنّه»، وهو خطأ من الناسخ، والأصح ما أثبتنا لأنّه يشير إلى قصّة موسى مع الخضر عليهما السّلام. وقد اعترض سيّدنا موسى الذي لم يستطع صبرًا على الخضر ثلاث مرّات حتى أوقفه على الحكمة الخفية ممّا أتى من الأفعال التي تنكرها العقول ظاهرًا.

(3) كرّر المخطوط نفس الشطر الثاني في البيت رقم (2)، ونرجح أنّه سهو من الناسخ، بينما تذكر المخطوطات الأخرى الشطر الذي أثبتنا.

4 تزحزح ألبابَ الرِّجالِ إذا رَأَوْا بأعينهم من غيرهم أحدثوا أمرا

5 فتنكره في الحين دينًا وغَيْرَةً فيُرهقها المتبوع من أمرها عُسرا

6 فإن عاد بالإعراض عنهم لنُكرهم يقيم لـه مما أتَـتْـه بـه عُـذرا

7 كذا سُنَّةُ الرَّحمنِ في كل تابعٍ ومتْبُوعِه فاحْذَرْ من العالِمِ الـمَكْرا

8 فَمَنْ يَتَّقِ اللَّـهَ العَلِيمَ بِحالِهِ سَيَجْعَلْ له الرَّحمنُ من أمره يُسْرا

9 ومن يتوكَّلْ في الأمور على الذي يكون به أوْلَـى كما أنَّـهُ أَدْرَى

10 فقد جعل اللَّـه العَليمُ بأمره لكلِّ الذي يُجْرِيهِ في خلقه قَدْرا

11 لقد جئتكمْ بالعلمِ من عندِ ربّكُمْ كما جاءت الأرسالُ من عنده تَتْرَى

12 وإنِّي لهم في كلِّ ما قلتُ وارثٌ ولم أَلْتَمِسْ منكم ثناءً ولا أجرا

13 وأجْري على اللَّـه الكريم جعلتُهُ لديه إلى يوم الـورود لنا ذُخْـرا

[199]

وقال[1]:

من الطويل

1 شهدت الذي يدعونه الغوثَ والذي له الـمُلْكُ[2] بعد الغوثِ، والغوثُ لا يدري[3]

2 بما هو غوث ثمّ إنْ كان عالـمًا به فاختصاصٌ جاء في ليله يسري

---

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.136)، وترجم لها بقوله «وقال في الإمام الذي يرث الغوث من روح تبارك الملك». كما وردت في طبعة بولاق.

(2) لكلِّ واحد من الغوث والإمامين سورة من القرآن. فسورة الغوث هي سورة الفتح، واسمه **عبد اللَّـه**. وسورة إمام اليمين يس، واسمه **عبد الرب**. وسورة إمام اليسار تبارك الملك، واسمه **عبد الملك**. وقد جمعت مراتب هؤلاء الثلاثة في آخر سورة من القرآن ﴿قل أعوذ **برب** الناس، **ملك** الناس، **إله** الناس﴾. ولهذا سمَّاها الشَّيخ منزل القطب والإمامين.

(3) ذكر في نهاية الباب 255 من الفتوحات المكّيّة «الغوث» بقوله «اتّخذ أهل اللَّـه الخَلوة للانفراد، لمَّا رأوه تعالى اتّخذها للانفراد بعبده. ولهذا لا يكون في الزمان إلَّا واحد يسمَّى الغوث والقطب، وهو الذي ينفرد به الحقّ ويخلو به دون خلقه. فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخصيْن في زمان واحد. وهذه الخَلوة الإلهيّة من علم الأسرار التي لا تذاع ولا تُفشى، وما ذكرناها وسمَّيناها إلَّا لتنبيه قلوب الغافلين عنها بل الجاهلين بها». وقد خصَّص الشَّيخ لهذه الخَلوة رسالة نفيسة هي رسالة الأنوار.

3 تبارك ملكُ الملكِ جَلَّ جلاله ... وعزَّ فلم يُدرَك بفكر ولا ذِكْرِ
4 تعالى عن الأمثال عُلْوَ مَكانَةٍ ... تباركَ حتى ضَمَّهُ القلبُ في صدري
5 ولم أَدْرِ ما هذا ولا تَنْجَلِي لنا ... مَقالَتُه فيه وبالشَّفْعِ والوتر
6 عرفناه لَمّا أنْ تَلَوْنَا كتابَهُ ... فَللجهرِ ذاكَ الوترُ، والشَّفعُ للسِّرِّ
7 وما عَجَبِي من ماءِ مُزْنٍ وإنَّما ... عَجِبتُ لماءٍ سالَ من يابسِ الصَّخْرِ
8 كضربةِ موسى بالعصا الحجَر الذي ... تفجَّرَ ماءً في أُناسٍ له يجري
9 وكلُّ أُناسٍ شربُه عالمٌ به[1] ... يُمَيِّزُهُ ذوقًا وإن حَلَّ في النَّهْرِ

[200]

وقال أيضًا[2]:

من الطويل

1 حنيني إلى الليل الذي جاءني يسري ... حنيني إلى الشمس المنيرة والفجر
2 فإنّي أَحْظَى في النّهار بشفعه ... وأحْظَى إذا ما جاء في الليل بالوتر
3 لقد أقسمَ اللهُ الحقُّ المبين بليله ... وبالفجر والأشفاع فيه لذي حجر
4 بأنَّ الذي قد جاء في الذكر ذكرُه ... مضافٌ إلينا ما له الأنس بالأجر
5 إذا كنتُ في قوم ولم أَكُ عينَهم ... وسرُّهُمْ سِرِّي وجَهرُهُمْ جهري
6 فَمَا أَنَا فِيهِمْ ذُو وَفَاءٍ وَإِنَّنِي ... إِذا حقَّقَ الأقوامُ شَأْنِي لَفِي خُسْرِ

[201]

وقال أيضًا[3]:

من الوافر

1 أرى الأنوارَ في شرح الصُّدُور ... عِيانًا في الورود وفي الصُّدُورِ

---

(1) يشير إلى قوله تعالى ﴿قد علم كلُّ أناسٍ مشربهم﴾ (البقرة، 60).
(2) وردت في طبعة بولاق، وفي مخطوط 1438. وترجم لها بقوله «وقال من روح سورة الفجر».
(3) وردت في طبعة بولاق. كما وردت في المخطوط 1438، وترجم لها بقوله «وقال من روح سورة الشرح» (و.136).

2	وليس لـه امـتـنـانٌ فـيـه إنـي	أرى أثَـرَ الأمـورِ مِـنَ الأمـور
3	فـإنَّ الـحـكـمَ للمعلوم عقلا	وكشفًا في الجِنان وفي السَّعير
4	فَحُكْمُ الـشَّـيْءِ مقصورٌ عليه	ومـا أدّاه ذاك إلـى القصور
5	ولـكـنَّ الأديـــبَ إذا رآهُ	يقول بـذاكَ من خلف السُّتُورِ
6	ويَـدخـلُ مُـحْـرِمًا بـلـدًا حرامًا	ويلبسُ للملابس ثـوبَ زُورِ
7	فـيـأخُـذُه العليمُ بما ذكرنا	ويُـوصِـلُـهُ إلـى دَهْـرِ الـدُّهُـورِ
8	لـقـد دَلَّـــتْ شـواهـده عليه	بما دارت عليه رَحَـى السُّرُورِ

[202]

وقال أيضًا[1]:

من الطويل

1	يرى الحَقُّ أعمالي بما هو ذُو بَصَرْ	وما عندنا من ذاكَ عِلْمٌ ولا خَبَرْ
2	ولَمَّا أتَى الشَّرْعُ الذي خُصَّ بالهُدَى	به نحوَنا قلنا له مثلَ ما أمَـرْ
3	ولا تَـكُ مِـمَّـنْ قـال فيه بـأنَّـهُ	مَزِيدُ وضوحِ العلمِ في عالم البَشَرْ
4	فذلكَ قـولٌ لا خَفاءَ بِنَقْصِهِ[2]	وإن كان مدلولا عليه كما ذَكَرْ

[203]

وقال أيضًا[3]:

من الطويل

1	أرى ليلةَ القدر المعظَّم قَدْرُها	تَرَفَّعُ مني في الشُّهود وفي قدري
2	وذلك شَطْرُ الدَّهْرِ عندي لأنَّها	تكونُ بما فيها إلى مطْلَعِ الفَجْرِ
3	وترحَلُ عني تبتغي عينَ موجِدِي	وقد يَسَّرَتْ أمري وقد شرَحَتْ صدري

(1) في طبعة بولاق، وفي مخطوط 1438، وترجم لها بقوله «وقال من روح سورة العلق» (و.136).

(2) في طبعة بولاق «بنقضه».

(3) في طبعة بولاق، وفي المخطوط 1438. وترجم لها «وقال من روح سورة القدر» (و.137).

[204]

وقال أيضًا[1]:

من الطويل

1 إذا طلعت شمسُ الفناء لذي حِجًا أكون بها حقًّا إذا كنتُ ذا بَصَرْ
2 يكون إذا ما كنتُ خلقًا فإنّه نزيهٌ عَنَ احكام تكونُ عن الكُوَرْ
3 وإن كان قد جاء الحديثُ بأنَّهُ لأجل اختلافِ الاِعتقادات ذو صُوَرْ
4 ولكنه بالذَّاتِ عند أُولِي النُّهَى غَنِيٌّ بنصّ الذِّكْرِ في مُحْكَمِ السُّوَرْ

[205]

من الطويل[2]:

1 توالَى عليّ اليُبْسُ من كلّ جانبٍ وأقلقني طولُ التَّفَكُّرِ والسَّهَرْ
2 وأزعَجَنِي داعي المَنِيَّةِ للبِلَى وأذهلَنِي عَمَّا يُجَلُّ ويُحتَقَرْ
3 وقوّى فُؤادي حُسنُ ظَنِّي بخالقي وأضعفَ مني قُوَّةَ السَّمْعِ والبَصَرْ
4 وإنَّ مُرادي حِيلَ بيني وبينه بردِّي، كما يُتْلَى، إلى أرذلِ العُمُرْ
5 فنادَى بِرُوحِي للبرازخِ والتَّوَى يُنَادِي بجسمي للمَقَابر والحُفَر
6 فهذا حبيسُ القبر في منزلِ البِلَى وهذا حَبيسُ الصُّورِ في برزَخِ الصُّوَرْ
7 فَلَوْ لم أكُنْ بالحقّ كنتُ مقيَّدًا ولو لم أكن بالخلق كنتُ على خَطَرْ
8 فَحقِّي يُحَلِّيني بما فيَّ من قُوًى وخلقي يحلّيني بما يُوصَفُ البشر
9 فما أعذبَ الطَّعمَ الذي قد طَعِمتُهُ من الظّنِّ بالرَّبِّ الجميل لمن نَظَرْ
10 وما أفظعَ الطَّعْمَ الذي قد طَعِمْتُهُ من العلم باللّه المريدِ وما أَمَرْ
11 كأنّي طَعِمْتُ التَّمْرَ في ظَنِّنا به[3] وفي العلم ما ذقنا سوى مطعمِ العُشَر
12 فَوَفَّيتُ ما قد أوجبَ اللّه فعلَهُ عليَّ بتصريف القضاء مع القَدَر
13 عناية مختار عليم مُنَبِّإٍ وجئتُ كما جاء موسى على قَدَرْ

(1) وردت في طبعة بولاق مع اختلافات، لكنّها لم ترد في مخطوط جامعة إستانبول 1438. وقد أوردتها مخطوطات أخرى مثل جينتيل 53، ورشيد أفندي 378... وترجم لها «من روح سورة لم يكن».

(2) وردت في طبعة بولاق، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في مرضه» (ص. 179)، وفي المخطوط 1438 (و.138). وعلى الأرجح أنّ هذه من القصائد المتأخّرة التي نظّمها في أواخر حياته.

(3) في طبعة بولاق «في طيباته» بدل «في ظنّنا به»، وهو خطأ.

[206]

وقال أيضًا[1]:

من مجزوء الخفيف

1 قُرَّةُ العين والبصرْ ... جاء موسى على قَدَرْ

2 بالذي يقتضي النَّظر ... والذي يرتضي القدر

3 مِنْ أُمورٍ إذا بَدَتْ ... أذهلَتْ صاحبَ النَّظر

4 قد تعالت فما يَرَا ... هَا سوى من له بصر

5 والذي تدركونه ... إنما ذلك الأثر

6 مثل أسمائِه العُلى ... التي عَيَّنَ البشر

7 وهْيَ بالذَّات في حِمًى ... مانِعٍ ما له خَبَرْ

8 نِسَبٌ كلُّها لها ... نَسَبٌ في الذي ظَهَرْ

9 مِنْ وجودي ومن بلو ... غِي إلى غاية العُمُرْ

10 وانتقالي ما ينتهي ... هكذا جاء في الزُّبُرْ

11 من نعيمٍ مُؤَبَّدٍ ... في الذي شاء مُقْتَدِرْ[2]

12 أو عذابٍ مُسَرْمَدٍ ... في ضلال وفي سُعُرْ

13 نسأل اللَّهَ عفوَهُ ... فالكريم الذي غَفَرْ

[207]

وقال أيضًا[3]:

من البسيط

1 إنَّ الذي أظهرَ الأعيانَ لو ظهرا ... ما زاد حُكْمًا على الأمر الذي ظهرا

2 هو الجَلِيُّ الخَفِيُّ عن تَصَرُّفِهِ ... فليس يَظْهَرُ منه غيرُ ما ظهرا

---

(1) وردت في طبعة بولاق، وفي المخطوط 1438 (و.142).

(2) هناك بيت زائد في طبعة بولاق: «ثمن نعيم مؤبد... في جِنان وفي نَهَرْ». وبعده «عند ربٌّ مؤيَّدٍ... في الذي شاء مقتدر».

(3) وردت في طبعة بولاق (ص.182)، وفي المخطوط 1438 (و.142).

3 مُقدّسُ الذّاتِ عن إدراكِ ما ظهرا ... لكنّه يَهَبُ الأرواحَ والصُّوَرَا

4 فَكُلُّ صورةِ روحٍ عينُ صورتِهِ ... وهُوَ الذي عيَّنَ الأملاكَ والبشرا

5 من آدمٍ خَمَّرَتْ يداه طينَتَه ... بذاكَ سُمِّيَ في ما قد رُوِي بَشَرا

6 لما أتى من وراء السِّتْرِ كلَّمني ... وما رأيتُ له عينًا ولا خَبَرا

7 عَلِمتُ أنَّ حجابي لم يكن أحدًا ... غيري فلم أُتْعِبِ الألبابَ والفِكَرَا

8 فما رأيتُ وجودَ الحقِّ في أحدٍ ... إلا رأيتُ له في كونه أَثَرا

[208]

من البسيط[1]:

1 إنَّ التحكُّمَ في الأشياء للقَدَرِ ... وإنَّ فيه مجالُ الفكر والعِبَرِ

2 وقل به إنه على تحكُّمه ... لا حُكْمَ فيه على الأرواح والصُّوَرِ

3 إلا بأعيانها فاعلم طريقَتَهُ ... الحُكْمُ فيها لها إنْ كنتَ ذا نَظَرِ

[209]

من البسيط[2]:

1 من الحروفِ حروفٌ هُنَّ كالعرض الـ ... ـمحمول في غيره لِسَمْعِنا ظَهَرَا

2 تبدو لإشباعِها في لَفْظِ مُشْبِعِهَا ... حُروفُ علّتها بها الكلامُ جرى

3 ضَمٌّ وفتحٌ وكَسْرٌ للبناءِ أَتَتْ ... أسماؤها وبهذا الحُكْمِ قد شُهرا

4 وثُمَّ رَفْعٌ وَنَصْبٌ جاء بعدهما ... خَفْضٌ لإعرابِ ما في لفظه ذكرا

5 والجزم يذكرها مع السُّكون فلا ... تسمَعْ لها عِنْدَ لَفْظٍ واردٍ خبرا

6 وما تولّد عنها حين يشبعها ... لكي يُقَضّيَ منها اللافظُ الوطرا

7 كَوَاوٍ أو ياء أو ما جاء عن ألف ... حروفُ مَدٍّ ولِينٍ تشبه القدرا

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.182)، وفي المخطوط 1438 (و.142).

(2) وردت في طبعة بولاق (ص.186)، وفي المخطوط 1438 وترجم لها بقوله «وقال يذكر الحروف الصغار وهي حركات البناء وحرمات الإعراب، ويذكر الجزم والسكون وحروف العلّة» (و.157).

[210]

من البسيط[1]:

1	الوحيُ بالشرع قد سُدّتْ مسالكُه	وليس يُنكِر ذا إلا الـذي كَفَرا
2	لم يبق منه سوى ما الشَّخْصُ يُدْرِكُهُ	في نومه أو بِكَشْفٍ هكذا ظهرا
3	وليس يدركه في غير صورته	إلا هنا ولـهـذا جـاء مـن عَبَرا
4	علما صحيحا من الرحمن بشّره	به المهيمن في رؤيـاه إن شكرا
5	وفيـه مـزج رقيـق ليس يعرفه	إلا الذي يعرف الآيات والسُّورا
6	وفيه مـزج رقيق ليس يشهده	إلا الذي يشهد الأرواحَ والصُّورا[2]
7	فينزل الشيء في رؤيـاه منزلةً	بـآيـة فـهـي فـرقـان لـمـن ظهرا
8	في جمعها والذي يحويه من عِبَرٍ	وحيًا صحيحًا لما به القضاء جرى
9	فاسلك طريقتَها إن كنتَ ذا نَظَرٍ	ولا تُـعَـرِّجْ بها إن كنتَ معتبرا
10	قد يخطئُ العابرُ الرؤيَا يُؤوِّلُهَا	وقـد يُصِيبُ كما رَوَيْتُـهُ خبرا
11	عن النَّبيِّ رسولِ اللّـه سيِّدنا	فيما تأوَّلَهُ الصدّيقُ إذ عَبَرا[3]
12	أصاب بعضًا وأَخْطَا بعضها وبِذا	أتى الحديث الذي رَوَيْتُه أثرا[4]

[211]

من البسيط[5]:

1	هنّيتَ بالشّهر بل هُنّي بكَ الشّهرُ	يا من به قام هذا الملكُ والأمرُ

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.188)، وفي المخطوط 1438 (و.142).

(2) هذا البيت غير مذكور في باقي المخطوطات.

(3) في المخطوط 1438، وطبعة بولاق «لو عثرا» بدل «إذ عبرا»، والأرجح الرواية التي أثبتناها.

(4) يشير إلى ما جاء في حديث ابن عباس رضي اللّـه عنهما، أنّ رجلًا أتى رسول اللّـه ﷺ فقال: «إنّي رأيت اللّيلة في المنام ظلّة تَنْطِفُ السمن والعسل...»، فعبَّرها أبو بكر بقوله «أمَّا الظلّة فظلّة الإسلام. وأمّا الذي يَنْطِفُ من السّمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه...». فقال النّبيّ ﷺ لأبي بكر: «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا». والحديث في صحيح مسلم.

(5) وردت في المخطوط 1438 (و.138)، وفي مخطوط رقم 1438، وفي ديوان الزينبيّات (و.302) مكوّنة من ثلاثة أبيات، ويبدو أنّ موضوعها تهنئة من الشّيخ لأحد معارفه من الكبراء. ثمّ هناك الفراغ المعتاد الذي يتركه الناسخ للفصل بين القصائد، وبعد ذلك قصيدة طويلة مطلعها «الدهر يخدم ما يحويه الدهر»، إلّا أنّ هذه القصيدة قد تمّ إلحاقها بالأبيات الثلاثة السّابقة في طبعة بولاق التي تابعت مخطوط الحميديّة 648 (و.122)، وجينيل 53 (و.122)، خلافًا لما ورد في المخطوط المحقّق. وهذا يدلّ على أنّ لدينا عوائل مختلفة لهذه المخطوطات.

2 يا سيِّدًا قد مَلَكْتَ الأمرَ أجمَعَه ... فَالطَّيُّ في يدكم إن شئت والنَّشْرُ
3 عَلَوْتَ قدرًا وتمكينًا ومنزلة ... فَدُونَ أخمَصِكَ الأفلاكُ والدَّهْرُ

[212]

من البسيط[1]:

1 الدهر يخدم ما يحويه لا الدهر ... وما له بالذي يجري به أمر[2]
2 له التصرف في الأركان أجمعِها ... والحكم في يده والنَّفْع والضَر
3 وما له خبر بما يكوِّنه ... عنه الإله الحكيم الحاكم البَرُّ
4 لو أنَّ يونسَ والحيتانُ تطلبه ... يكون من مَكَّةٍ لم يدر ما البحر
5 لعلمنا بالذي أعطت معالمها ... من الذي أخبرت بكونه الدهر
6 فإن ربّك أوحى أمرها بكذا ... فيها وما عندها ذوق ولا خبر
7 مسخَّراتٌ بأمر اللّه ليس لها ... إلا الشَّهادةُ والتَّسبيح والذِّكْر
8 بألسنٍ ما لها فِقْهٌ بما نَطَقَتْ ... لأن حاجبَها الحلْمُ والعِبر
9 تثني عليه بطبع فيه قد جُبِلَتْ ... وما لها في الذي تثني به فِكَرُ
10 باللّه عالمةٌ للّه قائمةٌ ... في اللّه جاهدةٌ من أمره الأَمْرُ
11 قال الخليلُ بها سترًا لحكمتِه ... وحجَةً للذي أودى به الكفر
12 وقد أباها رسول اللّه وهْوَ بها ... أدرى وأعلمُ فهو العالم البحر
13 وما له في الذي يدريه من حِكَمٍ ... مِثْلٌ يعادله عبدٌ ولا حُرّ
14 القُلُّ كان له والكُثْر كان له ... فليس يعجزُه قُلٌّ ولا كُثْر
15 اللّه أعظم أن يحظى به أَحَدٌ ... وكيف يَحْظَى بمن رداؤه الكِبْرُ
16 الكبرياء وما تُحصى عوارفُه ... وليس يُدْرَى لها لجهلِهِمْ قَدْرُ
17 إنَّ العوارفَ أستارُ المعارف لا ... يَدْخُلُكَ في ذاك إشكالٌ ولا نُكُرُ
18 فعندنا العجزُ عن إحصائها عددًا ... وعندنا أنها النَّائِلُ النَّزر[3]

---

(1) وردت في طبعة بولاق إلّا أنّ مطلعها هو «هنيت بالشهر بل هني الشهر بي الشهر...» ثمّ بعده البيت الثاني «له التصرف في الأركان أجمعها...».

(2) هذا البيت ساقط من طبعة بولاق التي تبتدئ بـ«هنيت بالشهر...».

(3) النائل: الجود والعطية. النزر: القليل. يقال عطاء نزير، أي قليل.

19 خزائن الجود ما اشتَدَّتْ مَغالِقُها ... لو انتهَتْ لانتهى في العالم الفقر
20 وفقره دائم لا ينتهي أبدا ... كذاك نائله لا ينقضي عُمْر
21 الفقر بالذات ذاتيٌّ لصاحِبِه ... ولو يدوم له من ربّه اليسر
22 ما قلت إلا الذي قال الإله لنا ... فينا ففي كل يُسْرٍ مُدْرَجٌ عُسرُ
23 إن الإله بلا حَدٍّ يحدّدنا ... مع الزّمان لذا كان اسمه الدَّهْر
24 للّه قومٌ ذوو عِلْمٍ مَقَامُهُمُ ... الشّمس والتين والأحقاف والفجر
25 هم النّجوم إلى الأفلاك مركبها ... لا بل أقول هم الأحجار والتّبْر
26 حازوا الكمال فلم يَظْفَرْ بهم أحَدٌ ... غيري لأنهمُ الأشفاع والوتر
27 سَكْرَى حَيارَى تراهُمْ في مَحَارِبِهِمْ ... وما لهم في سوى مطلوبِهم فكر
28 قد استوى عندهم من ليس يعرفهم ... مع العليم بهم والسّرُّ والجهر
29 هم الوجودُ ولكن لا وجودَ لهم ... فليس يَحْجُبُهُمْ نَفْعٌ ولا ضرّ
30 لهم من الفَلَكِ العُلْوِيِّ صورَتُه ... ومِن ثَرَى الأرض ما يأتي به الزَّهَرُ
31 هم المطاعم والأنهار شربُهُمُ ... الماء والعسَل النَّحْليُّ والخمر
32 ويأكلون طعامًا ما له صفة ... منزَّهُ الطعم لا حُلْوٌ ولا مُرُّ
33 مقامُهُمْ مَا هُمُ فيه وحالهمُ ... ما يشتهون فَهُمْ بَهالِلٌ غُرُّ
34 لا يجهلون ولا تُدرى مقاصدهم ... سكناهمُ المجلسُ المعمور والقبر
35 خُرسٌ إذا نطقوا، عُمْيٌ إذا نظروا ... صُمٌّ إذا سمعوا إيمانهم كُفْرُ[1]
36 لا يهتدون ولا يهدون صاحبَهُم ... عُمّارُ أنديةٍ كثبانها حُمْرُ[2]

[213]

من الطويل:

1 ألا إنني عبد لمن أنا ربُّه[3] ... قضى بالذي قد قلته في الهوى الخُبْرُ
2 إذا كان عين الحق عيني وشاهدي ... يكون لنا في العالم الخلق والأمر

---

(1) كفر: هنا بالمعنى اللّغويّ، أي الستر.
(2) جاء في صحيح مسلم أنّ النّبيّ ﷺ قال «مررت على موسى ليلةَ أُسريَ بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»..
(3) ربُّه: سيّده، أي أنّه صار عبدًا في الهوى لمن كان عليه سيّدًا.

3 فيعرفني من كان بالحق مثلنا ... ومن لم يَكُنْ يُسْرِعْ إلى قلبه النُّكْرُ

4 فمن كان علاَّمًا بما جئتُه به ... يكون له من ربّه النّائل الغَمْر[1]

5 ومن قال فيه بالجواز فإنه ... يكون له من نفسه الغِلُّ والغِمْر[2]

6 ومن قال فيه بالمحال فإنه ... هو الظالم المحجوب والجاهل الغُمْر[3]

7 لقد طبع اللّه القلوبَ بطابَعٍ ... من الطَّبْعِ حتى لا يُداخلها الكِبْرُ

8 فكيف يكونُ الكِبْرُ في قلب عاجزٍ ... ذليلٍ له من ذاته العجز والفقر

9 فسبحان من أحيى الفؤادَ بفهمِهِ ... فلن يَحْجُبَنْهُ العسر عنه ولا اليُسْرُ

10 تراءيت لي من خلف ستر طبيعتي ... وقد علمَتْ نفسي الذي يَحْجُبُ السّتر

11 فراكبُ بحرِ الطَّبْعِ بالحالِ طَالبٌ ... ويطلبه من حاله الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ

12 ومن كان في البَرِّ المُشَقِّ مسافرًا ... تعوَّذَ من وعثائِهِ العارفُ الخَبْرُ

[214]

من باب ركاب السائر إلى اللّه تعالى
من الطويل[4]

1 لقد صغتَ لي كوماءَ من مُحْكَمِ الذِّكْرِ ... وعظَّمتَ من شأني وأجْلَلْتَ من قدري

2 وزوّدتني زادًا إليكَ مبلِّغًا ... وأوْضَحْتَ لي نجدًا لألحَقَ بالسَّفْرِ[5]

3 وودّعتكمْ أبغيكمُ وأراكمُ ... معي حيث ما كُنَّا منَ البَرِّ والبَحْرِ

4 فيا هُو، ويا أنّي ومن هو مطلبي ... تحققت نحو الوتر بالضرب في الوِتْرِ

5 وإني وإن كوّنتُ في نعتٍ لم أكن ... وأنت وإن كُوِّنتُ في كونكم سِتري

فما ثَمَّ إلا اللّه ما ثَمَّ غيرهُ ... فما ثَمَّ إلا واحدُ العين والقدر

---

(1) الغَمْر: خلاف الضحل من المياه، وهو الذي يغمر من يدخله حتى يغطيه.

(2) الغِمْر: الحقد والغِل.

(3) الغُمْر: من لم يجرب الأمور.

(4) وردت هذه القصيدة أيضًا في المخطوط 1438 (و.121)، وديوان المعارف الإلهيّة (و.40أ)، والمخطوط 1539 (و.97).

(5) النجد: كناية عن طريق الحقّ. وقد تكلّم الشّيخ عن أذواق السالكين والعارفين في معنى «وهديناه النجدين» في الباب 341 من الفتوحات. فنجد تكون غايته العبد، ونجد تكون غايته الحقّ، ومنهم من رأى الواحد عين الآخر، وهكذا. وقد أورد في الجزء الرابع المحقّق قطعة يقول في مطلعها «قف بنجد فإنّها أرض مجد... حين دلّت على عُلُوّ المكان» (رقم 567).

[215]

في المظاهر الإلهيَّة.
لزومية[1].
من مخلع البسيط

1	فما يُرَى في الوجود إلا	ربٌّ له خلقُه مظاهر
2	من قال قولا وعاد فيه	بظهر غيبٍ ذاك المُظاهر
3	فلا يَرى للوجود معنى	فإنه للعيون ظاهِرْ

[216]

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾
من الكامل[2]

1	الماء في الأسماء يسري سرُّه	فترى الحياة بسرِّهِ تسري[3]
2	هو عرشُ عرشِ الاستواء وإنَّه	لولا الهواءُ رأيتَه يجري
3	بالريح يسكن وهْوَ عِلَّةُ جَرْيِهِ	فكأنَّهُ في عالم الأمْرِ

[217]

في نشْءِ المَلَك
من البسيط[4]

1	روحٌ من الرُّوحِ في جِسْمٍ منَ النُّور	كالدُّرِّ أَوْدَعْتَه في حُقِّ بلُّور[5]

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.42أ).
(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.43أ).
(3) دخلت على آخر تفعيلة من أبيات هذه القطعة علَّة الحذذ، وهي سقوط الوتد المجموع بأكمله من التفعيلة. والوتد المجموع هنا هو «عِلُنْ»، وبسقوطه بقي من التفعيلة «مُتْفَا»، وهي مضمرة. وعلَّة الحذذ هي إحدى أربع علل تدخل على تفعيلة الكامل.
(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.43أ)، وفي كتاب «عُقْلَةُ المُسْتَوْفِز» ضمن رسائل الشَّيخ (ص.103).
(5) هذا البيت يذكر في صورته بما قاله حسان بن ثابت في رسول اللَّه ﷺ: «روحٌ من النور في جسم من القَمَر... كحُلَّة نُسِجَتْ في الأنجم الزُّهُر». أمَّا قصيدة الشَّيخ هنا فهي مخصَّصة إلى نشأة الملائكة.

2 يعطيك ظاهـرُه أسـرارَ باطنِه — كالمبصَراتِ إذا ما قُمْنَ في النّور

3 له الجناح إذا ما شاء يَبْسُطُه — أو شاء يَقْبِضُهُ من غير تشمير

4 له اليدان له العينانِ تُبْصِرُهَا — في العين قائمةً من غير تصوير

5 لـواجـدٍ سِـدْرَةٌ عَلياءُ يسكنُها — وآخـرٌ همُّه في النَّفْخِ في الصور[1]

6 وثالث يقبض الأرواح كارهةً — وواهـبُ رزقَـه من غير تَقْتِير[2]

7 وخامس تسمع الأرواح دعوته — خير يجود وبخل خلق تدمير

8 هم الكثيرون لا تحصى مقاصدهم — ولا مراتبهم إلا مـنَ الطَّور

9 فمن علا الطَّورَ يلحظُ سرَّ خلقهم — وفـوقـه سـابح فـي مـاء تَنُّور

[218]

في نشء الجان
من البسيط[3]

1 روح من النور في ريح من النار — حُكْمُ الإله وصُنْعُ الواحدِ الباري

2 حَلَّ الصَّبَاءُ[4] على الأشجار فاحترقت — فـلاح بينهما جسم مـن النار

3 سرت به الريح في عمياءَ مظلمةٍ — صحراءَ خاليةٍ إلا مـنَ احجار

4 تقسّم الجنّ فيها بين نصرته — وبين خِـذلانـه مـن غير تكرار

5 فكان يشبهها من أوجـه ظهرت — منها قريب ومنها نـازح الـدار

[219]

في نشء الإنسان
من البسيط[5]

1 قلبي بحبّ جمال اللّه مسرور — فالرُّوح متّصلٌ والجسمُ مَهجورُ

---

(1) يشير إلى جبريل في سدرة المنتهى التي هي منتهاه من القرب إلى الحضرة الإلهيّة ووقوفه عندها. وأشار إلى إسرافيل المكلف بنفخ الصوُّر.

(2) يشير إلى الملك المكلّف بقبض الأرواح. كما يشير إلى ميكائيل المكلّف بالقطر والماء والنبات.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.43أ).

(4) صَبَاء: يقال صَبَتِ الريحُ صَبَاءً وصبُوة، هبَّتْ من جهة الشرق.

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.43أ).

2	لذا نـراه إذا ما الموتُ حَـلَّ بـه	يعلو وجسمُكَ في الأموات مَقبور
3	أحصى المهيمنُ في الإنسان عالمه	فهْو الأميرُ ومن في الكون مأمور
4	فيه من العين روحُ النَّفخ تَعْضُدُه	تَسويةٌ ثم تعديلٌ وتصويرُ[1]
5	فانظر إلى قمر الإنسان كيف بدا	للناظرين وفيه الخَسْفُ والنور
6	إن قلتَ ذا ملَكٌ أبـدى تَغَيُّرَه	جِنًّا وإن قلتَ جِـنٌّ جاء تطهير
7	فلا يـزال مَـدَى أمـلاكِ نشأتِه	سـيّـارةٌ تعتريه الـنَّـارُ والـنـور
8	هو الـذي أخـذ التقويمَ أجمعَهُ	فَكُلُّ كَـوْنٍ سِواه ظِلُّهُ الزّور[2]

[220]

في أصناف المياه
من البسيط[3]

1	مـاء فُـراتٌ نقاخٌ سَلسل شَبِمٌ	سلاسِلٌ وزُلال نَـشْـرُه عَطِرُ
2	تسري الحياة به في كلِّ ذي شبح	النَّبْتُ والحيوان الكلّ والبشر
3	ومـا سواه من الأمـواه ليس له	هَذِي النّعوتُ فما في نعته ذكر
4	مثل الأُجـاجِ ومـاج مالح لغةً	فريدة وشَـرِيـبٌ طَعْمُهُ خَصَرُ
5	كذا الشّروب وملحُ والزُّعاقُ له	على القَعْقَاعِ مَقام ليس يستتر
6	أمـا النَّمِيرُ فنعت لا يُخَصّ به	صنفٌ فذاك الذي يَنْمَى به الشَّجر
7	فهذه خمسة من بعدِ عاشرةٍ	منَ اللغاتِ لها في نفسِها سُوَرُ
8	والنّشْجُ والنَّضْجُ ثم النَّقْعُ والبَغْرُ	ونُـغْـبَـةٌ بعدها لفظ هـو النَّجرُ

كل ما تضمنه البيت الأول هو العذب الطيب. والشبم: البارد. والسلسل والسلاسل: السهل الدخول في الحلق. والشريب: الذي فيه شيء من عذوبة. والشروب: دون الشريب في العذوبة، ويشرب عند الضرورة. والأجاج: الماء المالح، وكذلك الماج. والقعقاع والزعاق: الذي فيه مرارة. والنشج والنضج: الشرب دون الرّي. والبغر والنجر: أن يكثر من الشرب فلا يروي. والنغبة: الجرعة من الماء.

(1) ورد بعد هذا البيت في ديوان المعارف الإلهيّة بيت طمست كلمات شطره الأوّل «لا شيء...» إلّا الشطر الثاني «النصف باق وباقي النصف زور».
(2) هذا البيت جاء بعد البيت الخامس في ديوان المعارف الإلهيّة.
(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.143أ)، وكذلك في كتاب محاضرة الأبرار (الجزء الأوّل، ص. 175).

[221]

من باب الاعتبار والادكار.
لزومية:
من مخلع البسيط[1]

1	ما يُكْسَفُ البدر وهو يربو	لكن إذا تمّ واستدارا
2	كذاك حال الوجود فاعْمُر	غير الذي أنت فيه دارا
3	وكن معَ النّاس حيث كانوا	ودُرْ معَ الحقّ كيف دارا
4	فإنّما ناسُنا حديثٌ[2]	كمثلِ كِسْرَى ومِثْلِ دَارَا

[222]

من باب ما ينتجه الإخلاص
لزومية:
من الطويل[3]

1	شرحنا وأوضحنا المعاني لذي نُهًى	ولكنّها الأفهامُ لا تَتَبَصَّرُ
2	فَدُونَكَ فَافْهَمْ ما أقول فإنها	نتائجُ إخلاصٍ وعَقْلُكَ أبْصَرُ

[223]

من باب الأنوار الصفاتية والأدوار الفلكية والأسرار الملكية
من البسيط[4]

1	نور الصفات على الأعيان منتشر	وفيه للعارف النِّحْرِيرِ مُعْتَبَرُ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.45ب)، وفي المخطوط 1438 (و.116)، وترجم لها بقوله «وقال بلسان الموعظة الحسنة».

(2) هذا يذكر ببيت لابن دريد (تـ 321 هـ) من مقصورته في الحكم والأخلاق الكريمة: «وإنّما المرءُ حديثٌ بعدَه... فكنْ حديثًا حسنًا لمن وعى». وللشّيخ قصيدة ذكرها في الباب 560 من الفتوحات المكّيّة يقول في أحد أبياتها «إنما الناس حديث كلّهم... فلتكن خير حديث يسمعُ». ومعنى ذلك أنّه لا يبقى للإنسان بعد وفاته إلّا حسن الأحدوثة والذكر الحسن، فليحرص المرء على أن يعمل خيرًا حتى يذكر الناس سيرته الحسنة. ومثل هذا المعنى في سوء العاقبة وسوء الذكر قوله تعالى ﴿فأتبعنا بعضهم بعضًا وجعلناهم أحاديث﴾ (المؤمنون، 44).

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.46أ)، وفي المخطوط 1438 (و.116).

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 47ب).

2	كَحُزْنِ نُوحٍ وقد عَمَّتْ مُصيبَتُهُ	لَمَّا دَعَا وَدَعَا والفَيْصَلُ القَدَرُ[1]
3	جاء العِتابُ له من عند خالِقِهِ	أليس هُمْ بِعِبَادِي كُلُّهُمْ بَشَرُ
4	أدوارُ أفلاكِه بِحُكْمِهِ سَبَقَتْ	هِيَ القَضاءُ فلا تُبْقِي ولا تَذَرُ
5	في غَوْرِ أملاكِه بُعْدٌ لذي نَظَرٍ	القَلْبُ يَعْرِفُهُ والسَّمْعُ وَالبَصَرُ

[224]

يخاطب أبا العباس الرفاس العارف[2] بمدينة فاس

من الطويل[3]

1	أتتكَ أبا العباس خمسةُ أنجم	لها في سماء العارفين ظهور
2	فمنها وجود الخلق في الحق فاعتمد	عليه ولا يبدو لديك نفور
3	وإن وليَ اللّه نورُ نبيّه	وذا النّورُ للنّورِ الوَليّ كَفور
4	وأنت إذا حققتَ سرّك ظاهرًا	على الأصلِ والإملاك لستَ تَبُورُ
5	وحقّقْ بأنّ الوتر والشّفعَ واحدٌ	وأنّ إلهَ العالمين غَيورُ
6	فحافِظْ على سرّ الغيوب بعدلِهِ	فمهما يَكُنْ عَدْلٌ فأنت خبيرُ

(1) بعد البيت الثاني، ورد في ديوان المعارف الإلهيّة بيت لم يذكره في هذا المخطوط هو «دعا على قومه دون ابنه فلذا... عمّ البلاء فكاد القلب ينفطر».

(2) لم نقف على ترجمته، وقد جاء قبلها في المخطوط 1438، بيتان قالهما في أبي العباس الخضر. فما وجه العلاقة في جمع القطعتيْن؟ وهناك بعض أصحاب الشّيخ ممن يحمل هذه الكنية «أبو العباس» من أهل فاس، مثل أبي العباس الحصار أو الحريري، وأبي العباس الدهان.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.49أ) من ستة أبيات. وفي ديوان الزينبيّات (و.281)، والمخطوط 1438 (و.112)، والمخطوط 1539 (و.91) لم تورد البيت رقم (6). كما أنّ هذه المخطوطات لم تورد اسم أبي العباس الرفاس سوى هذا المخطوط المحقّق الذي كتب بعد وفاة الشّيخ بأقل من عاميْن، ممّا يعني أنّ ناسخ هذا المخطوط كان على علم باسم العارف الرفاس، ولعلّه سمع ذلك من الشّيخ مباشرة. والقطعة تتحدّث عن خمسة أنجم وعن الشفع والوتر، ولعلّ أبا العباس هذا سأل ابن العربي عن قضية أقلّ الجمع في العدد. ولعلّ مضمون هذه القطعة له علاقة بما أخبرنا به الشّيخ في الباب 131 عن مبشرة رأى فيها النّبيّ ﷺ، ورأى رجلا يسأله بمحضره عن أقلّ الجمع، فأجاب ابن العربي بأنّ أقلّ الجمع عند الفقهاء اثنان، وأقلّ الجمع عند النحاة ثلاثة. فقال النّبيّ مصحّحًا بأنّ الفريقيْن أخطأ، وأنّ العدد شفع ووتر، ثمّ أخرج خمسة دراهم ورمى بها على حصير، درهميْن في جهة، وثلاثة في جهة أخرى، ووضع يده على الدرهميْن وقال: أقلّ الجمع في عدد الشفع اثنان. ثمّ وضع يده على الثلاثة وقال: وأقلّ الجمع في عدد الوتر ثلاثة.

[225]

من الكامل:

1 الليلُ فيه مَهابة محسوسةٌ … للنَّفس لا تَـدْرِي بها الأسْـرارُ
2 إن النُّفوسَ أنيسةٌ بشبيهِها … فـإذا دَعَتْهَا بالكُوَى الأكْـوارُ
3 بَقِيَتْ بِأَرْضِ السَّاهرينَ فريدةً … فَتحكَّمتْ في ذاتِـها الأفْـكارُ
4 فاستَوْحَشَتْ وتصدَّعتْ أركانُها … حتى أَتَـتْ بنسيمِها الأسحارُ
5 وبـدا يُـغَـرِّدُ فـي ذُرَى أفنانِها … شُـحْـرورُهـا فَتُجيبُه الأطـيارُ
6 أَنِسَتْ فإنَّ الرَّكْبَ يقفل عنده … ويعود ذاك الشَّمْل والتَّذْكارُ
7 وتنصُّ أسرارُ البرازخِ في الضُّحى … وتـمـتَّـعُ الأسـمـاعُ والأبـصـارُ
8 لو كان أُنْسُ نُفوسِنَا بِوُجودِها … أَنِسَتْ إذا ما استَوْحَشَ الأغْيَارُ
9 وتنزَّلَ الفَلَكُ المحيطُ بِشَمْسِهِ … للغَرْبِ فَـاسْـوَدَّتْ له الأقطار
10 وبدت شموسُ الحَقِّ في أُفُقِ الحِجَا … وَتَشَعْشَعَتْ في ذاتـه الأنـوارُ
11 وأتى الجوابُ منَ المهيمنِ عندما … صَعِدَ السُّؤالُ له والاِسْتِغْفَارُ
12 فَنَواشِئُ اللَّيلِ البهيم شديدةٌ … وطْـأتُـهـا وَرَدَتْ بـذا الأخبار
13 وسعيدةٌ تحمي القلوبَ بها إذا … صَفَتِ المسَرَّةُ والكؤوسُ تُدَارُ
14 فيها العُروجُ إلى السَّماواتِ العُلا … فيها تَـلَـقَّـتْ عِلْمَها الأبْـرَارُ

[226]

من الرجز[1]:

1 يحكم كَـرُّ الـلَّـيْـلِ والـنَّـهَـارِ … على شُخُوصٍ مَزْجَةِ الأطوار[2]
2 مثل التُّرَابِ اليَابِسِ الثَّرْثَارِ[3] … والـمـاء والـهـواء ثُـمَّ الـنَّـار
3 بـالاسـتـحـالات وبـالـتَّـكـويـن … ويـتـنـاهـي مُـدَّةِ الأعْـمَـارِ

(1) سبقت في القصيدة رقم (135) باستثناء البيت الرّابع الذي لم يورده في هذا الموضع. وهي في العناصر الأربعة.

(2) يقصد بمزجة الأطوار امتزاج الطبائع الأربع: الرطوبة والحرارة والبرودة واليبوسة من العناصر الأربعة (ماء نار، هواء، تراب). يقول في الباب الثاني من الفتوحات المكّيّة « فاعلم أنّ الحرارة والرّطوبة هي الحياة الطبيعيّة فلو كان لها فلك كما لأخواتها في المزجة لانقضت دورة ذلك الفلك».

(3) تحوّلت «الثرثار» إلى «الثريار» في طبعة بولاق، وهو خطأ. بل المقصود أنّ الطّين يصوت ليبسه فكأنّه مثل الثرثار.

[227]

في كتاب كتبه إلى صاحبه عبد العزيز المهدوي[1] شيخ إفريقية بتونس

من المديد

1	جريانُ الشَّمْسِ في الكُوَرِ	عِبْرَةُ اللَّهِ لمعتَبِرِ
2	في فضاءٍ لا أنِيسَ به	غيرَ تُرْبِ الأرضِ والحَجَرِ
3	عَدَمُ التَّكْوينِ فيه فَلا	عينُ إحساسٍ ولا شجرٍ
4	يومُه من عامنا نصفُه	وكذا اللَّيلُ إلى السَّحَرِ
5	حكمةٌ أودعَها ربُّنا	في مَسِيرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ
6	هكذا عَيْنُ الزَّمانِ الذي	نورُه أبهى مِنَ القَمَرِ
7	صورةُ الحقِّ التي أوْجُهَا	فوقَ أوْجِ العِلْمِ بِالصُّوَرِ
8	حالُهُ في نَفْسِه حالُها	في تَعَرِّيهِ عنِ الغِيَرِ
9	مَا لَهُ مِنْ ربِّه غيرُهُ	في تَجَلِّيهِ مَدَى العُمُرِ
10	فَتَجَلٍّ دائمٌ لازمٌ	تارةً فيه وفي البشرِ
11	هو حُرٌّ مُعْتَقُ الذَّاتِ من	رِقِّ ما في النَّفْسِ من فِكَرِ
12	عنده لو كنتَ تعلَمُهُ	سِرُّ حُكْمِ اللَّهِ والقَدَرِ
13	هكذا الأَمْرُ وإلا فَلاَ	فَاطْلُبُوا العِلْمَ مِنَ الأَثَرِ

[228]

من الكامل[2]:

1	سرُّ الوجود يسير في مَوْرُور[3]	سَيْرَ الغزالةِ[4] في ظلام الصُّورِ

(1) أبو محمد عبد العزيز المهدوي (ت. 621 هـ) الذي التقاه أوّل مرّة في تونس سنة 590، ثمّ أقام عنده بعض الوقت سنة 598هـ، وأهدى له كتابه «رسالة روح القدس»، وكان يلقبه بالولي الحميم. وقد سبق ذكره في المجلّدة السابعة (القصيدة 186).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.53ب).

(3) مورور: بلدة تبعد حوالى ستين ميلًا عن إشبيلية إلى جهة الشرق، وهي بلدة صاحبه أبي محمد عبد اللّه ابن الأستاذ الموروري قطب التوكل في زمانه. وقد ترجم له في رسالة روح القدس (ص. 97) وذكره في الفتوحات في الباب 461: «لقد أطلعني اللّه تعالى على قطب المتوكّلين، فرأيت التوكّل يدور عليه كأنّه الرحى حين تدور على قطبها، وهو عبد اللّه بن الأستاذ الموروري من مدينة مورور ببلاد الأندلس. كان قطب التوكّل في زمانه، عاينته، وصحبته بفضل اللّه وكشفه لي. ولما اجتمعت به عرّفته بذلك فتبسّم وشكر اللّه تعالى».

(4) الغزالة: الشمس.

2	طلعَتْ بُدورُ الواصلينَ وأسرَعَتْ	لِلْـغَـرْبِ في كَـدٍّ وفـي تَشْمِيرِ
3	لما رَأَتْ أنَّ المشارقَ صَخْرَةٌ	صمّاءُ لا تَنْفَكُّ عن تسخيرِ
4	وَاْتِ ذُكَاءُ[1] تُوَدِّعينَ مُتَيَّمًا	يـومَ الـوقـوف بمغرب التعبيرِ
5	أودعتُـهـا مني تـحـيَّـةَ واقِـفٍ	باللّٰه لا بل عبدِه الـمـورورِي
6	وسـألـتـه إذ مـا أتـيـت مقامه	نَـادِ بـصـوتِ متـيَّمٍ مَصدورِ
7	رُدُّوا السَّلامَ عليه إنَّ فـؤادَه	نَشوانُ من خَمْرِ الهوى المقصورِ

[229]

من الطويل[2]:

1	أَحِـنُّ إلى مِصْرٍ ومن لي بقربها	وحُقَّ لمثلي أن يَحِنَّ إلى مِصْرِ
2	وليس لذاك النِّيلِ شوقي وإنه	لِعُنْصِرِهِ الأَحْلَى إلى مستوى الوِتْرِ
3	إلى سيِّدٍ حُلْوِ الشَّمائِلِ ماجِدٍ	سَلِيلِ المعالي طيِّبِ الفَرْعِ والنَّجْرِ
4	إلى القُرَشِيِّ الأَصْلِ والعَلَمِ الذي	أمَـدَّ سَنا نـورِ الغزالة والبدرِ[3]
5	سَمِيِّ النَّبيِّ الهاشمي محمَّدٍ	ووارثِه في السِّرِّ شرعًا وفي الجهرِ
6	تردَّى رداءَ العلم والحِلْمِ والتُّقَى	وجـرَّرَ أذيـالَ السِّيادَةِ والفَخْرِ
7	تبرَّجَ في صَدْرِ الدِّيانَة والوَفَا	وتُـوِّجَ إكليلَ الصِّيانة والـبِرِّ
8	لَوَ انَّ سَحَابَ المزْنِ يمنَعُ قَطْرَها	لأغْنَتْ سجايا راحَتَيْهِ عن القَطْرِ
9	يقول وقد رقَّتْ حواشيهِ واستوى	على عَرْشِهِ الأعلى فيُسْرى ولا يَسري

---

(1) ذُكاء: الشمس. كتبت الكلمة الأولى هكذا «واتت». والصيغة هنا للخطاب حيث يطلب الشيخ من الشمس أن تأت لتوديع ذاك المتيم.

(2) وردت في المخطوط 1438 (و.113)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.54أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا يخاطب أبا عبد اللّٰه القرشي المبتلى بالديار المصريّة».

(3) هو أبو عبد اللّٰه القرشي الذي كان يخدم الشَّيخ أبا الربيع الكفيف المالقي. وقد ذكرهما في الفتوحات المكّيّة في الباب 560. «أخبرني الثقة عندي عن الشَّيخ أبي الربيع الكفيف المالقي كان بمصر يخدمه أبو عبد اللّٰه القرشي المبتلى، فدخل عليه الشَّيخ وسمعه يقول في دعائه: اللّهمّ يا رب لا تفضح لنا سريرة، فصاح فيه الشَّيخ وقال له: اللّٰه يفضحك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبد اللّٰه، ولا أي شيء تظهر للّٰه بأمر وللناس بخلافه. اصدق مع اللّٰه عزّ وجل في جميع أحوالك ولا تضمر خلاف ما تظهر، فتاب إلى اللّٰه من ذلك ورجع».

10 سريتُ بسرّ السّرّ في فَلَك السّرّ — فأشرقَ سرُّ السّرّ سرًّا على سِرِّي

11 وأمطر سُحْبَ القُرْبِ وابِلُ حَبّه — وأَيْنَعَ نورُ الذّكْر في روضة الفِكْرِ

12 أتاني رسولُ الحقّ بالحقّ مُعْلِمًا — فأَسْرَجَ مِشكاةَ المعارف في صدري

13 وأظهر أمـرًا كان بالـمَحْل غائبًا — وصَيَّرَه روحًـا على ليْلَةِ القَدْرِ

14 ونَزّهَني بالكَشْفِ وَالبَهْتِ في العُلا — عن الموقف الأدنى لدى البعث والنَّشْرِ

15 وأظهرني في موقِفِ الحَقّ والسَّوَا[1] — ومَوْقِفِ لا تَطْرِفْ إلى النجم والبدر

16 هي الجهلُ فاعلم والحجابُ على الذي — تقرّرَ في صدر الإمام أبي بكر[2]

17 إذا شاهد الصدّيق سِرَّ وجوده — تنزّه عن فكر جليل وعـن ذكر

18 ومـن ذكـر الرحمن فـارق ربّـه — بلفظ من النظم البديع أو النثر

19 وبشّرتُ بالبشرى وصحّ ليَ الرّضا — وقد كنتُ من فرط العَماية في بحر

20 ونـاداني الحقُّ المبين بجوده — ألا فَـادَّرِعْ ثوبَ التّواضع والفقر

21 وسلّم لنا الأحوالَ وانْظُرْ وجودَها — من الـمَلَكِ الأعلى تَعِشْ طيّبَ الخُبر

22 ألا إنَّ مَنْ أدّى الأمانةَ صاعدًا — إلى جنّةِ الفردوس من حيثُ لا يدري

23 تبرّأَ مِنْ دَعْـوَاهُ بالحال جُمْلَةً — وجَـرَّدَ أثـوابَ الجَهالَةِ والنُّكْر

24 وعَـرِّفْ عبادي بالذي تستطيبه — وبشِّرْهمُ بالوصل في غُرّة الفجر

25 وخبِّرْهمُ أنّي على حَدِّ عِلْمِهِمْ[3] — فكلُّ امرئ منهمْ على نفسه يجري

26 يقول أنا الجاري بغيبي وشاهدي — على السُّنّة المثلى على المسلك الوعر

27 ولا يعرف الحقَّ المبين سوى الذي — يقول بإسقاط التَّمَيُّزِ في الأمر

28 فظاهره نـصُّ الكتاب وسِـرُّه — يجول بميدان الحقيقة والبِشْر

29 تبتّل ما دونـي إلـيَّ مضمنًا — فقد راضه جهد التلاوة للذكر

---

(1) موقف السَّواء: هو موقف الاستواء في الطريق إلى الحقّ. يقول في الباب 71 من الفتوحات المكّيّة «فاعلم أنّ الاستواء هو المسمّى في الطريق موقف السّواء، وهو الموقف الذي لا يتميّز فيه سيّد من عبد، ولا عبد من سيّد. فإن قلت فيه في تلك الحالة: سيّد، صدقت. وإن قلت فيه: عبد، صدقت لأنّ لك شاهد حال في كلّ قول يشهد لك بصدق ما تقول، فقل ما شئت فيه تَصْدُق». كما يطلق موقف السّواء عند المؤلّف على الموقف بين مقامين.

(2) هو الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ، ويضمن معنى قوله في البيت «العجز عن الإدراك إدراك»، ويشير أيضًا إلى موقف أبي بكر الصديق، أنّه ما رأى شيئًا إلا رأى اللّه قبله.

(3) يشير إلى معنى حديث «أنا عند ظنّ عبدي بي إن ظنّ بي خيرًا فله...»، فعبّر الشّيخ عن الظنّ بالعلم.

30 إذا كان عبدي هكذا كنت سمعَه — وإن لم يكن كان السّحاب على البدر
31 فالحقُّ في قوم أتوا متشابهًا — وزوجته معبوده ربّةُ الخِدر
32 وأعطيتُه عِينًا كواعبَ خرّدًا — يجُرّون أذيالَ البُرودِ على الدُّرّ
33 وأهل ودادي المصطفون بحضرتي — يجُرّونَ أذيال البها أيّما جَرّ
34 نعيمهمُ منّي إليَّ وبي ولي — وأنسهمُ نجوايَ في السّر والجهر
35 فلا قابَ قوسينِ هناك لواصلٍ — لنا منهم بل كلُّ وصلٍ على قدر
36 أولئكَ أهلُ اللّذاتِ لا صفةٌ لهم — سوى رسم عينٍ للحجاب وللسّتْر
37 أولئك أهلُ الأمن والأنس واللّقا — وأهلُ التّرَقّي من بُداةٍ إلى حَضْرِ
38 فإن كنتَ لي بي كنتَ أنت ولا تقل — أنا أنتَ بل قل يا إلهي لا أدري
39 فقلتُ له لمّا اقتربتُ مناجيًا — وخاطبني بالجمع في النّفع والضّرّ
40 لك الحمد إذ عرّفْتني بك سيّدي — فمِن سرّ سِرّ السّر سِرُّكَ لي سِرّي
41 فروحيَ من روح الإله ممدّة — فغيبك في غيبي وجهرك في جهري
42 فناجيته منه إليه بذلّةٍ — فأنزلني مني على سورة الفجر
43 أميرٌ زَكا شرعًا[1] ووترًا حقيقة — فأنهض بين الخلق بالشفع والوتر[2]
44 لك الحمد إذ قرّبتني منك سيّدي — ورفّعتني فوق الذراع مع الشّبر[3]
45 إذا كان شكري سيّدي منك نعمةً — لقد عجز العبد الفقير عن الشُّكر
46 ذكرتُك في سري وجهري بذكركمْ — على كلِّ أحوالي مدى مُدَّة الدّهر
47 إلى مثل هذا ينبغي رحلةُ الفتى — عسى دعوةٌ تنجيه في موقف الحشر
48 عسى ولعلّ الدهرَ يسمحُ لي بها — فأجعلَها ذُخْري إلى الواحد البَرّ
49 فلا زال في عيشٍ هنيٍّ وغِبْطةٍ — يدوم دوامَ الأمر في صَفْحَةِ الدَّهْر
50 وعن بَدْرٍ الحرّاني[4] صنَّفتُ مِدحةً — وناهيك من مَدْحٍ يُصنَّفُ عن بدر
51 فمن مثلُ بَدْرٍ في العدالة والتُّقى — ومَنْ مِثْلُهُ في الحَقّ والصّدق والبِرّ

---

(1) بدل «شفعا» كتبت «شرعا» في المخطوط 1438 (و.113)

(2) هذا البيت ساقط من ديوان الزينبيّات (و.283).

(3) يتحدّث عن حضرة القرب كما جاء في الحديث القدسي «... وإن تقرب إليّ شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب منّي ذراعًا تقرّبت منه باعًا...».

(4) هو صاحبه عبد اللّه بدر الحبشي، عتيقُ أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحراني.

52	تقيٌّ صَـدوقٌ طاهِرٌ متقشِّفٌ	له همّةٌ فوق السّماكَيْنِ والنّسْر
53	وعن غيرِهِ جاءت مَدائحُ سيِّدي	ولكنَّ قلبي لا يَحِنُّ إلى الغير
54	عليه سلام اللّه ما ذرَّ شارقٌ	بقلب وليٍّ صادق ماجدٍ حُرّ
55	سلامٌ كريم مِنْ عُبيدٍ بِودِّهِ	سلامٌ عَميمٌ طيِّبُ العَرْفِ والنَّشْر

[230]

من الطويل[1]:

1	سلامٌ كما هَبَّ النَّسيمُ مَعَ السَّحَرْ	على الواحِدِ[2] الوِتْرِ المُصَرِّفِ للقَدَرْ
2	أبي أَحْمَدٍ[3] شَمْسِ المعارفِ والعُلاَ	وسِرِّ التَّجلّي في الأَهِلَّةِ والقَمَرْ
3	أضاء به شَرْقُ الوجودِ وغَرْبُه	فَكُلُّ خَفيٍّ في الغيوب به ظَهَرْ[4]
4	يُجَلّي قلوبًا راضها الجهدُ والطَّوَى	وكم قد تساوى عندها الصَّفْوُ والكَدَرْ
5	فَجِئْنَ[5] كمرآةٍ جلَتْها عن الصَّدَا	يَدَا صَيْقَلٍ حتى تجلَّت لها الغُرَرْ
6	فلمَّا رَأَتْ أسرارَها مِنْ غُيُوبِهِ	تَمُرُّ عليها بالأصائلِ والبُكَرْ
7	تَيَقَّنَتِ الأسرارُ منه فلم تَزَلْ	تَهُبُّ لها ريحٌ على ظاهِرِ الصُّوَرْ

[231]

من البسيط[6]:

1	قلبٌ يَذُوبُ وَدَمْعٌ واكِفٌ جَارِ	على الإمام أبي بكرٍ ابنِ عَمّارِ
2	منَ الغريبِ الذي عَزَّتْ مَطالِبُهُ	الوَالِجِ الغَمَرات النّازحِ الدّار

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.55أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا ما كتب به إلى أبي أحمد بن سيدبون الأشي».

(2) يشير إلى لقب أبي أحمد ابن سيدبونة، بـ «الأوحدي».

(3) هو أبو أحمد جعفر ابن سيدبونة الخزاعي الأندلسي (524 ـ 624)، آخر من التقاهم ابن العربيّ من شيوخ الأندلس حين زاره في مرسية قبل مغادرته إلى المشرق. وقد حقّقتُ كتابه «الشهاب موعظة لأولي الألباب» سنة 2005. ويذكر في القصيدة بعض ما اختصّ به ابن سيدبونة في الطريق إلى اللّه.

(4) من كراماته المذكورة في الدّراسة التي أنجزناها عنه في مقدّمة التّحقيق.

(5) كلمة غير واضحة سواء في المخطوط المحقّق أو في ديوان المعارف الإلهيّة، والأرجح ما أثبتناه.

(6) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.55أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا فيما كتب به إلي أبي بكر بن عمّار الرّقام».

3 نفسي فِداءُ أبي بكرٍ وعِتْرَتِهِ ... شخصٌ أضاءت به الأنوار في النّار
4 ما زال يَفْتَضُّ أبكارًا له عُرُبًا ... يَوْمَ العَروبَة أسرارًا بأسرار[1]
5 نعم ويفتَحُ أبوابًا مُغَلَّقَةً ... ما حلَّها أحَدٌ في ملك أقطار
6 به نقول وفيه كان وهو له ... يعود من غير إيرادٍ وإصدارِ
7 لِلسّرِّ إنّيَ سِرٌّ عنده عَلَنٌ ... وسِرُّه ما اختفى في صاحب الغار
8 مَضاربُ النّحل في ألفاظه ولها ... حُلُوٌ مَعْنَى جَنَاهَا سِرُّ نُوّار
9 عذراءُ ما افْتَضَّها جِنٌّ ولا مَلَكٌ ... حجابها النُّورُ في جنّاتِ أنوار
10 يجري المقاتل في يومٍ فيبرزه ... كالشمس، صَحْوٍ بلا غيم وأمطار
11 الكيفُ والأينُ في أوصافِه عَدَمٌ ... والاسمُ والنَّعْتُ أغْيارٌ لأغيار
12 جلَّتْ محاسِنُه عن مِثْلِ مُوجِدِهَا ... عَيْنًا بعينٍ وآثارًا بآثار
13 اللّه أكرمَهُ ذاتًا وشرَّفَه ... نعتًا وأبرزه لِرَفْعِ أستار

[232]

من البسيط[2]:

1 تحيةٌ مثل عَرْفِ الرّوض في السَّحَر ... على الإمام العَلِيِّ الأوْحَدِ الخَضِرِ[3]
2 معلِّمِ العِلْمَ من جاء الكلامُ له ... مِنَ المهيمنِ في نارٍ وفي شَجَرِ

[233]

من الطويل[4]:

1 ولما غدونا أهلَ عِزٍّ ومَنْعَةٍ ... حقيقٌ علينا أن نحقّ ونشكرا

---

(1) يشير بهذه الاستعارات إلى أنَّ هذا الإمام كان يأتي بعلوم وأسرار لم تفتض من قبل في يوم العروبة وهو يوم الجمعة. وهذا قد يدلّ على أنّه كان إمامًا خطيبًا يخطب الناس في صلاة الجمعة فيأتي بهذه الدرر والنفائس التي يتحدّث عنها الشّيخ هنا.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.55ب)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا فيما كتب به إلى الخضر مع بعض من يلتقي به». ورد البيتان أيضًا في كتاب الكتب (ص.380) من رسالة كتب بها إلى أحد أصحابه الذين يلتقون بالخضر، وهو الدقاق.

(3) هو أبو العباس أحمد الخضر الرجل الصالح الذي التقاه موسى كليم اللّه عليه السلام كما يشير إلى ذلك في البيت رقم (2).

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.56أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا معرّضًا ومحرّضًا». ولم يذكر فيمن قالت.

	نزلنا على عبد العزيزِ بتونسٍ[1]	إمـامٍ يرى قـوتَ النُّفوس مُقتّرا
2	شُخَيْصٌ عَليمٌ عـارف مُتَحَقّقٌ	أبَـرَّ بـأيـمـانٍ وأَوْفَـى وَأَصْـبَـرا
3	فما زال مُذْ جِئْنَاهُ يَمْشِي مُحَكَّمًا	وَيُظْـهِـرُ إكـرامًـا وبِـرًّا مُـوَفَّـرَا
4	فَمِنْ بِـرِّهِ أَنْ كانَ يَبْذُلُ نَفْسَه	ودِرْهَـمَـه جـودًا ولـكـنَّـه يرى
5	له الفضلُ إذ كان الغنيَّ بربِّهِ	ومن كان مخلوقًا صغيرًا محقَّرا
6	فلو لم يرى هذا لما قلتُ إنَّ ذا	هو الفضلُ إلا أنَّـه كـان أبْـتَـرا
7	ومـن كـان ذا علم يشاهِدُ ربَّـهُ	يـرى الـرِّزْقَ إلا كائنًا ومُـقَـدَّرًا
8	ولكنَّه الإنسانُ أُنْشِئَ واسطًا	إذا جانبًا وَفَـاه يُنْقِصُ آخَـرَا
9		

[234]

من السريع[2]:

1	ولـيـلـةٍ تـغـار أمُّ الـعـمرِ	بتـنـا بـهـا فـي غـبـطـة وخـيـرِ
2	نـنظم شـمـلا بـالـولـي الـحـرّ	الصادق الـبَـرِّ الكريم النَّجْرِ
3	طعامنا الـمـاء وقُـلُّ الـتَّـمْـرِ	وقـد أتـى الـلّـه بـكـلِّ يُـسْـرِ
4	مـن بعد ضيقٍ وقليلِ عُسرِ	فـي مسلكٍ مُـضـيَّـقٍ ووَعْـرِ
5	بـيـن حـجـاراتٍ وبـيـن صخر	مـحـدّداتٍ كالسيوف تفري
6	والليل بالغمام مُرخي السّتْرِ	حتى بـدا للعين نـورُ الفجرِ
7	قُمْنَا وَصَلَّيْنَا ابتغاءَ الأَجْـرِ	خُـبْـزًا مِـنَ الشَّعير مثلَ البُرّ
8	فُـتُّ بسمنٍ أصـفـرٍ كالتِّبْرِ	سرنا بـه عند اشـتـداد الـحَـرّ
9	تحت ظلال السَّلَمَات[3] الخُضْرِ	فـي جنبات الهضبات الغُبْرِ
10	حتى إذا حانتْ صلاةُ الظُّهْرِ	قمنا جَمَعْنَا بينها والعَصْرِ

(1) يصرِّح الشَّيخ باسم من قيلت فيه القصيدة وهو صاحبه الشَّيخ عبد العزيز المهدوي من تونس.

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.59أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا يرتجز في طريقه يصف حالة فيها». وقد برع الشَّيخ في وصف رحلته هاته التي كانت في الجزيرة العربيَّة وغالبًا في موسم الحجّ، وصوَّر لنا حالته النفسيَّة من الأعراب الذين يجوسون في الصحراء يَسْبُونَ المسافرين، لكنَّ الفرج أتاهم من البشير.

(3) شجر السَّلَم: (Acacia) شجر شوكي ينتشر في المناطق الصحراويَّة في شمال إفريقيا وشرقها، والجزيرة العربيَّة.

11	ورحَـلَـتْ أجْـمالـنـا للسَّفر	فهي تسري في سراب القَفْرِ
12	سَيْرُ الجواري مَخَرَتْ في البحر	ونـحـن مـن طريقنا فـي ذُعْـرِ
13	من أجْـلِ أعْـرَابٍ غِـلاظٍ غُمْرِ	يَـسْـبُـونَ كـلَّ حُـرَّةٍ وحُـرِّ
14	جـاء الـبَـشِـيرُ بـأمـانٍ يجري	وأنَّ أهـلَ مـكـةٍ فـي وَفْـرِ
15	مستبشرين بـرخـاء السِّعْرِ	والـشُّـكـرُ مِـنّـي للرَّحيم البَرِّ
16	الواهبِ المحسانِ أهل الشُّكْرِ	ما دام في الأمـلاك نـورُ الذِّكْرِ
17	ودام في الأفـلاك نجمٌ يسري	ودام في الأمـواجِ فُلْكٌ يجري
18	ودام حُـبُّ سيِّدي في صدري	المصطفى المنصورِ يَـوْمَ بَـدْرِ
19	فـهُـوَ ذُخـري وهْـوَ خـيرُ ذُخْـرِ	لـيـوم حـشـري ولـيـوم فقري

[235]

من الطويل[1]:

1	بنفسيَ أحبابٌ تواصوا بكلِّ ما	تواصى به أهلُ الحقيقَةِ والسَّبْرِ
2	تَوَاصَوْا بذكر اللّـه في كُلِّ لَحْظَةٍ	وأَفْنَاهُمُ المذكورُ عن حَضْرَةِ الذِّكْرِ
3	فَكَما فَنَوْا عن كُلِّ ما هُوَ كائنٌ	ولم يَأْنَسُوا شيئًا سوى ليلةِ القَدْرِ[2]
4	تبدَّلَ جَمْعُ القَوْمِ وِتْـرًا مُقَدَّسًا	فصار خِطابُ الوتر يأتي إلى الوترِ[3]

[236]

من البسيط[4]:

1	إذا رأيـتَ حكيمًا لا تُجَالِسُهُ	خـلافَ حِكْمَتِه جِنٌّ ولا بشر

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.61أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في باب ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾».

(2) هناك رواية مختلفة لآخر البيت «سوى الواحد البر» بدل «سوى ليلة القدر» في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 61أ).

(3) هناك رواية مختلفة قليلا للشطر الثاني في ديوان المعارف الإلهيّة «فصار خطاب الوتر يسري على الوتر».

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في باب من أشبه عينه» (و.63ب).

2	فَهْو الحكيمُ الذي في نفسِه فَلَكٌ	الشَّمْسُ تَسْبَح في مجراه والقمر
3	فكن له خادمًا تحظى بخدمَتِهِ	حتى تَدينَ لك الآياتُ والسُّوَرْ

[237]

من البسيط[1]:

1	العلمُ عينُ حجابِ القَلْبِ لَوْ عَقَلاَ	على مشاهدة المعلوم في الصُّوَرِ
2	إلا إذا لم يُقَيِّدْهُ بمعرِفَةٍ	فأنت في أبْعَدِ الغايات والسُّور
3	إنَّ العقولَ لها حَدٌّ وغايتُها	سَلْبُ النَّقائض والأوقات والصُّوَر
4	فَطَهِّرِ القلبَ لا تتركْ به دَنَسًا	من عِلْمِ فِكْرِكَ بالأعلام والسُّور
5	فإنَّهُ قَوْلُهُ عن نفسه فإذا	ما قلتَهُ كنتَهُ فاحْذَرْ منَ الغِيَرِ

[238]

من الطويل[2]:

1	تذكَّرت أيامَ السياحة والفقر	وساعات عِزِّ الفَقْرِ بالبلد القَفْرِ
2	وأوقاتَ ذكري وانقطاعي ووحدتي	وأُنْسي بربِّي وانقلابي معَ الدَّهر
3	وتيسير أسبابي وتعسيرها وما	منحنا من التسليم في العسر واليسر

[239]

من البسيط[3]:

1	الحالُ دائِمَةٌ وَالحَالُ زَائِلَةٌ	ضِدّانِ فيها فلا تُبْقِي وَلا تَذَرُ
2	لو لم تَدُمْ لم يَقُمْ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ	بنا ولو لم يزل لم ندر ما الحَذَرُ

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.63ب)، وترجم لها بقوله «وقال في قول القائل: العلم حجاب». كما وردت في المخطوط 1438 (و.115)، وديوان الزينبيّات (و.283).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في باب السياحة والأذكار والأحوال» (و.64أ). كما وردت في ديوان الزينبيّات (و.281).

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 64أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في الحال». كما وردت في ديوان الزينبيّات (و.282).

3 أوّاهُ مِنْ حَالَتَيْنِ لم يزل أبدًا	يُقيمِها مِنْ وُجودي السَّمْعُ وَالبَصَرُ
4 فَدَائِمُ الحَالِ فيه الشَّمْسُ فاعتبروا	وزائِلُ الحَالِ في تَصْرِيفِهِ القَمَرُ

[240]

من مجزوء الخفيف[1]:

1 إن شـغـلـي وهـمّـتـي	شـغـلانـي كـمـا تـرى
2 أنـا فـردٌ مـقـيَّـدٌ	لانـفـرادي تَـفَـرُّدا
3 إنَّ قـلـبـي مُـهـيَّـمُ	بـوجـوديَ ومـا درى
4 إنَّـهُ هَـائِـمٌ بِـهِ	لَـيْـتَـهُ جُـنَّ لَـوْ دَرَى
5 لـم يـكـن طـالـبًـا سـوى	ذاتِـهِ تَـارِكُ الـوَرَى

[241]

من البسيط[2]:

1 إنَّ المقادير تجري غير قاصدة	وتنتهي بي إلى حدٍّ ومِقْدار
2 فلا وجودَ لها إلا بحضرَتِنا	ولا وجودَ لنا إلا بأقدار

[242]

من البسيط[3]:

1 النُّورُ في عَضُدِي والنَّار في كَبِدِي	كيف السَّلامة بين النَّارِ والنُّور
2 فالنَّارُ تُحْرِقُنِي والنُّورُ يَمْحَقُنِي	وليس لي مَلْجَأً أحْمَى مِنَ الطُّورِ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.66أ)، وفي المخطوط 1438 (و.114).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.66أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في باب الدور ولا يفضي إلى محال». وهو يتكلّم هنا عن علم الدّور وارتباط الأشياء بالعلل والأسباب، وكلّ أمر دوري يقبل كلّ جزء منه الأوليّة والآخريّة والوسطيّة، لكن لها حد تقف عنده. فاللّيل والنهار قد يبدو أنّهما يتكرّران، لكن على الحقيقة يتجددان، ولهذا سمّيا بالجديدين، مصداقًا لقوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾، وشؤون الوجود شؤونه.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.66أ)، وترجم لها بقوله «في باب المقام الموسوي والورث السرياني».

[243]

من الطويل[1]:

1 وهٰذي إشارات القلوب[2] مُخَبَّرَة وأسـرارُ أسـرارِ القديمِ مُـنَـوَّرَة

2 أتينا بها في صفحة الطُّورِ[3] دُرَّةً معطَّلةَ الأجيـاد غير مصوَّرَة

[244]

من الكامل[4]:

1 اللّٰه أكـبَـرُ والـمـقـامُ كبيرُ[5] والـحَـقُّ حـقٌّ والـخـلائِـقُ زُورُ

2 زُوِيَتْ لهم أرض المشاهد في السُّرَى فالسَّاريات بهم إليـه تَسِيرُ

3 ليت الفؤادَ يرى الركائبَ حاديًا من حيث تُرجَى نفحةٌ ونشورُ

[245]

من البسيط[6]:

1 إن الرعاة رعاة الشمس والقمر[7] لا يعرفون سوى الأوقـاتِ بالنظر

2 ولست أرعاهما إلا لأشهد من قال الشهود له في الشمس والقمر

3 فما تقيُّده في صـورةٍ ظَـهَـرَتْ إلا تَحَوَّلَ في الأخـرى بلا غِيَرِ

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في باب الإشارة والترجمة» (و.66ب). كما وردت في المخطوط 1438 (و.117).

(2) في المخطوطات الأخرى «الغيوب» بدل «القلوب».

(3) سقطت كلمة «الطور» من الشطر، ويختل المعنى الوزن لذلك، وقد أثبتناها من المخطوط 1438.

(4) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا في باب الكبرياء من غير مفاضلة» (و.67أ). كما وردت في المخطوط 1438 (و.117).

(5) إنَّ قول «اللّٰه أكبر» لا تعني أنَّه أكبر ممَّا سواه، لأنَّه ليس معه غيره حتى تتوهم المفاضلة. (انظر ما كتبناه في هامش القصيدة 51).

(6) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.69أ)، والمخطوط رقم 1438 (و.125).

(7) القصيدة رقم (248) في المجلَّدة السَّابعة التي حققناها لها الشَّطر الأوَّل نفسه. والرعاة على الحقيقة هم نواب الحقّ الذين استرعاهم عباده. وقد تحدَّث عن «راعي النجم» و«ساهر البرق» وشرحهما في ترجمان الأشواق في قصيدة «حملن على اليعملات الخدورا... وأودعن فيها الدمة والبدورا» (ص.66).

4 هو العليُّ فما تُدرى حقيقته وَهْوَ المحيط بما في الكون من صُوَرِ
5 علمًا وذاتًا وهذا ليس يدركه إلا الذي يشهد الأعيانَ بالبصر
6 وليس يُدْرِكُ فِكْرٌ ما نَطَقَتْ به لكنه مُدْرَكٌ بالوَهْمِ والفِطَرِ
7 هذا الذي قُلْتُه اللّهُ جاءَ به في مُحْكَمِ الذِّكْرِ في الآياتِ والسُّوَرِ
8 أحالَ عَقْلِيَ ما القرآنُ يَشْهَدُ لي به وما قالتِ الأَرْسَالُ في الخَبَرِ
9 قد وافقَ الكَشْفُ شَرْعِي في السَّعادَةِ لي يا خَيْبَةَ العَقْلِ بالتَّقليد للنَّظَرِ
10 إنَّ الإلهَ تعالى أن يُحِيطَ به عِلْمًا وتَحْصُره أدلَّةُ الفِكَرِ
11 فليس تدرِكُ أبصارٌ حقيقَتَه بل بالوجود كما قد جاء في الأثر
12 بالوجه أُدْرِكُ ذاتًا ليس يشبِهُهَا شيءٌ سوى المدركِ العالي على خطر
13 إني لأشهَدُ بالأبصار من عَظُمَتْ فينا مشاهدةٌ عن رؤية البصر
14 ولستُ أُدرِكُ شيئًا غيرَ صورَته في كلِّ حالٍ وفي بَدْوٍ وَفي حَضَرِ
15 مع التَّعالي عن التَّحْديد أُدْرِكُهُ وليس يدركه شيءٌ سوى البَشَر
16 حاز الكمالَ بما يحويه مِنْ صُوَرٍ وهْوَ الكبير بما فيه مِنَ الصِّغَرِ
17 وإن تولَّدَ عن رُكْنٍ وَعَنْ فَلَكٍ فإنَّ صورَته تسمو على الصُّوَرِ

[246]

من البسيط[1]:

1 إن الوجود بما فيه من الصُّوَرِ هو المنزَّهُ عمَّا فيه من صور
2 فليس يُسبِلُ سِترًا دون أعيُنِنَا مَنْ كان يُسبِلُه إلا على صور
3 وما ترى العينُ شيئًا غيرَ صورَتِها لكنَّها صورٌ تعلو على صور
4 وما تغيَّرَ عينٌ عن حقيقَتِه بِحُكْمِ أَعْيَانِ ما تأتيه من صور
5 مع اختلافٍ وأضدادٍ وأمثِلَةٍ تبدو لِعَقْلِكَ في عَيْنٍ بلا صور
6 الأمرُ أنْزَهُ ذاتًا أن يقومَ به شيءٌ سواه وما ينفَكُّ من صور

(1) قصيدة عجيبة استعمل في قافيتها الكلمة نفسها بمعان مختلفة إلّا في البيت (9). وقد وردت مضطربة في المخطوط حيث تم تكرار بعض الأبيات، لكنّنا صححناها من المخطوطات الأخرى مثل ديوان المعارف الإلهيّة (و.69ب)، وديوان الزينبيّات (و.293)، والمخطوط رقم 1438 (و.126).

4 هو العليُّ فما تُدرى حقيقته وَهْوَ المحيط بما في الكون من صُوَرِ

5 علمًا وذاتًا وهذا ليس يدركه إلا الذي يشهد الأعيانَ بالبصر

6 وليس يُدْرِكُ فِكْرٌ ما نَطَقْتُ به لكنه مُدْرَكٌ بالوَهْمِ والفِطَرِ

7 هذا الذي قُلْتُه اللّهُ جاءَ به في مُحْكَمِ الذِّكْرِ في الآياتِ والسُّوَرِ

8 أحالَ عَقْلِيَ ما القرآنُ يَشْهَدُ لي به وما قالتِ الأَرْسَالُ في الخَبَرِ

9 قد وافقَ الكَشْفُ شَرْعِي في السَّعادَةِ لي يا خَيْبَةَ العَقْلِ بالتَّقليد للنَّظَرِ

10 إنَّ الإلهَ تعالى أن يُحِيطَ به عِلْمًا وتَحْصُره أدلَّةُ الفِكَرِ

11 فليس تدرِكُ أبصارٌ حقيقَتَه بل بالوجود كما قد جاء في الأثر

12 بالوجه أُدْرِكُ ذاتًا ليس يشبِهُهَا شيءٌ سوى المدركِ العالي على خطر

13 إني لأشهَدُ بالأبصار من عَظُمَتْ فينا مشاهدةٌ عن رؤية البصر

14 ولستُ أُدرِكُ شيئًا غيرَ صورَتِه في كلِّ حالٍ وفي بَدْوٍ وَفي حَضَرِ

15 مع التَّعالي عن التَّحْديد أُدْرِكُهُ وليس يدركه شيءٌ سوى البَشَرِ

16 حاز الكمالَ بما يحويه مِنْ صُوَرٍ وهْوَ الكبير بما فيه مِنَ الصِّغَرِ

17 وإن تولَّدَ عن رُكْنٍ وَعَنْ فَلَكٍ فإنَّ صورَته تسمو على الصُّوَرِ

[246]

من البسيط[1]:

1 إن الوجود بما فيه من الصُّوَرِ هو المنزَّهُ عمَّا فيه من صور

2 فليس يُسبِلُ سِترًا دون أعيُنِنَا مَنْ كان يُسبِلُه إلا على صور

3 وما ترى العينُ شيئًا غيرَ صورَتِها لكنَّها صورٌ تعلو على صور

4 وما تغيَّرَ عينٌ عن حقيقَتِهِ بِحُكْمِ أَعْيَانِ ما تأتيه من صور

5 مع اختلافٍ وأضدادٍ وأمثِلَةٍ تبدو لِعَقْلِكَ في عَيْنٍ بلا صور

6 الأمرُ أنْزَهُ ذاتًا أن يقومَ به شيءٌ سواه وما ينفَكُّ من صور

(1) قصيدة عجيبة استعمل في قافيتها الكلمة نفسها بمعان مختلفة إلّا في البيت (9). وقد وردت مضطربة في المخطوط حيث تم تكرار بعض الأبيات، لكنّنا صححناها من المخطوطات الأخرى مثل ديوان المعارف الإلهيّة (و.69ب)، وديوان الزينبيّات (و.293)، والمخطوط رقم 1438 (و.126).

7 تناقضَ الحكمُ فيه فهو لا عَدمٌ ولا وجـودٌ ولا عَـيْـنٌ بـلا صور
8 وليس يَعْبُدُ شَخْصٌ في تخيُّلِه ولا تعقُّلِه شيئًا سوى الصُّور
9 هي الوجودُ فلا تُحصى مراتِبُها كما تـقـرَّرَ في الآيـات والسُّور
10 وليس يحكُم فينا غيرُ خالِقِنا ولا ترى حاكمًا شيئًا سوى الصور
11 إذا أراد بـأمـر أن يُـكـوِّنَـهُ يأتي إليه به ما شاء من صور
12 ألا تـراه وقـد جـاء الكتابُ به بالماء يُحْيِي الذي يُحْيِي من الصور
13 أليس مـاؤُكَ يا هذا إذا نظرَتْ عيناكَ صورَتَه من سائر الصور
14 وليس أُدركُ شيئًا لستُ أعرِفُه ولستُ أبْصِرُ من ذاتٍ سوى الصور

[247]

من البسيط[1]:

1 رأيتُ جاريةً في النوم ليس لها[2] فيما أراه على ما يقتضي نظري
2 أختٌ تعادلها في حُسْنِ صورَتِها تركيةَ الجنس يَغْشَى نورُها بصري
3 نَكحتُ فَرْجًا لها عن رؤيةٍ وَأَتَتْ نحوي لأقضيَ في ضمِّي لها وَطَرِي
4 وعَمَّتِ اللّذَّةُ الأعضاءَ أجمعَها ولم أجدْ عندما استيقظتُ من أثرِ[3]
5 فقلت لا بُدَّ من خيرٍ ومن فَرَجٍ يأتي القضاء به يمشي على قدر
6 أوَّلْـتُ رؤيـة فَـرْجٍ أن أرى فَرَجًا يزيل عنّي لباسَ البُؤْس والضَّرَرِ
7 فلم أرى رؤيـة مُثْلَى أُسَـرُّ بها كمثلِها رؤيـةً في سالف العُمُرِ
8 جعلتها رؤيـةً ومـا أتيـتُ بها رُؤْيا لما يلحق الرؤيا من الخَطَرِ
9 إن الجمالَ له قهرُ النُّفوسِ فما ينفكُّ نفسٌ بحكمِ الوهمِ من غِيَرِ
10 له على الرُّتْبَةِ العَلْيَاءِ سَلْطَنَةٌ فيلحق الحقَّ بالتَّصوير بالبشر
11 وأيـن منزلةُ التنزيه من صوَرٍ أبى عليه ولم يعدل عن الصور

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.69ب).
(2) هناك قصيدة أخرى لها مطلع مشابه «رأيت جارية في النوم عاطلة» ستأتي بعد هذا (القصيدة 264).
(3) من أثر للإنزال. في هذه القصيدة جرأة شعريّة واضحة لكنَّ الشّيخ يقصد من ذلك أنَّ إتيان المرأة في القُبُل دليل على الرضا والقبول ومقرون بالفَرَج كما يوضح ذلك في البيت رقم (5) و (6).

12 لو شاء تغييرَ أَمْـرٍ عن حقيقَتِهِ — لما وقفنا به فانهض على أثري
13 فَـمَـنْ حقيقَتُه تبدو بصورَتِنا — لا بُـدَّ نُـدْرِكُـهُ بـرؤيَـةِ البَصَرِ

[248]

من روح سورة النساء

من البسيط[1]:

1 يا أيها الناس خافوا اللّه واعتمدوا — عليه في كل حـالٍ إنَّكمْ صُبُرُ
2 ولا يـزال وجـودُ الحقّ عينَكُمُ — في هذه الدّارِ حتى يَنْقَضِي العُمُرُ
3 إذا نُقِلتُمْ إلى الأخرى فإنَّ لَكُمْ — فيها شؤونًا يراها مَـنْ لَـهُ نَظَرُ
4 هناك والمؤمنونَ العالمونَ هنا — يـرونـهـا بِـعـيـونٍ مـا لها بَصَرُ
5 فيها الكمالُ الذي بالنَّشْءِ نَطْلُبُهُ — فيها المنافِعُ ما فيها لنا ضَرَرُ
6 قد خُصَّ بالضُّرِّ أقوامٌ ذَوُو عَمَهٍ[2] — في دار خِزْيٍ لهم فيها بما كفروا
7 جاءت سعادَتُهُمْ تمشي على قَدَمٍ — فيما ابتلاهم به لو أنهم صبروا
8 أعماهمُ اللّه عن أَمْـرٍ له خُلِقوا — حتى يكونَ الذي يأتي به القدر
9 أشقاهُمُ اللّه في أَشْيَا تَسُرُّهُمُ — قد رُتِّبَتْ لهمُ فيها وما شَعُروا
10 لو أنهم صبروا ما كان حالهمُ — إلا السَّعادةُ والإسعادُ والظَّفَرُ

[249]

من السريع[3]:

1 الحُكْمُ حُكْمُ الجَبْرِ والاضْطِرارْ — ما ثَـمَّ حُكْمٌ يقتضي الاختيارْ
2 إلا الـذي يـعـزى إلـيـنـا ففي — ظـاهـره بـأنَّـهُ عـن خِـيَـارْ
3 كمثلما يـعـزى إلـى خالقي — وعرشنا عن عرشه في ازْوِرَارْ
4 لـو فـكَّـرَ الـنَّـاظِـرُ فـيـه رأى — بـأنَّـه الـمـخـتـارُ عـن اضـطـرار
5 لـلـكـلِّ هـذا ثـابـت لا تقل — بـأنَّـهُ خـاصٌّ بـه مُـسْـتَـعَـارْ

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص. 137).

(2) العمه: انطماس البصيرة، أمّا العمى فانطماس البصر.

(3) وردت في طبعة بولاق (ص. 217).

	فـالـعـلـم مـا يـتـبـع مـعـلـومَـه	فالحكمُ للسّاكنِ مثلُ الدِّيار
6	لا تَـغْـتِـبِ الـعـالـمَ فـي كُـلِّ مـا	يكون فيه مـن غِـنًـى أو يسار
7	ولا الـــذي أوجـــده أنّـــه	يحكم بالعلم فـأيـن الـفـرار
8	جِـزْتُ وحَـارَ الأَمْـرُ في حَيْرَتي	فَـلْـيَـلْـزَمِ الـعـالِـمُ دارَ الـقَـرَارْ
9	ولـيـرتـضـي بـمـا لـه لا يَـزِدْ	عـلـى رِضـاه إنّـــه فـي تَـبَـارْ
10	لا يعلم الـحَـقَّ سـوى واحـدٍ	يقضي على الحكّام بالاِضطرار
11	ألا تـرى القاضيَ فـي حكمه	بمقتضى الشَّرْعِ فأين الخِيَارْ
12	مـا أَقْـلَـقَ الـعـالِـمَ إلا الـذي	قـام بـه مـن حكمة الانـتـظـار
13	هــذا هـو الفصل الــذي بينه	وبـيـن مـن يـفـعـل بـالاِقـتـدار
14		

[250]

من الطويل[1]:

1	تـولَّـدَ مـا بين الطبيعةِ والأمـر	وجودٌ يُسَمَّى عالمَ الخَلْقِ والأَمْرِ
2	أَهِيمُ به دَهْـرِي لِصُورَةِ خالِقِي	ولولا وُجُودُ الدَّهْر لم أَفْنَ في الدَّهر
3	أَذُوبُ وَأَفْـنَـى رِقَّـةً وصَبابةً	إذا ما ذَكرتُ اللّـهَ في السِّرِّ والجَهْرِ
4	وفي صورةِ الأكوانِ أَبْصَرْتُ صاحبي	لذا كَثُرَتْ أَسْمَاءُ حُبِّيَ في شِعري
5	فإن قلتُ شعرًا في شُخَيْصٍ معيَّنٍ	فما هو إلا ما تَضَمَّنَهُ صدري
6	هو الحقُّ لكن قَيَّدَتْهُ حقائقٌ	تقوم به من عقل أو حسٍّ أو فِكْرِ
7	يناجيه في سِرِّ ضميري وشاهدي	بأسمائه في الشَّفع كان أو الوتر

[251]

وقال أيضًا

من البسيط[2]:

1	إذا تجلَّيتَ لي أُنثى أهيم بها	ولو تجلَّيتَ لي في أقبح الصُّوَرِ

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.237).

(2) وردت في طبعة بولاق (ص.240).

2 لعاد قُبْحُ[1] الذي جعلتْ مظهَرَكم ... عنديَ وفي نظري من أحسن الصُّور

3 تبارك اللّه في مجلاه تعرفه ... ولـو جهلناه كنا منه في ضرر

4 هو المشاهد في ذاتٍ وفي صفةٍ ... في عالم الأمرِ والأفلاك والبشر

5 بـه أراه وأُصـغـي عند دعوته ... لأنـه عين سمع الأذن والبصر

6 وعالِمُ الرَّسْم لا يـدري مقالتَنا ... ولـو يقول بها لكان فـي غَـرَرِ

7 وكلُّ صاحبِ عَقْدٍ في الذي عَلِمَتْ ... ألْـبـابُـنـا أنَّــه فيه على خَـطَرِ

8 تـراه يسبح في بحرٍ وليس له ... سِيفٌ يؤَمِّلُهُ إن كان ذا حَذَرِ[2]

9 فاثْبُتْ على ما يقول الشَّرْعُ فيه ولا ... تَعْدِلْ عن النَّظَرِ العقلِيِّ والخَبَرِ

10 وَلْتَنْفرِدْ بالذي أُشْهِدْتَهُ فإذا ... مشيتَ في الناسِ لا تعدِلْ عن الأثَرِ

[252]

من الكامل[3]:

1 إنَّ الإلــهَ له تَجَلٍّ في الصُّورْ ... عند الشُّهودِ لمن تحقَّقَ بالنَّظَرْ

2 بـتـحـوُّلٍ وتـبـدُّلٍ تقضي به ... عينُ الشهود لنا وينفيه النَّظَرْ

3 الفكرُ فيه محـرَّم فـي شرعِنا ... فاحذَرْهُ والْزَمْ إن تقدَّمْتَ، النُّظَرْ

4 إنِّـي مع الرَّحمن إن حقَّقْتَ ما ... جئنا به عند التَّحَقُّقِ في نَظَرْ

5 أيـنَ العزيزُ ومَـنْ له من نَفْسِهِ ... صِفَةُ الغِنَى مِمَّن يَـذِلُّ ويَفتقِرْ

[253]

من البسيط[4]:

1 العينُ واحـدة والأمـر واحدة[5] ... والكُثْرُ ما قام إلا بالذي أُمِـرا

(1) في طبعة صادر (1999) من الدِّيوان، تحوَّلت هذه الكلمة من «قبح» إلى «قُبْج»، وكتب في الهامش يشرحها بهذا العلم الغريب: «القبج: الحجل، وهو جنس طيور تصاد...». فَوَا عجبًا من هذا الأمر مع أنَّ سياق البيت مع الذي قبله يتحدَّث عن التَّجلِّيات التي قد تبدو قبيحة ومنكرة. هذه فقط عينة من نوعيَّة ما يصدر من هنات وأخطاء في حقِّ أمهات كتب التراث، أتينا بها هنا تظرفًا وأسىً، ولعلَّ الحَجَل المسكين يتساءل عن سبب إدراجه في قضية هو منها براء.

(2) سِيفُ البحر: ساحله وجُدَّتُه.

(3) وردت في طبعة بولاق (ص.254).

(4) وردت في طبعة بولاق (ص.255).

(5) يشير إلى قوله تعالى ﴿وما أمرُنا إلا واحدةٌ كَلَمْحٍ بالبصر﴾ (القمر، 50).

2	والواحد الحقُّ قد قامت به نِسَبٌ	فصار مَنْ قِيلَ فردٌ فِيهِ قَدْ كَثُرا
3	لَمَّا تعدَّدَتِ الأسماء قِيلَ لنا	إنَّ التَّوَحُّدَ والتَّكثيرَ قد شُهِرا
4	وهـذه نِسَبٌ ولا وجـودَ لها	والحُكْمُ ليس لمعدومٍ وقد ظَهَرا

[254]

من مخلع البسيط[1]:

1	ما قَدَّرَ اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهْ	إلا الـذي كان عيـنَ أمْـرِهْ
2	وكـان حـقًّا بـلا خـلافٍ	فـي بطنـه دائـمًا وظَـهْـرِهْ
3	وكـان عيـنَ الـكلامِ منه	بِسِـرِّهِ كان أو بِجَـهْـرِهْ
4	فَهْوَ الإمـامُ الـذي يُرَجَّى	ومـا يُرَجِّيـهِ غيـرُ سِتْره
5	أخْـرَهُ حكـمـةً وعِلْـمًا	بـأنـه عـارفٌ بـقـدرِهِ

[255]

من البسيط:

1	روحٌ يُذكِّرُ والأنثى طبيعَتُهُ	فَكُلُّ عينٍ فَمِنْ أُنْثَى ومِنْ ذَكَرِ
2	هَذِي فِراشٌ وذا سَقْفٌ يُظَلِّلُه	والأمْـرُ بينَهما يجري على قَدَرِ
3	للَّـهِ حُكْمُ اقْتِـدَارٍ لا يُزايِلُهُ	كما القَبول لنا فاسْلُكْ على أثري
4	والكَوْنُ عن أَصْلِ شَفْعٍ لا وُجودَ له	في الوِتْرِ فاعْلَمْ وَكُنْ منه على حَذَرِ
5	والرَّابِطُ الفَرْدُ لا يَنْفَكُّ بينهما	لولاه ما كان ما شاهدْتَ من صُوَرِ
6	عقلًا وشرعًا وتنزيهًا لمعرفَةٍ	وليس في الأمر[2] إنْ أنْصَفْتَ من خَطَرِ

[256]

من الطويل:

1	إذا النَّظَرُ الفِكْرِيُّ كان سَمِيرِي	وكان وُجودُ الحَقِّ فيه سجيري[3]

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص.266)، لكنها سقطت من طبعة صادر (1999).

(2) في المخطوط رقم 1438 (و.144) «في العلم» بدل «في الأمر».

(3) السَّجير: الصديق الوفيّ.

2 وعزَّ بوجدان الشَّريعة مطلبي وكان ورودي في عمًى وصدوري
3 تيقَّنت أنـي إن تأمَّلتُ خاطري وجدتُ الذي أبغيه عين ضميري
4 دعاني إليه الشَّوقُ من كلِّ جانبٍ فكان بشيري بالهوى ونذيري
5 نفوسٌ عَفيفاتٌ أَتَيْـنَ يَعُدْنَني وقـد ضربوا مـا بينهنَّ بستور
6 شهدن علينا إذ شهدن بما لنا وحـرمـة حـيّ مـا شهدن بِـزُورِ
7 لقد ذهبَتْ في حُسْنِ ذاتي طوائفٌ ذهـابَ خَبيرٍ بـالأمـورِ بَصِيرِ
8 أضلُّوا على عِلْمٍ وضَلُّوا وضلَّلوا فيا لَيْت شعري من يكون نصيري

[257]

من مخلع البسيط:

1 يـا مـنـزلا مـا لـه نظير لم يُبْقِ سكناكَ في الصُّدور
2 هـمًّـا فـتـسـمو بـذاك قـدرًا علـى المقاصير والـقُـصـورِ
3 ولـم يَـزَلْ مَـنْ يَـكُـونُ مَـأْوًى لـه عـلـى أكـمـل الـسُّـرُورِ
4 فـي غِـبْـطَـةٍ وَانْـتِـظَـامِ أَمْـرٍ فيكَ إلـى آخـرِ الـدُّهـورِ

[258]

من البسيط:

1 إنـي أرى صورًا فيما يرى البَصَرُ في كُلِّ جِسْمٍ صَقِيلٍ ما به صور
2 ولَسْتُ أُنكِرُ ما أبصَرْتُ مِنْ صُوَرٍ والجِسْمُ خَالٍ كذا أعطانِيَ النَّظَرُ
3 فما يَحُلُّ الذي أَدْرَكْتُ مِنْ صُوَرٍ إلا الخيالُ ومن أزماننا السَّمَرُ[1]
4 وَانْظُرْ بخاتمة الحَشْرِ التي وردَتْ أسماؤه فَزَهَتْ بذكرها السُّوَرُ

قال النبي ﷺ «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[2].

---

(1) في سائر المخطوطات «السَّحَرُ» بدل «السَّمَر».

(2) في ديوان الزينبيّات، والمخطوط 1438، نجد أيضًا «وقال ﷺ: المؤمن مرآة أخيه». و﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

[259]

من البسيط:

1	إنَّ المهيمِنَ وَصَّى الجارَ بالجارِ	والكُلُّ جارٌ لِرَبِّ النَّاسِ والدَّار
2	فـإنْ تـعـدَّى عليه جـارُه فَـلَـهُ	الـعَـفْـوُ والأخْـذُ آثـارًا بـآثـارِ
3	إن شاء عاقبه أو يَعْفُ عن كَرَمٍ	والعَفْوُ شِيمَةُ مَنْ يُصْغِي إلى القالي[1]

[260]

وقال أيضًا[2]

من الطويل:

1	إذا ما ذكرت اللّه في السِّرِّ والجهر	ليذكُرَني ربِّي بما كان من ذكري
2	كمثل الصَّدَى أُبْـدِيـهِ ثم يَـرُدُّهُ	عليَّ امتنانًا كي يعظم مِنْ قَدْرِي
3	وهذا حديثُ الكَشْفِ ليس رواية	كذا قرنَ اللّه المهيمن في صدري
4	لأنَّـا نَـقَـلْـنَـاهُ حديثًا مُعَنْعَنًا	وما زال ذاكَ النَّقْلُ عَنْهُ عَلَى ذِكْرِ
5	عن الرُّوحِ عن قلبي عن الفِكْرِ عن عَقْلِي	عن اللَّوْحِ عن عيني عن الرَّبِّ عن سِرِّي
6	فَمِنْ كَوْنِهِ كَوْنِي وَمِنْ عَيْنِهِ عَيْنِي	وَمِنْ سِرِّه سِرِّي ومن جهره جهري
7	فلستُ بغيرٍ لا ولا أنـا عينُهُ	فَمَنْ أَنَـا عَرِّفْنِي فإنِّيَ لا أدري
8	فلو كنتُهُ عينًا لما كنتُ جاهلا	ولو لم أكُنْهُ لم يقل أمـرُهُ أمري
9	فميَّزه عني الذي فيه من غِنًى	وميَّزَني عنه الذي لي من الفقر

[261]

من الكامل:

1	كـبِّـرْ إلـهَـكَ فـالإلَـهُ كَـبِـيرُ	والـخَـلْـقُ إن حـقَّـرتَـهُ فكبير

---

(1) في ديوان الزينبيّات، والمخطوط 1438 «القار» بدل «القالي». وهو يشير إلى معنى الهجر والقِلَى في قوله تعالى ﴿ما ودَّعك ربك وما قلَى﴾.

(2) لم يرد من هذه القصيدة في طبعة بولاق إلّا ستة أبيات، ولم تذكر فيها الأبيات: 2، 3، 5.

2 ولـذاكَ جاءَ بوزنِ أَفْعَلَ فاعتَبِرْ ... في لَفْظِ أَكْـبَـرَ فالمقامُ خطيرُ
3 لا تَـحْـقِـرَنَّ الخلْقَ إنَّ مَقامَهُ ... التَّعْظِيمُ والـتَّـعـزيـرُ والتَّوقيرُ
4 وهـو الدَّليلُ على مُـكَـوِّرِ ذاتِـهِ ... فَـلَـهُ التَّصَوُّرُ مَـا لَـهُ التَّصويرُ
5 فـإذا ذَكَـرْتَ اللّـهَ وحْـدُ ذاتَـه ... فَمَقامُها التَّوحيدُ لا التَّكثِيرُ
6 وَلِتُكْثِرِ النَّسَبَ التي ثَبَتَتْ له ... فـهـو الـوحـيـدُ وإنَّــهُ لَـكَـثِـيرُ
7 فَهْوَ المريدُ وجودَنا من غيره ... وإذا أرادَ وجـودَنـا فَـقَـدِيـرُ
8 وهـو المكلِّم والمناجي عبدَه ... بالطُّورِ في النِّيرانِ وهو النُّورُ
9 وهوَ السَّميعُ هو البصير بخلقه ... وهـو العليمُ بما عَمِلْتَ خبيرُ
10 إنِّـي رأيـتُ قصيدتي ديباجَةً ... فيها نُـضـارٌ رقـمُـهَـا وحَريرُ(1)
11 أوَّلُـتُـهـا أسـمـاؤُهُ ونُـعـوتُـه ... فَلَهَا على كُـلِّ الـوجـوهِ ظُهُورُ

[262]

وقال أيضًا

من الطويل:

1 عجبتُ لموجودٍ حوى كُلَّ صورةٍ ... مِنَ الملإِ العُلْويِّ والجِنِّ والبَشَرْ
2 ومن عالَمٍ أدنـى ومن عالَمٍ عَلا ... ومِنْ حيوانٍ كان أو نَبْتٍ أوْ حَجَرْ
3 وليست سواه لا ولا هِيَ عَيْنُهُ ... وفي أيِّ شيءٍ شاءَ مِنْ صورةٍ ظَهَرْ
4 ويبدو إلى الأبصار مِنْ حيثُ نَفْسُه ... ويخفى على الألباب ذاك ويُسْتَتَرْ
5 فَتَجْهَلُهُ الألبابُ من حُكْمِ فِكْرِها ... وتُظْهِرُهُ الأوهامُ للسَّمْعِ والبَصَرْ
6 هُـوَ الحَيُّ لكن لا حياةَ بذاتِه ... تقوم كما قامت بها سائِرُ البَشَرْ
7 فمن هو خبَّرْني الذي قد ذكرته ... بما قد وصفناه وتُرْمَى به الفِكَرْ
8 فما هـو مخْفِيٌّ وليس بغائبٍ ... وما هو مَنظورٌ ويَخْفَى عن النَّظَرْ
9 فيا لَيْتَ شعري هل سَمِعْتُمْ بِمِثْلِهِ ... ألا فاخبروني إنَّ هَذِي هيَ العِبَرْ
10 وما يَـدْرِ ما جِئْنا به غيرُ واحدٍ ... هو اللّهُ لا تدري به سائر الفِطَرْ
11 ومـا مثلُهُ إلا شُخَيْصٌ وإنَّني ... عَجِبْتُ له مِنْ كَامِلٍ وَهْوَ مُخْتَصَرْ

---

(1) الديباجة: نوع من الثياب سَدَاهُ ولُحْمَتُه حَرير. وهذا المعنى هو الأقرب هنا. وتقول ديباجة الوج: حسن بشرته. ويقال لكلامه وشعره ديباجة حسنة: أسلوب حسن. النُّضار: الذهب الخالص.

[263]

وقد رأى مبشرة في نومه نصّها كما ذكره في نظمه. قال وأكثر هذه القصيدة وقع مني في النوم، وأتممت القصيدة في اليقظة.

من مجزوء الرجز

1	قـد صـحَّ عـنـديَ خَـبَـرْ	وجَـلَّ عـنـدِي مـن خَـبَـرْ
2	لـيـس لـنـا إعـادةٌ	فـيـمـا انـقـضـى ومـا غَـبَـرْ
3	مـن صُـوَرٍ مـعـلـومـةٍ	مـحـسـوسـةٍ مـنَ الـبَـشَـرْ
4	لأنـهـا عـلـى مـزا	جٍ كـلُّـهُ مِـزاجُ شَـرْ
5	عـلـى مـزاجٍ صـالـحٍ	مـا فـيـه شـيءٌ مـن ضَـرَرْ
6	مـن صـورةٍ مـشـهـودةٍ	فـيـهـنَّ نَـخْـيَـى ونُـسَـرْ
7	فـي فُـرُشٍ مـرفـوعـةٍ	مَـنـضـودةٍ وفـي سُـرُرْ
8	مَـلْـكًـا إمـامًـا سَـيِّـدًا	مُـدَبِّـرًا لـمـن نَـظَـرْ
9	وهْـي الـذَّوات عـيـنُـهـا	الـمُـودَعـاتُ فـي الخَفَرْ[1]
10	لـم تـلـحـقِ الـذَّات إذا	نـظَـرْتَ فـيـهـا مِـنْ غِـيَـرْ
11	وإنَّـمـا مِـزاجُـهـا	مَـنْ يـعـتَـبِـرْهُ لـم يَـحِـرْ
12	لـلَّـه فـي هـذا الـذي	أقـولـه مَـغْـنًـى وَسِـرْ
13	يَـفْـرُقُ مـنـه ذو حِـجًـا	إذا بـه الـحَـقُّ ظَـهَـرْ
14	فـالـحـمـد لـلَّـه الـذي	أشْـهَـدَنِـي هـذا الـخَـبَـرْ
15	فـي نـومِـنَـا وعـنـدَنـا	مـحـمَّـدُ إسْـفَـنْـدِيَـرْ[2]
16	وامـرأة مـؤمـنـةٌ	اَلْـوَجْـهُ مـنـهـا كـالـقَـمَـرْ
17	يـا حُـسْـنَـهـا مـن غـادةٍ	فـتَّـانَـةٍ لـمـن نَـظَـرْ
18	فـديـتُـهـا مـعـشـوقـةٌ	بـالـسَّـمـعِ مِـنِّـي والـبَـصَـرْ

(1) في سائر النُّسخ «الحفر» بدل «الخفر».

(2) إسفنديار أو إسفندير: من أهمّ شخصيّات الشاهنامة والأفستا. لكنّ المقصود هو أنّ الشّيخ كان عنده في بيته شخص اسمه محمد اسفندير في اللّيلة التي رأى فيها هذه المبشّرة. والغالب أنّه يشير إلى محمد بن أحمد بن اسفنديار المحدث.

19 فـي صـورة الـحـقّ أتَـتْ مـع الـدّلالِ والـخَـفَـرْ

20 تستصرخ الشّخصَ الـذي أراد أن يـقـضـي الـوَطَـرْ

21 مـنـهـا فـلـم تَـخْـفَـلْ بـه ولا عـلـى الـنّـيْـلِ قَـدَرْ

22 مـا يـفـعـلُ الـمـسـكـيـنُ إذْ لـم يُـنْـجِـهِ منـها الـحَـذَرْ

23 قـالـت لـه إنْـزِلْ إلَـى مَـنْ قـد نـهـانـا أو أَمَـرْ

24 إلـى هـنـا كـان الـذي أرِيـتُـهُ حـتـى الـسّـحَـرْ

[264]

من البسيط:

1 رأيـتُ جاريةً في النّوم عاطلةً حسناءَ ليس لها أختٌ من البَشَرِ

2 تـرنـو إلـيَّ بعين كـلُّـهُ حَـوَر فَمُتُّ وَجْدًا بها من ذلك الحَوَرِ

3 لما نظرت إليها وهي تبصرني فَنَيْتُ حُبًّا لها من لـذّة النّظر

4 وقلت للنّفس يا نَفْسُ انظري عجبًا هذا الخيالُ فكيف الحِسُّ بالبصر

5 انظر إلى لطفه وحُسْنِ صورته بالفاءِ لا بإلّى من حضرة الفِكَرِ

6 ولتعتبره وجـودًا لم يُقَلْ بِفَمٍ به ولا بِـدَمٍ من صورة البشر[1]

7 فإنها جَـنّـةُ الـمـأوى لساكنها وجنّةُ الخُلْدِ لا مِنْ جَنَّةِ النَّظر

8 وتلك جنّةُ عَـدْنٍ والكَثِيبُ بها مَعَ الذي تحتوي عليه مِنْ صُوَرِ

9 هَذِي المعاني التي الألبابُ تطلُبُهَا وَهْيَ التي نال أهلُ الكَشْفِ بالفِطَرِ

10 فـإنّ غايتَهم فيما ذكـرتُ لكمْ هَذِي الرَّوائحُ مِنْ مِسكٍ لهم عَطِرِ

[265]

من البسيط:

1 لما شهدتُ الذي سوّى حقيقته في ذاتِ أكْمَلِ مخلوقٍ منَ البَشَرِ

2 يخُصُّه اسْمٌ ومَا الأسماءُ تحصره وليس شيء له نعت بمنحصر

---

(1) ورد هذا البيت بصورة مختلفة في الزينبيّات (311)، والمخطوط رقم 1438 (145): «ولتعتبره وجودًا لم يقم عدم... به ولا ندمٌ من صورة البشر».

3 لأنه قابِلٌ لِكُلِّ ما وُصِفَتْ ... به الذَواتُ من التَّنزيه والغِيَر

4 سبحان من أوجد الأشياء من عدم[1] ... ومن ثبوتٍ وجودًا غير منحصر

5 في عينه، و عيون الخلق تظهرُه ... أحكامُها بالذي فيه من الصور

6 وكلُّه خارج عن عين صورته ... بما له في وجود العين من سُوَرِ

7 الحقُّ أوجده والكون عيْنَه ... بما لديه من الآيات والسُّور

8 في كلِّ آية تنزيهٍ له عَلَمٌ ... به يشبِّهه من كان ذا نَظَرِ

9 فالحكم يَشْفَعُهُ والعين تُوتِرُهُ ... والعقل يُنكِرُ ما يتلوه من خَبَرِ

10 جلّ الإلهُ فما تُحْصَى مشاهِدُه ... قد حار فيه وجودُ العقل والبصر

11 لأنه يتعالى في نزاهته ... عن العقول وعمّا كان في الفِطَرِ

12 وما تعالى ولكن هكذا وجدوا ... نصَّ الكتابِ وما قد جاء في الأثرِ

13 لذا يقول رسول اللّه نحن به ... كما تكون له فانهض على قَدَرِ

14 لو كان ما قاله لكنتُه وأنا ... إن كنتُهُ فأنا منه على خَطَرِ

15 لكن أقول أنا إن قلته بأنا ... عن الذي في وجود الحقّ من سِيَرِ

16 والشُّكل ليس له والعينُ ليس لنا ... وباجتماعهما ما ينقضِي وَطَرِي

[266]

من البسيط:

1 إنَّ الحروفَ التي في الرَّقْمِ تشهدها ... لها معانٍ وأسرارٌ لمن نَظَرَا[2]

2 فأوّلُ الأمْرِ في مَرْقومنا أَلِفٌ ... واللَّفظُ يُنْكِرُهُ حرفًا على ما تَرَى

(1) هذا الشطر يشبه مفتتح كتاب الفتوحات المكّيّة. كما يقول في الباب 167 من الفتوحات «الحمد للّه الذي أوجد الأشياء عن عَدَمٍ وعَدَمِه. وعدمُ العدمِ وجودٌ، فهو نسبةُ كونِ الأشياء في هذه الخزائن محفوظةً، موجودةً للّه ثابتة لأعيانها، غير موجودة لأنفسها. فبالنظر إلى أعيانها هي موجودة عن عدم، وبالنظر إلى كونها عند اللّه في هذه الخزائن هي موجودة عن عدم العدم، وهو وجود».

(2) أورد في هذه القصيدة الحروف العربيّة مرتّبة ألفبائيًا أو هجائيًا حسب التّرتيب المغربيّ. وهو التّرتيب الذي استعمله ابن عبد البرّ مثلًا في كتاب التمهيد، والباجي في التّعديل والتّجريح، ومن سواهم من علماء المغرب. ولذا ينبغي عدم الخلط بين الترتيبيْن لما لذلك من نتائج في فهم النصوص وتأويلها.

3 قال ابنُ حيّانَ[1] فيه في طريقَتِه — بأنّه نِصْفُ حَـرْفٍ هكذا ذَكَـرا

4 ونصفه همزة في عين كاتبها — كـذا رأيـت له نصًا وأيـنَ يُـرَى

5 كمثله في علومٍ أصلُ مأخذها — من جَعْفَرٍ وبهذا الفنّ قد شُهِرَا[2]

6 واللفظُ يُنكِرُ ما قد قِيلَ في ألفٍ — ومـا ابتغى جَـدَلا ولا رآه مِـرَا

7 وإنّـه مَذْهَبِي إن كنتَ تتبعنِي — لكنّه بينها في الاعتبار فَرا[3]

8 فيه جميع الذي قد صاد صائدكم — من الحروف لمن أعلمته فَدَرَى

9 فهمزة تقطع العشّاق إن هجرَتْ — وإنَّ في وصْلِ مَن تهوى لها خَبَرَا

10 والباءُ تعمل في عقد النّكاح إذا — خطّتْ على صفةٍ قد أُلْبِستْ حِبَرَا

11 والتّاء تجمع شملا بالحبيب إذا — محبوبُه بـانَ عنه أو نَـوَى سفرا

12 والثّاء تُثْبِتُ أحوالَ الرَّقِيبِ إذا — جـاءَ الحبيبُ إليه بعدما هَجَرا

13 والجِيمُ يعمل في أحوال مُنْشِئِهِ — حتمًا فَيُفْرِدُهُ بذا القضاءُ جَرَى

14 والـحـاءُ تطلبُ بالتّنزيه كاتِبَها — ومـا إذا صار تشبيه بـه وَطَـرا

15 والخاء تعلو به[4] في كل نازلة — حتى يُقَضّيَ منها الكاتبُ الوَطَرَا

16 والـدّالُ في كُلّ ما يبديه فاعله — له المضاء وجلّ الأمر أو صَغُرَا

17 والذال في حضرة الزُّلْفَى له قدم — فكلما رام تقديما يـرى لِـوَرَا

18 والـرّاءُ تُوصِلُهُ وقتًا وتُـفْـرِحُـهُ — بكلّ ما ينبغي فَـزَاحَـمَ القَدَرَا

19 والـزّايُ يجمعُ أحـوالا مُفَرّقَةً — كـذا رأينـاه في أعمالها ظَهَرا

20 والـطّـاء يطلب تنفيذ الأمـور له — فانظر ترى عجبًا إن كنتَ مُعتبرا

21 والظّاءُ يعطي حصول العبد في رُتَبٍ — تعنو الوجوهُ له والشّمسُ والقمرا

---

(1) هو جابر بن حيان (721 ـ 815 م). عالم مسلم برع في علوم الكيمياء والفلك والهندسة وعلم المعادن والفلسفة والطبّ والصيدلة. وفي طبعة بولاق (ص.317) «ابن حِبّان»، وهو خطأ لأنّ جابر هو المشهور بعلم الحروف وله كتاب يحمل عنوان «كتاب الحروف»؛ أمّا ابن حِبّان فهو صاحب كتاب «صحيح ابن حبان» في الحديث. وقد كرّرت طبعة صادر نفس الخطأ (ص.196).

(2) يشير إلى الإمام جعفر الصادق ﵇ الذي عرف بعلوم الحكمة. كما يشير في البيت إلى أخذ جابر بن حيان عن الإمام جعفر الصادق.

(3) في سائر النّسخ «قرا» بدل «فرا». ويوضح المؤلّف أنّ مذهبه عن الألف مختلف عن قول جابر بأنّه نصف حرف.

(4) في المخطوط المحقّق «مقلوبة»، والسّياق يرجح «تعلو به» كما في سائر المخطوطات.

22 والكافُ فيه لمهموم إذا كتبت ... تفريج كَـرْبٍ له في كلّ ما أمرا

23 والـلامُ درعٌ لـه فيه يحصّنُهُ ... من كُلِّ سوءٍ ومَكروه من الأُمَرا

24 والميم يَروَى به من كان ذا عطشٍ ... من العلوم بهذا القدر قد فخرا

25 والنُّونُ يجري به الأفلاكُ صورته ... لنيل سورة أنثى تشتهي ذكرا[1]

26 والصّاد نور قـويٌّ في تشعشعه ... بما له منه في أحواله السّمرا

27 والضّاد كالصّاد إلا أنّ منزلَه ... أدنـــى فيلحقه بـرتـبـة الـــوزرا

28 والعين كالجيم إلا أن صورته ... في الفعل أقوى ظهورًا هكذا اعتُبِرَا

29 والغينُ كالعين إلا أنْ يَقومَ به ... عينُ السّحابِ الذي لا يحمل المطرا

30 والفاء كالباء في التّصريف وهْي به ... أتـمُّ فعلا فقد جلَّت عن النُّظرا

31 والقاف يعمل في الضّدَينِ إن كتبت ... غربًا وشرقًا فكُنْ للحال مُدَّكِرَا[2]

32 والسّينُ يعصم من سوءٍ يخيِّله ... نفسُ الضَّعيفِ إذا شخص بذاكَ زَرَى

33 والشين كالثاء إلا أن فيه أذى ... يدري به من له التحكيم والعبرَا

34 والـهـاء تفعل أسـبـابًا منوّعةً ... وإن فيها لمن قد حازها أثَـرَا

35 والـواو تخرج ما الألباب تستره ... ومـا رأيـت لـه فـي سيره خبرا

36 والياء جلّت فلا شيءٌ يُماثلها ... إلا الذي سَطَرَ الأيـاتِ والسُّوَرَا

37 وإنَّ لامًـا إذا ما جـاورتْ ألفًا ... جاءت إليكَ بأعيان الورى زُمَرَا

38 علمُ الحروف شريفٌ لا يقاسُ به ... علمُ الكِيان لمن قد جَدَّ أو سخرا

39 بنيله قيل هـذا عَـالِـمٌ نَـدُسٌ ... ولا يُخَصُّ بوصف فهوَ ما انحصرا

40 ولا العهود التي عليَّ قد أُخِذَتْ ... أظهرت منها علومًا تَبْهَتُ البَشَرَا

41 من الخصائص لكن قد أُبيحَ لنا ... ما يجري منها اعتبارًا يُذْهِل الفِكَرَا

42 فمن أراد يَـرى أسرارَها فيرى ... في الاعتبار لها إن صُوِّرَت صُوَرَا

43 وما رأيـتُ لعين البَعْلَبَكِّ أخًا ... إلا ابن منصورٍ الحلاجَ فاشتهرا

44 عنه بتأليفه مـن ذلـكم خبرٌ ... قد طال فيه كلامُ النَّاس ما قَصُرَا

---

(1) يشير إلى سورة «القلم»: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾.

(2) يشير إلى طريقة كتابة القاف، فعند المغاربة تنقط بنقطة واحدة من فوق، وعند المشارقة تنقط بنقطتين.

[267]

من البسيط:

1	أحببتُ شخصًا جميعُ النّاس يعرفهُ	من كان في بَدْوِهِ أو كان في حَضَرِهْ
2	الشّمسُ من نوره والقلب منزله	والمسكُ من ريحه والشّهد من أَشَرِهْ
3	إذا أعيانه يسري الحياء به	في خدِّهِ فيذوبُ القلبُ من خَفَرِهْ
4	لمّا بحثتُ عليه لم أراه سوى	ما قام بالنّفس منه فهْوَ في أثَرِهْ
5	فما يُهَيِّمُ قلبًا في الهوى أبدًا	إلا تخيُّله لا غير مِن نظره
6	فَبِالخيال نعيمُ النّاس أجمَعِهِم	كما به الألم الآتي على قَدَرِهْ
7	إذا علمتَ بهذا قد تعمت فما	يشكو نواهُ إذا ما غابَ في سَفَرِهْ

[268]

من الطويل:

1	تنازعني الأقدار فيما أرُومُهُ	وإنَّ نزاعي فيه أيضًا من القَدَرْ
2	فحُكمي عليها إن تأمّلتَهُ بها	فمنها أمانُ الخائفينَ مع الحَذَرْ
3	تقابلتِ الأضدادُ منها كمثل ما	تقابلتِ الأسماء[1] بالنَّفْعِ والضّرَرْ
4	فكلُّ الذي في الكون من متقابلٍ	من العلم باللّه العظيمِ لمن نَظَرْ
5	فَسَلِّمْ وفَوِّضْ واتَّكِلْ واعتَمِدْ فقد	يجيئُكَ ما ترضاه يمشي على قَدَرْ

[269]

من الرمل[2]:

1	قد بدا في مثلنا مثلٌ	علَمٌ في رأسه نارُ
2	بيننا وبين كُنْ نسبٌ	فلنا في الكون آثار
3	إنه لِمَنْ تحقّقَهُ	نقصُ حظٍّ فيه أضرارُ

(1) كتبت «الأسماع» في المخطوط 1438 (و.138)، وهو خطأ.

(2) ورد في نهاية هذه القصيدة في المخطوط 1438 (و.126)؛ والحميديّة (و.215) قوله «يريد قول آسية امرأة فرعون ﴿ربِّ ابن لي عندك بيتًا في الجنّة﴾ قدّمت الجار على الدّار». وهذا كلام قاله العلماء في تفسير هذه الآية حيث إنّ آسية امرأة فرعون اختارت جوار ربها على العيش الرّغيد في قصر فرعون.

4 فـــرددنـــاه لـصـاحـبـه ... مـا أنـا فـي الـرَّدِّ مـخـتـارُ

5 إنَّـمـا الـدُّنـيـا لـه ولـنـا ... فـي الـتـي تـلـيـهـا أخـبـار

6 إنـمـا يـدري بـصـحَّـة ذا ... مـن لـه فـي الـعـلـم مـقـدار

7 والـــذي يـلـهـو بـعَـبـرتـه ... مـا لـه فـي الـقـلـب إبـصـار

8 هـذه الـدنـيـا لـهـم لَـعِـب ... ولـنـا عـــونٌ وأنـصـارُ

9 لـلـذي أرجـوه مـن مِـنَـحٍ ... جُـلُّـهـا أنّـي لـه جَـارُ

10 هـكـذا قـال الـخـلـيـلُ لنا ... وأتـى فـي ذاك أخـبـار

[270]

من الطويل[1]:

1 توقَّفْ فإنَّ العلم ذاك الذي يجري ... ويعلم أن الحكم منه ولا يدري

2 وما قلتُ إلا ما تحقَّقته به ... كذا قرَّرَ اللّه المهيمن في صدري

3 أنا في عباد اللّه روحٌ مقدَّسٌ ... كمثل الليالي روحُها ليلةُ القدر

4 تقدَّستُ عن وتر وشفع لأنَّني ... غريبٌ بما عندي من الشَّفع والوتر

5 ولما أتاني الحقُّ ليلا مبشِّرًا ... بأني ختام الأمر في غُرَّةِ الشَّهر[2]

6 وقال لمن قد كان في الوقت حاضرًا ... من الملإ الأعلى ومن عالم الأمر

7 ألا فانظروا فيه فإن علامتي ... على ختمه في موضع الضرب في الظهر

8 وأخفيته عن أعين الخلق رحمةً ... بهم للذي يُعطي الجحود من الكفر

9 عرضت عليه الملك عرضًا محقَّقًا ... فقال لي الأمر المعظم في السّتر

10 لأنَّك غيبٌ والسَّعيد من اقتدى ... بسيِّده في حالة العسر واليسر

11 فيحمد في السَّرَّاءِ حمدًا مخصَّصًا ... ويحمد حمدًا ساريًا حالة العسر

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص. 332).

(2) يشير إلى مبشرة ختميته عام 594 في فاس. وقد جاءت هذه القصيدة في مخطوط 1438، والمخطوط رقم a889، عقب القصيدة رقم (122) التي تحدث فيها عن هذه المبشرة، ومطلعها «أتاني رسول الحقِّ ليلًا مبشِّرًا» (وهي نفس صياغة البيت رقم 5 هنا). كما ذكر سبب نَظْمِها نثرًا بعد إيراده لها. وهذا يدلّ على تنسيق مختلف للقصائد بحسب موضوعها. غرة الشهر: ليلة استهلال القمر، لكنّه لم يذكر أيَّ شهر.

12 ظهورك في الأخرى فتمّ ظهورها — بذا جئتني في الغرب إذ جئت بالشكر

13 فـإنّ وجـودَ الشكر يبغي زيـادةً — من اللّـه في النَّعماء فانهضْ على إثْري

14 لو أنّـك يا مسكين تعرف سرّهُ — لكنتَ بما تدري به أوحدَ العصر

15 غريبًا وحـيـدًا حـائـرًا ومحيَّرًا — وكنتَ على علم يُصانُ عن الذِّكر

16 خفيٌّ على الألباب من أجل فكرها — وإن كان أعلى في الوضوح من البدر

17 أنـا وارثٌ لا شكّ علمَ محمّدٍ — وحالته في السِّرِّ مني وفي الجهر

18 ولست بمعصوم ولكن شهودُنا — هو العصمةُ الغَرّاءُ في الأنجم الزُّهْرِ

19 ولست بمخلوق بعصمة خالقي — من الناس فيما شاء منه على غمر

20 علمنا بما قلنا ببلدة تونسٍ — بـأمـر إلـهـي أتـانـيَ فـي الذكر

21 أتاني به في عام تسعين شربنا — بمنزل تقديس عن الوهم والفِكْرِ[1]

22 ولـم أدر أنـي خـاتـم ومُـعَـيَّـنٌ — إلى أربع منها بفاس وفي بدر[2]

23 أقـام لـيَ الحقُّ المبين يمينه — بركبته والساق من حضرة الأمر

24 وبايعته عند اليمين بمكةٍ — وكان معي قوم وليسوا على ذكري

25 وأقسم بالحِجْر المعظَّم قَـدرُه — وفي ذلك الإيلا يمينٌ لذي حِجْر[3]

26 لَئِنْ كان هذا الأمرُ من فرع هاشمٍ — لقد جاء بالميراث في طَيِّءٍ يَسْرِي[4]

27 وأيـن بـلالٌ من أبـي طالبٍ لقد — تشرَّف بالتقوى الـمحقَّر في القَدْرِ

28 سألتك ربّـي أن تجود لعبدكم — بأن يَكُ مستورًا إلى آخر الدَّهرِ

29 كمثل ابن جَعْدُونَ[5] وقد كان سيِّدًا — إمامًا فلم يبرحْ من اللّـه في سِتْرِ

---

(1) أثناء زيارة صاحبه الشّيخ عبد العزيز المهدوي سنة 590 هجرية. وهي أوّل زيارة للشّيخ إلى تونس.

(2) يشير بـ«أربع» إلى عام 594، وبـ«بدر» إلى أنّ ذلك كان في غرة الشهر.

(3) الحِجْر: من الكعبة المشرفة. الحِجْر: العقل. الإيلاء: الحلف.

(4) يشير الشّيخ إلى أنّه من أصل حاتم الطائي.

(5) ابن جعدون الحناوي: (ت. 597 في فاس). أحد الأوتاد الأربعة الذين التقاهم الشّيخ في فاس. وكان ينخل الحِنّاء بالأجرة. وكان لا يعرف الناس مقامه لأنّه «سأل اللّـه أن يُسقطَ حُرمته من قلوب العالم، فكان إذا غاب لم يفتقد، وإذا حضر لم يستشر، وإذا جاء لا يوسَّع له، وإذا تكلّم بين قوم ضُرب وسُخّف» لكنّ الشّيخ لما التقاه أوّل مرّة في جامع القرويّين وخوطب بأحواله، فطلب منه جعدون أن يستره. (انظر رسالة روح القدس، ص. 108)، وكتاب الدرة الفاخرة (الترجمة رقم 27)، وذكره في الباب 73 من الفتوحات المكّيّة. وسيذكره بلقبه في البيت الموالي «الحناوي».

30 سأَلتُكَ ربِّي عِصمةَ السَّتْرِ إنَّهُ … على سُنَّةِ الحَنَّاوي سُنَّتُنا تجري

31 لقد عاينتْ عيني رجالا تبرَّزُوا … خَضارِمَةً غُلْبًا وما عندهم سِرِّي

32 فأقسمتُ بالشَّمسِ المنيرة والضُّحَى … وزمزمٍ والأركان والبيتِ والحِجْرِ[1]

33 لئن كان عبد اللَّـه يملكُ أمـرَهُ … فما مثلُهُ عبد السَّميع أو البَرّ

34 فَـإنَّ لكلِّ اسـمٍ تعيَّنَ ذكـرهُ … سوى الذَّاتِ مدلولا له حكمة الظُّهْرِ[2]

35 فمن يشتهي الياقوت من كسْبِ كَدِّهِ … يُقاسِي الذي يلقاه من غُمَّةِ البَحْرِ

36 أنا صِهْرُ مختارٍ أنا الخَتْنُ الذي … أتاني به الفاروق عند أبي بكر

37 فلم أستطع عنِّي دفاعًا ولم أكُنْ … لما جاءني فيه مبشِّرةً أدْرِي

38 بحُجرته الـغـرَّا بمسجد يثربٍ … بحضرة عبد اللَّـه ذي النائل الغَمْرِ

39 وما زلتُ من وقت الغروب بمشهد … أشاهده فيه إلـى مطلع الفجر

40 ومصباح مشكاة الـمَشِيَّةِ في يدي … أُنَـوِّرُ بيتَ اللَّـه عن واردِ الأَمْـرِ

41 لأُسْـرجَ منه والصلاةُ تَلُزُّني[3] … على ما أراه ما يزيد على العشر

42 لباسي الذي قد كان في اللون أخضرُ … وإنِّـيَ من ذاك اللباس لَفِي أَمْرِ

43 غُنِيتُ بتصديقي رسالة أحمدٍ … عن الكشف والذَّوقِ المحقَّقِ والخُبْرِ

44 وهـذا عزيزٌ في الـوجـودِ مَنَالُهُ … ولو لم يكنْ هذا لأصبحتُ في خُسْرِ

45 ولي في كتاب اللَّـه في كلِّ سورةٍ … نَصيبٌ وجُلُّ الخيرِ من سورة العصر[4]

46 تَواصَوْا بحقِّ اللَّـه في كلِّ حالةٍ … كما أنهم أيضًا تَواصَوْا على الصَّبْرِ

47 أُحِـبُّ بقائي هـا هُـنـا لـزيـادةٍ … وأفـزعُ إيمانًا إلى سورة النَّصْرِ

48 إذا لم أكُنْ موسى وعيسى ومثلهم … فلست أُبالي أنني جامعُ الأمر

49 فـإنـيَ خـتـمُ الأولـيـاء محمَّدٌ … ختامُ اختصاص في البداوة والحضر

---

(1) أي: أقسمت برب الشمس. ففي الكلام إضمار للمعلوم. ومنه قول البوصيري: «أقسمتُ بالقمر المنشق إنَّ له... من قلبه نسبة مبرورة القسم».

(2) أي لكلِّ اسم إلهي ظهور وأثر ومدلول في الوجود يعرف، إلَّا الذات، فلا تعيُّن لها.

(3) تلزُّني: تلزمني.

(4) جاء في سورة العصر أنَّ الإنسان في خُسر، كما في البيت (44). كما أشار إلى التواصي بالصبر في البيت (46) من ذات السُّورة. وهناك معنى آخر خفيّ قال فيه الشَّيخ شعرًا: «لكلِّ عصر واحد يسمو به... وأنا لباقي العصر ذاك الواحد»، يخبر فيه بمقام ختميته المحمديَّة.

50 شهدت له بالملك قبل وجودنا ... على ما تراه العين في قبضة الذَّرّ

51 شهودَ اختصاص أَعْقِلُ الآنَ كونَهُ ... ولم أَكُ في حال الشَّهادةِ في ذُعْرِ

52 لقد كنتُ مبسوطًا طليقًا مسرَّحًا ... ولم أَكُ كالمحبوس في قبضة الأَسْرِ

53 ظهرتُ إلى ذاتي بذاتي فلم أَجِدْ ... سِوَايَ فقال الكُلُّ أنت ولا تدري

54 فإن أشرَكَتْ نفسي فلم يَكُ غيرُها ... وإن وحَّدَت كانت على مركبٍ وَعْرِ

55 إذا قلتَ بالتَّوحيدِ فاعلم طريقَهُ ... فما ثَمَّ توحيدٌ سوى واحِدِ الكُثْرِ

56 ولا بُدَّ أن تمتازَ فالوِتْرُ حاصلٌ ... ولكنَّ في الإيجاد لا بُدَّ من نَذْرِ

57 لقد حارت الخيراتُ في كل حائرٍ ... وحاصل هذا الأمر في القول بالنُّكْرِ

58 فـإن شَهِدَتْ ألفاظُنا بوجودِنا ... تقولُ المعاني إنني منكَ في خُسْرِ

59 إذا ذكروا جسمي حَنَنْتُ لشامِنَا ... وإن ذَكَرُوا رُوحِي حَنَنتُ إلى مِصْرِ

60 وما الفخرُ إلا في الجُسوم وكونَها ... مولَّدةً الأرواح ناهيكَ من فخرِ

61 ألا إنَّ طِيبَ الفرعِ من طيبِ أصلِهِ ... وكيف يطيبُ الفرعُ من مَخْبَثِ النَّجْرِ

62 يَـعِـزُّ علينا أن تُـرَدَّ سيوفُنا ... مُفَلَّلَةً من ضَرْبِ هَامٍ وَمِنْ كَسْرِ

63 صَرِيرٌ مِنَ اقلامٍ سَمِعْتُ أصَمَّنِي ... وما عَلِمَتْ نَفْسِي تُصَمُّ من الصَّرِّ

64 حياةُ فـؤادي من علوم طبيعتي ... كأحياء ماءٍ قد تَفَجَّرَ من صَخْرِ

65 بـلادًا مَـوَاتًـا لا نباتَ بأرضِها ... فأضْحَتْ لِمَحْيَاها تَبَسَّمُ بالزَّهْرِ

66 تتيه بـه زَهْـوًا وَعُـجْـبًـا ونخوةً ... حـدائـقُ أزهـارٍ مُعطَرَةُ النَّشْرِ

67 تراها مع الأرواح تَثْنِي غُصونَها ... حُنُوًّا على العُشَّاقِ دائمة البِشْرِ

68 فيا حُسْنَهُ علْمًا يقومُ بذاتِنا ... جمعنا به بين الـذِّراع مع الشِّبْرِ[1]

69 وما بين سَعْيِ السَّاعِ والبَاعِ والذي ... يُهرول بالتَّقسيم فيه وبالسَّيْرِ

70 ليحظى بمجلاها وبالصورة التي ... لها سورةُ فَـرْقِ الطبيعة والفقر

71 سريتُ إليها صحبةَ الرُّوح قاصدًا ... إلى بيته المعمور في رفرف الدُّرّ

72 وكنْ في عِدادِ القوم واصحبْ خِيارَهمْ ... ولا تَـكُ في قـومٍ أسافِلَةٍ غمْرِ

---

(1) يشير في هذا البيت والذي بعده إلى الحديث القدسي الشهير «من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا...».

73 ولا تَترُكَنْهُمْ وانْظُرِ الحَقَّ فيهِمُ ... كما تشهدُ الأبصارُ مَنْزِلَةَ الغَفْرِ[1]

74 ولا تَتَّخِذْ نَجْمًا دليلا عليهِمُ ... فسكناهُمُ المعروفُ بالبلد القَفْرِ

75 وعاشر إذا عاشرتَ قومًا تبرقعوا ... أشدَّاء مأمونين من عالم القهر

76 علوم عبادِ اللّه في كلِّ مَوقِفٍ ... وغير عباد اللّه في موقف القَسْرِ

77 تَرَى عابدَ الرَّحمنِ في كلِّ حالةٍ ... تَميلُ به الأرواحُ كالغُصْنِ النُّضْرِ

78 بقاءُ وجودي في الوجودِ منعَّمًا ... بما أنعمَ اللّه عليَّ من السِّترِ

79 تسوق إلى الأرواح من كلِّ جانبٍ ... فما مُعجزاتي بالخيال وبالسِّحْرِ

80 كما جاد لي بالكلِّ من كلِّ حُرْمَةٍ ... صبيحةَ يومِ الرَّمْيِ من ليلة النَّحْرِ

81 وتمَّمَ لي المطلوب من كلِّ مَنْسَكٍ ... تجلَّى لنا فيه إلى حالة النَّفْرِ

82 سباني وأبلاني بكلِّ مُقَرْطَقٍ ... وما نَظَمَ الرحمنُ من لُؤْلُؤِ النَّثْرِ

83 يزيِّنُ به إكليلَ تاجٍ وساعدًا ... وسلكًا يُدَلِّيه على لَبَّةِ النَّحْرِ

84 لقد أنشأ اللّه العلومَ لناظري ... على صُوَرٍ شتَّى من البِيضِ والسُّمْرِ

85 وأنشأها أيضًا لكل متيَّم ... على صورة حَسْنَا من البيض والسُّمر

86 ترفَّلن في أثوابِ حُسنٍ مُهيِّم ... منوَّعة الألوان من حمر أو صفر

87 فمتكئٌ منهم على فُرُش البها ... ومتَّكئ منهم على رفرف خُضر

88 وبيض كريمات عقائل خُرَّد ... يجرّون أذيال البها أيَّما جرّ

89 لقد جمع اللّه الجمال لأحمدٍ ... وغيرُ رسول اللّه منه على الشَّطر[2]

90 فمن كان يدري ما أقول ويرتقي ... إلى عرشه العُلويّ من جانب النَّهر

91 فذاك الذي حاز الكمالَ وجوده ... وزاد على الأملاك علمًا بما يجري

92 إذا جاء خيرُ اللّه يُصبح نادمًا ... بما فرَّط المسكين في زمن البذر

93 علوم أتت نصًّا جليًّا تقدَّستْ ... عن الظَّن والتَّخمين والحدْس[3] والحَزْر[4]

---

(1) الغَفْر: منزلة للقمر ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلة عند العرب (برج العذراء عند غيرهم). وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر. وطالعه في 11 نونبر، ومدَّته ثلاثة عشر يومًا. وقالوا بالغفر تولد الأنبياء عليهم السلام. وإذا نزل القمر بالغفر كانت تلك السنة عندهم من السعود.

(2) أي أنَّ غير رسول اللّه ﷺ لم يحز إلّا شطر الحُسن، بينما حاز المصطفى الحسن كاملًا.

(3) هناك بيت ورد في طبعة بولاق لم يرد هنا بعد البيت رقم 93: «تجيء وما ينفك عنها مجيئها... ولكنَّها تأتيك بالمد والجزر».

(4) الحَزْر: تقدير الأمور بالتَّخمين.

94 إلى كل خُلْق كان مني تخلّقًا ... بخُلْقٍ إلهي كريم سوى البدر

95 فيا شؤمه خلقًا فإنّ أداءه ... كمثل أداء الفرض في السرّ والجبر

96 لقد طلعتْ يومًا عليّ غمامةٌ ... يكون لها فيها من الصّون كالخِدْر

97 فقلت تجلّى في غمام علمته ... أتاني به الرحمن في محكم الذّكر

98 فجادت على أركان كوني بأربع ... مغارف ألبان وماء ومن خمر

99 وما أخرجت نحل لنا من بطونها ... مصفًّى لنا فيه الشّفاء من الضُّرّ

100 علوم يقول الحبر منا بفضلها ... فما هي من زيد تَمُرُّ على عمرو

101 تعالت فلا شخص يفوز بنيلها ... ولا سيما إن كان في ظلمة الجسر

102 بما ميّز الرحمن بين عباده ... غداة غدٍ في موقف البعث والحشر

103 كما ميّز الرحمن بين عباده ... إذا دفنوا في الأرض من ضغطة القبر

104 فضمٌّ لتعذيبٍ وضمٌّ تعشُّقٍ ... فلا بدَّ منه فاعلموا ذاك من شعري

105 قد اشتركا في الضّمّ من كان ذا وفا ... لما كان من عهد، ومن كان ذا غدر

106 يجيء بأعذار ليقبل عذره ... وليس له يوم القيامة من عذر

107 ويقبل منه صدقه في حديثه ... ولو جاء يوم العرض بالعمل النَّزْرِ

108 لقد عمّ بالطبع العزيز قلوبنا ... فلا يدخلنَّ القلبَ شيءٌ من الكبر

109 جهلتُ علومًا في حداثة سنّنا ... وما نلتُ هذا العلم إلا على كُبْرٍ

110 وما خفتُ من شيء أتانيَ نعتُه ... لخوفي إذا خفنا من البَطَر الشّزر

111 جرينا به في حلبة الكشف والحجا ... على الصّافنات الغُرّ والسُّبّقِ الضُّمْر

112 فلما أتينا الصُّورَ قال لنا فتًى ... بمحو وإثبات من الصّحو والسُّكر

113 فملتُ إليه في رجال ذَوي نُهى ... فقلت له أين العقود من البكر

114 أهادي كما قال الجنيد لقومه[1] ... ألا إنه النّاقورُ فافزع إلى النَّقْر

115 فأنزلني منه بأكرم منزل ... علوت به فوق السماكين والنّسر

116 وفرّق حالي بين هذا وهذه ... وأين زمان الرُّطْبِ من زمن البُسْر

117 إذا كان لي كنت الغنيّ لكونه ... وأصبحت ذا جاه وأمسيت ذا وَفْر

---

(1) الجنيد: هو أبو القاسم البغدادي، سيّد الطائفة وتاج العارفين، من رجالات القرن الثالث للهجرة، وقد أصدرنا رواية عن الجنيد سنة 2017.

118 دعاني إلهي للحديث مسامرًا ولي أُذُنٌ صمّاءُ من كثرة الوَقْر[1]

119 وحمّلني ما لا أُطيـقُ احتماله وأَطَتْ ضلوعي من مُلابسَة الوِقْر[2]

120 وخفت على نفسي كما خاف صالح على قومه خوفَ المقيمين في الحجر

121 إذا قلتُ يا اللّه لبّى لدعوتي ولم يُقْصِنِي عنه الذي كان من وِزْر

[271]

يمدح الأنصار رضي اللّه عنهم عن أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بذلك له من الكامل[3]:

1 قال ابن ثابتٍ الـذي فَخرتْ به فِقَرُ الكلام ونشأةُ الأشعار[4]

2 شُغِفَ الشُّهاد بمقلتي ومزاري فعلى الدموع معوّلي ومُشاري

3 فلذا جعلت رويّـهُ الـراء الذي هي من حـروف الـردّ والتكرار

4 فـأقـول مبتدئًا بطاعة أحمد فـي مـدح قـوم سـادة أخـيـار

5 إنـي امـرؤ مـن جملة الأنصار فـإذا مدحتهمُ مدحت نِجاري

6 لسيوفهم قام الهدى وعَلَتْ بهم أنـــوارُه فـي رأس كـلّ مَـنار

---

(1) الوَقْر: يقال وَقَرَتِ الأذن وَقْرًا، ثَقُلَت عن السمع أو صمَّت.

(2) الوِقْر: الحمل الثقيل.

(3) هذه القصيدة هي امتثال ابن العربي لأمر نبويّ بإنشائها في مدح الأنصار. وهذا أمر عجيب لأننا لا نعرف البيت الثاني المنسوب هنا إلى حسان ابن ثابت في ديوانه. فما هو قول مؤرخي ونقاد الأدب في هذه المسألة. وقد سبق أن طرحنا إشكالات مثل هذه القضيّة في تحقيقنا لكتاب الشهاب الذي ينسب مجموعة من الأقوال للغزالي وابن العريف وأبي مدين وأضرابهم في مجموعة من المبشرات ضمن الكتاب.

(4) ابن ثابت: هو حسان ابن ثابت شاعر الرسول ﷺ. والبيت الثاني منسوب لحسان في مبشرة لأحد أصحاب الشيخ اسمه يحي بن الأخفش من أهل مراكش، رأى فيها النبيّ في جامع دمشق الذي أمره أن يبلغ أمرًا نبويًا إلى ابن العربي بمدح الأنصار، وخاصّة منهم سعد ابن عبادة، وذلك على عجل. فإن صنع محمد ابن العربي هذا الشعر فليكتب بخط بيِّنٍ وليدفع إلى رجل أسمر اللّون اسمه حامد أمام أحد القبور ليلة الخميس. ثمّ طلب النّبيّ في الرؤيا نفسها من حسان ابن ثابت أن يذكر له بيتًا حتى يبني عليه ابن العربي القصيدة المطلوبة في مدح الأنصار (هو البيت الثاني). فلما وقف ابن العربي على كتاب صاحب الرؤيا امتثل الأمر النبويّ بإنشاء هذه القصيدة في مدح الأنصار. وقد ذكر ابن العربي هذه المبشرة في الباب 49 من الفتوحات المكّيّة.

7 قاموا بنصر الهاشمي محمد المصطفى المختار من مختار

8 صحبوا النبي بنيَّةٍ وعزائم فـازوا بـهـنّ حـمـيـدة الآثـار

9 بـاعـوا نفوسهمُ لنصرة دينه ولـذاك مـا صحبوه بـالإيـثـار

10 عنهم كَنَى المختار بالنَّفس الذي يـأتـيـه مـن يَـمَـنٍ مع الأقـدار

11 سعدٌ سليلُ عبادةٍ فَخَرتْ به يـوم السّقيفة جُملةُ الأنصار

12 لـلّـه أسـادٌ لـكـلّ كـريـهـةٍ نـزلـتْ بـديـن الـلّـه والأبـرار

13 عَـزٌّ بدين اللّه في إعـزازهـم ديـنُ الهدى بالعسكر الجرّار

14 فيهم علا يوم القيامة مشهدي وبهم يُـرى عند الـورود فَخاري

15 لو أنني صُغْتُ الكلام قلائدًا في مدحهم ما كنت بالمكثار

16 كَـرْشُ النبي وعَـيْبَـةٌ لرسوله لـحقت بـهـم أعـداؤه بتبار

17 رهـبـانُ لـيـلٍ يـقـرؤون كلامَه آسـادُ غـابٍ فـي الـوَغـى بنهار

[272]

من مجزوء الرجز:

1 مـا نـظـرت عـيـنـي إلـى شـيء تـراه فـأرى

2 إلا الـذي قـال لـنـا بـأنـه الـخـلـقَ بَـرَى

3 قـلـت فـمـن قـيـل لـنـا مـن الـمـيـاه والـثّـرى

4 فـلـيـس فـي الـكـون الـذي تـراه مـن عَـيْـنٍ تـرى

5 سـواه فـانـظـر عـجـبًـا يـدري بـه مـن قـد درى

6 إنّ الـوجـودَ واحـدٌ فـي عـيـنـه دون امـتـرا

7 وكـلُّ مـن قـال بـه فـي حَـقّـه فـمـا افـتـرى

8 فـنـحـن فـيـه كـلُّـنـا كـالـصَّيْـدِ فـي جَـوْفِ الـفِـرَا

9 والـجـوف مـنـه فـارغ والـحـقُّ مـا فـيـه مِـرا

10 قـد قـلـن مَـا[1] ذَا بـشـرا بـل مَـلَـكًـا فـيـمـا نـرى

(1) «ما»: هنا نافية.

11 وقـد قـرأنـا مـلَـكًـا ... وقـد قـرأنـا بـشـرا
12 ولـم يـكـن بـمـلَـكٍ ... مـا كـان إلا بـشـرا
13 فـهـكـذا أَمْـرُ الإلـ ... ـهِ فـي الـوجـود والـوَرَى

[273]

من السريع:

1 إنَّ الـذي هيَّمني حسنه ... من الـذي هَامَ ولا يَـدْرِي
2 في سورة الأعلى وأمثالها ... كالفجر والـليل إذا يسري
3 سبحان من جلَّ فما مثله ... من أحد إلا الـذي أدري
4 في سورة الشورى أتى ذكره ... وإنـه الأن على ذكري
5 حباه منه بالصفات التي ... تنقص في العَدّ عن العشر
6 تحمِلُ عرشَ الذات من ذاتها ... وما لها عينٌ سوى سِرِّي
7 بها وجودي وبها كنتُه ... لـذاك تجري بي عن أمري
8 لا تنظروني غيرَه إنني ... هويّة الحقّ بلا ستر
9 فليس في العالم من مَفْصِلٍ ... إلا وفيه عَلَمُ الذكر
10 منتصبٌ يعرفه من له ... في ذاته منزلة الشُكر
11 له مزيد العلم في شكره ... بستره ما فيه من كفر
12 وليس بالكفر الذي ذمّه ... من قرن الإنسان في خسر
13 بأصله ثم أتى شارحًا ... مفرغًا بالحقّ والصَّبر
14 بذا أتى النّص الذي قاله ... لخلقه في محكم الذكر
15 فمن يُرِدْ يمتاز في أهله ... فليمش بالحال على أَثَري
16 فإنه الحق الذي قال لي ... انصح عبادي وامتَثِلَ امْري
17 بمكةٍ في حالةٍ تقتضي ... في وقتها القبضَ من العسر
18 وفي دمشق قال لي مثلَه ... في مرة أخرى على يسر
19 فقلت يا ربّ أعنّي على ... ما قلتَ لي فقال بالنصر
20 فلم يزل في نصرتي قائمًا ... في كل حالٍ دائم البِشْر

21 وقال تَمِّمْ ما بدأتم به — من الفتوحات[1] على قدر
22 على لسان المصطفى أحمدٍ — ولم يَنُبْ عني بالعُذْر
23 فإنَّ فيها سببًا مقلقًا — يضيق من إيراده صدري
24 فقال لي لا تلتفت إنني — مُزِيلُ ما تخشى من الضُّرّ
25 أيّدك اللّه فكن آمنًا — ولا يكن قلبُك في ذعر
26 فقمت في العلم لهم مُفصحًا — مبيِّنًا في السِّرِّ والجهر
27 أُورِدُهُ من غير كَيْلٍ له — لأنني آخُذُ مِنْ بَحْر
28 لو أنَّهُ ينظرُ في قوله — إنَّ إليه مَرْجِعُ الأَمْرِ
29 رأى وجود الحقِّ عينَ الذي — يطلبه من وحدة الكُثْر
30 لو أنه يعرف أحوالَه — ما ميَّزَ الخيرَ مِنَ الشَّر
31 ليس له الشَّرُّ فإن الذي — سُمِّيَ شَرًّا عَدَمٌ فَاذْرِ
32 بيده الخَيْرُ فَقُلْ كَالَّذِي — يَقُولُ فِيهِ صَاحِبُ الشِّبْرِ
33 فإنَّهُ الخَيْرُ كَمَا قَالَ لي — مَنْ قَالَ بالبَاعِ وبالشِّبْر
34 فَاعبُدْ إِلَهَ الشَّرْعِ مُسْتَسْلِمًا — ولا تُكَفِّرْ صَاحِبَ الفِكْرِ

[274]

وقال أيضًا[2]

من الطويل:

1 إِلَهٌ تعالى أن يُرَى ببصيرةٍ — ولا بَصَرٍ، والنَّصُّ جاء بإبصارِ
2 وليس يُرَى شَيْءٌ سواهُ وإنَّهُ — على كُلِّ حالٍ عَيْنُ ذَاتِي وَمِقْدَارِي
3 لذاكَ تَسَمَّى ظَاهِرًا بَاطِنًا لنا — لأُثْبِتَ أَوْ أَنْفِي وَالأَسْمَاءُ أَنْصَارِي
4 فلا تَجْزَعَنْ فَالأَمْرُ وَالشَّأْنُ وَاحِدٌ — ولا تَلْتَفِتْ إلى يَسَارِي وَإِعْسَارِي

---

(1) الغالب أنّه يشير إلى إتمام كتاب الفتوحات المكّيّة الذي استمر في تحريره قريبًا من ثلاثين سنة. ونراه يصرح هنا بأنّ الفتوحات هي على لسان النبيّ ﷺ. ولعلّ القصيدة قيلت وقت حصول فترة للشّيخ.

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 6).

5 فإنيَ عَيْنُ الأمْرِ إنْ كُنتُ مُوسِرًا ... ولَسْتُ لَهُ عَيْنًا بِعُسْرِي وَإِقْتَارِي

6 ألا إنَّ غَيْبِي شَاهِدٌ وَشَهَادَتِي ... كذلكَ فيما صَحَّ فيه مِن اخْبار

7 لقد أثبتَ الأرحامَ بيني وبينَهُ ... وإنَّ أُولِي الأَرْحَامِ أَوْلَى بِأَقْدَارِي

8 أنا شِجْنَةٌ[1] منه إذا كُنْتُ رحمةً ... وإنْ لم تَكُنْ رُحْمَى فقد بَعُدَتْ داري

9 ألا إنَّنِي جَارٌ لِمَنْ هُوَ صُورَتِي ... وَقَدْ جَاءَ حَقُّ الجَارِ فَرْضٌ عَلَى الجَارِ

10 فَقَدْ أَثْبَتَ المِثْلَ الذي قد نَفَاهُ لي ... بِلَيْسَ، وَقَدْ حَارَتْ لِذَلِكَ أَفْكَارِي

11 إذا قُلْتُ مِثْلِي، قال لا، فأقول لا ... وإن قلت لا، أبقى رهينًا بأوزاري

12 فما هو لي بَعْضٌ وَلا أنا كُلُّه ... وما ثَمَّ كُلٌّ غيرُ ما بَرَأَ البَارِي

13 ولما بدا خَلْقِي لعيني رَأَيْتُنِي ... بأسمائه الحسنى وسَبْعَةِ أسوار[2]

14 وما أنا إلا جُودُهُ وَوُجُودُهُ ... وإنَّ الذي يبدو لعينِكَ آثاري

15 تعالى بِأَنْ يَحْظَى بغير وُجودِه ... وأينَ مع التَّحْقِيقِ عينٌ لأغياري

16 إذا قمتُ أُثْنِي، والثَّنَاءُ كلامُه ... فما أنا فيما قد حَمِدْتُ بِمِكْثَارِ

17 إذا أَبْصَرَتْ عيني جمالَ وُجودِه ... أَكونُ به في الحال صاحبَ أنوار

18 وإن لم أكنْ أُبْصِرْ سِوَايَ فَإِنَّنِي ... لَعالِمُ وَقْتِي بي وَصَاحِبُ أسرار

19 ولكنْ مَتَى أَنْ دام بي ما ذَكَرْتُهُ ... وذلكَ في التَّحْقِيقِ يُثْبِتُ إِصْرَارِي

[275]

من البسيط

1 النَّاسُ أَوْلادُ حَوَّاءَ سِوَايَ أَنَا ... فَإِنَّنِي وَلَدٌ لِلوالِدِ الذَّكَرِ

2 إنَّ الأُنُوثَةَ مِنْ نَعْتِ الرِّجَالِ لِذَا ... تَرَاهُمْ يَحْمِلُونَ العِلْمَ فِي الصُّوَرِ

---

(1) شِجنة: الشُّعْبة من كلِّ شيء. جاء في الحديث، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: إنَّ الرَّحِمَ شجنةٌ من الرحمن وفي رواية أخرى «الرحمُ شِجنة من اللّه تعالى». وقد وردت هذه الكلمة في نسخة بولاق هكذا «سِجْنَه»، وهو خطأ بيِّن. (ص. 367)

(2) أورد ابن العربي في مقدِّمة الباب 295 من الفتوحات المكِّيَّة قصيدة من 10 أبيات عن سورة الفجر (وليال عشر). يقول في البيت الخامس منها: «فلم ير حصن مثله في ارتفاعه... تحصَّنت فيه خلف سبعة أسوار». ويقصد بالأسوار السبعة، الجوارح السَّبع في الجسم، ومقابلاتها من القوى الرُّوحانيَّة السبع: العلميَّة، الذاكرة، العاقلة، المفكرة، الوهميَّة، الرُّوح الحيوانيّ، الخياليَّة، الحسِّيَّة. ولها مقابلات مع الأسماء السَّبعة الأمهات: حي، عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلِّم.

3 فَيُصْبِحُونَ حُبَالَى حَامِلِينَ بِهِ ... حَمْلَ السَّحَابِ لِمَا فِيهَا مِنَ الـمطرِ

4 يَحْيَى به كُلُّ ميْتٍ لا حِرَاكَ بِهِ ... فَيَشْكُرُ الحَيَّ شُكْرَ الزَّهْرِ للزُّهَرِ[1]

5 فالزُّهَرُ أَسْمَاؤُهُ الحُسْنَى بِجُمْلَتِهَا ... وَالزَّهْرُ مَا أَعْطَتِ الأَسْمَاءُ مِنْ أَثَرِ

6 يَا رَحْمَةَ اللّهِ قَدْ حُزْتِ الوُجُودَ فَمَا ... فِي الكَوْنِ مُقْلَةُ عَيْنٍ تَخْلُ عن نَظَرِ

7 به يُرُونَ وُجُودَ الكَوْنِ فيه كما ... به يَرَوْنَ وُجودَ الحَقِّ فِي البَشَرِ

8 ما بَيْنَ ضَمٍّ وَفَتْحٍ[2] قَدْ بَدَتْ عِبَرٌ ... لِكُلِّ قَلْبٍ سَلِيمٍ فِيهِ مُعْتَبَرِ

9 تَرْبَى على قُوَّةِ الأَرْوَاحِ قُوَّتُهُ ... فَلَيسَ يُحْرِقُهُ الإِدْرَاكُ بِالبَصَرِ

10 لأَنَّهُ سُبُحَاتُ الوَجْهِ فَاعْتَبِرُوا ... فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ العَمْيَاءِ وَالغِيَرِ

11 هُمَا الحِجَابُ لَهَا وَلَمْ يَقُمْ بِهِمَا ... إِحْرَاقُهَا لاَ، وَلاَ مَا فِيهِ مِنْ ضَرَرِ

12 والحُجْبُ لَيْسَ سِوَانَا وَهْوَ خَالِقُنَا ... وَنَحْنُ مَجْلَى لَهُ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ

13 كَذَا رَأَيْنَاهُ ذَوْقًا فِي مَشَارِبِنَا ... كَمَا رَوَيْنَاهُ فِيمَا صَحَّ مِنْ خَبَرِ

14 هُوَ القَوِيُّ حِينَ مَا تُعْطِي جَوَارِحُنَا ... مِنَ النَّتَائِجِ فَانْظُرْ فِيهِ واذْكُرِ

15 لَوْلاَهُ مَا نَظَرَتْ عَيْنٌ وَلاَ سَمِعَتْ ... أُذْنٌ لِمَا قَدْ تَلاَهُ الحَقُّ فِي السُّوَرِ

16 اللّه يَخْلُقُنَا وَاللّه يُخْلِقُنَا[3] ... على الدَّوَامِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الزُّبُرِ

17 وَمَا لَهُ خَبَرٌ فِينَا يُخَبِّرُنَا ... سِوَى الَّذِي نَحْنُ فِيهِ اليَوْمَ مِنْ سِيَرِ

18 وَمَا نَكُونُ عَلَيْهِ مِنْ تَقَابُلِنَا ... فِي جَنَّةِ الخُلْدِ وَالمأْوَى عَلَى سُرُرِ

19 أَوْ مَنْ يَكُونُ عَلَى ضِدِّ النَّعِيمِ بِمَا ... يَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الضَّرَّاءِ فِي سَقَرِ

20 لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ هَذَا وَمَا عَجَبِي ... إِلاَّ بِأَنِّي مَعَ الأَنْفَاسِ فِي سَفَرِ

21 دُنْيَا وَآخِرَةً فَانْظُرْ تَرَى عَجَبًا ... فِي حَالِنَا وَاعْتَبِرْهُ صُنْعَ مُقْتَدِرِ

22 والجَوْهَرُ الأَصْلُ بَاقٍ لاَ زَوَالَ لَهُ ... هُوَ المَحَلُّ لِمَا يُبْدِيهِ مِنْ صُوَرِ

23 اللّهُ جَلَّى لَنَا مَا قَدْ جَلاَهُ لَنَا ... عَلَى صَفَاءٍ بِلاَ شَوْبٍ ولا كَدَرِ

---

(1) ستتكرّر لديه عبارة الزُّهَر والزَّهر في هذا الدِّيوان في القصائد (299)، (302)، (303). وهو يوضح في البيت الموالي أنّ الزُّهَر هي الأسماء الحسنى، وأنّ الزَّهر هي نتائج هذه الأسماء وآثارها. وللشّيخ كتاب بعنوان «نتائج الأذكار»، تحدّث فيه عن الذكر بهذه الأسماء وما تحدثه من نتائج وآثار.

(2) يقصد الضم والفتح في «يرون» في البيت السّابق (7).

(3) أخلَق: أبْلَى وأفنى. ومعنى الشطر أنّ اللّه يَخْلُقُنَا وَيُوجِدُنَا أوّلاً، ثمّ يُخْلِقُنَا أي يفنينا ويُبْلينا ثانيًا.

24 لِـذَا أَرَى زُمَـرًا تَأْتِي عَلَى زُمَـرٍ ... كَمَا أَتَتْ فِي كِتَابِ اللَّـهِ فِي الزُّمَرِ
25 إِنَّ الـمِيَاهَ عَلَى مِقْدارِ أَعْيُنِهَا ... فَمِنْهُ مُنْهَمِرٌ، وَغَـيْـرُ مُنْهَمِرِ
26 إِنَّ السَّحَابَ بُخَارُ الأَرْضِ أَنْشَأَهُ ... مَـاءٌ يُحَلِّلُهُ لِلنَّجْمِ وَالشَّجَرِ
27 شَيْئًا فَشَيْئًا وَيَبْقَى بَعْضُهَا لِنَدًى ... أَوْ يَسْتَحِيلُ هَوَاءً فِي ذُرَى الأُكَرِ
28 لِذَا رَأَيْتُ خُرُوجَ الوَدْقِ مِنْ خَلَلٍ[1] ... فِيهِ لِيُبْرِزَ مَا فِي الرَّوْضِ مِنْ ثَمَرِ

[276]

من البسيط

1 إِنِّـي رَأَيْـتُ وُجُـودًا لا يُقَيِّدُهُ[2] ... نَعْتٌ وَلاَ هُوَ مَحْدُودٌ فَيَنْحَصِرُ
2 فِي الحَدِّ وَهْوَ الَّذِي بِالحَدِّ نَعْرِفُهُ ... وَمَا لَهُ فِي الذي يُـدْرَى بِهِ خَبَرُ
3 تَنَزَّهَتْ ذَاتُ مَنْ قَدْ حَارَ طَالِبُهَا ... سُبْحَانَهُ جَلَّ أَنْ تَحْظَى بِهِ الفِكَرُ
4 أَقَـامَـنِـي مَـثَـلاً مِـثْـلاً وَنَـزَّهَـنِـي ... عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَمْ يَظْفَرْ بِيَ النَّظَرُ
5 هُوَ الوُجُودُ الَّذِي فِي كَوْنِهِ سَنَدٌ ... لِخَلْقِهِ وَلَـهُ سَمْعٌ هُـوَ البَصَرُ
6 إِنِّـي لَعَبْدٌ لِمَنْ كَانَتْ هُوِيَّتُهُ ... عَيْنِي وَمَا أَنَا عَيْنُ الحَقِّ فَاعْتَبِرُوا
7 لَوْ كُنْتُهُ لَمْ أَكُنْ بِالعَجْزِ مُتَّصِفًا ... عَنْ كَوْنِ مَا تظْهرُ الأَسْبَابُ وَالقَدَرُ
8 وَلَـمْ يَكُنْ حَاكِمًا عَلَى تَصَرُّفِنَا ... سِرٌّ يُقَالُ لَـهُ فِي عِلْمِنَا القَدَرُ
9 إِنِّـي عُـبَـيْـدٌ فَقِيرٌ فِـي تَقَلُّبِهِ ... هَذِي نُعُوتٌ وَأَمَّا اسْمِي هُوَ البَشَرُ
10 وَوَالِـدِي آدَمٌ وَالـكُـلُّ مُتَّصِفٌ ... بِـعَـجْـزِهِ لِـلَّـذِي إِلَـيْـهِ نَفْتَقِرُ
11 فَغَايَتِي الفَقْرُ وَالتَّنْزِيهُ غَايَتُهُ ... عَنْ غَايَتِي وَالغِنَى عَنِّي هُوَ الوَزَرُ
12 أَعْطَيْتُهُ الوَصْفَ مِنْ ذَاتِي فَلِي شَرَفٌ ... بِـهِ تَـنَـزَّلَـتِ الآيَـاتُ وَالـسُّـوَرُ
13 لَوْلاَيَ مَا ظَهَرَتْ فِي الصُّورِ نَفْخَتُهُ ... فَالرُّوحُ مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ فَاذْكُرُوا
14 هَذَا الَّذِي قُلْتُهُ الوَحْيُ يُعَضِّدُهُ ... فِيهِ فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا فِيهِ مُعْتَبَرُ
15 لَوْ كُنْت ذا بَصَرٍ لَكُنْت مُعْتَبِرًا ... كَذَا يَقُولُ الإِلَهُ الحَقُّ فَافْتَكِرُوا[3]

---

(1) الوَدْق: المطر. الخَلَل: المنفرج ما بين كلّ شيئين، وهنا بمعنى المنفرج ما بين السحاب.
(2) القصيدة رقم (33)، و(165)، و(219) تبتدئ بهذا المطلع نفسه تقريبًا.
(3) يشير إلى قوله تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ الحشر، 2.

[277]

لزومية:

من الرمل

1 إِنَّ لِلَّـــهِ عِـبَــادًا كُلَّمَا ... ذَكَـرُوا اللَّهَ فَنَوْا فِي ذِكْـرِهِ

2 وإلــى هـذا فَهُمْ مَا أَمِنُوا ... حَـالَ ذِكْـرَاهُـمْ بِـهِ مِنْ مَكْرِهِ

3 يَبْتَغُونَ الفَضْلَ مِنْـهُ عِنْدَمَا ... شَكَرُوا المُنْعِمَ حَقَّ شُكْرِهِ

4 زَهِدَ العَارِفُ مِنْهُمْ فِي الَّذِي ... أَثْبَتَ العَقْلُ لَـهُ مِنْ فِكْرِهِ

5 مِـنْ إِلَــهٍ قَـرَّرَ الكَشْفُ لَـهُ ... أَنَّـهُ المَعْبُودُ حَـالَ نُكْرِهِ

6 يَظْهَرُ[1] الحَقُّ لَـهُ فِي صَحْوِهِ ... عَـيْـنَ مَـا أَثْبَتَـهُ فِـي سُكْرِهِ

[278]

من الطويل:

1 إذا ما ذَكرتُ اللَّهَ بالذِّكْرِ نفسِه ... فَمَا هُوَ مَذْكُورٌ ولا أنا ذاكرُ

2 وذاكَ أَتَمُّ الذِّكْرِ في كُلِّ ذَاكِرٍ ... إذا أنتَ لم تَعْلَمْهُ ما أنتَ خابِرُ

3 فَكُنْ عَيْنَ ذِكْرِ الذِّكْرِ لا تَكُ ذاكرًا ... بِوَجْهٍ سِوَى هَـذَا فإنَّكَ ظَاهِرُ

4 وكُنْ واحدًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ تَفُزْ بِهِ ... وَتَجْهَلُكَ الأَعْدَادُ وَالكُثْرُ حَاضِرُ

5 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَثْبُتْ ومن شاء فَلْيَزُلْ ... فَهَذَا الَّذِي سَاقَتْ إِلَيْهِ المَقَادِرُ

6 إذا أنتَ لم تَـدْرِ الذي أنا قَائِلٌ ... بِهِ في جَنَابِ الحقِّ ما أنتَ تَاجِرُ

7 لَوْ أَنَّكَ بِالنَّعْتِ الذي قُلْتُهُ يَكُنْ ... عَلَيهِ لَمَا دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ

8 فَـبِرُّكَ لم يُنْفَقْ وَمَالُكَ رَائِحٌ ... وَرِبْحُكَ لَمْ يَحْصُلْ وَجَدُّكَ عَاثِرُ

9 خَلِيلَيَّ مَا لِلرِّيحِ يَأْتِي جَنُوبُهَا ... قَبُولاً وَتُقْصِينِي الحُدُودُ العَوَاثِرُ[2]

---

(1) كتب المؤلِّف في الحاشية كلمة بديلة لـ «يظهر»، هي «يثبت».

(2) الجَنوب: ريح تهب من جهة الجنوب. والقَبول: ريح الصبا أو الريح الشرقية. ولمعرفة ضوابط هذه التسميات، فإنَّ العرب لما استقبلت مطلع الشمس في جهة الشرق، هبّت عليها من تلك الجهة ريح سمتها قَبولا، وهي ريح الصبا أو الرِّيح الشرقيَّة. وما أتى إليها من ريح عن دبر في حال استقبالها سمته دَبورًا، وهي الرِّيح الغربيَّة. وما هبَّ عن الجانب الأيمن سمته جَنوبًا. وما هبَّ عن جانب الأيسر أو الشَّمال سمته شمالاً. وكلّ ريح هبّت بين جهتَيْن من هذه الجهات سمتها نَكْبَاء، من النُّكوب وهو العُدول أي عدلت عن هذه الأربع الجهات. ومنه قول الإمام البوصيري في الهمزية (خفيف):

وصلاةٌ كالمسكِ تحمِلُهُ مِـ ... ـنّي شَمَالٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءُ

10 وَإِنِّيَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ مَا أَنَا بَائِنٌ ولا أنـا حَـدَّادٌ وَلاَ أَنَـا زَافِـرٌ[1]

11 فَلَسْتُ أُبَالِي مِنْ رِيَاحٍ تَقَلَّبَتْ عَـلَـيَّ مَجَارِيـهَـا فَـإِنَّـنِـي آمِـرُ

12 عَنِ الحَقِّ بِالأَمْرِ الذي لا تَصُدُّهُ سِهامُ الأَعادِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ

13 تَبَارَكْتَ مِنْ شَخْصٍ على الحَقِّ ثَابِتٍ ومَا لَكَ مِنْ أَيْـدٍ ومَا لَكَ نَاصِرُ

14 وما عَلِمَتْ مِنْكَ الأَقَارِبُ وَالعِدَا إذا كُنْتَ صَبَّارًا بِمَنْ أَنْتَ صَابِرُ

15 وقد جُهِلَتْ مِنْكَ المراتِبُ كُلُّهَا على عِلْمِهَا عَيْنًا لما أنتَ صَائِرٌ[2]

16 يقولونَ إنَّ الصَّدْعَ لِلرَّجْعِ لازِمٌ وَقَـدْ صَدَقُوا لَكِنَّهُمْ لَمْ يُثَابِرُوا

17 عَلَى مَالِنُورِ الشَّمْسِ فِي ذَاكَ مِنْ جَدًى ولولاهُ مَا جاءَتْكَ سُحْبٌ مَوَاطِرُ

[279]

من البسيط[3]

1 إِنَّ المجاهدَ في نـارٍ وفـي نور كـأنَّـه ذَهَـبٌ فـي حُـقِّ بَـلُّـورِ

2 مـا إن رأيـتُ لـه مِـثْـلا يعادِلُهُ فيما يحاولُ مِـنْ كَـدٍّ وتَشْمِيرِ

3 إلا النُّضارَ الذي ما زال خابرُه يلقي به النَّارَ في سَبْكٍ وَتَشْجِيرِ

[280]

من مشطور البسيط[4]

1 قـالـت لـنـا سَـفَـرِي إن كُـنْـتُ فـي سَـفَـري

2 مـا كـان فـي شُـكْـر أَحْـلَـى مِـن الـشُّـكْـرِ

3 فـقـل إلـى سَـمَـرٍ شـوقـي إلـى السَّمَرِ[5]

---

(1) الزافرة: ركن البناء. فلعل الشَّيخ يقصد: فلست حدَّادًا ولست بنّاء، وإنَّما أنا من أهل البيت، واللّٰه أعلم.

(2) هذا البيت ساقط من طبعة بولاق (ص. 381)

(3) أوردها في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 40ب)، لكنَّه لم يورد منها إلَّا البيتَيْن الأوَّلَيْن.

(4) أوردها في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 43).

(5) قد ذكر المؤلِّف اسم «سمر» في قصيدة أوردها في الجزء الرابع الذي حققناه (رقم 486). ومن بديع هذه القطعة أنَّها تقابل اللَّفظة المركزيَّة في الأشطار الأولى مع اللفظة نفسها في الأشطار الثانية بدلالات مختلفة. وينبغي ربط «سمر» بحديثه في القصيدة (58) عن السمراء. وأهل السَّمَر أو المسامرة، هم صنف من أهل الحديث لا يحصرهم عدد، آيتهم ﴿وشاورهم في الأمر﴾. وقد عرَّفهم الشيخ في الباب 73 من الفتوحات المكِّيَّة بقوله «فإن قلت: وما السَّمَر ؟ قلنا خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الرُّوح الأمين على قلبك، وهو خُصوصٌ في المحادثة».

4 فَـــإنَّ فـــي عُـمُـرِي خـيـرًا إلـى عُـمَـرِ

[281]

من السريع[1]

1 الـحَـمْـدُ لِـلأَوَّلِ وَالآخِـرِ الأَحَـدِ الـبَـاطِـنِ وَالـظَّـاهِـرِ

2 بِـوَحْـدَةِ الكُثْرِ[2] عَرَفْتُ الَّـذِي قَـرَّرَهُ الـرَّحْـمَـنُ فِـي خَـاطِـرِي

3 إنَّ الغِنَى وَصْـفٌ لَـهُ ثَـابِـتٌ عِـنْـدَ اللَّبِيبِ الـعَـاقِـلِ النَّاظِرِ

4 وَالـنَّـقْـلُ قَـدْ أَثْـبَـتَ أَسْـمَـاءَهُ لِـحِـكْـمَـةِ الـخَـابِـرِ وَالـحَـائِـرِ

5 والكَشْفُ قَـدْ قَـالَ بِـهَـذَا وَذَا لأَنَّـهُ فـي الـمَـوْقِـفِ الـبَـاهِـرِ

6 يُبْهِرُ أَرْبَـابَ الحِجَا بِالغِنَى ويُـبْـهِـرُ الـنَّـاقِـلَ بـالـخَـائِـرِ

7 وَهْـوَ عَـلَـى مَـا هُـوَ فـي نَفْسِهِ يَـحْـكُـمُ لِـلأَوَّلِ وَالآخِـرِ

[282]

من مجزوء الرجز[3]

1 شُغْلِي بِـمَـنْ شَـرَّعَ لِـي الشـ ـغـلَ بـه فـحَـيَّـرا

2 خَـاطَـبَـنِـي بِـأنَّـنِـي عَـبْـدٌ لَـهُ وَمَـا نَـرَى

3 لِـعَـيْـنِـهِ مِـنْ شَـاهِـدٍ إلاَّ الـعَـمَـى وَالأَثَـرَا

4 وَقَـالَ لِـي إنَّ الَّـذِي تَـرَاهُ بِـي قَـدْ ظَـهَـرَا

5 لَـوْلاَكَ يَـا رَبَّ الـوَرَى مَـا كُـنْـتُ إلاَّ لِـوَرَا

6 مِـثْـلَ الـذي قـالَ لَـنَـا مَـنْ صُـبْـحُـهُ قـد انبرى[4]

7 مِـيـرَاثُـنَـا مِـنْ أَحْـمَـدٍ خَـيْـرِ الأَنَـامِ وَالـوَرَى

---

(1) أوردها في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 67).

(2) في طبعة بولاق: «الكبر» بدل «الكثر»، وهو خطأ، فإنّ الكثرة تقابل الوحدة لا الكِبَر. (406)

(3) أوردها في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 81).

(4) يشير في هذا البيت والذي قبله إلى قوله ﷺ عن إبراهيم عليه السلام «إنّما كنت خليلا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ»، وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع.

8 خَـيْـرِ إِمَـــامٍ طَـاهِـرٍ سَـلِـيـلِ أَعْـــرَاقِ الـثَّـرَى
9 صَـلَّـى عَـلَـيْـهِ الـلَّـــهُ مِـنْ خَـلِـيـفَـةٍ قَـــدْ ظَـهَـرَا
10 بِـــكُـــلِّ مَـــا أَمَّـــلَـــهُ مِـــنْ رَبِّـــهِ مَـــا افْـتَـخَـرَا
11 لأَنَّـــــهُ عَـــبْـــدٌ وَمَـــا لِـلْـعَـبْـدِ أَنْ يَـفْـتَـخِـرَا
12 إِلاَّ بِـمَـــنْ كَـــوَّنَـــهُ عَـــبْـــدًا لــه فَـاشْـتَـهَـرَا
13 أَنَـــا الَّـــذِي قُـلْـتُ أَنَـــا لِـــذَا يَـقِـيـنًـا خَـبَـرَا
14 لَـــوْ أَنَّـــنِـي قُـلْـتُ أَنَـــا بِـــهِ رَأَيْـــنَـــا عِـبَـرَا
15 فَـاحْـمَـدْ وزِدْ فـي شُـكْـرِهِ يَـــزِيـــدُكُـــمْ مَـــا ذكـــرا
16 فـي مُـحْـكَـمِ الـذِّكْـرِ لنا لِـعـبـده إن شَــكَـرَا

[283]

من مخلع البسيط[1]

1 الحَمْدُ للَّه حَمْدَ مَنْ لم يَبْغِ جَزَاءً ولا شُكُورَا
2 وَإِنَّمَا العَبْدُ قِيلْ[2] لَهُ قُلْ فَـقَـالَ مَـا قَـالَـهُ خَـبِـيـرَا
3 بِـأَنَّـهُ فِـيـهِ عَـبْـدُ قِـنٌّ مُـمْـتَـثِـلٍ أَمْـرَهُ الـكَـبِـيـرَا
4 لـم يـتَّـخِـذْ دُونَـــهُ وَلِـيًّـا فـي حَـمْـدِهِ لاَ وَلاَ نَـصِـيـرَا
5 مَـنْ حَـكَّـمَ الـعِـلْـمَ فـي هَـوَاهُ كَـانَ عَـلَـى نَـفْـسِـهِ قَـدِيـرَا
6 يَـعْـرِفُـهُ كُـلُّ مَـنْ رَآهُ بِـنَـعْـتِـهِ سَـيِّـدًا حَـصُـورَا

[284]

من البسيط[3]

1 ما لي مِنَ العِلْمِ إلا ما نَطقتُ به وهْو الصَّحِيحُ الذي لا شَرْعَ يُنْكِرُهُ

---

(1) أوردها في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 83).
(2) ينبغي إدغام لامْ «قيل» مع لام «له» ليستقيم الوزن.
(3) أوردها في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 103).

2 يقولُ مَنْ لَيْسَ يَدْرِيهِ اسْتَسِرَّ به — وكيف أَسْتُرُهُ والحَقُّ مُظْهِرُه

3 اللّه ما زالَ للأسماعِ يَسْمَعُهُ — بِمَا يُقَرِّرُهُ شَرْعًا وَيُظْهِرُهُ

4 وليس شَخْصٌ من أهل العلم يُنْكِرُهُ — إلا تراه لدى الإنْصافِ يُضْمِرُهُ

5 الفِكْرُ يَنْفِيهِ وَالإيمانُ يُثْبِتُهُ — وَكَمْ شُخَيْصٍ قد أرْدَاهُ تَفَكُّرُهُ

6 إنَّ السَّعَادَةَ بالإيمان قد قُرِنَتْ — والسَّعْدُ يُسْعِدُ مَا وَهْمِي يُصَوِّره

7 فَاللّهُ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ومَا — نَرَاهُ حِسًّا وبالإيمان نُبْصِرُهُ

8 يَكْفِيكَ منه الذي الرَّحْمنُ قَرَّرَهُ — في شَرْعِهِ، فَكَفُورٌ مَنْ يُكَفِّرُهُ

9 النَّصُّ عَزَّ لأنَّ اللّهَ ذو كَرَمٍ — يَخْلُقُهُ فلهذا لا يُصَدِّرُهُ

10 لو جاء بالنَّصِّ لم يَقْبَلْهُ ذو نَظَرٍ — إلا بإيمانه لذاك يَسْتُرُهُ

[285]

من البسيط[1]

1 حُكْمُ الطبيعةِ في الأجْسَامِ مُعْتَبَرُ — لأنَّهَا أَصْلُهَا، وَالأَصْلُ يُعْتَبَرُ

2 فَانْظُرْ إِلَيْهَا إِذَا طَالَ الزَّمَانُ بِهَا — تُبَدِّدُ الشَّمْلَ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ

3 في النَّارِ تُنْضِجُهَا وفي الجِنَانِ لها — حُكْمٌ عليها كما تَدْرُونَ فَادَّكِرُوا

4 إنَّ العَذابَ بها مِثْلُ النَّعِيمِ بِهَا — وذَنْبُهَا عِنْدَ أَهْلِ الكَشْفِ مُغْتَفَرُ

5 اللّه حكَّمَها فيها وأحْكَمَهَا — فَمَا لَهَا عَنْ نُفُوذِ حُكْمِهِ وَزَرُ

6 بِهَا يُعَذِّبُنَا بِهَا يُنَعِّمُنَا — وَلَيْسَ يَخْلُصُ مِنْ أَحْكَامِهَا بَشَرُ

7 سُبْحَانَ مَنْ أَوْسَعَ الأَشْيَاءَ رَحْمَتَهُ — في الخَيْرِ وَالشَّرِّ عِلْمًا هكذا الخَبَرُ

8 جَلَّ الإلَهُ فَمَا تُحْصَى مَوَاهِبُهُ — وَالكُلُّ مِنْهُ كَمَا قَدْ شَاءَهُ القَدَرُ

[286]

من البسيط[2]

1 أَصْبَحْتُ مِثْلَ بني يَعْقُوبَ إِذْ دَخَلُوا — على العَزِيزِ فَقَالُوا مَسَّنَا الضَّرَرُ

(1) أوردها في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 113).

(2) أوردها في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 120).

وأهلُنَا معنا قد مَسَّ أكثرَهُمْ مثلُ الذي مَسَّنَا منه ولا وَزَرُ[1]

2 إلاَّ الَّذِي بِجَمِيلِ الصُّنْعِ عَوَّدَنَا هُوَ الإلَـهُ الَّـذِي يَعْنُو له البَشَرُ

3 إنَّ الخلائِقَ إنْ عَزُّوا وإنْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ هُمْ على الحَاجَاتِ قَدْ فُطِروا

4 فلا غَنِيٌّ سِوَى الرَّحْمَنِ فَارْضَ به رَبًّا كريمًا هُوَ المقصودُ فَاذَّكِروا

5 قضى بذلكَ عِنْدَ النَّاسِ كُلِّهِمِ شَرْعُ الإلـه وما أعطاهُمُ النَّظَرُ

6 إنا جُمِعْنَا على تَوْحِيدِ رازقِنا بلا خِلافٍ على ما أَعْطَتِ الفِكَرُ

7 وجَاءَ في الوَحْيِ منه ما يُصَدِّقُنَا فَصَحَّ في العقلِ ما قد صَحَّحَ الخَبَرُ

8

[287]

من البسيط[2]

1 شَمِّرْ فإنَّ صفاتِ القَوْمِ تَشْمِيرُ وَلاَ تُعَوِّلْ عَلَى مَا فِيهِ تَشْطِيرُ

2 وَلْتَاتِ بالكُلِّ إنَّ الكُلَّ مَطلَبُ مَنْ أَوْحَـى إِلَيْكَ بِهِ فَالأَمْرُ تَشْمِيرُ

3 مَنْ يَأْتِ بالنَّصِّ والإجمالُ يَطْلُبُهُ قد جاء بالنَّصِّ لكنْ فيه تَقْصِيرُ

4 إذا أَتَيْتُمْ بما ترضى نُفُوسُكُمُ دونَ الإلـه بـه فـأنـتَ مَـغـرورُ

5 ما بين عَدْلٍ وفَضْلٍ حُكْمُ خَالقِنا فِينَا ولِلْفَضْلِ دُونَ العَدْلِ تقدير[3]

6 كذا أَتَتْنَا نُصوصُ الوَحْيِ مُخْبِرةً مِـنَ الإلَـهِ بما فِيـهِ التَّباشيرُ

[288]

من المديد[4]

1 قَسَمًا بسورةِ العَصْرِ إِنَّهُ الإنْسَانُ في خُسْرِ[5]

---

(1) إشارة إلى أنَّ الشَّيخ كان يعاني مع أهله من الضر لدى قوله لهذه القصيدة، ولعلّ السَّبب من قلَّة ذات اليد كما نستشعره في البيت رقم (4). والرَّاجح أنَّ ذلك كان في أولى سنوات إقامته في المشرق قبل أن يطير صيته ويغدق عليه الأكابر.

(2) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 121).

(3) كتب في طبعة بولاق «فصل» بدل «فضل»، وهو خطأ لأنَّ ما يقابل العدل الإلهيّ هو الفضل الإلهي (ص. 438).

(4) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 128).

(5) إشارة إلى مفتتح سورة العصر ﴿والعَصْرِ إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، (2، 1).

2 غيرَ مَنْ أوْصَوْا نفوسَهُمُ بينَهُمْ بالحَقّ والصَّبْرِ

3 فَهُمُ القَوْمُ الذين نَجَوْا مِنْ عذابِ اللّه في القَبْرِ

4 ثُمّ في يوم النُّشُورِ إذا جُمِعُوا للعَرْضِ في الحَشْرِ

[289]

من المجتث[1]

1 حسَّنْتُ ظَنّي بِرَبّي فَأَعْقَبَ[2] الظَّنُّ خيرا

2 أعْطَانِي الظَّنُّ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَيْرا

3 بِهِ تَعَوَّدتُ شَرْعًا مِنْ رَدِّهِ الكَوْرَ حَوْرَا[3]

4 فَأَسْرَعَ الخيْرُ عِنْدِي سَيْرًا حَثِيثًا فَسَيْرَا

[290]

من البسيط[4]

1 هذا الذي قلتُهُ في اللّه مِنْ صِفَةٍ اللّهُ جاء به في الذِّكْرِ مَسْطُورَا

2 على لِسَانِ رَسولٍ سَيِّدٍ نَدُسٍ[5] إذْ طَهَّرَ اللّهُ أهْلَ البَيْتِ تَطْهِيرَا

3 فَلَمْ يَنَلْهُمْ لِذَا في عِرْضِهِمْ دَنَسٌ إنْ شَمَّرُوا ذَيْلَهُمْ للنَّصِّ[6] تَشْمِيرَا

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 150).

(2) أعقب: بمعنى ترك ولدًا، أي أنّ الظنَّ الحسنَ أعقبَ الخيرَ، فيعرب «الظنُّ فاعلًا»، وليس «أعقب» بمعنى أنّ «الشيء يأتي في إثر آخر»، إذ سيكون علينا أن نقول «فأعقب الظنَّ خيرٌ»، أي أتى بعد الظنّ خير، إلّا أنّ كلمة «خيرًا» في آخر البيت مفعول به.

(3) جاء في الخبر: أعوذ باللّه من الكور بعد الحور.

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 168).

(5) النَّدُس: سبق بيانه في هامش القصيدة رقم (32) و (137)، ومعناه: الفَطِن، الكَيِّس. وهي من الصفات الواجبة في حقّ الرسل والأنبياء.

(6) تحوّلت هذه الكلمة في طبعة بولاق من «النص» كما في الأصل، إلى «النصر»، وشتان بينهما، فالمقصود هو عمل أهل البيت بنص الكتاب. وقد سبق في القصيدة رقم (121) أنّ وَصَفَ القَوْمَ بالتّشمير أيضًا. فأهل البيت والصوفيّة يجتمعون في هذه الصفة. وفي البخاري باب بعنوان «في باب التشمير عن الثياب».

[291]

من البسيط[1]

1 إنّ الذي بوجودي اليومَ أعرفُهُ هو الذي في غدٍ بذاك أُنكره[2]

2 إنْ كان أخفاه في عَيْنِي تَقَلُّبُهُ فإنَّ قلبيَ في التّقليبِ يُبْصِرُهُ

3 مِنْ أعْجَبِ الأمرِ أنّي حينَ أذْكُرُهُ أغِيبُ عنه وَيُدْنِينِي تَذَكُّرُهُ

4 رَأيْتُهُ ذاكرًا لي حينَ أذْكُرُهُ في كلِّ حالٍ ويُخْفِيني فَأُظْهِرُهُ

5 إيّاهُ أسْألُ عنه حينَ يَسْألُنِي عني ويَنْسَى إذا أنْسَى فَأُذْكِرُهُ

6 لو أنه في وجودي حين يُشْهِدُنِي ما كُنْتُ أشهده، ما كنت أبْصُرُهُ[3]

[292]

من البسيط[4]

1 إذا تَهُبُّ علينا نَسْمَةُ السَّحَرِ أستَنشِقُ المسْكَ من عَرْفٍ لها عَطِرِ

2 وأسألُ الرّيحَ إنْ مَرّتْ بأرضِهِمُ إذا تَهُبُّ مع الأنفاس في السَّحَرِ

3 أ بِاللّوَى نَزَلوا أمْ بالحِمَى عَدَلوا بِاللّهِ، باللّهِ حَدِّثْنِي عن الخَبَرِ

4 واصْدُقْ فإنَّ هواهُ فِيَّ يَكْذِبُ لي إذْ لَوْ يَصِحُّ لَمَا كُنّا على الأثَرِ

5 قالت وحَقِّ الهَوى العُذْرِيِّ أُخْبِرُكُمْ مَبِيتُهُمْ بينَ ضَالِّ النَّبْتِ[5] والسَّمُرِ

6 إنّي أحَطْتُ بِعِلْمٍ ما علمتُ به لَمَّا تَسَتَّرَ بالبيضاءِ[6] والقَمَرِ

7 أفادني أنّه في كلِّ ما نَظَرَتْ عيني إليه فما أهوى سِوَى النظر

8 لو كان لي غَرَضٌ في غير رؤيَتِه لما تَمَكَّنَ من قلبي أذَى بَصَري

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 174).

(2) يشير إلى تجلّي الحقّ يوم القيامة على عباده في صورة ينكرونها. يقول في الباب 167 من الفتوحات المكّيّة «تجلّي الحقّ في القيامة في صورة يتعوذ أهل الموقف منها وينزّهون الحقّ عنها ويستعيذون باللّـه منها وهو الحقّ ما هو غيره، وذلك في أبصارهم، فإن الحق منزه عن قيام التّغيير به والتّبديل».

(3) أبْصُرُه: من بَصُرَ يَبْصُرُ به: فطِنَ به وعلِم به.

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 175).

(5) في ديوان المعارف «البيت» بدل «النبت»، وهو خطأ. السَّمُر: ضرب من شجر الطَّلْح.

(6) البيضاء: الشمس.

9 لَكِنْ هَـوَايَ ومَرْغُوبِي أُشاهِدُهُ — في كُلِّ وَقْتٍ، وفي الأَصالِ والبُكَرِ

10 سَأَلْتُهُ أَنْ أَراهُ حِينَ يَطْلُبُنِي — إذا به مُقْبِلٌ يمشي على قَـدَرِ

11 حقَّقْتُ صورَتَهُ فلم أَجِدْ أَحَـدًا — غيري وعَايَنْتُهُ في سائرِ الصُّوَرِ

12 أعيانُها، فلهذا ما فَـقَـدْتُ لَهُ — وَجْهًا، ولا غابَ عني غَيْبَةَ البَشَرِ

13 أَنِـفْـتُ منه لأنـي لم أراهُ على — ما كان في أملي من غاية السُّوَرِ

14 إنَّ الـقـرآنَ له مَجْلًى أُحَقِّقُهُ — في كلِّ ما فيه من آيٍ ومن سُوَرِ

15 وقد أَتَـيْـتُ بها للنَّاسِ واضِحَةً — بيضاءَ في فتحنا المَكِّيِّ[1] في سُوَرِ

16 هاذِي المعارفُ قد سَطَّرْتُها جُمَلا — لِكُلِّ صَاحِبِ قَلْبٍ غيرِ مُدَّكِرِ

17 لأنـه لـم يشاهِدْها فَـيَـذْكُـرُهَـا — والأمر فيها كَمِثْلِ اللَّمْحِ بالبَصَرِ

18 أَدْنَـى وأَقْــرَبُ مِمَّا قُلْتُهُ وأَتَـى — بمِثْلِهِ تُرْجُمَانِ الحقِّ في الخَبَرِ[2]

[293]

من الطويل[3]

1 فَمَا كان ظَنِّي أَنْ تَكُونَ قَضِيَّتِي — معَ الصَّاحِبِ المَوْلَى كما حَكَمَ الدَّهْرُ

2 ولكِنَّنِي أَرْجُو مِنَ اللَّـه أَنْ أَرَى — إذا جَاءَ عُسْرٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ اليُسْرُ

3 فقد جَاءَ عُسْرٌ بين يُسْرَيْنِ مُنْزَلٌ — مِنَ اللَّـهِ في الوَحْيِ الَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

4 فقال: «أَلَمْ نَشْرَحْ»، فقلت: بَلَى وَقَدْ — أَتَى بَعْدَ وَضْعِ الوِزْرِ أَنْ يُرْفَعَ الذِّكْرُ

5 وَنَاهِيكَ مِنْ خَيْرٍ تَضاعَفَ حُكْمُهُ — على خَيْرِ خَلْقِ اللَّـه إِذْ شُرِحَ الصَّدْرُ

6 هُـوَ الـبَـحْـرُ جـودًا والغَزَالَةُ[4] — ولولا اشْتِبَاهُ الأَمْرِ ما جُهِلَ القَدْرُ

---

(1) أي في كتابه الفتوحات المكّيّة، والراجح أنّه يشير إلى فصل المنازل منه المخصّص لسور القرآن. وهذا مؤشر على أنّ هذه القصيدة نظمت بعد كتابة فصل المنازل، الرابع ترتيبًا من فصول الكتاب الستة.

(2) يشير إلى قوله ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾، ﴿وما أمر الساعة إلا كَلَمْحِ البَصَرِ أو هو أقرب﴾. من سورتي النجم والنحل تِباعًا. وترجمان الحقّ هو الرسول عليه السلام. ويستعمل الشيخ الأكبر لفظة الترجمان للدلالة على وظائف الأنبياء والرسل وكبار الأولياء. (انظر تحقيقنا لمقدّمة ديوان المعارف، في الكتاب التذكاري حول ابن العربي الحاتمي، 2018)

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 178).

(4) الغزالة: الشمس. السُّورَة: المنزلة الرّفيعة والشرف.

7 يَقُولُونَ إنسانٌ، وأيـنَ مُحَمَّدٌ مِنْ ابنِ هِشامٍ، جَلَّ من كثرةِ نَزْرٌ[1]

[294]

من البسيط[2]

1 سِرٌّ تَجَسَّدَ لا رُوحٌ ولا بَشَر هو الذي قيلَ فيه السَّمْعُ والبصرُ
2 والرِّجْل واليَدُ والأعضاء أجمَعُها والملك والحُكْمُ والتَّصْريفُ والقَدَرُ
3 له المشيئة فينا لا مُشاءَ لها سوى الحدوث وفيه تَنْفُذُ القُدَرُ
4 فما تَـرَى نَسَبًا تبدو لِنَاظِرِنَا إلا خَفَتْ نِسَبٌ بذا قَضَى النَّظَرُ
5 إنَّ التَّجَزِّي لِعَيْنِ الكُلِّ يُكْثِرُهُ والعَيْنُ وَاحِـدَةٌ فَحَارَتِ الفِكَرُ
6 فَعَيْنُ ما جَهِلُوهُ عَيْنُ ما عَلِمُوا به وما سَكَتُوا عَنِ الَّـذِي ذَكَروا
7 لِـذَاكَ يَعْدِلُ قَـوْمٌ في خِطَابِهِمُ عن قَوْلِهِمْ عَلِمُوا لِقَوْلِهِمْ شَعَروا
8 وعَيْنُ مَا وَقَـعَ الإشْعارُ عِلْمُهُمُ بِـأَنَّ ثَـمَّ وَلَـكِـنْ مَـا هُـوَ الخَبَرُ
9 ونحن قَـوْمٌ أُولُـوا وَهْـمٍ ومَعْرِفَةٍ كِلاهُما لهما فـي عَيْنِنَا أثَـرُ
10 وقد بَقِينَا حَيَارَى مِنْ تَصَرُّفِنَا في كُلِّ حالٍ على التَّعْيينِ يا غُدَرُ
11 إنْ كان وَهْمِي فقد حقَّقْتُ مَصْدَرَهُ أو كان عِلْمِي فَلا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
12 وذاكَ يَلْزَمُنِي والكُلُّ سَفسطةٌ ولا مَلاذَ سوى أَنْ يُرْفَعَ البَشَرُ
13 هو الحِجَابُ كما قال الإلَـهُ لنا إنْ كنتَ تحْكُمُكَ الآياتُ والسُّوَرُ
14 كُنْ عَيْنَ عِلْمِكَ لا تَرْكَنْ إلى صِفَةٍ حَتَّى تَبِينَ لَكَ الأَرْوَاحُ والصُّوَرُ

[295]

من الخفيف[3]

1 عَلِمْنَـا ذَاتَـنَـا فما ثَـمَّ جهلٌ وسبيلي لـنـيـل ذلـك وَعْـرُ
2 مـا لـنـا فـي منالـه مـن محال لا ولا فـي اقتنائه لِـيَ فِـكْـرُ

---

(1) أورد بديلًا في الهامش لعبارة «كثرة نزر» هي «نَزْرُهُ البَحْرُ»، وهي أبلغ في الدلالة على أنَّ النزر اليسير من سيِّدنا محمد يعدل البحر، فما بالك بما هو فوق ذلك. والشَّيخ يرد على من يتحجج بقوله تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ في الوقوف عند بشريته دون إدراك كماله، وهو أنَّه إنسان كامل يوحى إليه، والآية تقرر بشريته، ثمَّ تميِّزه بعد ذلك بخاصيَّة الوحي ﴿يوحى إلي﴾ الذي لا يستحقّه إلَّا من كان صالحًا لحضرة الحقّ.

(2) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 180).

(3) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 182).

3	ليس يحظى بذاك غَيْرُ شُخَيْصٍ	حَالُهُ الحَقُّ وهو عَجْزٌ وَفَقْرُ
4	أَيْنَ مَنْ يَعْلَمُ الذي أنا فيه	والذي يبتغيه قَدْمٌ وغَمْرُ

[296]

من الطويل[1]

1	إذا قلتَ مَنْ لِلأَمْرِ قُلْتُ محمَّدٌ	وإن قلتَ مَنْ لِلْخَلْقِ، قلتُ أبو البَشَرْ
2	فهذا يَمُدُّ الرّوحَ في مَشْهَدِ السُّوَرْ	وهذا يَمُدُّ الجِسْمَ في مَقْعَدِ الصُّوَرْ
3	لذا اختَصَّ بالأسماءِ مَنْ كان آدمًا	كما اختَصَّ بالمدلولِ مَنْ كان مِنْ مُضَرْ
4	لقد كان مختارًا نَبِيًّا مُقَرَّبًا	وآدمُ بين الماء والطِّينِ فَأَظْهَرْ[2]
5	وَوَارِثُهُ يَزْهُو بما هُوَ تابِعٌ	له ويَمُدُّ العالمينَ ويَفْتَخِرْ
6	عَلَى مَنْ ولا عَيْنٌ تراها بذاتها	سوى عَيْنِ حَقٍّ قاله الحَقُّ فَاعْتَبِرْ
7	أتانا به عنه رسولٌ مُبَلِّغٌ	عَزِيزٌ عليه، صاحِبُ الوَحْيِ والخَبَرْ
8	لقد جاء بالآياتِ مِنْ أَرْضِ غُرْبَةٍ[3]	إلى مِثْلِهَا يَدْرِي بذلكَ مَنْ حَضَرْ

[297]

من السريع[4]

1	الكُلُّ مختارٌ ومَجْبورُ	والكُلُّ مَأْمُورٌ ومَقْهورُ

---

(1) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 183).

(2) يشير إلى الحديث «كنت نبيًّا وآدم مُنْجَدِلٌ في طينته»، وفي رواية أحمد والبخاري في تاريخه «كنت نبيا وآدم بين الرُّوح والجسد». وفي رواية متداولة كثيرًا عند الصوفيَّة «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين».

(3) كثيرًا ما كان الشَّيخ سيدي محمد الحراق المغربي يردِّد «ارحموا هذا الغريب». تأكيدًا على حقيقة هذا المعنى من أنَّ الإنسان غريب. أمَّا العارف فيرى أنَّ كلَّ معنى غريب يقع في القلب ويقدح في الشريعة جنابة. فتؤول الجنابة غربة عن موطن الإيمان الذي هو وطن الحضور والعبوديَّة. فإذا فارق العبد وطن الإيمان والعبوديَّة صار غريبًا. ويُعَرِّفُ ابن العربي الغربة في الباب 73 من الفتوحات عند جوابه عن السُّؤال (153) «فإن قلت وما الغربة؟ قلنا مفارقة الوطن في طلب المقصود، وغربة عن الحال من حقيقة النفوذ فيه، وغربة عن الحق من الدَّهَش عن المعرفة لحكم الاصْطِلام». وقد أخبر الشَّيخ في الباب 191 من الكتاب نفسه، أنَّه أحسَّ بغربة شديدة لما دخل منزل القربة في محرم من عام 597 للهجرة في بلاد المغرب في منتصف الطريق بين سَلاً ومراكش.

(4) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 190).

2	ومـا لــهُ مِــنْ قـاهـرٍ غـيـرُهُ	فـإنَّـه بـالـعـلـم مَـخـصـورُ
3	يُـصَـرِّفُ فـي بَعْضِهُ بَعْضَهُ	فَـآمِــرٌ مـنـه ومَـأمُــورُ
4	أسْـعَـدَهُ الـلّــهُ على نَفْسِهِ	بـأنَّـهُ فـي الـكَـوْنِ مَـفْـطُـورُ

[298]

من السريع[1]

1	لـو أنَّـنِـي أعـلـمُ مـا عِـنْـدَهُ	ما اسْـتَـأثَرَ اللّهُ بما قد ذَكَرْ
2	عنه رسـولُ الـلّــه فـي لفظِه	المصطفى المختارُ خيرُ البَشَرْ
3	ومـا علـمـنـا غـيـرَ مـا عـنـدَهُ	فَقُلْ لمن يَعْلَمُ كيف الخَبَرْ
4	الـكُـلُّ مـنـهُ وَإلَـيْـهِ وَمَـا	يَبْطُنُ عن عِلْمِي وَمَا قَدْ ظَهَرْ
5	لـلّــهِ عِـلْـمٌ فـيَّ لَـوْ أنَّـهُ	يَخفَى لأَبْدَتْـهُ عُيونُ الصُّوَرْ
6	مِنْ أعْجَبِ الأشْيَاءِ أنَّ الذي	يَـعْـلَـمُـهُ عَـالِـمُـنَـا مَـا اسْتَتَرْ
7	لأنَّـهُ مـنـه اسْـتَـفَـادَ الـذي	يَـعْـلَـمُـهُ فَـمَـا يَـغِـيـبُ خَـبَـرْ
8	لَـوْ تَـدْرِ يـا مِسْكِينُ ما قُلْتُهُ	كنتَ عَـلَـى الـكُـلِّ بـه تَفْتَخِرْ
9	مَـا ثَـمَّ غـيـبٌ مُـطْـلَـقٌ غَـيْـرُ ما	عليه ذاتُ بَعْضُها في الـزُّبُـرْ
10	على النَّقِيضَيْنِ فَـحَـارَ الذي	يَـطْـلُـبُ أمْـرًا مَـا لَـهُ مِـنْ أثَـرْ

[299]

من البسيط[2]

1	لَمَّا تَجَمَّع أَهْلُ الزُّهْرِ والزَّهَرِ[3]	عَلَى الَّذِي قَدْ بَدَا في الأرْضِ مِنْ أَثَرِ
2	وَاسْتُجْمِعَ الكُلُّ في سلطانِ دَوْلَةِ مَنْ	أتى إليهِمْ بِهِمْ يَمْشِي على قَدَرِ

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 202).

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 216).

(3) أهل الزُّهر والزَّهر: يقصد أهل نور السّماء وأهل نور الأرض من أصحاب الأسماء الإلهيّة. فالزُّهر هي الأسماء الحسنى، والزَّهَر هي آثارها. ولغة، الزُّهر: هي الأنجم المشرقة ومنها الشمس والقمر التي تنجم في السّماء بالأنوار، والزَّهر ينجم بِنَوْرِ الأزهار من الأرض.

3 في صورة الشَّمْسِ وقتًا لِلْبُرُوزِ وَقَدْ يَكُونُ وقتًا لهم في صورَةِ الـمَطَرِ

4 إذا دعاهُمْ تَرَاهُمْ في إجَابَتِهِمْ على ضُروبٍ مِنَ الأَلْـوَانِ والثَّمَرِ

5 مِنْ بَعْدِ ما حملوه في بُطونِهِمُ حَمْلَ الإناثِ إذا اسْتُجْمِعْنَ بالذَّكَرِ

6 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بهيجٍ قد أَتَيْنَ به لِـلاعْـتِـبَـارِ وفيه نُـزْهَـةُ البَصَرِ

7 في الطَّعْمِ يَظْهَرُ ما أَبْدَوْهُ من حَسَنٍ وفي الـمَشَامِّ شَذًى من طيِّبٍ عَطِرِ

8 ومِـــنْ تَـلَـوُّنِـهِ يَـلْـتَـذُّ نـاظـرهُ إذا رأى حُسْنَهُ المعشوقَ بالنَّظَرِ

9 والسَّمْعُ يسمع ألحانًا مُنَوَّعَةً عند اهتزاز هُبوبِ الرِّيحِ في الشَّجَرِ

10 فَتَنْثَنِي طربًا منها مَعاطِفُها رقصًا إذا هي هَبَّتْ نَسْمَةُ السَّحَرِ

11 اللَّـهُ كَمَّلَ بالإنْشَاءِ صُورَتَها لذا تَجَلَّتْ لنا في أَحْسَنِ الصُّوَرِ

12 تُرَجِّعُ الحَمْدَ والتَّسْبِيحَ عارِفَةً لِمَا لَهُ فيه في الآصالِ والبُكَرِ

13 له التَّجَلِّي إذا ما شَاءَ في صُوَرٍ كَصُورَةِ الشَّمْسِ في الإشْرَاقِ والقَمَرِ

14 لـذاك يُنْكِرُهُ مَـنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ والـعَـارِفُـونَ به كَـالأَنْـجُـمِ الزُّهُرِ

15 مُـبَـرَّؤونَ فلا حَـالٌ يُنَهْنِهُهُمْ مُنَزَّهونَ عن الآفَــاتِ والضَّرَرِ

16 سَكْرَى حيارَى تَراهُمْ في مَحَارِبِهِمْ مَعَ العلوم التي يَتْلُونَ في السُّوَرِ

17 إذا يُعارِضُهُمْ أَمْــرٌ يُحَوِّلُهُمْ عن حالهم يَشْهَدُونَ الخُبْرَ في الخَبَرِ

18 وإنَّ ذا لَعَزِيزٌ في الـوُجُـودِ فَمَا تَدْرِي به الملأُ الأَعْلَى مِنَ البَشَرِ

19 إنـي ومَــنْ هُـوَ ذَاتِـي إذْ أُنـازِعُـهُ فيما يُحَدِّثُ مِثْلُ الحال في السَّمَرِ

20 والفرقُ بينهما أنَّ الحديثَ بنا وليس للَّـه ما يُجريهِ في الأُكَـرِ

21 أنا الذي يَشْهَدُ الأكـوانَ ناطقةً يرى علومًا عَلَتْ عن مُدْرَكِ الفِكَرِ

[300]

من البسيط[1]

1 رَيحانَةُ الأُنْسِ ما بالرَّوْضِ مِنْ زَهَرٍ فَقُلْتُ لِمْ قِيلَ لي مِنْ كَثْرَةِ الـمَطَرِ

2 والشَّمْسُ قد حَجَبَتْ جَبْرًا حرارَتَها عَنِ الثَّرَى فَلِذَا لم يَبْذُرْ للزَّهَرِ

3 عَيْنٌ تُسَرُّ به عَيْنٌ إذا نَظَرَتْ وَتَعْبَقُ الأَرْضُ مِنْ عَرْفٍ له عَطِرِ

(1) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 228).

4 إنَّ المَعَارِفَ أنـواعٌ مُنَوَّعَةٌ ... تُنَالُ بالشَّمِّ والأسْمَاعِ والنَّظَرِ
5 ولَسْتُ أُنْكِرُ هذا إنَّنِي رَجُلٌ ... قد ذُقْتُ ذاكَ مَعَ المختار مِنْ مُضَرِ
6 ويا لها ضربةٌ[1] من عند خالقه ... كذا أتى في صحيح النَّقْل في الخَبَرِ
7 وهـذه حالةٌ لَـمْ يُـرْوَ عن أحَـدٍ ... بـأنَّـهُ نالها مِـنْ سـائِرِ البَشَرِ
8 وأنَّ وارثَـهُ تُـرْجَـى لَـهُ فَـأنَـا ... قد نِلْتُ ذلكَ ذَوْقًا منه بالبصرِ[2]
9 وذاكَ جُودُ إلهيٌّ خُصِصْتُ به ... كما خُصِصْتُ مَعَ التَّنْزِيل بالسُّوَرِ
10 وما لِغَيْرِيَ هـذا مِـنْ مَلائِكَةٍ ... وَمِنْ رياحٍ وإنْ نُوِّعْنَ[3] في الصُّوَرِ
11 وليس يُنْكِرُ هـذا مَـنْ لَـهُ قَـدَمٌ ... في العلم راسخةٌ فانْهَضْ على أثَرِي
12 واللّٰهِ لو عَلِمَتْ نَفْسٌ بِمَنْزِلِهَا ... منه لما نالها شَيْءٌ مِـنَ الغِيَرِ
13 لقد أَمِـنَـتْ لها مِـنْ كُـلِّ حادِثَةٍ ... في آخِـرِ الأَمْـرِ تأتيها على قَدَرِ
14 لا تَحْجُبَنَّكَ مِـنْ دارٍ له سَقَرٍ ... عن الأمَانِ الذي فيها مِنَ الضَّرَرِ
15 إنَّ المِزاجَ له حُكْمٌ يُخَصِّصُهُ ... رَبٌّ يُـصَـرِّفُـهُ فـي هـذه الأُكَـرِ
16 لِي نَشْأتانِ وَلِـلأَرْوَاحِ وَاحِـدَةٌ ... شَيْءٌ علمت به إنْ كنتَ ذا نَظَرِ
17 إنَّ العقولَ لها حَـدٌّ يُصَرِّفُهَا ... من أجل ما جُبِلَتْ عليه مِنْ فِكَرِ
18 أما الإلهيّ لا يَضْرِبْ له مثلا ... فقد تعالى عن الإدراك بالفِطَرِ

[301]

من البسيط[4]

1 القلبُ يُدْرِكُ ما لا يَشْهَدُ البَصَرُ ... والعينُ تَشْهَدُ ما لا تُدرِكُ الفِكَرُ

---

(1) المعنى غامض جدًا، لكنّه يشير إلى ضربة الحقّ لكتف النبيّ ﷺ حين رأى ربه عز وجل في المنام من حديث يروى عن جمع من الصحابة عن النبيّ أنّه قال «... فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة (...) فرأيته وضع كفّه بين كتفيّ حتى وجدت بَرْدَ أنامله بين ثدييّ، فتجلّى لي كلّ شيء وعرفت..». وفيه كلام من حيث الصنعة الحديثيّة.

(2) إشارة مهمّة يخبر فيها الشّيخ عن تحقّقه ذوقًا بصريًا بهذا المقام العالي في مبشرة من مبشراته، وراثة من النبيّ ﷺ.

(3) في مخطوط جامعة إستانبول 1438، وردت هذه الكلمة هكذا «يَرعن» (و. 138). الرياح: الأرواح.

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 243).

2 والـوَهْـمُ أعظمُ إدراكًـا وأسْرَعُهُ — إلى القبول كما جاءت به الفِطَرُ

3 ومـن يقول بـأنَّ الـوهـمَ يغلبه — شيءٌ فليس له علمٌ بما ذَكَـرُوا

4 وكَرَّرَ الشَّرْعُ حُكْمَ الوَهْمِ في خَبَرٍ[1] — هو المقَدَّمُ لا يُبْقِي ولا يَـذَرُ

5 ما اختَصَّ بالوهم دون الخلق أجمَعِهِمْ — إلا الـذي قيل فيه إنـه بشرُ

6 لأنـه باشرَ الـرَّحْـمَـنُ طينَتَهُ — وعَمَّها بيديه فاقتضى النَّظَرُ

7 بـأن يكون مُحيطًا في جِبِلَّتِهِ — بـذا أتـاك قضاءُ اللّـه والـقَـدَرُ

8 أحاط عِلْمًا بأسماء الكمال فما — يَفُوتُه علمُ شيءٍ قاله الخَبَرُ

9 هو الـمُصوِّرُ، فالتَّصويرُ يَخْدُمُهُ — لـذاك فـي كـلِّ مَـعْـلـومٍ لـه أثَـرُ

10 حَقًّا وخَلْقًا فلا أَمْـرٌ يُزَعْزِعُهُ — عن حُكْمِهِ وله التَّخْصِيصُ والقُدَرُ

11 قـال الإلـه لـه «كُـنْ»، ثـم حَكَّمَهُ — في نفسِه بالذي تقضي به الصُّوَرُ

12 لولاه ما نَظَرَتْ عينٌ إلى عَدَمٍ — ولا تَحَكَّمَ فيه السَّمْعُ والبَصَرُ

13 فَـلِـلـتَّـوَهُّـمِ تـأيـيـدٌ وسَـلْـطَـنَـةٌ — على النُّفُوسِ التي من شأنها الخَوَرُ

14 لـه الـنُّـفـوذُ فـلا شَـيءٌ يُـرَدُّ به — لولاه ما عُرِفَ[2] التَّخْوِيفُ والحَذَرُ

15 ومـا تَحَيَّرَ في أَمْـرٍ أخُـو فِطَنٍ — كما تَـحَـيَّـرَ فيه مَـنْ لـه نَـظَرُ

16 مِـنْ أيـنَ أَوْجَـدَهُ فينا وكَـوَّنَـهُ — وليس في ذاتـه وَهْـمٌ وَلا ضَرَرُ

17 الـخَـيْـرُ أجْـمَـعُـهُ لـه وفـي يده — والشَّرُّ ليس إليه هكذا الخبر[3]

18 لولا اشتعالُ الهوا ما كان من شَرَرٍ — للنَّارِ فَهْيَ لها الإحراقُ لا الشَّرَرُ

19 ترمي به مِثْلَ ما قال الإلـهُ لنا — في المرسلاتِ[4] ورجمًا أمْرُه خطِرُ

20 إنـي أُقـاومُ أمـرًا لا أُقـاومـه — إلا بـه ولـهـذا مـا لـنـا وَزَرُ

---

(1) يشير إلى الحديث الشهير «اعبد اللّه كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك». وقوله أيضًا «إنّ اللّه في قبلة المصلي» أو «إنّ اللّه قِبَلَ وَجْهِ المصلي».

(2) كتب في الحاشية «حَكَمَ» بدل «عرف».

(3) قضية نسبة الخير والشرّ، ويحسمها بالإحالة على قوله تعالى ﴿ما أصابك من حسنة فَمِنَ اللّه، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك﴾، 78).

(4) إشارة إلى قوله تعالى ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر كأنّه جِمالاتٌ صفرٌ﴾ (المرسلات 33)، أي أنّ جهنم ترمي بشرر عظيم كأنّه في حجم الإبل السّوداء. والعرب تسمّي السود من الابل «الجمالات الصفر». قال الأعشى: «تلك خَيْلِي منه وتلك رِكَابِي... هُنّ صُفْرٌ أولادُهَا كَالزَّبِيبِ».

21	سـواه فانظرْ إلـيـه إذْ أُقـاومُـهُ	عن أمـره وهْـوَ أمـرٌ ليس يُحْتَقَرُ
22	لكنّنا مِثْلُ ما قد قال شاعرُهُمْ	«هل عاندَ الدَّهْرَ إلا من له خَطَرُ»[1]
23	اللّه يكبُر عن تكبير مُكْبِرِهِ	إذا تُـكَـبِّـرُهُ الأصـال والبُكَرُ
24	عن التَّقَيُّدِ بـالأزمـان ثـمَّ أتى	في حَقِّه حُكْمُ ما يَقْضِي به السَّحَرُ[2]
25	يـحـارُ أكـثـرُنـا بـل حـار أكْـبَـرُنَـا	عِلْمًا جَلَتْهُ لنا الآيات والسُّوَرُ
26	ولا يُماثل ما أحويه مِـنْ حِكَمٍ	على التَّطابُقِ إلا الـدُّرُّ والـدُّرَرُ
27	فَمَنْ أراد يرى علمي ومعرفتي	ينظرْ إلى حُكْمِ ما تَجْرِي به الزُّهُرُ[3]
28	وكلُّ ما يحتويه الرَّوْضُ من زَهَرٍ	وما أتَـتْـكَ به الأشجارُ والثَّمَرُ
29	فهذه دُرَرٌ إنْ كنتَ ذا طَلَبٍ	لـهـا ومُـقْـتَـنِـيًـا كـأنّـهـا غُـرَرُ

[302]

من البسيط[4]

1	ما الشَّأْنُ في أَرْضِ أَشْجَارٍ وَأَنْهَار	الشَّأْنُ في أَرْضِ أَنْجَادٍ وَأَحْجَارِ[5]
2	إنَّ النُّفوس لَتَصْبُو كُلَّ ما نَظَرَتْ	إلـى مَحاسن نُـوَّارٍ وأزهـارِ
3	كما تميلُ عن الأخرى إذا نظرَتْ	إلـى أجـادِبِ أقْـتَـامٍ وأقْتَارِ[6]
4	فـإنَّ فيها معانٍ ليس يُدْرِكُهَا	إلا مَنْ أدْرَكَ نُورَ النُّورِ في النَّارِ

---

(1) من قصيدة تنسب لأكثر من شاعر، والغالب أنّها للأمير الأديب قابوس الزياري المعروف بشمس المعالي (عاش في القرن الرابع للهجرة)، وقد كان حاكمًا على جرجان، ووقعت له محنة، فقال هذه القصيدة، ومطلعها: «قل للذي بصروف الدّهر عَيَّرَنا... هل عاند الدَّهْرَ إلا من له خطرٌ».

(2) يشير إلى حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث اللَّيل الآخِر، يقول: من يدعوني فاستجيب له. من يسألني فأعطيه. من يستغفرني فأغفر له». وهو من أحاديث الصفات التي احتار في فهمها كثير من العلماء بين التّشبيه والتّنزيه. ونزول الحقّ تعالى نزول رحمته وأمره، لا نزول حركة وانتقال لعدم جواز ذلك في حقّه سبحانه.

(3) الزُّهُر: الأنجم، ويقصد بها الأسماء الحسنى، أمّا الزّهر، فيعني بذلك آثار هذه الأسماء.

(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 246).

(5) كتب فوقها مفردة بديلة هي «أغوار»، وهي أكثر شاعريّة هنا من «أحجار». والأرض هي النفس عند ابن العربي.

(6) أقتام: جمع قَتَام، وهو الغبار الأسود. أقتار: جمع قُتْر، وهو النّاحية والجانب.

5 أوْ مَنْ رأى روضةً غَنَّاءَ في مَطَرٍ — أو لُعْبَةً في مَنِيِّ دافِقٍ جَارِ

6 مِنْ كُلِّ فاتِكَةٍ للقَلْبِ مَالِكَةٍ — غَضٌّ مُجَرَّدُهَا، شَنْبَاءَ مِعْطارِ[1]

[303]

من مجزوء الوافر[2]

1 رُعَـاةُ الشَّمسِ والقمر[3] — هُـمُ الأَغْـلُونَ في السَّمَرِ

2 تـنـاجـيـهُمْ شـواهِـدُهُمْ — بـمـا فـي الأيِ والـسُّـوَرِ

3 فَـمَـنْـزِلَـةٌ تـسـيـر بـهم — إلـى ذي العرش في سُرُرِ

4 فـتـأتـيـهـمْ تَـحـيَّـتُـهُ — مـع الأصـالِ والـبُـكَـرِ

5 إلـى أَنْ تَـنْـتَـهِـي بِـهِـمُ — مُـنـاجـاتـي إلـى الـسَّـحَرِ

6 ومـنـزلَـةٌ تُـهَـيِّـمُـهُـمْ — بـه فـي أحـسـن الـصُّـوَرِ

7 ومـنـزلَـةٌ تـجـوزُ بـهـمْ — عـن الإحْـسَـاسِ بـالـغِـيَـرِ

8 وَمَـنْـزِلَـةٌ تُـنَـزِّلُـهُـمْ — مَـعَ الـمَـحْـبُوس فـي الأُكَـرِ

9 تُـحَـرِّضُـهُـمْ نُـفـوسـهـمُ — عـلـى الـتَّـحْـصـيـلِ والـعِـبَـرِ

10 وغـيـرهـمُ تُـكَـسِّـلُـهُـمْ — نُـفـوسـهـمُ عـن الـنَّـظَـرِ

11 لـقـد عـلِـمـوا مُـكـاشَـفَـةً — بـأنَّ الـزَّهْـرَ فـي الـزُّهُـرِ[4]

12 كـمـا عَـرَفُـوا مُـشَـاهَـدَةً — بـأن الـرِّيَّ فـي الـمَـطَـرِ

13 وأنَّ الأرضَ زيـنَـتُـهـا — بـمـا تُـبْـدِي مـنَ الـزَّهَـرِ

14 وأنَّ الـرَّوْضَ قِـيـمَـتُـهُ — بـمـا يَـحْـوِي مـن الـثَّـمَـرِ

15 لـقـد أَحْـيَـى الإلـهُ بنا — نُـفُـوسًـا كُـنَّ فـي الـحُـفَـرِ

---

(1) غض: يقال غضَّتِ المرأة غضاضة: رَقَّ جلدها وظهر دمها. المجرَّد: مُخلَّجُ القطن، وأراد به شعرها الرقيق الناعم. شَنْبَاء: جميلة الثغر، صافية الأسنان. وقد استعار المحدثون «الشَّنَب» للشَّارب عند الرجل، وأكثروا من استعماله حتى نُسِيَ المعنى الأصليّ، أو كاد. فلو أن الأديب المتبحر استعمل ذلك في وصف امرأة لعابوا عليه، وهم جاهلون بأسرار العربيَّة ومعانيها.

(2) وردت في المجلَّدة السَّابعة (القصيدة رقم 247).

(3) رعاة الشمس والقمر: نواب الحقِّ ممَّن استرعاهم عباده.

(4) سبق استعمال «الزَّهر والزُّهُر» بمعانيها العرفانيَّة.

16 كما أيضًا أماتَ بنا	قلوبًا لم تَزَلْ بصري
17 يراها في أكِنَّتِها	على قَدَمٍ مِنَ الغَرَرِ
18 فَآلَتْ أنْ تُنازِعَهُ	على المَكتُومِ مِنْ خَبَرِي
19 فَإنَّا في قَضِيَّتِنَا	من أنْفُسِنَا على سَفَرِ
20 وسِيرَتُنَا إذا نُظِرَتْ	تَكُنْ مِنْ أحسَنِ السِّيَرِ
21 فما أغنى عن الأمر الـ	ـذي قد خفته حذري[1]

[304]

من البسيط[2]

1 إنَّ الرُّعاةَ رعاةُ الشَّمسِ والقمر	هُمُ الأئِمَّةُ والسَّاداتُ في البَشَرِ[3]
2 هُمُ الذين لهمْ علمٌ ومعرفةٌ	بما قد أَوْدَعَهُ في الأَنْجُمِ الزُّهُرِ
3 أعْطَاهُمُ اللّه من تسييرها خبَرًا	فقدّموا أدبًا لذلك الخبر
4 العالمون بما في الغيب من عَجَبٍ	الحاكمون بما يُجْرِيهِ في الأُكَرِ
5 يحافظون على أوقاتِ فرضِهِمُ	هم الأَدِلاَّءُ في بَدْوٍ وفي حَضَرِ
6 أئِمَّةٌ وهُداةٌ يُقْتَدَى بهمُ	في الحَجِّ والصَّوْمِ والتَّوْقِيتِ في صُوَرِ
7 هُمُ الأَذِلاَّءُ إنْ عَزُّوا وإن ظَفِرُوا	هُمُ الأعِزَّاء حالَ البُؤْسِ والضَّرَرِ
8 الغيبُ عندَهُمْ شَهادةٌ ولِذَا	تَرَاهُمْ أكْثَرَ الأوقاتِ في حَذَرِ
9 إذا تَوَلَّى إلَـهُ الخَلْقِ أنْفُسَهُمْ	بذلك العِلْمِ أغناهمْ عن النَّظَرِ

(1) البيت الوارد في المجلّدة السّابعة مختلف تمامًا عن هذا البيت.

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 248).

(3) الرعاة: يوظف الشيخ هنا معنى الرعاية الواردة في الحديث «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته». هذا في العموم مثل المؤذنين الذين هم رعاة الأوقات. أمّا في الخصوص، فإنّ الصوفيّ راع للوقت وعارف به، ولهذا يقال «الصّوفي ابن وقته». وقد شُرِعَ الأذان لمن شغلته الأكوان. والرعاة على الحقيقة هم نواب الحقّ الذين استرعاهم عباده، ولهذا عَبّر عنهم بالأئمة والسادات في بني البشر، وهم العارفون بـ«الأنجم الزهر» التي يريد بها الآيات القرآنيّة والأسماء الإلهيّة. وقد سمّيت البقرة وآل عمران بالزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما، كما في حديث مسلم الذي رواه أبو أمامة الباهلي عن رسول اللّه ﷺ «اقرأوا الزهراوين، البقرة وسورة آل عمران فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان..»

10 فمنه عِلْمُهُمْ بها وعِلْمُهُمْ	فيها، وقد نُسِبوا للشَّمسِ والقمر
11 كَمِثْلِ إدريسَ شَخْصٌ مرسلٌ نَدُسٌ	وقد تَكَلَّمَ في الطُّوفان والمَطَرِ
12 لَمَّا رأى جَمْعَها في بُرْجٍ مُنْقَلِبٍ	في السَّرَطان[1] كذا قد جاء في الأثر
13 لِذا قد اتَّخَذَ البَرْبَا لِيُودِعَ ما	لديه من علمه في النَّقْشِ في الحَجرِ[2]
14 بالشَّام مَرْقَبَةُ المعلومِ يَقْصِدُهُ	تَبَرُّكًا كُلُّ ذي سَمْعٍ وذي بصرِ[3]
15 أَوْحَى إِلَيْهِ بِأَنْ يَجْرِي بِنَاظِرِهِ	حَتَّى يَرَى الأَثَرَ المَخْزُونَ في القَدَرِ
16 فَقَامَ يَرْصُدُ أَفْلاكًا مُسَيِّرَةً	زُهْرَ النُّجوم فتأتيه على قَدَرِ
17 ما أَوْدَعَ اللّهُ أَمْرًا في سباحَتِها	إلا لِصَاحِبِ لُبٍّ فيه مُعْتَبَرِ
18 قد قال رَبُّكَ أوحى أمرَها فقضَى	فيها إلى يوم نفخِ الرُّوحِ في الصُّوَرِ[4]
19 وإِنَّمَا جاءَنَا التَّكفير في رَجُلٍ	قد كان يعتقد الأفعال للزُّهُرِ[5]

(1) يرى الشَّيخ الأكبر أنَّ أصل العناصر الماء، وعند برج السرطان المائيّ المنقلب تولدت باقي العناصر. يقول في الباب (295) من الفتوحات المكّيَّة «وكان وجود هذه العناصر ببرج السرطان. وما من برج إلَّا وقد جعل له اللّه مدَّة في الولاية معلومة مع المشاركة لغيره في مدَّته، فلجميعها مدة معلومة عندنا نسميها أعني الجُمْلَةَ، عُمْرَ العالم».

(2) هذه القصيدة لها أهمّيَّة كبيرة لأنَّها أوَّل قصيدة نصادفها يتحدَّث فيها الشَّيخ بكلِّ وضوح عن سيِّدنا إدريس في علاقته بالأهرام وكونها مستودع العلوم الإدريسيَّة التي نقشت على أحجارها. وقد استعمل كلمة «البَرْبَا»، جمع برابي، وهي كلمة قبطية معناها الهياكل أو المعابد الفرعونيَّة القديمة. وقد استغلقت الكلمة على ناسخ ديوان المعارف الإلهيَّة (ورقة 161 ب) فكتبها «الثريا». أمَّا في هذه المخطوطة المحقَّقة المتعلَّقة بالجزء الثالث (ورقة 106) مع أنَّها نسخت بعد أقل من سنتيْن على وفاة الشَّيخ في (640 للهجرة)، إلَّا أنَّ الناسخ كتبها «البريا». وهناك قصيدة أخرى عن الرُّوح الإدريسي أشار الشَّيخ الأكبر في مطلعها وختامها إشارة خفيَّة إلى هرمس (هـ ـ رمس)، وهو إدريس بلسان اليونان والرومان. يقول:

هنيئًا لأهلِ الشَّرقِ مِنْ حَضرةِ القُدْسِ بِشَمْسٍ جَلَتْ أنوارُها ظلمةَ **الرَّمْسِ**

وجاء في الفهرست لابن النديم (2، 445): «وبمصر أبنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة... وفيها مواضع للصَّحْن [الراجح: **للطَّحن**] والسَّحق والحلّ والعقد والتَّقطير تدلّ على أنَّها عُمِلت لصناعة الكيمياء». وهي إشارة إلى علم الكيمياء أحد العلوم الهرمسيَّة الإدريسيَّة.

(3) يشير في الغالب إلى باب الفراديس في دمشق الذي كان يعرف قديمًا بباب عطارد، وكان عليه تمثال لهرمس.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (فُصِّلَت، 11).

(5) الزُّهُر: الكواكب. ونسبة الفعل إلى النجوم التي يشير إليها هي ما يعتقده أهل التنجيم.

20	واللّـهِ ما عندها مِمَّا جَرَى خَبَرٌ	فيها ومنها، وما تُعطيه من أُثَرِ[1]
21	وإنـمـا هـي أسـبـابٌ مُـرَتَّـبَـةٌ	أتَـى بها ربُّها سِتْرًا على القَدَرِ
22	فالفعل للّـه ربي لا شريكَ له	وما لأنْجُمِهِ في الكونِ من أثَـرِ

[305]

من الطويل[2]

1	لنا حِكَمٌ في النَّظم تُرْبِي[3] على النَّثْرِ	وَمِنْ أعْجَبِ الأشياء هذا لمن يدري
2	ومـا هُـوَ قـرآنٌ ومـا هـو مُـنْـزَلٌ	ولكنَّه سِرٌّ قد أُوقِـرَ في صدري
3	يسمَّى بِشِعْرٍ وهْوَ كالذِّكْرِ حِكْمَةً	وَإِنْ لَمْ يَصِلْ قَدْرًا إلى رُتْبَةِ الذِّكْرِ
4	ولا ينبغي يُعْزَى إلى اللّـه لَفْظُهُ	ولكنَّه يُسْمَى إذا قِيلَ بالشِّعْرِ
5	وإنْ كان مِنْ فِعْلِ الإله وخَلْقِهِ	وعن أمْرِهِ في السِّرِّ كان أو الجهر
6	وما سَمِعَتْ أُذْنَـايَ إلا حروفَهُ	وقيلَ كلامُ اللّـه فيها عن الأَمْرِ
7	وَمَنْ رَدَّ هذا العَقْدَ ليس بِمُسْلِمٍ	ولا مُؤْمِنٍ بل حُكْمُهُ حُكْمُ ذي الكُفْرِ
8	وإنْ كان بالإتْيَانِ يَحْدُثُ عندنا	ولكنَّه النَّعْتُ القَدِيمُ مَعَ الدَّهْرِ
9	وليس بمخلوقٍ فَنَعْتُ جَلالِهِ	قَدِيمٌ عَلِيٌّ في الجلالة والقَدْرِ
10	وإن كان في القُرْآنِ وَزْنٌ محقَّقٌ	على مثل وَزْنِ الشعر ما هو من شعر[4]
11	فَلَمْ يَكُ مقصودًا له حين قاله	لذلك ألحقناه يا صاح بالنثر[5]
12	مع العلم أنَّ الـوَزْنَ فيه مُعَيَّنٌ	مِنَ اللّـه، والتَّقسيمُ فيه لذي حِجْرِ
13	وما فيه مَـروِيٌّ على كل قاسمٍ	يُقَسِّمُ ما فيه من الحُكْمِ مِنْ حَجْرِ

---

(1) «أُثَر»: «بضم الهمزة»، مفرد أُثْرَة، يقال أُثْرَةُ العلم بقيته وأثارَتُه. ويؤكّد الشَّيخ هنا موقفه من نفي نسبة الأثر إلى الأفلاك والبروج كما هو شأن المنجمين، فينفي نسبة الفعل عنها أو لها، ويثبت وقوع الأسباب عندها سترًا لسر الأقدار.

(2) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 250).

(3) في مخطوط ديوان البهاء الأمجد: «تعلو» بدل «تربي» كما في الأصل.

(4) هناك العديد من الآيات القرآنيّة التي تأتي على التراكيب العروضيّة، مثال من بحر الطويل: ﴿فمن شاء فليؤمنْ ومن شاء فليكفر﴾. ومن بحر البسيط: ﴿ليقضيَ اللّـهُ أمرًا كان مفعولا﴾...إلخ. لكن القرآن ليس بشعر.

(5) في ديوان المعارف الإلهيّة (162 أ) كتبت الكلمة الأخيرة هكذا «بالنفر»، وهو خطأ.

14 تَـوَلَّاكَ مَنْ وَلَّاكَ إذ كنتَ والِيًا بلا طَلَبٍ فِيما وَلِيتَ مِنَ الأمرِ
15 فَلَوْ كنتَ ذا سَعْيٍ لذاكَ مُحَصِّلاً وُكِلْتَ لِمَنْ يَدرِي فَتُخْطِي وَلا تَدْرِي

[306]

من الخفيف

1 كـل مـن قـام بالشريعة يـزري ليس مِمَّـن يُـعدُّ فـي الأحـرار
2 هـو عند الـهوى وليس يبالي بـجِـنـانٍ مَـقـيـلُـهُ أو بـنـار
3 هـو عـنـد الـهـوى لـذاك تـراه طـالـبًـا تـارة مـن الـمـخـتـار

[307]

من البسيط[1]

1 نـارٌ تُـجَـفِّـفُ مـاءً وهـو يُطْفِئُهَا وَالرِّيحُ يُشْعِلُهَا في نَفْسِهَا فَتَرَى
2 نَـارًا لِجِسْمِ هَـواءٍ قَـامَ مُشْتَعِلا وليس يُشْعِلُ جسمٌ غيرُ ما ذُكِرا
3 في الاشتعالِ أقامَ اللّـهُ نشأةَ مَنْ ما زال يَحْسُدُنَا جَهْلا كما ذُكِرا[2]
4 لِوالِدِي جُمِعَتْ أسماءُ ما خُلِقَتْ مِنَ العُيُونِ ولم تُخْلَقْ وما اشتهرا[3]

[308]

من السريع[4]

1 مـا أصـبَـرَ الـحَـقَّ على خَلْقِهِ مع الأذى إلا الشَّكورُ الصَّبُورْ
2 لأنـــهُ بِـفِـعْـلِـهِـمْ عـالِـمٌ وحالِهِمْ وهُـوَ العليمُ الخبيرْ[5]

---

(1) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 266).
(2) يقصد إبليس المخلوق من نار.
(3) لوالدي: يقصد سيّدنا آدم عليه السلام الذي علمه اللّه الأسماء كلّها. في نسخة الجزء الأوّل من مخطوط جامعة إسطنبول رقم 1438، كتبت أوّل كلمة في البيت هكذا «لولا الذي» بدل «لوالدي»، وهو خطأ. (انظر الورقة 117).
(4) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 274).
(5) كتب فوق «الخبير» كلمة «القدير».

3 ما زادهُمْ رِجْسًا إلى رِجْسِهِم — زيادةُ الإيمان إلا الشُّكوزْ
4 لو أبصرَتْ عينُك آثارَهُ — كَسَمْعِهَا كنتَ السَّميعَ البصيرْ
5 وإنّما أعْمَاكَ عن دَرْكِهَا — ظنُّكَ في عَقْدِكَ أنْ لَنْ تَحوزْ
6 فَهَلْ يُجازَى في مَحَلِّ الجَزَا — على قَبيحِ الفِعْلِ إلا الكَفُورْ
7 لا يَمْتَرِي في سَعْدِ إيمانِهِ — إلا جَهولٌ بالرَّحِيمِ الغَفُورْ
8 لِشُبْهَةٍ لديه بُرْهانُها — في زَعْمِهِ بأنّهُ ما يَحوزْ
9 لكن لمن مات بلا تَوْبَةٍ — مُزِيلَةٍ عنه عَذَابَ القُبُورْ
10 لم يَدْرِ أنَّ الأَمْرَ فِيهِ عَلَى — عُرْفِ لسان التَّرجُمانِ الخبيرْ
11 القَوْلُ منه ما له ناسخٌ — في غير حُكْمٍ وعليه يَدوزْ
12 لم يَدْرِ أنَّ الجُودَ في عُرْفِنَا — بِحُكْمِ مَنْ أوْصَلَهُ مِنْ نَذِيرْ
13 لن يُخْلِفَ الوَعْدَ وإيعادَهُ — يتركُهُ جودًا بِلَحْنِ البَشِيرْ[1]
14 فهكذا يَعْرِفُ أفعالَهُ — كلُّ إمامٍ عادِلٍ ما يَجُورْ
15 لو أنّنا يُنْصِفُنَا خَصْمُنَا — ما قال فيه إنَّ هذا يَبُورْ
16 قد سبقَتْ رَحْمَتُهُ ما أتَى — من غَضَبٍ عنه بيوم النُّشُورْ
17 إذا تَجارَوْا فإليها إذَنْ — نهايةُ الأمر وحالُ السُّرورْ
18 مِنْ حُكْمِهَا وَأنّها ها هُنَا — وها هُنا مِنْ جَنَّةٍ أو سَعِيرْ
19 تختلفُ الأمشاجُ مِنْ حُكْمِهَا — بما حَوَتْهُ من صِفاتِ الحَرُورْ
20 نَعِيمُهُمْ للانحراف الذي — في خَلْقِهِمْ فَكُلُّهُمْ في سُرُورْ
21 فيقتضي المنزلُ تخليدَهُمْ — فيه لما قد قالَهُ في الزَّبُورْ
22 لكنْ على النَّعْتِ الذي قلتُهُ — بعد عذابٍ نالهمْ في السَّعيرْ
23 كشُرْبِ ما أنتَ له كَارِهٌ — مِنْ عِلّةٍ تَقْصِمُ منها الظُّهُورْ
24 لصحّةٍ يطلُبُهَا مَنْ يَرَى — يدعو لها بالويل أَوْ بِالثُّبورْ
25 كما ابتلى الرَّحْمَنُ أرْسالَهُ — بهذه الدَّارِ بِذَوْقِ الشُّرورْ

(1) الشطر الثاني من البيت (13)، والشطر الأوّل من البيت (14) سقطا من مخطوط الجزء الثالث.

26 فَبـاطِـنُ الـدَّارِ لـهـم راحَـةٌ	وحُكْمُهَا في العين بئس المصيرْ
27 مَـنْ يَـعْـتَـبِـرْ يَـعْـرِفُ مـا قلتُهُ	كقوله[1] في (هَـلْ تَـرَى مِنْ فُطُور)
28 مَـعْ[2] عِـلْـمِـنَـا بفتح أبوابـهـا	ومـا لنا فـي فتحها مـن نَكيرْ
29 مـن أُوتِـيَ الـحَـدَّ فـي داره	الـدُّنـيـا فقد فـاز بخير كَثيرْ
30 كـمـا لـمـن يخشاه فـي غيبه	إذا رأى اللَّه من أجْـرٍ كَبِيرْ
31 يـا إخـوتـي فاعتبروا واعلموا	أنَّ إلـى اللَّه تَصِيرُ الأُمُـورْ
32 وإنَّ دارًا نـحـن فـيـهـا على	مـخـافَـةٍ دارُ الـعَـنَـا والـغُـرورْ
33 وإنَّ مَـنْ حـقَّـقَ تشبِيرَها	فـإنَّـهـا إلـى الـفَـنَـاءِ والـدُّثُـورْ
34 وقُـلْ إلـى مُـثِـيـبِـهَـا إنَّـهُ	قـد غَـرَّهُ فيها الـعَـدُوُّ الـغَـرُورْ

[309]

من البسيط[3]

1 الفكرُ يُـدْرِكُ ما لا يُـدْرِكُ البَصَرُ	والعينُ تُدرِكُ ما لا تُدْرِكُ الفِكَرُ
2 إنَّ الـتَّـدَبُّـرَ فِكْرٌ لو عَلِمْتَ به	وقـد يُـعَـبِّـرُ عنه أنَّـه الـنَّـظَـرُ
3 وقد أتى في صفات الحقِّ ما نَطقَتْ	به الدَّلائلُ وَهْوَ السَّمْعُ والبَصرُ
4 وهل لِمَا تُدْرِكُ الأوهامُ مِنْ صُوَرٍ	فَـمَـنْ تَـفَـكَّـرَ فيها كلُّها صُـوَرُ
5 وأَصْلُها فيه إنْ لَوْ شَاءَ كَانَ كَذَا	لَـكِـنَّـهُ لَـمْ يَـشَـأْ فَـرَدَّهُ الـقَـدَرُ
6 وفِطْرَةَ الله إنْ حقَّقْتَ، حاصِلُها	هي التي عندنا في ذاتنا الفِطَرُ
7 وَهْيَ الَّتِي تَقْتَضِيهَا نَشْأَتِي فَلِذَا	عِلْمُ الضَّرورَةِ منه ما لها الضَّرَرُ
8 فقد علمتُ بـأنَّ الكُلَّ نسخَتُنا	ونحن نسخَتُهُ والآيُ والسُّوَرُ
9 والفِكْرُ يَشْهَدُ لي بما. أَتَيْتُ به	كِلاهُمَا صادقٌ، العَقْلُ وَالخَبَرُ
10 فهذه نسختانِ الحقُّ عينُهُمَا	في العقلِ والعينِ فَاحْكُمْ أيُّهَا البَشَرُ

(1) سورة الملك، الآية 3.

(2) سبق مثل هذا الاستعمال في الدّيوان. وتوجيهه أن «مَعْ» تكون حرف جر حال سكونها.

(3) وردت في المجلّدة السّابعة (القصيدة رقم 282).

11 لأنّـهُ بيديه الأمْـــرُ بَاشَـرَهُ — إذْ كـانَ خَـمْـرهُ فقيلَ ذا بَشَرُ

12 هذا هو الشّرفُ الأعلى له وبه — عَلاَ على كُلّ ما جادَتْ به القُدَرُ

13 وإنّ قومًا رَأَوْا بالجَهْلِ مَنْقصةً — فـي كـونـه بشرًا ومـا لهمْ وَزَرُ

14 إلا جهالَتُهُمْ وَاللهُ أكْـذَبَـهُـمْ — بقوله لـلـذي قـد قـام يفتَخِرُ

15 هذا الـذي بيديَّ اليومَ أَخْلُقُهُ — والضّدُّ نـارُ اختلاطٍ كلُّها شَرَرُ

16 ولا تُضافُ إلى اللهِ الشُّرورُ كما — قد صحّ في خبرٍ أنْ صُدّقَ الخَبَرُ[1]

17 فيه أتـى بيديه الخيرُ أجْمَعُهُ — ومـا أحـالَـتْـهُ ألْـبَـابٌ ولا فِطَرُ

[310]

من الطويل[2]

1 عـلـمـتُ بـأنـي واحـدٌ وكثير — وأنـي بأعمال النُّفُوسِ بَصِيرُ

2 وأنــيَ بـالأمـر الـذي منه ساقه — عـلـيم بـمـا فـي طـيّـه وخبير

3 أنـازعـه فـي كـلّ أمـر يـريـده — ولـسـت أراه إنـنـي لكفور

4 وما أنا ممن يدّعي الصبر في البلا — وإنـــي لآلاء الإلـــه شكور

5 وإني لما يجري به الغيب شاهد — وإنـــي بـأسـرار الـوجـود جدير

6 وإنـــي مـريـد قـاصـر متحيّرٌ — وإنـــي على مـا لا أشـاء قديرُ

7 تعالى شهودُ الذّات عن دَرْكِ ناظري — وكيف يـراه العين وَهُـوَ نَـفُورُ

8 ألا ليتَ شعري هل أراها مُقيمةً — وأنـجُـمُ أفـلاكِ السّماء تَغُورُ

9 ألا ليتَ شعري هل أبيتَنّ لَيْلَةً — على صُـوَرٍ شَتّى عليه تـدور

10 ألا ليت شعري هل أقيمنّ ساعةً — وهل زِيّ شيءٍ في الحقيقة زُورُ

11 إذا كنتُ لا أدريه لا أدْرِ مَنْ أنَا — وعلمي به بي والمقامُ خَطِيرُ

12 فسبحان من أحْيَى الفُؤادَ بِذِكرِهِ — وأحـيـاه بي عندي فقيلَ نَظِيرُ

---

(1) الإشارة في هذا البيت والذي بعده إلى قول النّبيّ ﷺ الوارد في صحيح مسلم «والخير كلّه في يديك، والشرّ ليس إليك».

(2) وردت في المخطوط رقم 1438 (و.157).

13	ولـكـن لـه فينا إنـاثٌ وَلَـذْنَـهُ	وللعارف الـخِرِّيتِ فيه ذُكـورُ
14	وإنــي به أغنى وأقْـنَـى لما له	فَـأَحْـقَـرُ ما عندي لديه كبير

[311]

من البسيط

1	نارُ الرياضة[1] فيه النُور فَهْوَ كَمِصْـ	بَاحٍ كما جاء في القرآن فاعتبروا
2	في قوله لم يقل وهُـوَ هُو فَلَهُ	معناهما وهـمـا للفكر معتبرُ
3	كما أتـى أنـه مـن ذات عابده	بالنقل حتى يحبّ السمع والبصر
4	والله ما نظرَتْ عيني إلـى بشرٍ	لولاه إذ صحّ عندي أنه البشر
5	منه فليس لنا في الكون من أحد	سواه وهْو الذي يقضي به النَّظر
6	أقول هذا من الكشف الصحيح وقد	أتـى بما قلته من ذلـك الخبر

[312]

من البسيط

1	إني رأيت فتًى بالغربِ ذا كرَمٍ	ضَخْمِ الدّسيعة في بدو وفي حضر[2]
2	رأيت في حضرة الأسماء صورَتَهُ	إكليلُه خـارجٌ عن أُكْـرَة الأُكَـر

---

(1) نار الرياضة: يقصد تهذيب الأخلاق النفسيّة وحمل النفس على احتمال الأذى، ومن المعلوم أنَّ الفتح عند الشّيخ قد تقدّم على الرياضة، لكنّه حصّلها مع شيخه أبي يعقوب يوسف الكومي سنة 586 للهجرة. (انظر الباب 71 من الفتوحات).
ويميّز الشّيخ بين المجاهدة والرياضة، فالمجاهدة هي حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى مثل الجوع وكثرة القيام في اللّيل والصوم وما سوى ذلك، بينما الرياضة تنقسم إلى قسمَيْن: رياضة الأدب، وهي الخروج عن طبع النَّفس؛ ورياضة الطلب، وهي صحة المراد بهذا الطلب. (انظر أيضًا الباب 203).

(2) الدسيعة: المائدة الكريمة، والعطية الجزيلة، والقوة. وقد ذكر في الباب 559 أنّه في أحد المشاهد الكشفية التي دخل فيها حضرة الأسماء الإلهيّة، حيث تلقاه الاسم الإلهي الجامع للمنافع والمضار، وجاد عليه الحقّ بـ «نظم السلوك في مسامرة الملوك»، ورأى شخصًا ضخم الدسيعة عليمًا بعلم الطبيعة، وله القدم الرّاسخة فيها، فسأل الحقّ: أين الطبيعة من النّفس ومن المقام العقليّ الأقدس؟ فأجابه بأنها هي عين النّفس».

3 يقول لي وهو يعنيني وينصرني أنت الذي تَنْسُبُ الأَزْهارَ للزُّهُرِ

4 وأنت نشأتُكَ الدنيا وحالَتُها عُلْوِيَّةٌ ما لها في الوهم من خبر

5 فقلت ماذا فقالوا مثل جنَّتكم فيها الذي لم يراه القلب بالنظر[1]

6 فالأذن ما سمعت به ولا نظرت إليه عين ولم يخطر على الفكر

7 فعند ذاك علمنا ما خصصت به من العجائب في الآيات والخبر

8 خُنثى تولّد بين اثنين ماؤُهُمَا[2] على التّساوق من أنثى ومن ذكر

9 ففيه قوة من يعطي وقائله من عالم الملإ العلوي والبشر

10 وفيه ردٌّ على أهل الطبيعة إذ قالوا بأن وجود النَّبْت بالمطر

11 لعادة سبقت للّه فيه كما تولّد الزُّهر بين الشمس والقمر

[313]

من البسيط

1 إن الإله الذي تدرون بالخبر هو الإله الذي تدرون بالنَّظر

2 فمن تعدَّى إلى إنشاء خالقِهِ في قلبه للذي لديه من فكر

3 جاء الفضول وقَيْدُ الفِكْر في يده يُلْقِيهِ في سجن أفكار على خطر

4 يقول ربي كذا لا بل كذا وكذا منوَّعُ الحال ما ينفَكُّ ذا غِيَرِ

5 حار الدَّليل وحار العقل فيه وحا رَ السَّمع أيضًا كما قد جاء في الخبر

6 وغاية العالِم النِّحْرير فيه إذا يخوض في أمره يمشي على قَدَرِ

7 حتى يجوز إلى عجز يشاهده عند التَّحَيُّر في العُقْبَى إلى حضر

8 وَهْمٌ يُحَدِّدُه عقل يُجَدِّدُه وليس في ذاته شيءٌ من البشر

9 وعينه الكُلُّ فانظر ما أتيتُ به إن كنتَ في حضر أو كنتَ في سفر

10 إنَّ الإله الذي يدريه ذو نَظَرٍ نتيجة فَهو مولود من الفكر

11 والحقُّ ليس له أمر يولده كذا أتانا به التَّنصيص في الزُّبُر

---

(1) يشير إلى ما ورد في الحديث القدسي «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

(2) هذه الكلمة غامضة في الأصل وفي كلّ المخطوطات الباقية، لكنّ الصّحيح هو ما أثبتناه.

[314]

من البسيط

1 الله يعلَمُ أن الشَّوْقَ يحمِلُني على ارتكابِ الأَشَدِّ الأعظم الخَطر
2 لكنّ ضعفي الذي لي لا يساعدني ولو يساعد جئناكم على قدر

[315]

من البسيط[1]

1 يا أيها الملأُ العُلوي إنَّ لَكُمْ مَجْلًى من الله لا يدري به البشر
2 ذوقًا ولكنه يدري به خبرًا وما له عنده عين ولا أثر
3 لو كان يدري به ذوقًا لأدركه وكان يظفر بالأمر الذي ظفروا
4 هو المعلم للإنسان ما شرعت أحكامه حين لم يقضي به النظر
5 فلو تعارض بالأسما مقالتنا قلنا لهم فَكِّرُوا في ذاك واعْتَبِرُوا
6 فإنَّ قصَّتهم أجلى لمعتبر فيها وإنك في أمر له خطر
7 هل قولهم في الذي قالوا لربهم من امتنان عليه في الذي ذكروا
8 أو غيره فتأوّل كيف شئت ولا تقطع على أحد الأمرين يا غُدَرُ
9 حتى يجيء من الله العليم به إليك علم صحيح كشفه الخبر

[316]

من السريع[2]

1 يا ليت شعري ما الذي أخرجَكْ[3] قاتلكَ اللهُ فما أغدرَكْ
2 قد كنتَ قبل اليوم في مَنْعَةٍ وقد مضتْ عنكَ فما غيَّرَكْ
3 لم يبد مني فعل ما يقتضي بعدك عن عيني فما أكفرك
4 لو كان عندي منك بعض الذي عندك مني لم أقل لم أرك

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 179ب).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 243ب). وقد ترجم لها بقوله «والرُّوح رباني نسبته، والخاطر تسليم لمشيته، والسماع تسليم لمشيئته».

(3) في ديوان المعارف الإلهيّة «أخْرك» بدل أخرجك».

[317]

من البسيط[1]

1 كيف السبيل إلى قلبي وقد بَخِلَتْ ... بـه عـليّ فـلا عيـنٌ ولا أثـر
2 إنـي سألتُكَ فيه أن تجودَ به ... على صُدَيْرِي فقالت كيف يا غُدَرُ
3 أُعطيك بيتًا أنا بالحبّ ساكنُهُ ... فيه بنفسي إلى ما ينقضي العمرُ
4 حبسًا عليَّ ووقـفًا دائـمًا أبـدًا ... أتى القضاء به والحكم والقَدَرُ
5 الوَقْفُ يُوهَبُ أو يُعْطَى لِوَاقِفِهِ ... هيهات هيهات لم يَحْكُمْ بذا بشر
6 هذا محال[2] ومن يَفْعَلْهُ ليس له ... دِيـنٌ وليس له وِرْدٌ ولا صَدَرُ
7 شرع الهوى وكذا شرع النُّهى[3] حكما ... بـه وحكمهما مـاض ومعتبر
8 ستُّ الحِسان[4] لقد أصبحتِ حاكمةً ... على فؤادي وأنتِ السَّمع والبصر

[318]

من المتقارب[5]

1 وزائـــرةٍ قـد أَتَــتْ بَـغْـتَـةً ... عـلى غير وَعْــدٍ مِـنَ الـزَّائـرِ

(1) وردت في الجزء الرابع (رقم 91)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.244ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح ابتغاء، والخاطر تعريف، والسماع تضعيف». وهي قطعة حوارية جميلة تبدأ باستفهام الحبيب في البيت الأوّل، ثم البيت الثاني مشترك بينهما؛ ويعقبهما كلام الحبيب مرة أخرى في البيتيْن 3 و 4؛ فجواب الحبيبة (ست الصفاء) في الأبيات 5، 6، 7؛ ثمّ تختم القطعة بتقرير الحبيب لحقيقة حكم الحبيبة عليه بعدما ادّعى أوّلًا أنّ قلبه بيت أعطاه للحبيبة، لكنّه أوقفه على نفسه للسكن فيه، لكنّها نبّهته إلى أنّ الوقف في شرع الهدى والهوى معًا لا يستقيم مع رغبة الحبيب في سكنى هذا البيت لأنّه أصبح وقفًا على الموقوف عليه لا على الواقف. واسم هذه الحبيبة «صفية»، ويلقبها مرّة بـ«ست الصفاء»؛ ومرّة أخرى بـ«صفوة الدين»، وأحيانًا أخرى يصرح باسمها (انظر القصائد من رقم 91 إلى 99 في الجزء الرابع). وقد سبق أن تحدّث عن الوقف في الحبّ، في القصيدة رقم (39).

(2) في الجزء الرابع «هذا حرام» بدل «هذا محال».

(3) في الجزء الرابع «شرع الهدى» بدل «شرع النُّهَى».

(4) في الجزء الرابع يلقّبها بـ«ست الصفاء»، و«صفوة الدين» وهي «صفية». (انظر تعليقنا أعلاه عن هذه القصيدة).

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.244أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح حضور، والخاطر غيبة، والسماع سرور».

2 أَذَبْتِ فؤادي ولم تَشْعُرِي ... وزَيَّنَكِ الحُسْنُ في ناظري
3 ومَا زُلْتِ مُذْ كنتِ في خاطري ... وأنتِ وإن غِبْتِ كالحاضرِ

[319]

من الوافر[1]

1 تمنَّيتُ اجتماعًا في سُعود ... مع القمرين في ضوء النَّهارِ
2 وهَذِي عن يميني في أمانٍ ... وهَذِي عن يساري في يَسارِ
3 فَسِتُّ الكلِّ شمسٌ في سعودٍ ... وسِتُّ الحُسْنِ في قَمَر السِّرارِ

[320]

من المديد[2]

1 ضاقت الأرض عليَّ بما ... رَحُبَتْ لما نأى جوهر
2 زائرًا قبرَ نبيِّ الهدى ... خيرَ قبرٍ بالهدى يَفْخَرُ[3]
3 للهوى نارٌ على كَبِدِي ... ففؤادي للنَّوَى سَقَرُ
4 وجُفُوني يومَ بَيْنِهِمُ ... بعيونِ الدَّمْعِ تَنْفَجِرُ
5 رَبِّ فارْدُدْهُ عليَّ فما ... لفؤادي عنه مُصْطَبَرُ
6 مَا دَرَى أنَّ الهوى قاتلي ... فَهْوَ لا يُبْقِي وَلا يَذَرُ
7 قدَّرَ الله عليَّ به ... وَيْحَ مَنْ طالبَهُ القَدَرُ
8 كلَّما رُمْتُ اصطبارًا ولا[4] ... مَدفعٌ عنه ومصطبَر

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة، وترجم لها بقوله «والرُّوح توأمان، والخاطر مثلان، والسماع خَتْنان» (و.244ب).

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.245ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح سماوي، والخاطر معدني، والسماع تمني».

(3) يتحدَّث في هذه القصيدة عن محبوب لعلّ اسمه «جوهر» كما في البيت (1) و البيت (20)، لعلّه غاب عنه في زيارة النبيّ في المدينة المنورة.

(4) هكذا كتب هذا الشطر في الأصل وفي ديوان المعارف الإلهيّة، وهو مكسور في آخره، ويستقيم إذا قلنا «كلّما رمت اصطبارًا أَوَ لاَ».

9 يَـدَّعِـي مـالـكُـه حُـبَّـه — كَـذَبَ الـمُـخْـبِرُ والـخَـبَرُ

10 بعد صَـبْـرٍ وَرِضًـى كـان لي — صِـرْتُ لا أرْضَـى وَلاَ أصْبِرُ

11 كـلُّ سلطانٍ خـلافُ الهوى — عـنـدنـا بـالـذَّوق مـحـتَـقَـر

12 هـجـر الـمحـبـوبُ مجلِسَنا — دون ذَنْـبٍ ثـم يـعـتَـذِر

13 كـلُّ ذَنْـبٍ كـان مِـنِّـي له — عـنـد أهـل الـحُـبِّ مغتفر

14 أيـهـا الـعُـشَّـاق فـي خبري — مـعـه والله مـعـتـبر

15 كنت قد أقسمتُ أن لا يرى — أنـنـي أهـوى الـهـوى بَـشَـرُ

16 ونَـذَرْتُ الـقـتـلَ فـيـه فما — أغْـنَـتِ الأيْـمَـانُ والـنُّـذُرُ

17 وَلَـكَـمْ خـوّفـتُ نفسي ولـم — يـنـفـعِ الـتَّـخـويـف والـحَـذَرُ

18 قـال قـومٌ مـا أمَـرُّ الـهـوى — مـا لـديـهـم بـالـهـوى خَـبَـرُ

19 والـهـوى لـولا الـنَّـوَى ما حلا — طـيِّـبُ الـشُّـهْـد لـنـا الصَّبِرُ

20 عـجـبًـا كـيـف اتّـصـالـيَ به — وأنـا الـبـدر وذا الـجـوهـر

21 هـو فـي الـبـحـر ثَـوَى وأنـا — فـي السَّما أسْـبَـحُ لا أفْـتُـرُ

22 لـو تـرانـا فـي تَـقَـلُّـبِـنـا — قـلـتَ ذا بـحـرٌ وذا قَـمَـرُ

[321]

من الطويل[1]

1 حلفتُ بِـأُولَـى آيَـةٍ نـزلَـتْ بها — ملائكةُ الرَّحمن في سورة الزُّمَرْ[2]

2 تقدَّمها النَّعتُ الكريم وبعدَه — كتابٌ منَ الله العزيز لمن نَظَرْ

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و. 245ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح معنى، والخاطر مغنى، والسماع غنًا».

(2) أوَّل آية في سورة الزُّمَر بعد البسملة هي ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾، وسيذكرها في البيت الثاني. وقد خصَّص الشَّيخ الباب 345 بعنوان «في معرفة سر الإخلاص في الدين» من الفتوحات المكّيّة لسورة الزمر، وافتتحها بقصيدة مطلعها «لكلّ شخص من القرآن سورته... وسورتي من كتاب اللّه تنزيل». وقال بعد ذلك: «تجلَّت لنا هذه السورة بمدينة حلب وقيل لي لما رأيتها هذه سورة لم يطمثها إنس ولا جان فرأيت لها ومنها ميلًا عظيمًا إلى جانبي». ونرجح أنَّ الشَّيخ نظم القصيدة لما كان مستقرًا في حلب قبل أن ينتقل إلى دمشق نهائيًا.

لقد همتُ فيما أُعْطِيَتْ مِنْ مَلاحَة ... وخصّصها بالذكر من سائر الصُّور
.........(1) ... يضاف إلى الدَّلِّ المدلَّل والخَفَرْ
إذا قرأ القارِي بها في صلاته ... وخصّصها بالذكر من سائر السُّوَر
ينقُلُني ذاك السَّماع نزاهةً ... إلى عالم الأرواح من عالم البشر
فيا حُسنَها من غادةٍ قد منحتها ... من السَّيِّدِ الصِّديق فاروقنا عُمَرْ(2)

[322]

من البسيط(3)

لا أوحش اللّـه من لبنى ومن سَمَرِ ... الأم سمعي، ولبنى بنتُها بصري(4)
وأختُها جمّل الله الحسان بها ... فما لها في الهوى أختٌ من البشر

---

(1) لم يذكر الشطر الأوّل في المخطوطة. وكتب حرف «خ» في مكانه الذي يعني «نسخة» عند نساخ المخطوطات، فهي إشارة إلى ضرورة التأكّد من شطر هذا البيت في نسخة أخرى لإثباته. أمّا في ديوان المعارف فإنّ البيت كلّه ساقط هو والذي بعده.

(2) يشير إلى الفاروق عمر بن الخطاب، وأغلب الظنّ أنّه ظهر له في مبشرة في حلب يقدّم له تلك السُّورة في صورة غادة ويرزقه بها. وفي ذلك إشارة إلى ما خرّجه البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول اللّـه ﷺ أنّه قال «إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى اللّـه ورسوله فهجرته إلى اللّـه ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو **امرأة يتزوّجها** فهجرته إلى ما هاجر إليه». كما أنّ الفاروق قد خصّص من حضرة الاسم الإلهي «الرزاق» لأنّ النبيّ ﷺ شرب من إناء اللّبن ودفع فضله لعمر بن الخطاب. واللّبن هو العلم كما فسّره النبيّ، ولهذا وافق سيّدنا عمرُ بن الخطاب الحقّ تعالى في عدة مواطن مثل حكمه في أسارى بدر لأنّه شرب فَضْلَ علم النبيّ فوافق الحقّ. فالفاروق هو الذي يفرّق بين الحقّ والباطل في غوامض الأمور، ولهذا ظهر للشّيخ الأكبر في هذا التّجلّي. يقول في الفتوحات المكّيّة في حضرة «الرزاق»: «ولعمر بن الخطاب في ذلك خصوص وصف لاختصاصه بالاسم والصُّورة في النوم دون غيره من العمريّين ومن الصحابة ممّن ليس له هذا الاسم، فكلّ رازق مرزوق» لأنّه شرب من فضل إناء النبيّ فَعَمَرَ به محلّ شربه. والإخلاص المقصود من هذه السُّورة هو أنّها خلصت الحقّ من التّنزيه والتّشبيه معًا، وتميّز الخالق من المخلوق.

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.246أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح تثليث، والخاطر تحنيث، والسماع تأنيث».

(4) إفادة مهمة عن العلاقة بين لبنى وسمر التي تكرّر ذكرهما في شعر ابن العربي، فلبنى هي البنت، وسمر أمّها حسب ما يفيدنا به هذا البيت.

[323]

من البسيط[1]

1 قالت سَرَقْتَ قلوبَ النّاس قلتُ لها ... هذا التلصُّصُ ما إنْ فيه مِنْ عارِ

2 يا جارةَ الله قد أَصْبَحتِ جارتَنا ... واللهُ جارُكِ وصّى الجارَ بالجار

3 إنَّ اللُّصوصةَ من شأني ومن خُلُقِي ... فاحفَظْ رحيلَكَ من نظمي وأشعاري

4 لا بدّ لي منكِ يا سُؤْلي و يا أملي ... ومنتهى همّتي حبًّا وإضماري

[324]

من الطويل[2]

1 أتانيَ مِمَّنْ ليس في القَلْبِ غَيْرُهَا ... كتابٌ بخَطِّ السّتِّ يُنْبِي على قَدَرْ

2 فقلت لهم حُـبًّا لها وكـرامـةً ... وفكّرتُ فيما أودَعَتْهُ مِنَ الـدُّرَرْ

3 نـظـرتُ بعين الله فيه فراعني ... قُلَيْبٌ لها لم يُبْقِ مني ولم يَذَرْ

4 لقد سَتَرَتْ منا حَيَاءً محاسنًا ... يراها الهوى عَيْنًا فيا خَيْبَةَ البَصَرْ

5 إذا ما تجلّتْ أَسْفَرَتْ عن مَهابةٍ ... وإنْ هيَ لم تُسْفِرْ فيا خَيْبَةَ النَّظَرْ

6 أفـاطِـمَ مهلا قد حَلَلْتِ مكانةً ... منَ القلب لم ينزلْ سواكِ منَ البَشَرْ

7 بها فاغتَنِمْهَا إنـهـا لـكَ قربَةٌ ... من الله في يومٍ له القَلْبُ يَنْفَطِرْ

[325]

من البسيط[1]

1 النّاسُ أولادُ إسحاقَ وليسَ لهم ... وما لِعَمِّكَ إسماعيلُ مِـنْ أثـرِ

2 هَذِي بذي لا بِذا فانْظُرْ تَرَى عجبًا ... الشَّرْعُ يُنْكِرُهُ والعَقْلُ بالنَّظر

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.246ب)، وترجم لها بقوله «والزّوح نص، والخاطر تعيين، والسماع فص».

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.246ب)، وترجم لها بقوله «والزّوح قصاص أنثى بأنثى، والخاطر خادم أو خُنثى، والسماع توبة».

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.247أ)، وترجم لها بقوله «والرّوح مُشاكل، والخاطر مُماثِل، والسماع ممازجة». وقد أورد الدّيوان المذكور قبلها قطعة مماثلة في البحر والروي والشطر الأوّل.

3 قَوْلِي لِبِنْتِكَ يَا أُمِّـي وجارتها وخـادمٍ ليس بالأنثى ولا ذكرٍ
4 لا، لا يسمّى ولا ما فيه منفعةٌ فَازْجُرْهُ من حَرٍّ مَنْ تَرْمِيهِ بِالحَجَرِ

[326]

من البسيط[1]

1 أصومُ شهرًا بشَهْرٍ والهوى سَبَبُ لأَنْ أُوَاصِلَ صومَ الشَّهر بالشَّهْرِ
2 يليه تصحيفُ نار أحرقتْ كبدي وحكمُها حاكمٌ في السِّرِّ والجَهْرِ
3 وحقِّها إنّ قلبي قد تقلَّب في آلامه من هوى شهر على الجَمْرِ
4 لـهـا لَـزِيـمٌ كـريـم لا يفارقها كسته نورًا كمثل الشّمس والبَدْرِ
5 بأنها بين أتـرابٍ لها عُطُلٍ أمثالُهَا في الليالي ليلةُ القَدْرِ
6 تنزّلت فيك أرواح العُلا شرَفًا تـبـدو دلائـلُـه فـي عـالـم الأمـر
7 الله أكـبـرُ لا أبْـغِـي بـه بدلا فهْوَ الحبيبُ الذي يدري ولا ندري
8 جاءت إليّ بما تحويه من عَجَبِ أسماءُ حِلْيَتِهَا في مُحْكَمِ الذِّكْرِ
9 عنايةُ الله قـد حـلّـتْ بنا كرمًا في عدّةٍ من شهورِ العام بالشَّهْرِ
10 ولـم يَقُلْ هو عَـامٌ لا و لا سَنَة لأنَّ عن حُكمِه يجري الذي يجري

[327]

من البسيط[2]

1 يا مَنْ يَهِيمُ بها قلبي ويَشْهَدُهَا وَهْمِي وما أبْصَرَتْ عيني لها أثرا
2 والعينُ تحمِلُهَا وَالقَلْبُ يَعْرِفُهَا والسَّمْعُ قلّدَ فيها الذِّكْرَ والخبرا
3 جَهِلْتُ مُـدّةَ أمْـرِي في محبّتِها فلست أدري أطالَ الأمرُ أم قَصُرا[3]
4 إني أُحِسُّ بنار الحبِّ تَحْرِقُنِي وما رأيـتُ لنيرانِ الهوى شَرَرَا

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.247أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح مدينة، والخاطر أمنية، والسماع تلوين».

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.247ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح أخفى، والخاطر جفا، والسماع اصطفى».

(3) آثرنا أن نثبت هنا الشطر الثاني من ديوان المعارف الإلهيّة «فلست أدري أطال الأمر أم قصرا»، ونرجح أن يكون هو الصواب، بينما أورد الأصل المحقّق الشطر نفسه في البيتين 3 و 4، «وما رأيت لنيران الهوى شررا»، ونرجّح أنّه خطأ من الناسخ.

[328]

من المتقارب[1]

1 حَمَلْنَ على اليَعْمُلات الخُدورا — وأودعْـنَ فيها الدُّمَى والبُدورا[2]
2 وواعــدن قلبـيَ أن يرجعوا — وهـل تَعِـدُ الخُـودُ إلا غُـرورا
3 وحـيَّـتْ بِعُـنَّـابِـهـا لـلـوداع — فـأذْرَتْ دموعًا تهيجُ السَّعيرا
4 ولـمـا تـولَّـت وقـد يـمَّـمَـت — تـريـدُ الـخَـوَرْنَـقَ ثم السَّدِيرا
5 دعـوتُ ثُـبـورًا على إثْـرِهِـمْ — فـردَّت وقـالـت أتـدعـو ثُـبورا
6 فـلا تَـدْعُـوَنَّ بـهـا واحـدًا — ولـكـنَّـمـا ادْعُ ثُـبـورًا كثيرا
7 ألا يـا حـمـامَ الأراك قليلا — فما زادك الـبـيـنُ إلا هديرا
8 ونَـوْحُـكَ يـا أيُّـهَـذا الحمام — يُثير الـمَشوقَ يَهيجُ الغَيورا
9 يحوم الحِمام لـنَـوْحِ الحَمامِ — فـيـسـأل منه الـبـقـاء يسيرا
10 عسى نفحةٌ مـن صَبَا حاجرٍ — يسوق إلـيـنـا سحابًا مَطيرا
11 تُـروِّي بها أنـفـسًـا قد ظَمِئْـ — ـنَ فما ازداد سحبك إلا نُفورا
12 فيا راعـيَ النَّجْمِ كن لي نديمًا — و يا ساهر البرق كن لي سميرا
13 أيـا راقـد الـلـيـل هُـنِّـئْـتَـهُ — فقل للممات عَـمَـرْتَ القُبُورا
14 فلو كنتَ تهوى الفتاةَ العَروبا — لَـنِـلْـتَ النَّعيمَ بها والـسُّـرورا
15 تُعاطِي الحسانَ خُمورَ الخِمارِ — تُناجي الشُّموسَ تُناغي البُدورا

[329]

من البسيط[3]

1 نفسي الفداءُ لِبيضٍ خُرَّدٍ عُرُبٍ — لَعِبْنَ بي عند لَثْمِ الرُّكْنِ والحَجَر
2 ما تستدلُّ إذا ما تُهْتَ خلفهمُ — إلا بريحهمُ من طيِّبِ الأَثَـرِ

(1) أوردها في ديوان ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.267أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح غرور، والخاطر أمان، والسماع أمال».

(2) اليعملات: الإبل التي يعمل عليها.

(3) وردت في ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.270ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح أمان الرقباء، والخاطر إنباء، والسماع أنباء».

3 ولا دَجَا بيَ ليلٌ ما به قَمَرٌ ... إلا ذكرتهمُ فَسِرْتُ في القمر
4 وإنما حين أُمْسِي في رِكَابِهِمُ ... فاللَّيْلُ عنديَ مثلُ الشَّمسِ في البُكَرِ
5 غازَلْتُ مِنْ غَزَلي منهنَّ واحدةً ... حسناءَ ليسَ لها أختٌ من البَشَرِ
6 إن أسفرَتْ عن محيّاها أرَتْكَ سَنًا ... مثلَ الغزالة إشراقًا بلا غِيَرِ
7 للشَّمْسِ غُرَّتُها لِلَّيْلِ طُرَّتُها ... شَمْسٌ وَلَيْلٌ مَعًا مِنْ أعْجَبِ الصُّور
8 فنحن باللَّيْلِ في ضَوْءِ النَّهَارِ بها ... ونحن في الظُّهْر في لَيْلٍ من الشَّعَرِ

[330]

وقال أيضًا:

من الخفيف[1]

1 طَلَعَتْ بين أذْرِعَاتٍ وبُصْرَى ... بِنْتُ عَشْرٍ وَأَرْبَعٍ لِيَ بَدْرا
2 قد تعالتْ على الزَّمان جلالا ... وتَسَامَتْ عليه فَخْرًا وكِبْرا
3 كُلُّ بَدْرٍ إذا تَنَاهَى كمالا ... جاءَه نَقْصُه لِيَكْمُلَ شهرا
4 غيرَ هَذِي فما لها حركاتٌ ... في بروجٍ فما تُشَفَّعُ وِتْرا
5 حُقَّةٌ أُودِعَتْ عَبِيرًا ونَشْرًا ... رَوْضَةٌ أَنْبَتَتْ ربيعًا وَزَهْرا
6 انتهى الحُسْنُ فيكِ أَقْصَى مَدَاهُ ... مَا لِوُسْعِ الإمكانِ مِثْلُك أخرى

[331]

وقال أيضًا[2]:

من المتقارب

1 رعى الله طيرًا على بَانَةٍ ... قَدَ افْصَحَ لي عن صَحِيحِ الخَبَرْ

---

(1) وردت في ديوان ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.270ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح طيبٌ طبيب، والخاطر ملاحظة حبيب، والسماع مشاهدة رقيب».

(2) وردت في ديوان ترجمان الأشواق كاملة بينما لم يورد منها هنا إلا 5 أبيات بدل 13. كما أوردها في ديوان المعارف الإلهيّة (و.270ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح حالة العشق مرعية، والخاطر حماية له في حَميّة، والسماع اهتزاز نفوس أبيّة».

2 بــأنَّ الأحـبَّـةَ شَـدُّوا على رواحِـلِـهِـمْ ثم رَاحُـوا سَحَرْ

3 فَسِرْتُ وفي القلب مِنْ أجْلِهِمْ جَحِـيـمٌ لِـبَـيْـنِـهِـمُ تَـسْـتَـعِـرْ

4 أُسـابِـقُـهُـمْ في ظَـلَامِ الـدُّجَـى أُنَـادِي بهم ثُـمَّ أَقْـفُـو الأثَـرْ

5 ومـا لـي دَلـيـلٌ على إِثْـرِهِـمْ سوى نَفَسٍ من هَوَاهُمْ عَطِرْ[1]

6 رَفَعْنَ السَّجافَ أضاء الدُّجَى فسار الـرَّكَـابُ لِـضَـوْءِ القَمَرْ

7 فَأرْسَلْتُ دَمْعِي أَمـامَ الرِّكَاب فقالوا متى سـالَ هـذا النَّهَرْ

8 فـلـم يـسـتـطيعوا عـبـورا له فقلتُ دمـوعـي جَـرَيْـنَ الـدُّرَرْ

9 كـأنَّ الـدُّمُـوعَ لِـلَـمْـعِ البروق وسير الغمام لصوت المطر

10 وَجِـيبُ القلوبِ لِـبَـرْقِ الثُّغور وسَـكْـبُ الـدُّمـوع لِـرَكْـبٍ نَفَرْ

11 فيا مـن يُـشَـبِّـهُ لِـيـنَ الـقُـدُود بِلِينِ القَضِيبِ الرَّطِيبِ النَّضِرْ

12 فلو عُكِسَ الأَمْـرُ مِـثْـلُ الذي فَـعَـلْـتُ لكان صحيحَ النَّظَرْ

13 فَلِينُ الغُصونِ لِلِينِ الـقُـدُود وَوَرْدُ الـرِّيَـاضِ كَـوَرْدِ الخَفَرْ

[332]

وقال أيضًا :

من الخفيف

1 طَلَعَ الـبَـدْرُ في دُجَـى الشَّعَرِ وسَقَى الـوَرْدُ نَرْجِسَ الحَـوَرِ

2 غـادةٌ تـاهـتِ الـحِـسَـانُ بها وزهـا نـورُهـا عـلـى الـقَـمَـرِ

3 هـي أسنى مـن الـمَهَاة سَنًا صـورةٌ لا تُـقـاسُ بـالـصُّـوَرِ

(1) بعد هذا البيت وقع خلط وقفز في ترتيب أوراق هذا المخطوط فكتب باقي القصيدة في الورقة 125، بينما كتب القسم الأوّل منها في الورقة 114. وقد قمنا بكتابة باقي القصيدة مراعاة للأصل قبل بعثرة الأوراق وترقيمها ترقيمًا خاطئًا، وأتبعناها بالقصائد التي تأتي بعدها حسب التّرتيب الأصلي لهذا الجزء الثالث. ولم نذكر القصائد التي كتبت في التّرتيب الخاطئ، وعددها 30 قصيدة لأنّنا نعتقد أنّ مكانها في الجزء الرابع (وقد حقّقناه)، وتبتدئ بالقصيدة التي مطلعها «عذبتني مهبلند» إلى القصيدة «أوسط الجنات فردوس». وترقيمها في الجزء الرابع من رقم 21 إلى 51. والشيء نفسه بالنّسبة للقصائد التي تبتدئ من الورقة 115 إلى آخر قصيدة في المخطوط التي مطلعها «همت اشتياقا فيمن براني» في الورقة 228، فكلّها من الجزء الرابع الذي حققناه، فلا حاجة لتكرارها هنا.

4 فَلَكُ النُّور دونَ أَخْمَصِهَا تَاجُها خارجٌ عن الأُكَرِ
5 إن سَرَتْ في الضَّمِيرِ يُخْرِجُهَا نَظَرُ الوهم كيفَ بالبصرِ
6 لعبةٌ ذكرها يُذَوِّبُها لَطُفَتْ عن مسارح النَّظَرِ
7 طلبَ النَّعْتُ أن يُبَيِّنَها فتعالتْ فَعَادَ ذا حَصَرِ
8 وإذا رام أن يُكَيِّفَهَا لم يَزَلْ نَاكِصًا على الأَثَرِ
9 إن أراحَ المطيَّ طالِبُهَا ما أَرَاحُوا مَطِيَّةَ الفِكَرِ
10 رَوْحَنَتْ كُلَّ مَنْ أَشَبَّ بها نَقَلَتْهُ عن مَرَاتِبِ البَشَرِ
11 غَيْرَةً أن يُشابَ رائِقُها بالذي في الحِيَاضِ مِنْ كَدَرِ

[333]

من الطويل

1 أَغِيبُ فَيُفْنِي الشَّوق نفسي فألتقي فلا أشتَفي فالشَّوقُ غيبًا ومَحْضَرا
2 ويُحدِثُ لي لُقياهُ ما لم أَظُنُّهُ فكان الشِّفَا داءً من الوَجْدِ آخرا
3 لأني أرى شخصًا يزيد جمالُه إذا ما التقينا نخوةً وتكبُّرا
4 فلا بُدَّ من وَجْدٍ يكون مُقارِنًا لما زاد من حُسنٍ نِظامًا محرّرا

[334]

من المتقارب[1]

1 لِطَيْبَةَ ظَبْيٍ ظُبَى صارمٍ تجرّدَ من طَرْفِها السّاحرِ
2 وفي عرفاتٍ عرفتُ الذي تريدُ فلم أكُ بالصّابرِ
3 وليلةَ جمعٍ جمعنا بها كما جاء في المثَل السّائرِ[2]
4 يمينُ الفتاةِ يَمِينٌ، فَلا تكنْ تطمئنُّ إلى غادرِ
5 مُنًى بِمِنًى نلتُها ليتَها تدوم إلى الزَّمنِ الآخرِ
6 تولَّعتُ في لعلعٍ بالتي تُريكَ سَنَا القَمَرِ الزَّاهرِ

---

(1) وردت في ديوان ترجمان الأشواق، وفي ديوان المعارف الإلهيّة.
(2) جاء في المثل: «ما سلم حتى ودّعا».

7 رَمَتْ رامةً وصَبَتْ بالصَّبَا — وحَجَّرَتِ الحِجْرَ بالحاجرِ

8 وشامت بريقًا على بارقٍ — بأسرعَ من خَطْرَةِ الخاطر

9 وغاضت مياهُ الغَضَا من غَضًى — بأضلُعِهِ من هَوًى ساحر

10 وبانت بيانَ النَّقا فانتقَتْ — لألىءِ مكنونةِ الفاخر

11 وأضْلَتْ[1] بذات الأَضَا القَهْقَرَى — حذارًا من الأسَدِ الخادرِ

12 بذي سلم أسْلَمَتْ مهجتي — إلى لحظها الفاتِك الفاترِ

13 حَمَتْ بالحِمَا ولَوَتْ باللِّوَى — كَعَطْفَةِ جارحِها الكاسر

14 وفي عالجٍ عالَجَتْ أمْرَهَا — لتُفْلِتَ من مِخْلَبِ الطّائر

15 خَوَرْنَقُها[2] خارقٌ للسَّما — ءِ يَسْمُو اعتلاء على النّاظر

[335]

من البسيط[3]

1 إنَّ الوجودَ الذي أعطاني صورته — هو الوجودُ الذي وهمي يُصَوِّرُهُ

2 لو أنه كان حاباني بسورَتِهِ — عينَ المحال الذي عقلي يُقَرِّرُهُ

3 ولو أُشاهِدُ نفسي في سريرته — ما كان بالحال أو بالقول أذْكُرُهُ

4 كما أُشاهِدُ في الأكوان سيرَتَهُ — فما أُعَظِّمُهُ وَمَا أُوَقِّرُهُ

5 زاحَمْتُهُ في الذي قد قال ذلك لي — به فقال لِوَالِيهِ يُعَزِّرُه

6 فإنَّهُ خَرَقَ الإجماعَ مذهَبه — بما وهبتُ له لذاك أشْهِرُهُ

7 عجِّلْ به إنه عبد يحقّق لي — ومن يحقِّق بي فما أُفَتِّرُه

8 فهْو الأديبُ الذي أساء بي أدبًا — وإنه ليراه حين أنشره

9 من فَتْرَةٍ لعيونٍ ما رَأَتْ أحدًا — مِنَ الخَلائِقِ إلا وَهْوَ يُخَبِّرُهُ

10 بأنّه مَعَ أضْدادٍ وأمْثِلَةٍ — وسادة وعبيد فيَّ أحْشُرُهُ

11 إني عجبتُ لِمَنْ تَبكيهِ أعْصُرُهُ — وهيَ المُميتُ الذي في الأرض تُقْبِرُهُ

---

(1) أضلت: رجعت.

(2) الخورنق: قصر في العراق بناه النعمان بن امرئ القيس. وقد ورد ذكره في أشعار العرب وأحاديثهم.

(3) وردت في المخطوط رقم 1438 (و.156)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.168ب).

12 عليه تبكي سماءُ الله في مَطَرٍ والأرض تبكي عليه وهْيَ تسترُه
13 إنـي أؤنـثُ أمـرًا ما لمصلحةٍ مَعقولة عند من يأتي تَذكُّره
14 الجمع يسلم لي بناء واحـدة رأي ويـأتـي بـه غيري يكسّره
15 إذا خـلوتُ بكم عنه ليعرِفَه من حيث تُغنيه لا من حيث تُفقِرُهُ
16 رأيتُـه فـي غناه عنكَ مُغْتَلِيًا هناك تُطْلِقُهُ وَلَسْتَ تَحْصُرُهُ
17 غِنَى الحقائقِ لا يخفى على أَحَدٍ لكنَّها بالغِنَا اللَّفْظِيِّ تُـوثِـرُهُ
18 شرعًا وعقلا وآدابًـا ومَعرفةً لـغـيـره عـرفـت مـنـه تـغـيّـره
19 لولا شُخيصٌ أتى يخلو به فأبى رأيَ الخُلُوِّ به ما كنتُ أذْكُـرُهُ
20 ولا أسمِّعه قـولا يـكـون على مـا شـاء يحمِلُه ولا أبـصّـرُه
21 أنتَ الفَقِيرُ إلى مَنْ كان مفتَقِرًا إلـيـك مـن نسب فيه تكثُّره
22 هو الغنيّ فلا تحصى محامِدُه ولا أذمُّ عُـبـيـدًا إذ أُصـغِّـره
23 إنـي أسبّحُه عني فَـأحْـمَـدُه كـمـا أُهَـلّـلُـهُ إذا أُكَـبِّـرُه
24 وكـلُّ ذلـك فـالأسـمـاءُ تطلُبُه وذا قريبٌ على عقلي تَصَوُّره
25 فكن به لا تَكُنْ عن أَمْـرِهِ فَتَكُنْ ما زُلْتَ عَنْكَ وهذا مِنْكَ أُنْكِرُهُ

[336]

من البسيط[1]

1 إنـي ولـعـتُ بـأسـمـاءٍ مُـنـوّعـةٍ في مُفْرَدِ العَيْنِ وَالأَسْمَاءُ تكثرُهُ
2 أُخْفِيهِ عَنِّي وعن غيري فَأَكْتُمُهُ والاسم يأتي فَيُبْدِيهِ وَيُظْهِرُهُ
3 إنـي أغـارُ عليه أن يُشَاهِدَهُ قلبي وغيري ولكن لستُ أَحْصُرُهُ
4 إنـي أرانـي إذا تُتْلَى محاسِنُهُ مما أغـار عليه لَسْتُ أَذْكُـرُه
5 لو أنَّ لي قدرة على التَّسَتُّرِ ما أَظْهَـرْتُـهُ أَبَـدًا بل كنتُ أَسْتُره
6 لَـمَّا رأيتُ وجودًا لستُ أعْرِفُهُ على الحقيقة لكن لستُ أُنْكِرُهُ
7 سَأَلْتُ عَنْهُ فقالوا إنَّ ذا عَجَبٌ مِنْ سائِلٍ لم يَزَلْ بِالوَهْمِ يَحْصُرُهُ

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.156)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.170أ).

8 في كُلِّ وَقْتٍ مع الأنفاس وَهْوَ لَهُ ... عَـقْـلٌ يُـجَـرِّدُهُ عَـمَّـا يُـصَـوِّرُه
9 وهـو المقرُّ له بالشَّرْعِ إنَّ له ... مَجْلَى وبالكشف يَجْلُوهُ وَيُبْصِرُه
10 مع الشُّهُودِ مع الإيمان تُبْصِرُهُ ... أعْـمـى وَمَـا ثَـمَّ إنسانٌ يُبَصِّره
11 وإنــه مسلم لـلـشـرع مـتَّـبِـعٌ ... وذا يـهـوِّده وذا يـنـصِّـره
12 وكُلُّهُ الشَّرْعُ فالإيمانُ يَطْلُبُهُ ... بالصِّدْقِ فيما أتـى بما يُقَرِّره
13 إن لم يكن هكذا فإنَّ صاحِبَه ... مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سماواتٍ يُكَفِّرُه
14 لو لم أكُنْ فيه إذ أمْشِي على قَدَرٍ ... ما كان يُغْنِينِي إذ أنسى تَذَكُّرَه

[337]

من الطويل[1]

1 إذا شئتَ أن تحظى وَتُجْدَى فخبِّرِ ... عن الواهبِ المحسانِ جودًا وَأكْثِرِ
2 وأفْصِحْ عن الأمر الذي قد عَلِمْتَهُ ... فما أنتَ فيما قُلْتَ فيه بِمُفْتَرِي
3 ولا تَـأْتَـلِـي فيه وعَـظِّـمْ جنابَه ... وبـالِـغْ وَقَـدِّسْ ثم عَـزِّزْ وَوَقِّـرِ
4 فليس لـه مِـثْـلٌ ولا فيه غاية ... هو الغايةُ القصوى فَدَيْتُكَ حَرِّرِ
5 فَطَنِّبْ وقل ما شئتَه فهو قابلٌ ... لِـكُـلِّ مَـدِيـحٍ مُـطْـلَـقٍ وَمُـظَـفَّـرِ
6 هو الرَّوْضَةُ الزَّهْرَا سماعًا ومَنْظَرًا ... وإن هو نَاجَى أنتَ في كُلِّ مُزْهِرِ
7 علومًا به يأتي إليك شخوصُها ... كَصُبْحٍ بدا بعد الدُّجُنَّةِ مُسْفِرِ
8 يُفِيدُكَ أحْـكَـامًـا عليه بها وما ... يَجِيءُ بها غَيْرُ الرَّسولِ المذكِّرِ
9 أتَـتْـكَ بها أرسالُه في صَحِيفَةٍ ... مُـكـرَّمَـةٍ بل في كتابٍ مُسَطَّرِ
10 علوتَ بها قـدرًا على كلِّ مادحٍ ... وكنتَ على حُكْمٍ صحيحٍ مُقَرَّرِ
11 يباهي بكَ الرحمن إن كنتَ هكذا ... ملائكةً عـن ذكـره لـم تُقَصِّرِ
12 لأنَّـكَ شخصٌ فيه سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... ولم تَكُ فيما قد أُتِيتَ بمُقْصِرِ
13 وهـذا عظيم منك يُعْرَفُ قَـدْرُهُ ... إذا ما ذكرتَ الله في كلِّ مَحْضَرِ
14 بصمتٍ ونُطقٍ أو بحالٍ معرِّفٍ ... بمجلسِ داري بمسْكٍ معطَّرِ

---

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.118)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و. 171أ).

15 مـلائـكـةٌ غـرٌّ كــرامٌ وإنـهـم … تـلامـذةُ الـحُـرِّ الكريم الموقَّرِ
16 إذا كنتَ فيهم كنتَ أفضلَ ذاكرٍ … وإن كان عن أَصْلٍ يُضَافُ لِعُنْصُرِ
17 فـإنّ لـه فـي كـلِّ سَـهْـوٍ وغفلة … عن الذِّكْرِ ذكـرًا شأنه لم يكبَّرِ
18 وذلك عن جهل به قام عندَهُمْ … لأجـلِ نـبـاتٍ كـان منه محقَّرِ
19 ألـم تَـدْرِ أن الله أنبـتَ أَصلَه … نباتا مِنَ ارضٍ لست فيها بمنكرِ
20 وأسكنَكُمْ فيها زمـانًا مُوَقَّتًا … وأخرجكم منها إلى أرض محشرِ
21 فما لك لم تعرف وجودَك عندها … ولـم تـأت فيها بالكلام المزوَّرِ
22 ألـم تدر أنَّ العقلَ عنها نتيجةٌ … وعينُ القُوَى فيها فَفَكِّرْ ودبِّـرِ
23 ومن نفَس الرحمن كان وجودُها … من اليَمَنِ الأعلى لنصر ميسَّرِ
24 إمـام صـدوق ذي غناء وقـوّةٍ … رسـول عليم بـالأمـور مشمِّرِ
25 إذا قُـرنـتْ أفـعـالـه بمقالة … رأيـتَ لها فضلا على كلِّ مخبرِ
26 وإن قرنوا بالحال كـان وجـوده … أتَـمَّ وأزكـى مـن مَـقـال مؤثِّـرِ
27 وذلـك مـا لـم تـدر أنَّ كلامه … تــلاوةُ قــرآنٍ وذكــرُ محـبَّرِ
28 فإن كان في القول المنزَّه تاليًا … فلا شيءَ أعلى منه فانظرْ وحَرِّرِ
29 إذا ما تلا الوحيَ المقدّسَ لفظَه … تنزَّه عن صوت وحـرفٍ مكرَّرِ
30 وما سمعَتْ آذانُهُمْ غيرَ صَوْتِهِ … وأَحْـرُفِـهِ في غير عَـقْـلٍ مُفَكِّرِ
31 وذاك كلامُ الله إن كنتَ مؤمنًا … بما قاله فَانْهَضْ إليه وَشَمِّرِ
32 ومـا هو إلا واحـدُ العينِ مُفرَدٌ … بـأحـرفـه فـي مُـفـرِدٍ أو مُكَثِّرِ

[338]

من البسيط[1]

1 إنَّ المصانين لا تُدْرَى مقاصدهم … همُ الأعـزّاء إن قلُّوا وإن كثُرُوا
2 يقال فيهمْ وهم أرواحُ حضرَتِهِ … من أجـل نشأتهم بأنَّهُمْ بَشَرُ
3 فهْوَ الفخار لهم إن كنتَ تَعْقِلُهُ … إن اليدين لها في خلقِهم أثَرُ

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.119)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.173أ).

4 ولا تقل مثلَنا الأنعامُ قد خُلقَتْ ... فَتِلْكَ أَيْـدٍ وما ثنّاهما الخَبَرُ[1]

5 ولا الذي باليد الوحدى فإنّ لها ... حال انفراد وما يقضي به النَّظر

6 في الافتخار على الـمَثْنَى فإنهما ... عينُ الفخار لمن قد جاء يفتخر

7 بين القبول وبين الاقـتـدار لنا ... عينٌ يصرّفها الأقــدار والـقَـدَر

8 أقــام نشأتنا مِـثـلا لصورته ... بـذاك كـان لها التأييد والظَّفَر

9 إن الكمال الذي الأكوان تطلبه ... في نشأتي فهي للأكوان منتظر

10 عنّي نَفَى الـمِثْلَ لا عنه فإنّ له ... عنّي الغِنَى وأنـا للجود مُفتقِرُ

11 من بعد نَفْيِ شَبِيهٍ أن يكون لنا ... جاء الضَّمير وجاء السَّمع والبصر

12 فجاء يطلب إضـمـارًا تقدَّمَه ... فـي مثله وبـهـذا الـقـدر يفتخر

13 أفنى بِلَيْسَ عيونَ الكون أجمعَها ... لها التحكُّم لا تُبقي ولا تَـذَرُ

14 له التَّدَبُّرُ والتَّفصيل وهْـوَ لنا ... وليس للغير هذا الحُكْمُ فاعتبروا

15 يا إخوتي بهما قد حُزْتُ صورَتَهُ ... فانْظُرْ فضيلةَ ما قد أَعْطَتِ الفِكَرُ

16 الكُلُّ في الجَبْرِ لا فِكْرٌ ولا نَظَرُ ... وفيه جَبْرٌ ولكن حُكْمُهُ خَطَرُ

17 يقضي على العالم المعلوم فافتكروا ... فيما أتـيـتُ بـه فـإنـه خَـطِـرُ

18 يجول في الفَلَكِ العُلويِّ كوكَبُه ... والنَّجمُ يعرفه والشَّمسُ والقمر

19 الـكـلُّ يسجد لله الـعَـلِـيِّ بلا ... شيءٍ سِوى بعض من سمَّيته بَشَرُ

20 فخرًا عليهم وتعظيمًا لخالقهم ... وليس يدريه إلا النَّجْمُ والشَّجر

21 فالنَّجم للذات والأشجار ما اختلفت ... من النعوت عليها فانظروا وذَروا

22 أذكارَكم دون ستر الغيب إنّ له ... مجلى نزيهًا يـراه من له بصر

23 لو كنتَ تعرفُه ما كنتَ تعقِلُه ... وهل تقيَّدَ إلا العَجْزُ والحَصَرُ

24 العقل قَـيْـدٌ بلا شَكٍّ وإنّ له ... نعتَ السَّراج وذاك القيدَ فادّكِروا

25 الحرقُ للنَّار والنُّورِ النَّزيه معًا ... فنحن في ظلمةٍ ومـا لنا خَبَرُ

26 يقضي بهم عدم الإحراق وهو لنا ... نعم الدَّليل وكون الركن والوزر

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ألم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون﴾ (يس، 71)، في مقابل خلق آدم عليه السلام باليدين ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدَيّ﴾ (ص، 75).

27 لو لم يكن ثَمَّ إرهابٌ وسلطنة ... ما كنت ذا حذر لو ينفع الحذر
28 النَّرْدُ والشِّطْرَنْجُ أخرجا مَثَلا ... لما يرى الفِكْرُ أو يقضي به القَدَرُ
29 وعندنا نسبةٌ أخرى لجمعِهِمَا ... مثل التّصوفِ فيه الكَشْفُ وَالنَّظَرُ
30 البَدْءُ للنَّرْدِ يقضي ما يشاء ومِنْ ... بَعْدِ القَضَا تحكم الأفكار والعِبَرُ
31 تَبَسَّمُ الأرضُ إذ تبكي السّماءُ لها ... فَيُبْرِزُ النَّبتَ حَرُّ الشّمسِ والمَطَرُ
32 فما يمدُّ السّحابَ المعصرات بما ... يعطيه من غيثٍ إلا الأنجمُ الزُّهُرُ
33 قد رتَّبَ الله أفلاكًا مسخَّرةً ... لما ذكرت فكان الزَّهْر والثَّمَرُ
34 شَمًّا وطعمًا شهيًّا فيه أغذيةٌ ... ولَذَّةُ الرّوحِ منه شمّه العَطِرُ
35 لنشأة الروح شيء تستلذُّ به ... كنشأة الجسم هذا أعطتِ الفِطَرُ
36 إنّ الروائحَ للأرواح أغذيةٌ ... مثلَ المطاعم للأشباح فاعتبروا

[339]

من البسيط[1]

1 ماذا تقول لمن قد جاء يسألُكُمْ ... عن الوجود الذي قد عَمَّ ظاهِرُهُ[2]
2 وهل يكون له حَدٌّ فَيَجْمَعُنَا ... أو لا يكونُ فمن فيه نُسايِره
3 إنَّا لَنَفْرَقُ منه حيث كان له ... نعتًا وكان لنا نعتًا نُوَازِرُهُ
4 وما لنا من حديثٍ في مُسامرة ... إذا خلونا به، به نسامره
5 فالأمر ما بيننا فيه مساترة ... وقتًا يُساترنا، وقتًا نُساتره
6 ألا تراه بنا وقتًا يُعرِّفنا ... كما يكون به والله شاكِره
7 يا ليت شعري إذا كُنّا بحضرَتِه ... ترى بصائرنا كما بصائره
8 لي منه واحدة ألهو بها طربًا ... إذا تجلّى وللأكوان سائرُه
9 فمن يعيش بنا أنا أعيش به ... ومن نَعيش به فالله قابرُه

---

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.121)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.174أ).

(2) هناك بيت ورد هو الثاني في مخطوط 1438 لم يرد هنا هو «وأعياننا ثم كون الحق يطلبه...هل عينُه عينه أو هل يغايره».

10 وإنــه لـغـيـور مـا يــرى أحـدًا — مـنّـا يـمـاثـلـه إلا يُـنـافِـرُه

11 فـمـا يـمـاثـلـه فــي نعته أحـدٌ — ولا يُـصـاحـبـه ولا يُـكـاثـره

12 لحكمةٍ يعلم الشّرّيبُ نِسْبَتَها — إلـيـه دون الـذي فيها يُناظره

[340]

من البسيط[1]

1 الله أكبر[2] أن يـدرى لـه خبر — إلا الذي جاء في الأخبار والسُّوَر

2 منَ النُّعوت التي جاء الكتابُ بها — على لسانِ رسولٍ صادقِ الخَبَرِ

3 منها نعوتُ دليلِ العقلِ يَقْبَلُهَا — كالعلم في قوله والسَّمْعِ والبصر

4 ونـفـيِ مِـثْـلٍ وأنــدادٍ تزاحمه — في مُلْكِهِ لوجود النَّفع والضَّرر

5 كما أتـانـا بها الإيـمـان يقبلها — وليس يقبله الـبـرهـان بالنَّظر

6 بما تـأوّلـهـا مـن كـان ذا حَيَدٍ — عن الصَّواب إذا ما جاء بالصُّور

7 إنَّ الـتَّـرَدُّدَ مما لا يـقـول به — إلا المسلّم إيمانًا من البشر

8 وهْيَ الكثيرةُ لا يُحْصَى لها عَدَدٌ — فَمَنْ تَـأَوَّلَ لم يبرح على حظر

9 إنـي نصحتك فيها أن تُؤَوِّلَها — فلا تُـؤَوِّلْ وكن منه على حَـذَرِ

10 واشحذ فؤادك فيما أنت تدركه — بالفكر فيه إذا ما كنت ذا نظر

11 إن الرجال رجال الله قد خرجوا — عن العناصر والأدوار والأُكَـرِ

12 إلـى محلٍّ لهم لا يعرفون به — فـلا يـرونَ بـه شيئًا مـن الغِيَرِ

13 فيثبتون بـه حـتـى تزلزلهم — عن التَّحوُّل للأبصار في الصور

14 فيعلمون بـأن الأمـر فيه على — ما شاهدوه من التَّقليب في النَّظَرِ

15 هـذا الشُّهود لهم دنيًا وآخـرة — وبـرزخًـا فانهضوا فيه على أثر

16 تـرون مـا قـلـتُـه حـقًّـا معاينةً — على تـنـوُّعِـهِ بالمشهد الخطر

17 من لست أعرفه قد كنتُ أَشْهَدُه — إذ كنتُ أجهَلُه في النَّجم والشَّجر

---

(1) وردت في المخطوط رقم 1438 (و.119)، وفي ديوان المعارف الإلهيَّة (و.175أ)

(2) في المخطوط 1438، «الله أعظم» بدل «الله أكبر»، وفي ديوان المعارف الإلهيّة «الله أعلم».

[341]

من الطويل[1]

1 إذا ما ذكـرتُ الله ثُـمَّ ذكرتُني   أُفــرِّقُ ما بين التـلاوة والذكر
2 وأشْهَدُهُ في كلِّ حالٍ مُذكّري   بما شاء من نَظْمٍ بَدِيعٍ ومن نَثْرِ
3 فما زلتُ بالذكرى جليسًا محدِّثا   على السِّر كان الذكر مني أو الجهر
4 لقد نَطَقَتْنِي أَلْسُنُ الحَمْدِ والثّنَا   على رَفْرَفِ اليَاقُوتِ والدُّرِّ بالدُّرِّ
5 كما وَحياةِ العِلْمِ جادت لَبُونُكُمْ   على رَسلكم بالرِّسْلِ منها وبالدَّرِّ[2]
6 ولـمـا دعـا ربِّـي نفوسَ عباده   أقرّتْ له بالملك في قبضة الذَّرِّ
7 فأشهدها ربِّـي عليها بملكِه   وكانت لدى الإشهاد في قبضة القهر
8 ولما استقلّت بالوجود دعا بها   فلم تعترف فاستأنفَ الأمر بالأمر
9 فقالت على كُـرْهٍ لقبضةِ قهره   شهدتُ على نفسي بما قال في الذِّكر
10 وما كُلُّ نَفْسٍ كان منها جحودُها   فما كانتِ الاَّ أَنْفُسُ الشِّرك والكُفْرِ
11 وأمـا نفوسُ العارفين ورسلُهُ   فما أنكروا الإشهادَ في الزَّمن النُّكْرِ
12 وقـالـوا بـأنّـا مـا بَـرِحْـنَـا عبيدَه   ولم نَدْرِ طَعْمَ العِتْقِ في المشهد الحُرِّ
13 ولا سيما والـيـومَ يـومُ بلائِنَا   فإياكَ والتَّفْرِيطَ في زَمَنِ البَذْرِ

[342]

من الطويل

1 إذا ما ذكـرتُ الله أو كنتُ تاليًا   أُفــرِّقُ ما بين الـتّـلاوة والذكر
2 فَيَفْتَحُ لي القرآنُ صدقَ كلامِه   ويُنْتِجُ لي الأذكارُ ذاكَ الذي تدري

[343]

من البسيط[3]

1 أَلْبَسْتُ من هو ذاتي خرقةَ الخَضِرِ   مـا بين زمـزمَ والرُّكنين والـحَجَرِ

---

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.154)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.175ب).
(2) الرَّسل: القطيع من الغنم والإبل والجماعة من الناس. الرِّسْل: اللبن.
(3) وردت في طبعة بولاق (ص.54)، وفي مخطوطات عدة.

2 على التَّزَيُّنِ بالمرضيِّ من صفةٍ محمودةٍ بين أهل الشَّرْعِ والنَّظَرِ
3 ولا تـزال مـع الأنـفـاسِ قائمةً به إلـى منتهى الأزمـانِ بالعُمُرِ
4 ومـا تـخَلُّلها مِـنْ سـيِّءٍ فلنا عليه شرطٌ صحيحٌ جاء في الخبر

[344]

من البسيط[1]

1 لما تـأدَّبْـتَ بي يا منتهى أملي وأحسنَ النَّاس في المعنى وفي الصور
2 وكان قد مَلَكَتْ قلبي محاسنُها خُبْرًا تحققُهُ يَرْبَى على الخَبَرِ
3 ألبَسْتُهَا من ثيابِ القَوْمِ ثَوْبَ تُقًى فَخْرًا على حُسْنِهَا مِنْ خِرْقَةِ الخَضِرِ
4 وهْيَ التَّأدُّبُ والآدابُ أجمَعُها مَـعَ التَّخَلُّقِ بـالآيـات والسُّورِ
5 والعَهْدُ ما بيننا ألاَّ تَـبُـوحَ بها ولا تعرِّفَها شخصًا مِنَ البَشَرِ
6 لكي يكونَ من الإخلاص نشأتُها فليس يلحقُها شيءٌ من الغِيَرِ

[345]

من البسيط[2]

1 أَلْبَسْتُ غاديةً ثوبًا مِنَ الخَفَرِ في النَّوم ما بين بابِ البَيْتِ وَالحَجَرِ
2 وقـبَّـلَـتْـهُ فـقـبَّـلْـنـا مُـقَـبَّـلَـهَـا وغِبْتُ فيه عن الإحساس بالبشر
3 واسْتَصْرَخَتْ في بُنَيَّاتِ الطَّوافِ وَقَدْ حَسَرْنَ عن أَوْجُهٍ في أحسنِ الصُّوَر
4 هـذا إمـامٌ قتيلٌ بين أَظْهُـرِنَـا هذا قتيلُ الهوى واللَّثْمِ والنَّظَر
5 قالت لها قَبِّلِيهِ، الأُمُّ ثانيةً عساه يحيى حياةَ النَّفْخ في الصُّوَرِ
6 بالنَّفْخِ تَخْرُجُ أرواحُ الـوَرَى وبه تَحْيَى إذا دُعِيَتْ للنَّشْرِ من حُفَرِ
7 فعاوَدَتْ فَـأَزَالَـتْ هَمَّ غَاشِيَتِي وَأَدْبَـرَتْ وَأَنَـا مِنْهَا عَلَى الأَثَـرِ
8 أُقَبِّلُ الأرضَ إجـلالا لِوَطْأَتِهَا حُـبًّا لها فـأنا منها على الأثـر

---

(1) وردت في طبعة بولاق (ص. 54).
(2) وردت في طبعة بولاق (ص.55).

9 من أجـل تقييده بصورةِ امـرأةٍ عند التَّجلِّي فقلتُ النَّقْصُ مِنْ نَظَرِي

10 ونِـسْـوَةٍ كنجومٍ فـي مَطالِعِها وأنت منهنَّ عينُ الشَّمسِ والقمر

11 يا حُسنَها غادةً كالشَّمسِ طالعةً تَسْبِي العقولَ بذاكَ الغُنْجِ والحَوَرِ

[346]

من الطويل[1]

1 عَلِقْتُ بِمَنْ أَهْوَاهُ عِشْرِينَ حَجَّةً ولم أدر مَنْ أهوى فلم أعرفِ الصَّبرا

2 ولا نَظَرَتْ عيني على حُسنِ وجهِها ولا سمعَتْ أذْناي قَطُّ لها ذِكْرَا

3 إلى أنْ تَراءَى البرقُ من جانبِ الحِمَى فنعَّمَنِي يومًا وعذَّبني دهْـرا

4 وقـلـتُ لها لما تجلَّتْ بذاتها لقد جِئتِ شيئًا في تجلِّيكِ لي إمْرَا

5 وقد طمِعَتْ نفسي وقد رضِيَتْ بأنْ تُواصِلَهَا يومًا وتَهْجُرَهَا عَشْرا

6 وإنَّ مع العُسْرِ الـذي قال ربُّنَا وأودَعَـهُ القرآنَ في حقِّنَا يُسْرَا

7 فَسُبْحان مَنْ خَصَّ النَّبِيَّ وخَصَّنَا بزينبِ الكُبرَى وزينبِ الصُّغْرَى

[347]

من الخفيف[2]

1 زيَّـنَـتْ زينبٌ جميعَ المحاضرْ فَـهْـي معشوقةٌ لـبـادٍ وَحَـاضِـرْ

2 أبصرَ الـحـقُّ قلبَها وهْـي فيه فـكـسـاهـا جـمـالـه لـلـنَّـواظر

3 لَـطُـفَـتْ رِقَّـةً وحِـسًّـا ومَعْنًى فتعالت عن الحِسَانِ النَّواضِرْ[3]

4 وأشارت بِقُرْصٍ لَيْمُونِ لَوْمِي إنَّــهُ دائِــمٌ إلـــى غـيـرِ آخِـرْ

---

(1) وردت في المخطوط 1438 (و.152)، وترجم لها بقوله «والرُّوح معمًى، والخاطر مسمًّى، والسماع أعمى». وفي ديوان الزينبيّات (و.317)، وديوان المعارف الإلهيّة (و.92)، و(و.228أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح معمًى، والخاطر أجل مسمًّى، والسماع إغما».

(2) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.228أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح محاضرة، والخاطر مناظرة، والسماع مسامرة». وقد استبدل اسم «زينب في البيت الأوّل بقوله «راحتي».

(3) كتبت في الأصل «النواصر»، لكنّنا نرجّح أنّها «النواضر». وفي ديوان المعارف الإلهيّة كتبت «النواظر»، والغالب أنّ النقطة سقطت.

[348]

من الخفيف[1]

1 نــام عـيـنُ الـزّمـان عنّـي لهذا ... وصلتْ بنتُ زينبٍ معَ شِيرِي[2]

2 فسكرنا مـن غير خمر ولكن ... كان سكري بالوصل سُكْرَ سُرورِ

3 هـكـذا فعلها مـع البنت فينا ... كيف بـالأمّ لو أتـتْ يا سَجِيري[3]

4 عَشِقَ الوَصْلُ وَصْلَهَا فَهَوَاهُ ... مِنْ هَوَاهَا يَصِيحُ هَلْ مِنْ مُجِيرِ

5 يا لَقَوْمِي لِقَلْبٍ صَبٍّ كئيبٍ ... مُسْتَهَامٍ على الهوى مَفْطُورِ

6 رَجْعِ الطَّرْفَ في سماءِ هواها ... يا ابنةَ القلب هل ترى من فُطور[4]

7 مَنْ عَذِيرِي في حُبِّ زَيْنَبَ قُلْ لِي ... مَنْ عَذِيري في حُبّها مَنْ عَذِيري

8 لا وَحَـقِّ الـهـوى ومتَّبِعِيهِ ... والـذي من خيالها في ضميري

[349]

من الطويل[5]

1 علقتُ بمن أهواه من حيث لا أدري ... ولا أدْرِ مَنْ هذا الذي قال لا أدري

2 فقد حِرْتُ في حالي وحارت خواطري ... وقد حارتِ الحيراتُ فيّ وفي أمْرِي

3 فبينا أنا مِنْ بعد عشرينَ حِقْبَةٍ[6] ... أُتَرْجِمُ عن حُبٍّ يعانقه صدري

4 ولا أدْرِ من أهوى ولا أعرفُ اسْمَهَا ... ولا أدر مَنْ هذا الذي ضَمّه صَدْرِي

---

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.229أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح قناعة، والخاطر مجاعة، والسماع شناعة». وقد غير الأسماء الواردة في المطلع هكذا «نام عين الزمان عنّي لهاذا... وصلت بنت راحتي مع صبري».

(2) شيري: يبدو أنّه ترخيم اسم شيرين.

(3) السجير: الصديق الوفي، وقد سبق شرحه في هامش القصيدة رقم (256).

(4) وقع تقديم وتأخير في البيتيْن رقم 6 و 7، وكتب تنبيه على ذلك في الحاشية هو الذي أثبتناه في المتن.

(5) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.229ب)، وترجم لها بقوله «وروحها علاقة مجهولة، وخاطرها جملة معلولة، وسماعها قضية معقولة».

(6) جاء في ديوان المعارف الإلهيّة «حجة» بدل «حقبة».

5 إلى أن بدا لي وجهُها في نقابِها كمثلِ سحابِ اللَّيْلِ يُسْفِرُ عَنْ بَدْرِ

6 فقلت لهم مَنْ هَـذِهِ قِيلَ زَيْنَبُ بُنَيَّةُ عَيْنِ القَلْبِ بِنْتُ أَخِي الصَّدْرِ

7 فَكَبَّرْتُ إجـلالا لها ولأصلِها فَلَيْلِي بها أَرْبَـى على ليلةِ القدر

[350]

من البسيط[1]

1 لو أن زينبَ[2] تدري ما أُشِيرُ به في نظمِنا نحوَنا جاءت على قَدَرِ

2 لكنها غَـفَـلَـتْ عَـمَّـا أُرِيــدَ بها لِشُغْلِهَا بالذي تهواه مِنْ سفري

3 واللهِ ما نَظَرَتْ عَيْنِي وَلا سَمِعَتْ أُذْنِـي بِـأَنَّ لها أُختًا مِـنَ البشر

4 تذوب عشقًا ولا تهواه في أحدٍ ولا تُـقَـيِّـدُ فـي عيـنٍ ولا أثـر

5 وَمَنْ يَكُنْ في الهوى هَذِي قواعدُهُ فَـإنَّ عاشِقَها منها على خَطَرِ

[351]

من البسيط[3]

1 الأذن عاشقة والعين عاشقة شتّان ما بين عشق العين والخبر

2 فـالأذن تعشق ما وهمي يصوِّره والعينُ تعشَق محسوسًا من الصُّوَر

3 فصاحب العين إذ جاء الحبيبُ له يـومًـا لِـيُـبْـصِـرَهُ يَـلْـتَـذُّ بالنظر

4 وصاحبُ الأُذْنِ إن جاء الحبيبُ له في صورةِ الحسِّ ما ينفكُّ عن غِيَرِ

5 إلا هـوى زينـبٍ فـإنَّـه عَـجَـبٌ قد استوى فيه حَظُّ السَّمْعِ والبصر

(1) وردت في ديوان المعارف الإلهيّة (و.230ب)، وترجم لها بقوله «والرُّوح إغفال، والخاطر إهمال، والسماع بال».

(2) استعمل «عيني» بدل «زينب» في ديوان المعارف الإلهيّة.

(3) وردت ديوان الزينبيات (و.317)، وفي ديوان المعارف الإلهيّة في موضعين: (و.92أ) و (و.232أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح عين وخبر، والخاطر مشاهدة، والسماع نظر». كما أوردها في الباب 178 من الفتوحات المكّيّة.

[352]

من البسيط[1]

1 زبونُ[2] زينبَ لا يُحصى لهم عَدَدٌ — أربى على الرَّمْلِ والأحجار والشَّجر
2 لم يبقَ لي فضلةٌ منها أُسَرُّ بها — أحيى بها كحياة الأرضِ بالمطر
3 ما أنصفَتْ زينبُ في الحبِّ عاشقَها — وما لها عاشقٌ مثلي مِنَ البشر
4 إني لأهوى هواها كلَّما هَوِيَتْ — وليس يدركُ غيري في الهوى نظري
5 فلا يَغُرَّنَّكَ الـمغْنَى فـإنَّ لها — قلبًا على مثلِنا أقسى مِنَ الحَجَرِ
6 لو أنَّها بَلَغَتْ نفسي تَراقِيَها — لا بُدَّ من خُبْرِهَا الـمَغْنَى عن الخَبَرِ
7 حمْلا على فضلِها منّا لأنَّ لها — في قلبِنا سورةً تسمو على السُّور
8 ولا مـقـامَ لِـحُـرٍّ طـابَ مَـحْـتِـدُهُ — على الذي نالني منها من الضَّرَرِ

[353]

من البسيط[3]

1 نُبِّهْتُ أنَّ وجودَ الطِّيبِ في السَّفَرِ — جَلَّ الوداد عن التَّشْبِيبِ والغِيَرِ
2 إني استجرتُ بمن تهوى مودَّتها — مما أتيتُ به في فِعْلِكُمْ سفري

[354]

من الطويل[4]

1 بحقِّ الهوى العذريِّ إلا وَصَلْتَنِي — فَقَدْ وَحَيَاةِ الحبِّ مُتُّ مِنَ الهجرِ
2 وقد فَنِيَتْ فِيكَ القَوَافِي بأسرها — ولا بدَّ للعُمَّال شرعًا من الأَجْرِ

---

(1) أوردها في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.232أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح اجتماع، والخاطر ما لا يستطاع، والسماع كشف قناع».

(2) كتبت في د. م. إ «زيون» بدل «زبون».

(3) وردت في ديوان المعارف الإلهيَّة (و.233أ)، وترجم لها بقوله «والرُّوح فاكهة مطيبة، والخاطر إشارات مغيبة، والسماع فتح باب».

(4) وردت في الباب 178 من الفتوحات المكيَّة، وفي ديوان المعارف الإلهيَّة (و.92أ)، و(و.226أ)، وترجم لها بقوله «وقال أيضًا لزومية، والرُّوح تخليط، والخاطر سلام لوط، والسماع تحنيط».

3 أنامُ بطول الليل شوقًا إليكمُ لعلَّ خيالا منكَ يسري إلى الفجر

4 فبلِّغْ غَزَلْتِي مُنْيَةَ القلب إنني على سُنَّة العُشّاق سُنَّته تجري

5 ألم تَدْرِ أنّي قد حَلَفْتُ[1] منَ اجْلِها وما حَلَفَتْ أنّي منَ اجْلِ الذي تدري

[355]

من مجزوء الرجز[2]

1 غَزَالَتِي هِمْتُ بها[3] وما رآها بصري

2 ولو رآها لغدا قتيلَ ذاك الحَوَرِ

3 وإنما هِمْتُ بها على طريق الخبر

4 فعندما أبصرتها صرتُ بحكم البَصِر

5 فَبِتُّ مسحورًا بها أهيمُ حتّى السَّحَرِ

6 يا حَذَري مِنْ حَذَري لو كان يُغْني حذري

7 والله ما هيَّمني حُكْمُ القضا والقدر

8 وإنما هيَّمَني جمالُ ذاكَ الخَفَر

9 يا حسنَها مِنْ ظَبْيَةٍ ترعى بناتِ الخُمُرِ

10 إذا رَنَتْ أوْ عَطَفَتْ تسبي عقولَ البشر

11 تَفْتَرُّ عن ظَلْمٍ وعن حَبِّ غَمَامٍ نَثِرِ

12 كأنما أنفاسُها أعرافُ مِسْكٍ عَطِرِ

13 كأنها شمسُ الضُّحَى في النُّور أو كالقمر

14 إن أَسْفَرَتْ أَبْرَزَهَا نورُ صباحٍ مُسْفر

15 أو أَسْدَلَتْ غَيْبَها ظلامُ ذاكَ الشَّعَر

---

(1) في ديوان المعارف الإلهيّة «خلقت» بدل «حلفت»، لكنّه يشير إلى القسم في مطلع القطعة.

(2) وردت في الباب 178 من الفتوحات المكّيّة، وفي ديوان المعارف الإلهيّة (و.232أ)، ويستعمل «حياتي» بدل «غزلتي» في المطلع. ويترجم لها بقوله «والرُّوح خوف، والخاطر حيف، والسماع وجود».

(3) استعمل مطلعًا مختلفًا في مخاطبة محبوبته «حقيقتي همت بها» للقصيدة نفسها في الباب 178 من الفتوحات المكّيّة.

16 يـا قـمـرًا تـحـت الـدُّجَـى	خُـذِي فـؤادي وذَرِي
17 عـيـني لـكـيْ أُبْـصِـرَكُـمْ	إذ كـان حَـظِّـي نَـظَـرِي

[356]

من مجزوء الوافر[1]

1 جـمـالَ الـديـن لا تَـغْـتَـر	فـقـد هُـيِّـئـتَ لـو تَـذْكُـرْ
2 لـمـا فـيـه صـلاحُ الـخَـلْـ	ـقِ فـانـظـر إن تـكـن تنظرْ
3 فـإمَّـا أن تـصـيـب الـحـ	ـقَّ أو تـخـطـئ فـلـم تشعر
4 فـيـعـفـو ربُّـكُـمْ عـنـكـمْ	إذا مـا أنـتَ لـم تَـخْـضَـرْ

ملاحظة: بعد هذا، يأتي المخطوط بقصائد الجزء الرابع من أوّل القصيدة التي مطلعها «إنَّ الكمال محال أن يكون لنا»[2] إلى نهاية المخطوط. ويبتدئ عندها بالبسملة دلالة على بداية جزء جديد إلى آخر قصيدة التي مطلعها[3] "همت اشتياقا فيمن براني" (و.238). كلّ هذه القصائد هي من الجزء الرابع الذي حققناه.

وبناء عليه، فإنّنا نعتبر أنَّ نهاية الجزء الثالث هي عند القصيدة «جمال الدين لا تغتر» (رقم 356)، وبعدها يبتدئ الجزء الرّابع. والغالب أنَّ النّاسخ ارتأى أن يجمع الجميع في مجلّد واحد، وإلّا كيف نفسّر تكرار هذا العدد الكبير من نفس القصائد في الجزأين الثالث والرابع، على الرّغم من أنَّ ناسخ هذا المخطوط يكتب في نهايته عند الورقة رقم (238) «تمّ الجزء الثالث من الديوان بمنه وحمده وفضله وذلك بتاريخ الخامس والعشرين من جمادى الأولى من سنة أربعين وست مئة هجريّة»، وذلك لأنَّ نصّ المؤلّف حاكم وأولى بالاتباع (مخطوط الجزء الرابع) من نسخة غيره (مخطوط الجزء الثالث)، فالقصائد الواردة في مخطوط الجزء الثالث من الورقة (129) إلى الورقة (238) هي قصائد وردت في الجزء الرابع الأصليّ بخطّ المؤلّف، وذلك هو مكانها الطبيعيّ.

(1) لم نعثر على هذه القطعة في المخطوطات الشعريّة الأخرى لابن العربي.
(2) هي أوّل قصيدة يفتتح بها الجزء الرابع من الدّيوان الكبير.
(3) ترتيب هذه القصيدة في الجزء الرابع: 368 من مجموع 674 قصيدة في هذا الجزء المذكور.

فهرس المحتويات

يتواصل إخراجُ الديوان الكبير للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي بعد أن أصدرنا منه الجزءَ الرابعَ محقَّقًا عام 2018. ثم أعقبنا ذلك بتحقيق «المجلّدة السابعة» من الديوان نفسه، وهي تتضمّن أشعارًا من القسم الأخير من الجزء الأوّل من هذا الديوان، وأشعارًا من الجزء الثاني منه.

ونُتحف القرّاءَ اليومَ بنشر الجزء الثالث من الديوان الكبير محقّقًا، بعد أن بذلنا في ذلك غايةَ الوسع حتى يخرج في أحكم صورةٍ علميّةٍ من الضبط والتوثيق. وقد كان الأصل الذي اعتمدنا عليه في تحقيق هذا الجزء مخطوطةً لأحد أصحاب الشيخ، محفوظةً في مكتبة وليّ الدين في إسطانبول، ومنسوخةً بتاريخ 640 للهجرة، أيْ بعد أقلّ من سنتيْن على وفاة المؤلف. ثم اعتمدنا في المقابلة على مخطوطات أخرى.

يتضمَّن هذا الجزءُ الثالثُ من الديوان الكبير 356 قصيدةً تُنشر لأوّل مرّة، بمجموع أبياتٍ تصل إلى 3441. والغرضُ الغالب في هذا الجزء يمتح من معجم المحبّة والغزليّات، ويرتبط به موضوعُ التجلّيات الإلهيّة في صور المعتقدات. وهذا ما دفعنا إلى توضيح مذهب الشيخ الأكبر في قضايا مثل: حقيقة الوجود، ودين الحبّ، ووظيفة الرمز في الشعريّة العرفانيّة الأكبريّة... بشكلٍ يرفع اللبسَ، ويقرّب هذه القضايا الشائكةَ من القارئ.

تصميم الغلاف: فادي طاهر

ISBN: 978-9953-89-704-2



دار الآداب
بيروت - لبنان
هاتف:795135 –1861633 +9611